هازل رولي

سيمون دو بوفوار وجان بول سارتر

وجهاً لوجه

«الحياة والحب»





ترجمة : محمد حنانا

هــازل رولـي

سيمون دو بوفوار

و

جان ـ بول سارتر

وجهــاً لـوجــه

«الحياة والحب»

ترجمة : محمد حنانا

سيمون دو بوفوار

و

جان ـ بول سارتر

وجهاً لوجه

«الحياة والحب»



اسم المؤلف: هـازل رولي

عنوان الكتاب: سيمون دو بوفوار وجان - بول سارتر وجهاً لوجه «الحياة والحب»

ترجمة: محمد حنانا

تصميم الغلاف: ماجد الماجدي

الناشر: دار المدى

الطبعة الأولى: 2017

Author: **Hazel Rowley**

Title: **Tête – à – Tête**

The lives and Love of Simone de Beauvoir And Jean-Paul Sartre

Translator: **Mohammed Hanana**

Cover Designed by: **Majed Al–Majedy**

P.C.: **Al–Mada**

First Edition: **2017**

جميع الحقوق محفوظة: دار المدى

Copyright © Harper Collins Publishers



للإعلام والثقافة والفنون

Al-mada for media, culture and arts

بغداد: حي ابو نواس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141

Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141

www.almada-group.com email: info@almada-group.com

+ 964 (0) 770 2799 999
+ 964 (0) 770 8080 800
+ 964 (0) 790 1919 290

بيروت: الحمرا- شارع ليون- بناية منصور- الطابق الأول

dar@almada-group.com

+ 961 706 15017
+ 961 175 2616
+ 961 175 2617

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار

al-madahouse@net.sy

ص.ب: 8272

+ 963 11 232 2276
+ 963 11 232 2275
+ 963 11 232 2289

لايجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين أي مادة بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدّماً.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means; electronic, mechanical, photocopying, recoding or otherwise, without the prior permission in writing of the publisher.



جان–بول سارتر وأمه آن–
ماري سارتر

(née Schweitz) Editions Gallimard

هيلين وسيمون دو بوفوار
مع امهما

Sanáro Agénor



رينيه ماهو وهو في الثامنة عشرة في تولوز

Jean and Isabelle Maheu



جان- بول سارتر عام ١٩٣٩ قبل اندلاع الحرب

Gisele Freund , Nina Beskow Agency

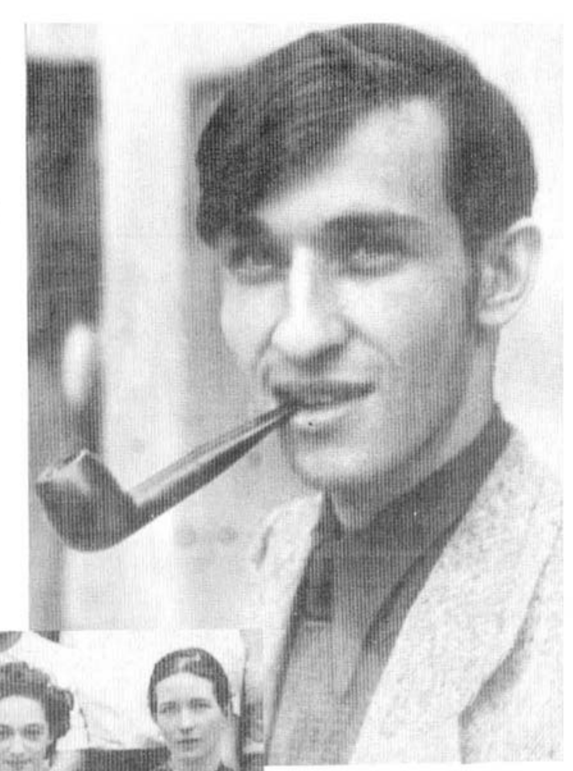


اولغا كوزاكيفيتش عام ١٩٤٢-١٩٤٣ اثناء التدريب على مسرحية الذباب

(Studio Harcourt photo) Sylvie Le Bon de Beauvoir

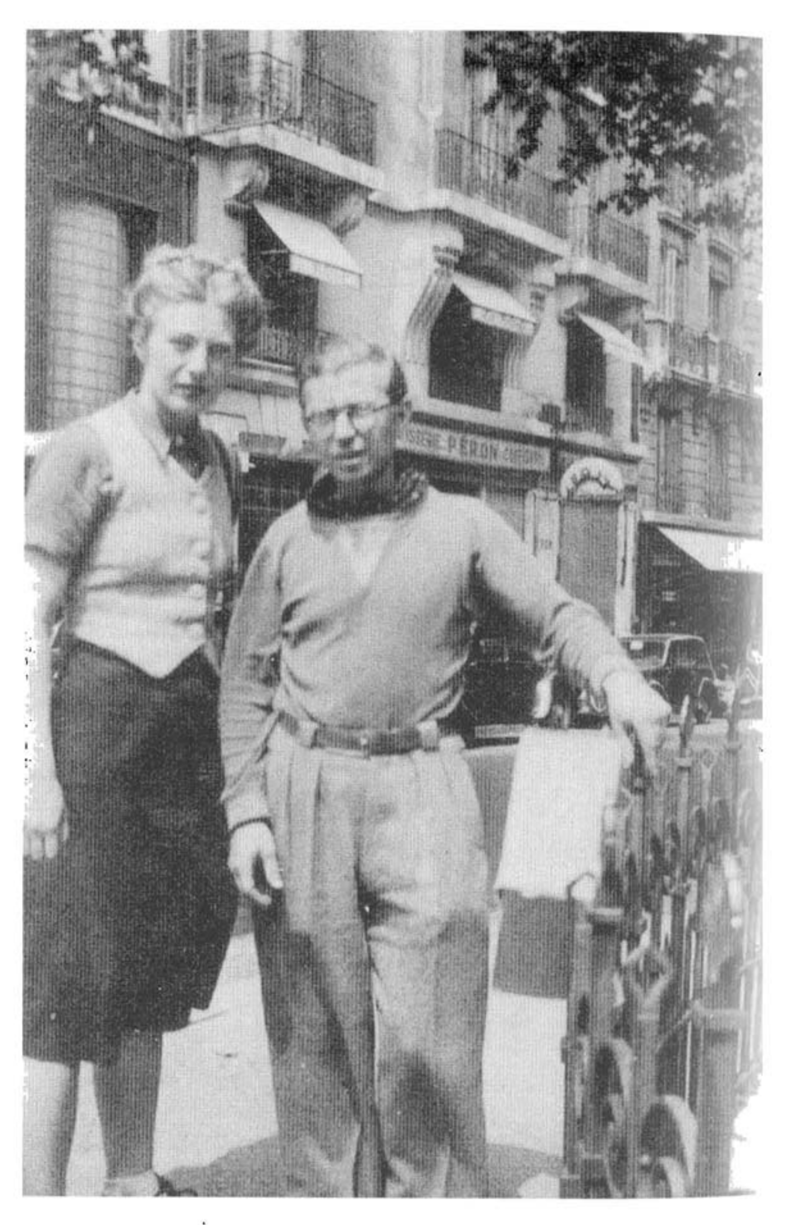
جاك – لوران
بوست نحو
عام ١٩٣٨

Sylvie Le Bon de Beauvoir



بوفوار وبيانكا بينيفيلد في
ثانوية موليير عام ١٩٣٨

Bianca Bienenfeld Lamblin



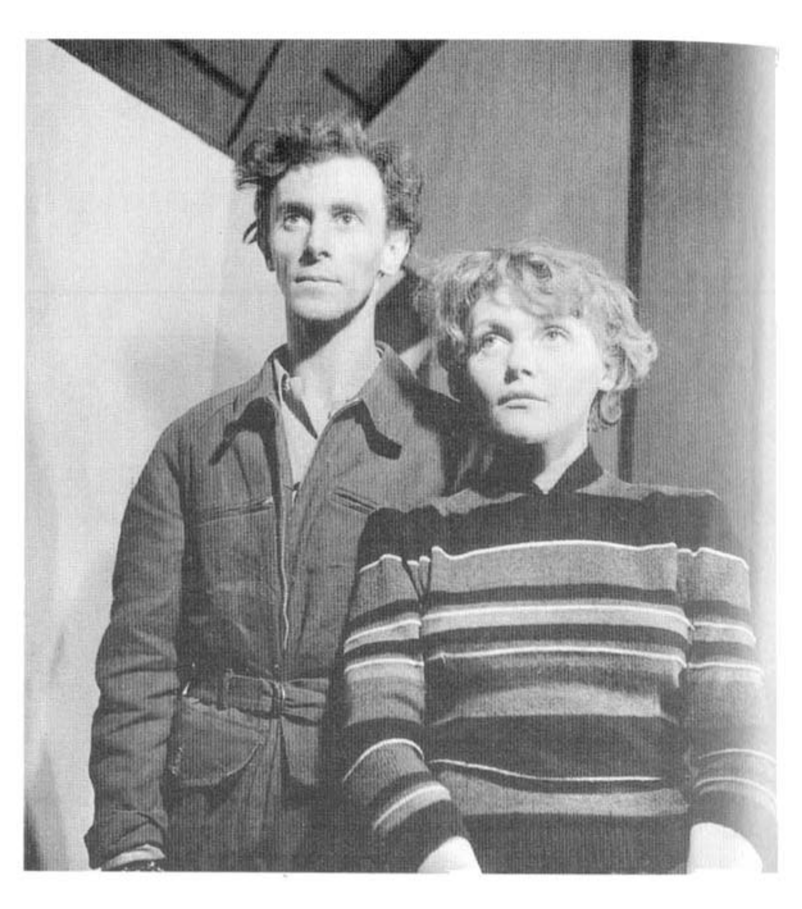
سارتر مع ناتالي سوروكين عام ١٩٤١ او ١٩٤٢

Editions Gallimard



سيمون دو بوفوار في غرفتها في فندق لوازيسيان عام١٩٤٦

Les Films De lequinoxe; Fonds Photographique Denise Bellon



ماري اوليفيه – فاندا– وميشيل فيتولد اثناء التدريب
على مسرحية سارتر المنتصرون عام ١٩٤٦

Roger Viollet



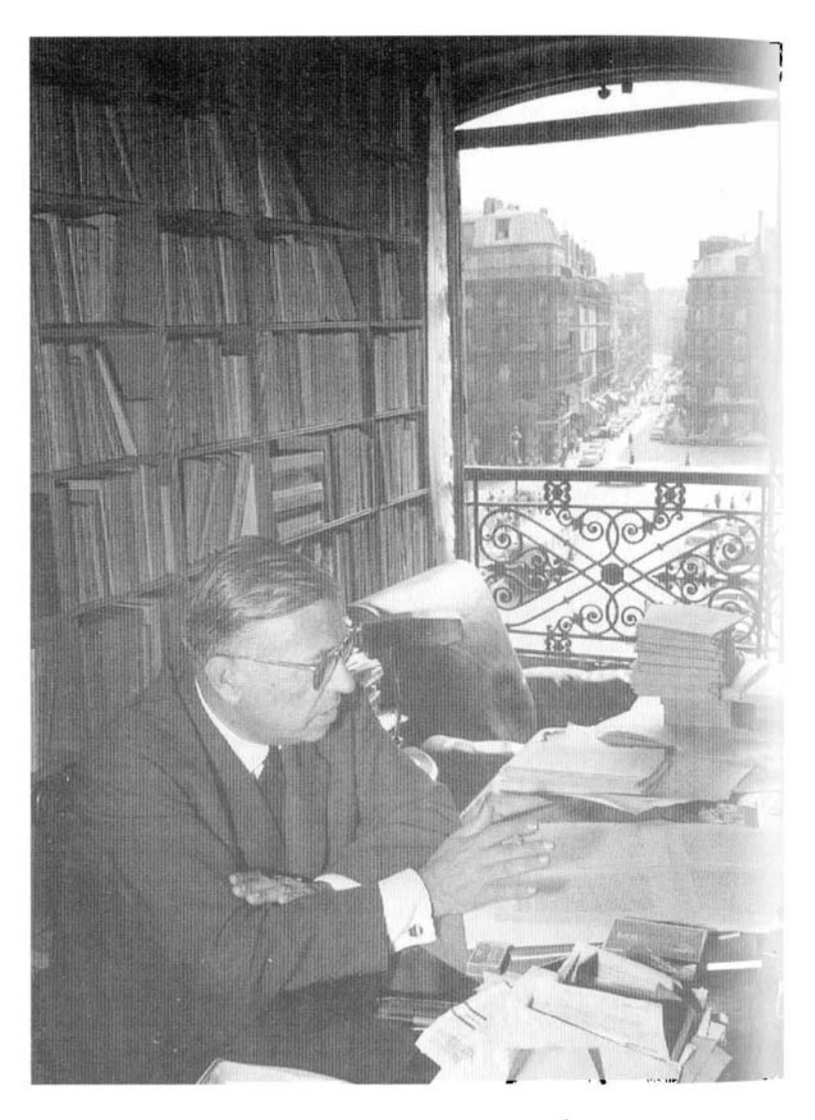
في بار بونت– رويال قرب غاليمار عام ١٩٤٧ . من اليسار دولوريس
فانيتي،جاك – لوران بوست،جان كو،جان جينيه،جان– بول سارتر

Jacques de Poitier, Scoop, Paris Match



سارتر، بوريس ڤيان، ميشيل ڤيان، بوفوار في قهوة بروكوب نحو عام١٩٤٨

Yves Manciet / Rapho



سارتر خلف مكتبه المطل على ساحة سان- جيرمان نحو عام ١٩٥٠

Gerard Gery, Scoop, Paris Match



الغرين في فناء سكة الحديد في شيكاغو في يوم ممطر عام ١٩٥٠

Art Shay



بوفوار وكلود لانزمان في باريس ،شتاء عام ١٩٥٢-١٩٥٣

Collection Particulere / Jazz Editions



سارتر وايفلين ري وسيرج ريجياني في مسرح النهضة بعد تقديم
مسرحية سارتر سجناء التونا في ايار عام ١٩٦٠

Agence Bernad



سارتر وارليت ايلكايم
خارج الكوبول في
مونبارناس في اذار عام
١٩٦٥ ،بعد يومين من
تبنيه القانوني لها

France Soir



سارتر، بوفوار ولينا زونينا لدى الوصول الى مطار فيلنيوس، ليتوانيا، صيف عام ١٩٦٥

Antanas Sutkus



الاحتفال بعيد ميلاد سارتر السبعين عند سيلفي لوبون ،حزيران عام ١٩٧٥

Sylvia Le Bon de Beauvoir



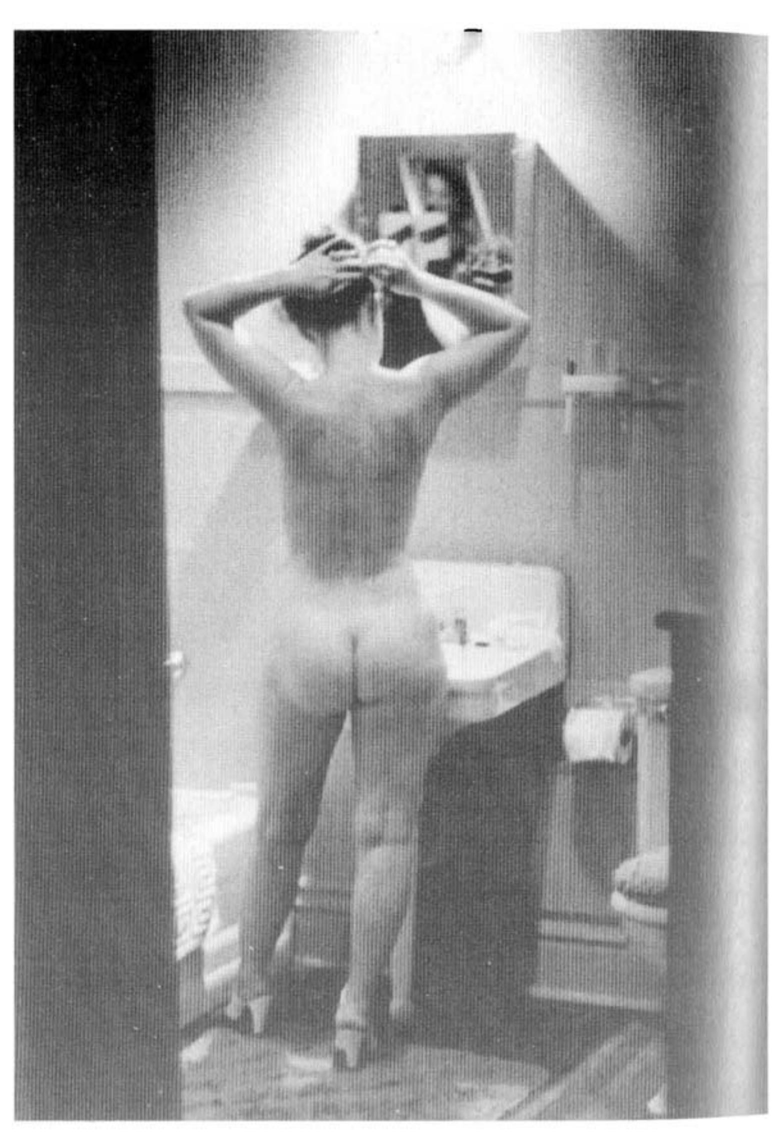
بوفوار وسارتر وسيلفي لوبون في منزل توميكو ازابوكي في فرساي ١٩٧٧

Sylvia Le Bon de Beauvoir



بوفوار امام طاولتها الصغيرة في شارع شولشر عام ١٩٧٨

Janine Niepce / Rapho



سيمون دو بوفوار في شيغاغو عام ١٩٥٠. بعد ان اغتسلت
ووقفت امام الغسلة لتسوي شعرها التقط لها صديق نيلسون
الغرين هذه الصورة فقالت له سيمون انت قليل الاحتشام

Art Shay

مقدمة

مثل أبيلار وهيلواز[1]، دفنا في قبر مشترك، ارتبط اسماهما معاً إلى الأبد. كانا زوجين من أزواج العالم الأسطوريين. لايمكننا أن نفكر بواحد منهما من دون التفكير بالآخر: سيمون دو بوفوار وجان - بول سارتر

في نهاية الحرب العالمية الثانية تبوأ سارتر وبوفوار، على نحو سريع، مكانة عالية بوصفهما مفكرَيْن حرين وملتزمين. كتبا في جميع الأنواع الأدبية: المسرحيات والروايات والدراسات الفلسفية وقصص الرحلات والسيرة الذاتية والمذكرات وأدب السيرة والصحافة. وقد شكلت رواية سارتر الأولى «الغثيان» حدثاً في عالم الرواية الفرنسية المعاصرة. وغدت مسرحياته العشر حديث الموسم المسرحي في باريس. وأحدثت دراساته الفلسفية: «الوجود والعدم» و«نقد الفكر الديالكتيكي» وغيرها صدمة. هذا إلى جانب بحثيه الأدبيين اللذين كرسهما لجان جينيه وغوستاف فلوبير. لكنه ربما سيُذكر على نحو أفضل من خلال سيرته الذاتية «كلمات»، هذا الكتاب الذي أكسبه جائزة نوبل. وسترتبط بوفوار دائماً بكتابها الهام «الجنس الآخر» وبمذكراتها وبروايتها اللامعة «المندرين» التي استحضرت فيها جو أوربا بعد الحرب العالمية الثانية.

١- عاشقان عاشا في القرن الحادي عشر وانتهت قصة عشقهما إلى نهاية مأسوية. المترجم

غدت بوفوار كاتبة المذكرات العظمى في جميع الأوقات. وتعكس كتاباتها بطريقة ماحياتها الخاصة. فقد كتبت، إضافة إلى المجلدات الأربعة المتضمنة مذكراتها، حول رحلتها إلى الصين «المسيرة الطويلة»، وكتاباً عن موت أمها «موت سهل جداً»، وآخر عن سنوات سارتر الأخيرة «الوداع» وروايتين مبنيتين على سيرتها الذاتية «أتت لتبقى» و«المندرين». لم تكن بوفوار، من بعض النواحي، رفيقة سارتر فحسب، فقد كانت كاتبة لسيرته وسيرة صديقاته. وفي كتابتها عن حياتها كتبت عنه أيضاً وقد شجعها سارتر. وبوصفهما وجوديين آمنا أن شخصيتهما ليستا أكثر أو أقل من مجموع أفعالهما، ووضعا نفسيهما، طواعية، في مواجهة حكم الأجيال القادمة.

تشاركا الظمأ للمطلق. يقول سارتر «من الطبيعي ألا ينجح أحد في كل شيء، ولكن ينبغي عليه أن يريد كل شيء». ومن شعارات طلبة عام ١٩٦٨ كان شعارهما المفضل «عش من دون وقت مستقطع». كلاهما كانا متمردين طوال حياتهما. وعندما كانا طالبين لم يستطيعا الإنجاز بتألق أكبر في ظل نظم التعليم الفرنسية، فأدارا ظهريهما للصرامة الأكاديمية والأناقات البورجوازية، وازدريا كل شيء يحتوي على أضأل أثر من الرصانة التقليدية.

إننا إذ نفكر بسارتر وبوفوار يعني أن نفكر بالحرية. يقول سارتر «الإنسان محكوم بأن يكون حراً». إن فلسفته عن الحرية لم تكن من الناحية النظرية برجاً عاجياً، بل كانت ملتصقة بالحياة. وكوجوديين رفضا أي فكرة عن «الطبيعة الإنسانية». وكفيلسوفين تحديا جميع التقاليد الاجتماعية. لا أحد كان يمكنه أن يعلمهما كيف يعيشان حياتهما، ولا حتى حياة حبهما. كانا مدركين أنهما يبتكران علاقتهما من خلال تعاونهما.

رفضا الزواج. لم يعيشا معاً أبداً. اتخذا، علناً، عشاقاً، وكان كل منهما صديقاً لعشيق الآخر، وأحياناً يتشاركان العشاق. كانا متفقين على مبدئهما الأساسي: مادام حب الشخص الآخر «ثانوياً» ينبغي أن يكون حبهما «مطلقاً».

أمضى سارتر وبوفوار حياتهما يعالجان مسائل علم الأخلاق ومذاهبه. وكان عليهما أن يحققا الاستخدام الأمثل لحريتهما. بداية كانا منشغلين بالحرية الفردية. وفيما بعد انتقدا بشدة هذه الفترة المبكرة الطويلة التي نظرا إليها كفترة الشباب غير المسؤولة. وقد جعلتهما الحرب العالمية الثانية مدركين للتاريخ. وفي عام ١٩٤٥ أسسا مجلة «الأزمنة الحديثة» التي كان لها أثر كبير في فرنسا وأوربا، وحتى في العالم الثالث. ومنذ ذلك الوقت فصاعدا أصبحا مفكرَيْن اجتماعيين كتبا «أدباً ملتزماً»، واحتضنا العمل السياسي.

لم ينسيا أبداً أنه كان عليهما اتخاذ خيارات ليحققانها، وأنه لا حرية من دون مسؤولية. وقد ناقشا دائماً تلك المسائل، أيٌّ من الأفعال الممكنة المطروحة أمامهما ستكون أكثر مسؤولية؟ ما الذي ستكون عليه عواقب التصرف بهذه الطريقة أو بطريقة أخرى؟ إن سارتر المدافع المتحمس عن السلام في العالم وعن الاشتراكية تشبث بمسألة الحاضر الهامة: الشيوعية. في الخمسينيات والستينيات وقف الاثنان بشجاعة ضد الحرب الجزائرية والحرب الفيتنامية. وقد جعلته كتاباته حول الاستعمار والعنصرية نصير النضال ضد الاستعمار. ويُنظر إلى كتاب بوفوار «الجنس الآخر» كنص مؤسس لحركة النساء الحديثة.

لم يتوقف سارتر وبوفوار في علاقتهما عن العيش ككاتبين. كان واجباً أساسياً في كل لحظة من اليوم. تعاهدا على أن يخبر كل منهما الآخر «كل شيء»، حتى أدق التفاصيل. ربما شكل تحويل الحياة إلى

سرد، متعتَهما الحسية الشهوانية. كان سارتر مثل روكانتان بطل رواية «الغثيان» الذي يقول: «لكي يصبح الحدث التافه مغامرة كبيرة ينبغي عليك أن تسرده».

كان مستحيلاً معرفةُ أي أمر أكثر إرضاءً لهما، أهو رعشة التلصص عند سماع تفاصيل الحياة الجنسية لكل منهما، أم المتعة الحميمية التي يولدها سرد تلك التفاصيل.

كانا مهووسين بما يدعوه سارتر «وهم السيرة»، وهي الفكرة القائلة إن الحياة المعيشة يمكن أن تماثل الحياة المسرودة. في مراهقتهما كانا يتصوران حياتهما المستقبلية كأنها في عيون الأجيال القادمة. كتب سارتر: «كنت واعياً على نحو استثنائي أني الشاب سارتر، في ذات الطريقة التي يتحدث بها الناس عن الشاب بيرليوز أو الشاب غوته». وكانت بوفوار تتخيل الناس يمعنون التفكير بقصة حياتها، كما فعلت هي مع حيوات إميلي برونتي، وجورج إيليوت، وكاثرين مانسفيلد. «أردت أن يقرأ الناس سيرتي ويجدونها مؤثرة وغريبة».

ومع نزعتهما لصنع الأسطورة كان هناك إيمان شديد بقول الحقيقة. بالنسبة إليهما كانت فكرة التكتم هي أثر من آثار نفاق البورجوازية. لم الاحتفاظ بالأسرار؟ كانت مهمتهما كمفكرين، هي سُبْر ما تحت السطح للوصول إلى أعماق التجربة وكشف زيف الخرافات وإيصال الحقائق المجردة إلى قرائهما.

كانا يقولان دائماً إنهما يريدان أن يعرف الناس الحقيقة عن حياتهما الشخصية. قال سارتر: «لم يحدث أن تخلصت من الرسائل والوثائق التي تتعلق بحياتي الخاصة، إذ إنني أفضِّل أن أكون شفافاً... أعتقد أنه ينبغي أن تكون الشفافية بديلاً من السرية». وقد أشار الاثنان في

المقابلات التي أجرياها، إلى أنهما يرغبان في أن يكونا أكثر انفتاحاً حول نوازعهما الجنسية، والشيء الوحيد الذي منعهما من ذلك تورط أناس آخرين.

حين كانت بوفوار في السبعين، سألتها أليس شفايتزر، المناصِرة لحقوق المرأة، عما إذا كان هناك شيء لم تكتبه في مذكراتها وتتمنى الآن أن تكتبه ثانية. أجابت بوفوار «نعم، كنت أتمنى أن أكون صريحة ومتوازنة في وصف ميولي الجنسية. أن أكون مخلصة من وجهة نظر واحدة من المناصرات لحقوق المرأة. كنت أحب أن أخبر النساء حول حياتي الجنسية، لأن الموضوع ليس شخصياً فحسب بل هو سياسي أيضاً. لم أكتب حول ذلك حينئذٍ لأني لم أكن أقدر أهمية هذه المسألة، ولا الحاجة إلى الصدق الشخصي. ومن المستبعد أن أكتب حول ذلك الآن لأن هذا النوع من الاعتراف لن يؤثر عليَّ فقط بل سيؤثر أيضاً على أناس معينين قريبين جداً مني».

كان ثمة إغفالات في مذكرات بوفوار، ولكن كان ثمة الكثير مما قالت – وهو كاف ليثير فضول أجيال من القراء. ومنذ أن بدأ سارتر وبوفوار العمل في التدريس في الثلاثينيات، كانا مدركين أنهما قدوة للشباب. أحبا التدريس، واستمتعا بتأثيرهما على الأذهان الشابة. وكانت صداقاتهما المستديمة مع الأشخاص الأصغر سناً منهما. كلاهما ألهم شماسيه، كما كان يدعوهم سارتر. وقد تعاظمت هذه الظاهرة حين بدأت مذكرات بوفوار بالظهور في عام ١٩٥٨. ففي الستينيات والسبعينيات كان سارتر وبوفوار مثالاً لهم.

في تشرين الثاني عام ١٩٧٦ قابلتُ سيمون دو بوفوار في شقتها في شارع شولشر المواجه لمقبرة مونتبارناس. كنت طالبة متخرجة أكتب رسالة الدكتوراه حول سيمون دو بوفوار الوجودية والنشطة في الحركة

النسائية. لقد غيرت بوفوار حياتي، وأنا أكنُّ لها الكثير من الاحترام. سألتها أسئلة ساخنة حول علاقتها بسارتر - حول الصدق والغيرة والمعايير المزدوجة بالنسبة للرجال والنساء. أصرت بوفوار على القول بعدم وجود غيرة بينهما، وفيما يتعلق بالمعايير المزدوجة فهي تعتقد أن الصداقات بين الجنسين هي أسهل بالنسبة للنساء من الرجال، لأن الرجال، مع الأخذ بالحسبان مكانة النساء الثانوية، يميلون إلى الشعور بالذنب حين يتركونهن. لقد أجابت بوفوار على أسئلتي وكأنها تجيب عن ظهر قلب، من دون تأمل ولاتردد. بعد ذلك قادتني إلى الخارج. استطعت أن أرى، وذلك ما أحزنني، أنها هي نفسها لم تستطع أن تفك حقيقة حياتها من الأسطورة.

في ذلك الحين اتسمت الوجودية بطابع عتيق الطراز. فقد دخلنا حقبة ما بعد الحداثة. كانت (الموضة) أن تزدري المسؤولية الفردية. وكانت حقيقة جرائم ستالين البشعة قد ظهرت للعيان. ورأى الفلاسفة الفرنسيون الجدد أن تعاطف سارتر مع الشيوعية خلال الحرب الباردة هو حماقة ستاليني مضلل. وكانت المناديات المتطرفات بالمساواة بين الجنسين متململات مما قد رأين من قيم بوفوار الذكورية. خصوصاً تورطها بذلك الذكر الشنيع «السوفييتي» جان - بول سارتر.

توفي سارتر عام ١٩٨٠ وبوفوار عام ١٩٨٦. إنهما لم يتلفا رسائلهما ويومياتهما، وكان من الواضح أنهما خططا لتنشر بعد موتهما، وقد نُشر الجزء الأكبر من رسائلهما بعد عدة سنوات. كانت صدمة القراء قوية، إذ تبين في النهاية أن هذين المدافعين عن قول الصدق كانا يكذبان دائماً على العديد من الفتيات غير المستقرات عاطفياً. (كان سارتر يدعوها «أكاذيب بيضاء» أو «نصف حقائق» أو «أكاذيب كاملة»). وهناك بوفوار، التي كانت طوال حياتها تعلن أنها لم تُقم أية

علاقة جنسية مع امرأة، نجدها تخبر سارتر في رسائلها عن الليالي الممتعة التي قضتها وهي تمارس الجنس مع فتيات! ثم لماذا هذا الاستخفاف الكبير بأولئك النساء الشابات اللواتي أخذتهن إلى السرير؟ وفي الوقت نفسه كان سارتر وبوفوار مرهفَيْ الإحساس أكثر مما نتصور. وكان شغفهما بالمشاركة في أدق تفاصيل حياتهما اليومية - رائحة المطر، لون المصابيح في الظلام، المحادثات الفكهة التي يتبادلانها في القطار - محبباً إلى النفس.

في السنوات الأخيرة باح سارتر وبوفوار بأسرارهما المتشابكة من وراء قبريهما. فقد نُشرت في عام ١٩٩٧ رسائل الحب التي وجهتها بوفوار إلى نيلسون ألغرين. وقد أدهشت القراء. وفي عام ٢٠٠٤ نُشرت الرسائل المتبادلة بينها وبين جاك - لوران بوست. وفاجأت القراء ثانية في كل مكان. هل هذه سيمون دو بوفوار، الانفعالية والمتحمسة والحسية، التي اعتقدوا أنهم يعرفونها؟ إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لازمت سارتر؟ وكتب أحد النقاد متسائلاً «كيف استطاعت العيش مع ذلك الشخص ذي النظارات والصوت المعدني والبِذلة الزرقاء المجعدة والمهووس بالسرطانات والشاذين جنسياً. في حين تمتلك مثل تلك الحيوية والذكاء والعذوبة؟ ياله من لغز!»

اليوم أتمت العجلة دورتها الكاملة. فبعد عدة عقود، عقود أثار فيها سارتر وبوفوار اهتماماً قليلاً، خاصة في فرنسا، هناك اعتراف جديد بأنهما تحلّيا بالشجاعة والجرأة للسخرية من العرف السائد، وحاولا العيش وفق مبدأي الحرية والمسؤولية، وفتحا العديد من الأبواب. ربما تجاوزا أحياناً فلسفتهما، ولكن مهما كانت إخفاقاتهما، فقد عاش بعض الأشخاص الحياة بكثافة. من كان يتخيل أن برنارد - هنري ليفي. الفيلسوف الأوسع شهرة في فرنسا، سيكتب كتاباً هو بمنزلة

رسالة حب، وقد دعاه «سارتر فيلسوف القرن العشرين»، وفيه دافع عن علاقة سارتر ببوفوار بوصفها واحدة من أعظم قصص الحب في التاريخ؟

أنا أيضاً شعرت بالحاجة إلى العودة إلى هذا الحقل. فيما مضى كرست، مثل آخرين وقتاً، بنجاح أو إخفاق لمسألة علاقة سارتر وبوفوار. كتب ميشيل كونتا Michel Contat، الباحث المعروف المختص بسارتر، الذي كان في حياته الشخصية متأثراً بمرشدَيه الوجوديين، واصفاً الرهانات التي شارك فيها الذين تحمسوا لسارتر وبوفوار ذات مرة: «إذا نجح سارتر وبوفوار، فنحن لم نكن مخطئين، وإذا أخفقنا نستطيع فقط أن نلوم عجزنا. ولكن إذا كانا قد أخفقا وأخفيا فشلهما، فقد كانا مزيفَيْن ودجالين».

مع مرور الوقت لم أعد مهتمة بنجاح سارتر وبوفوار أو إخفاقهما، فأنا مهتمة بالحقيقة، والحقيقة لا تنسجم مع التصنيفات. ما نعرفه حول هذه العلاقة أتى معظمه من بوفوار. وكنت أتساءل دائماً: ما الذي شعر به سارتر حول تلك العلاقة؟ ماذا عن عشاقهما وأصدقائهما.

هذه ليست سيرة حياة سارتر وبوفوار. أتركها لآخرين ليحكموا بإنصاف على كتاباتهما، سياساتهما، تفاصيل حياتهما المعقدة والغنية جداً. هذه قصة علاقة. أردت أن أصور هذين الشخصين عن قرب في لحظاتهما الحميمية. وسواء اعتقدنا أنها واحدة من أعظم قصص الحب في التاريخ أم لم نعتقد، فهي بالتأكيد قصة حب عظيمة. تماماً كما أراد سارتر وبوفوار لحياتهما أن تكون.

-١-

١٩٢٩

منذ شهور كانت محط اهتمام جان - بول سارتر. كانت في الحادية والعشرين من عمرها. إنها الأصغر سناً بين طالبات جامعة السوربون، وتستعد في ذلك العام لخوض الامتحان التنافسي الوطني لنيل شهادة الأستاذية في الفلسفة. كانت تحدثت في قاعة الدرس عن لاينتز Leibniz [٢]، وقد صدم سارتر جمالها ولمعانها، صوتها القوي وحديثها المتلاحق.

كان صديقها رينيه ماهو Maheué Ren يتودد إليها منذ الربيع. كان متزوجاً، لكنه كان مأخوذاً بها كما كانت مأخوذة به. كانا يذهبان معاً إلى المكتبة الوطنية للتحضير من أجل امتحانهما، ويجلسان جنباً إلى جنب، وغالباً ما يتناولان طعام الغداء معاً. كان سارتر يأمل بالتعرف إليها، لكن«ماهو» حرسها جيداً. وفي أصيل أحد الأيام، كان الرجلان يتمشيان معاً في حدائق اللوكسمبورغ فلمحا مدموزيل دوبوفوار عبر البركة. كانت وحدها، وكان من الواضح أنها شاهدتهما، لكن «ما هو» فضل تجاهلها كي لا يقدمها لـ سارتر.

في بداية أيار، غابت عن الأنظار. وبعد أسبوع، أو ما يقرب من

٢- فيلهلم لاينتز ١٦٤٦ - ١٧١٦: فيلسوف وعالم رياضي ألماني. (المترجم)

ذلك، كان سارتر و«ماهو» جالسين على عتبة نافذة خارج مدرج المحاضرة في واحد من ممرات السوربون الطويلة حين ظهرت مرتدية لباساً أسود وقبعة سوداء صغيرة. ذهب إليها« ماهو» وأمسك يدها بحرارة، وسألها لم هي في لباس الحِداد؟ لكنه لم يقدمها إلى صديقه.

عندئذ اتخذ سارتر الخطوة الأولى. فخلال المحاضرات المملة دأب سارتر ورفاقه على تسلية أنفسهم برسم اسكتشات ساخرة تعبر عن وجهة نظرهم حول فلاسفة معينين وحول فلسفتهم. وقد اختار سارتر رسماً وقحاً وكتب عليه «إلى مدموزيل دو بوفوار في ذكرى تحليل لايبنتز»، وطلب من «ماهو» أن يمرره لها، ففعل.

بعد ذلك اقترح سارتر على صديقيه رينيه ماهو وبول نيزان Paul Nizan أن تنضم سيمون دو بوفوار إليهم من أجل التحضير للامتحانات الشفوية بسبب معرفتها الجيدة بـ لايبنتز، إضافة إلى ذكائها الحاد.

نحو منتصف حزيران انتهت الامتحانات الكتابية، و لم يبق سوى شهر واحد على بدء الامتحانات الشفوية. كان «ماهو» في عطلة مدتها عشرة أيام التحق خلالها بزوجته في النورماندي، وكان سارتر طلب منه أن يقدمه إلى المدموزيل دوبوفوار قبل أن يبدؤوا العمل معاً كمجموعة. وقد اقترح أن يكون ذلك في صالة الشاي في Rue de Medicis في الجانب الآخر من حدائق اللوكسمبورغ القريب من جامعة السوربون. أوصل «ماهو»الرسالة، لكنه أخبر دوبوفوار قائلاً بأنه يخشى من أن يستغل سارتر غيابه ويسرقها منه «لا أريد أحداً أن يصل، بطريقة ما، إلى مشاعري الأكثر نفاسة». لقد تحدث عن سارتر بعبارات متقدة، ولكن فيما يتعلق بالنساء فهو لا يثق به مقدار أنملة.

في ذلك الأصيل المحدد، جلس سارتر في صالة الشاي منتظراً

دوبوفوار، يقرأ وهو يدخن غليونه. لكنه بوغت حين رأى شابة ذات شعر أشقر تتقدم نحوه وتقدم نفسها إليه بصفتها هيلين دوبوفوار وتخبره بأن شقيقتها لن تتمكن من الحضور. سألها سارتر «كيف عرفت بأنني سارتر». أجابته بوبيت، كما الجميع يدعونها، بخجل «لأنك تضع على عينيك نظارتين». عندئذ أشار سارتر إلى رجل يجلس في الزاوية الأخرى ويضع على عينيه أيضاً نظارتين.

اعتقد سارتر بأنه يعرف لماذا لم تأت سيمون دوبوفوار، واستطاع أن يخمن الطريقة التي وصفته بها لأختها الأصغر. وقد كان على حق، إذ أخبرت سيمون شقيقتها بوبيت بأنها ستتبينه بسهولة، فهو قصير جداً، يضع على عينيه نظارتين، وقبيح جداً.

كان سارتر شهماً، فقد أخذ بوبيت إلى دار سينما وشاهدا معاً فيلماً أمريكياً بعنوان «A girl in Every Port». كانت محادثتهما فاترة. وحين عادت إلى البيت، أخبرت شقيقتها بأن سارتر شديد الفعالية والحيوية - وأن «ماهو» أراد أن يشوه صورته.

لم تكن هذه البداية مبشرة بالنجاح. ولم يكن سارتر ليتحمل أن يكون مرفوضاً من النساء. فخلال حياته كلها لم يغفر لأمه بسبب خيانتها له، كما رأى ذلك، بزواجها ثانية، حين كان في الحادية عشرة من عمره. كانت تلك واقعة مؤلمة بالنسبة إليه. لقد توفي والده، جان باتيست سارتر، حين كان عمره خمسة عشر شهراً. عندئذ حملت آن - ماريا، البالغة من العمر ٢٤ عاماً طفلها «بولو» وذهبت للعيش مع والديها في باريس. كانت تنتمي إلى أسرة شفايتزر، وهي عائلة بروتستانية من الألزاس (كان ألبرت شفايتزر الشهير عمها)، وكانت آن - ماري، مثل جميع آل شفايتزر، طويلة ونحيلة، وكان «بولو» من الناحية الجسدية يشبه والده الضئيل الجسد. وحين بلغ الثانية، ذهب، تقريباً، بصر عينه اليمنى.

كان «بولو» أميراً صغيراً في منزل جده وجدته، فقد حظي بالدلال والحب من الأم والجدة والجد. في تلك الأسرة البطريركية - التي كان يهيمن عليها الضامر والملتحي المتسلط شارلز شفايتزر - شعرت آن - ماري بأنها أشبه بالأخت الأكبر لـ «بولو». كانت تعتمد، من الناحية المالية على أبويها، وكانا يعاملانها بشيء من التعالي. كان ثمة ثلاث غرف للنوم في المنزل، واحدة للجد، وأخرى للجدة، والثالثة - التي دعيت بغرفة الأطفال - خصصت لـ آن - ماري وابنها.

أحاطت آن - ماري ابنها برعاية تامة واهتمام بالغ. كان كل واحد منهما يروي للآخر متاعبه. كانت تقرأ له وتعزف على البيانو من أجله. وفي الآحاد الماطرة كان الاثنان يتجادلان بجدية حول الذهاب إلى السيرك أو المتحف أو دار السينما. عندئذ يظهر شارلز شفايتزر حاملاً كتابه ويتساءل «إلى أين تذهبان أيها الطفلان؟». وعادة ما يكون الجواب: إلى السينما. فيما بعد كتب سارتر في سيرته الذاتية «كلمات» مايلي: «إن كل ما أردت أن أراه، كان آن - ماري فتاة صباحاتي الشابة. كل ما أردته هو سماع صوتها».

اعتادت أن تدعوني فارسها المصاحب، ورجلها الصغير؛ كنت أقول لها كل شيء بل أكثر من كل شيء... وصفت لها كل مارأيت.. منحت نفسي مشاعر أملاً بالحصول على متعة مشاركتها فيها... كان لنا خرافاتنا، وعاداتنا في الحديث وطرائفنا.. اعتدت أن أمشي بصحبتها مظهراً الصلابة، يدي بيدها، واثقاً من قدرتي على حمايتها.

وعندما كبر اعتزم سارتر على الزواج بآن - ماري. وفي عام ١٩١٦، حين كان في الحادية عشرة تزوجت ثانية. كان ذلك كارثة بالنسبة لسارتر، فقد تحطم قلبه. كان الغريب الذي سرق أمه، ويدعى جوزيف مانسي، مهندساً بحرياً. وقد ظل سارتر يكن له الكراهية إلى يوم وفاته.

في السنة التي تلت، حين كان سارتر في الثانية عشرة، رحل الثلاثي إلى «لاروشيل» «La Rochelle» وهي ميناء صغير على ساحل الأطلسي. وقد كره سارتر ذلك المكان. كان رفقاؤه الجدد هم أبناء وبنات صيادي السمك المحليين وزراع المحار. هم لم يحبونه – ذلك الباريسي المحتشم بعينه الحولاء الجاحظة وبطريقته المضحكة في الحديث – و لم يترددوا في إيذائه. و لم يطل الوقت ليغدو سارتر نفسه متسكعاً فظاً.

وفي محاولة لكسب شعبية، سرق نقوداً من محفظة والدته ليشتري الحلوى ويقدمها إلى الأولاد. ولما كان لأولاد المقاطعة صديقات، فقد روى سارتر القصص الطويلة حول فتاته في باريس التي أخذها إلى فندق ومارس معها الجنس. لم يصدقه أحد. ومن مدرسة في لاروشيل انتقى فتاة جميلة شقراء، هي ابنة تاجر يتجر بلوازم السفن، وراح يتبجح بأنها زميلة صفه. فراحوا يحذرونها من سارتر.

لم ينس سارتر أبداً ذلك الأصيل. فقد وجد الفتاة، ليزيت، تقف مع مجموعة من صديقاتها. كان على دراجته. لم يكن واثقاً من نفسه، فراح يدور حول المجموعة. أخيراً قالت: «هل انتهيت أيها الأحمق ذي العين الحولاء، بنظارتيك وقبعتك الكبيرة؟ وقد أثار ذلك قهقهة صديقاتها.

إن إدراكه بأنه قبيح صدمه بقسوة كصدمة حجر أُطلق من منجنيق. وقد عاش مراهقة مؤلمة بسبب ذلك. وفي سنوات مراهقته الأخيرة اتخذ قراراً. فقد أخبر صديقته سيمون جوليفيه «كنت حتى السنة الأخيرة أعاني الكآبة بسبب قبحي، وهذا ماجعلني أتألم. كان عليَّ أن أحرر نفسي تماماً، لأن ذلك ضعف، ينبغي على أي شخص يعرف قوته أن يكون فرحاً، وأنا أدعو ذلك صحة معنوية، لأنه حين يكون أحدهم

في صحة جسدية ممتازة، فهو يشعر بالقوة الكافية لثني أعمدة مصابيح الشارع بيد واحدة».

لقد وضع سارتر، وجودي المستقبل، أساس الخيار الوجودي. فهو إن لم يستطع إغواء النساء بوساطة مزاياه الجسدية، فسوف يغويهن بالكلمات.

حين بلغ سارتر السادسة عشرة أعيد إلى باريس إلى مدرسته القديمة، ثانوية هنري الرابع، بصفة تلميذ داخلي. وكان بضمن رفقاء صفه بول نيزان، وهو تلميذ موهوب وطموح ومصمم على أن يغدو كاتباً. وطوال السنوات التي تلت أصبحا صديقين متلازمين.

وفي المدرسة ظن الشاب سارتر وصديقه نيزان نفسيهما إنسانين متفوقين. لقد كانا على قناعة بأنهما أعلى منزلة من القطيع العام. كانا يتبختران هنا وهناك في باريس يحاكيان أبطال الروايات، يمثلان أدواراً، يخترعان لغة خاصة. لقد اتخم سارتر نفسه بقصص المغامرات، وأطلعه نيزان على الأدب المعاصر. كانا يقرأان كتاباتهما، ويناقشان تقنية السرد.

من ثانوية هنري الرابع انتقل سارتر ونيزان إلى ثانوية لوي – لو – غراند، ليدرسا مدة عامين للتحضير إلى امتحان دخول المعهد الأكثر نخبوية في البلاد. بعد عامين انتقل الاثنان إلى الايكول نورمال سوبيريور في شارع d،Ulm قرب البانثيون حيث تشارك الاثنان في غرفة.

كان الاثنان متلازمين دائماً إلى حد أن الناس يخلطون بينهما على الرغم من أن السمة الوحيدة المشتركة بينهما هي الحول. كان سارتر قوي البنية، قصير القامة، ممتلئ الجسم. وكانت بشرته شاحبة عليها آثار ندوب وبثرات برؤوس سوداء، ويبدو دائماً كأنه بحاجة إلى اغتسال ونوم. وأما نيزان فكان أسمر وسيماً، أنيقاً في ملبسه، يظهر أحياناً في

المحاضرات مرتدياً بنطالاً واسعاً، واضعاً نظارة أحادية الزجاجة. كان سارتر معجباً بألبسة صديقه، لكنه لم يحاول منافسته.

في عشرينياتهما المبكرة، كان مزاجاهما مختلفين. كان سارتر يحيا في جوه الخاص خلال السنوات الأربع التي قضاها في الـ إيكول نورمال. كان يستمتع باستقلاله، وينعم بطمأنينة اللامبالي، وبالمجتمع الذكوري النخبوي الذي لمع فيه. كان يرمي قنابل مائية على أصدقائه وهم في ملابس السهرة، ويكتب اسكتشاً (صورة أدبية وصفية) فاحشاً من أجل المراجعة المدرسية السنوية التي يلعب فيها دوراً أساسياً. كان الطلاب الآخرون يسمعونه وهو يغني بصوته التينور الرائع وهو يندفع راكضاً بين المحاضرات، كما كان يعزف على البيانو في الأمسيات في الصالة العامة. وذات مرة دخل في مشاجرة لأنه رأى أحد معارفه، موريس ميرلو - بونتي، يتعرض للمضايقة. إضافة إلى ذلك كان واحداً من القادة حين يلوح الظلم، شبه سادي في طقوس الدخول التي يتعرض لها الأعضاء الجدد.

من ناحية أخرى، لم يكن نيزان سعيداً في تلك البيئة. فقد ورد في القصة المتعلقة بسيرته الذاتية «عدن العربية» (نشرت عام ١٩٣١ حين كان في السادسة والعشرين من عمره)، بأنه كان ماركسياً، وكان ينتقد بقسوة الـ إيكول نورمال (دار المعلمين تلك، المضحكة والبغيضة) التي يسود فيها روح تعصب كليات اللاهوت والنظم السائدة، حيث يُنهك المراهقون بعد سنوات من الحشو تحضيراً للمسابقات، إذ يتعلمون سفسطة مملة على أيدي أساتذة تقليديين يعيشون في المناطق الغربية الغنية بباريس.

كان نيزان دائماً عرضة للاكتئاب. وفي الـ إيكول نورمال غدت حالاته النفسية أكثر حلكة. وقد كتب سارتر في مقدمة الطبعة الثانية

لقصة «عدن العربية» لـ نيزان التي صدرت عام ١٩٦٠ (قتل نيزان في معركة عام ١٩٤٠)، كتب منتقداً نفسه بقسوة لأنه لم يكن قادراً على فهم شدة ألم نيزان. كان يفضل، كطالب، أن يرى غضب نيزان ويأسه كاستعراض عاطفي - كتصنع، كاستعماله نظارة أحادية العدسة.

كان غضبي قطعة صابون فقط، أما غضبه فكان حقيقياً... كانت كلمات بغضه ذهباً حقيقياً، أما كلماتي فكانت مزيفة.. عانينا أحزاناً مشتركة... وفيما يتعلق بالمسائل الأخرى، حاولت أن أفرض عليه تفاؤلي. كررت عليه قولي بأننا أحرار. لم يجب، ولكن ابتسامة خفيفة في زاوية فمه قالت الكثير حول هذه الفكرة.

في غرفتهما المشتركة، كانت تنقضي أيام بأكملها من دون أن يتحدث نيزان إلى زميله. كان سارتر يتألم. وحين أخذ نيزان إجازة من الـ إيكول نورمال لمدة عام وسافر إلى عدن، في اليمن، شعر سارتر وكأن امرأة نبذته.

بعد عام تقريباً، كان سارتر وحيداً في غرفته، مستغرقاً في تفكير كئيب، حين اندفع نيزان إلى داخل الغرفة، من دون أن يطرق الباب. كانت فرحة سارتر غامرة. ذهب الاثنان ليحتسيا الجعة. كان ذلك أشبه بالأوقات السالفة. وبعد عدة كؤوس راح الاثنان يبحثان شؤون العالم. اعتقد سارتر بأن صداقتهما ستتواصل وسيظلان معاً، لكن نيزان لم يعد إلى السكن في الإيكول نورمال. بدلاً من ذلك انتقل مع عائلة خطيبته إلى مونتبارناس. وبعد عدة شهور تزوج. ذلك ما أفزع سارتر: «جعلت عزوبتي مبدأ أخلاقياً، قانوناً للحياة - وبالتالي لايمكن أن يكون موقف نيزان خلاف ذلك».

كانت بوفوار سمعت الكثير من القيل والقال حول سارتر ونيزان،

هذان الملحدان اللذان يسخران من نفاق البورجوازي ومن المقدسات الكاثوليكية، ويضجرهما فقط حضور محاضرات معينة. وحول سارتر، بالتحديد، كانت تدور الشائعات التي تقول إنه سكير يرتاد الحانات ويزور المواخير. أما رينيه ماهو، العضو الثالث في ذلك الثلاثي، فلم يكن يشاركهما سمعتهما الأسطورية. على الرغم من أنه نأى بنفسه أيضاً عن معظم الطلاب، كان أقل تخويفاً بقليل.

في كانون الثاني من عام ١٩٢٩، تكلم «ماهو» في قاعة الدرس كلاماً أحدث مناقشة نشطة. كانت دوبوفوار مفتونة بصوته الساخر، «بابتسامته العريضة الصافية» و«بالتواء فمه التهكمي». إنه على الرغم من ملبسه الأنيق، فإن بشرته المتوردة، وشعره الأشقر، يضفيان عليه طابع الشاب الريفي. ولطالما رغبت دوبوفوار في التعرف إليه.

في أحد صباحات الربيع، كانت دوبوفوار في المكتبة الوطنية تقلب صفحات كتبها فلمحته يلج المكتبة. راقبته وهو يخلع معطفه الأزرق ووشاحه ويجلس ليعمل. ولما حان وقت الغداء رأته ينهض تاركاً كتبه وراءه. وكعادتها، أكلت دوبوفوار سندويتشه في حدائق باليه رويال «Palais Royal». وفي ذلك اليوم ذهبت إلى مقهى المكتبة. رماها «ماهو» بابتسامة، وأفسح لها مكاناً لتجلس بجانبه وكأنما خططا لهذا اللقاء. تحدثا حول هيوم[٣] وكانت[٤].

بعد ذلك، صار كلما قدم إلى المكتبة يحييها بحرارة. وقبل عطلة عيد الفصح، قدم وجلس بجانبها أثناء محاضرة من محاضرات ليون برونشفيك. (قاطع سارتر ونيزان تلك المحاضرات).

٣- دافيد هيوم ١٧١١ - ١٧٧٦: فيلسوف ومؤرخ اسكتلندي. (المترجم)

٤- إيمانويل كانت ١٧٢٤ - ١٨٠٤: فيلسوف ألماني. (المترجم)

بعد عيد الفصح، حين استؤنفت المحاضرات، جلس بجانبها ثانية. أخبرها بأنه شخص «فرداني»[٥]. فقالت إنها كذلك. حدق إليها وقال دهشاً «ماذا؟أنت». كان على قناعة بأنها كاثوليكية جيدة، مكرسة للأعمال الصالحة. فأكدت له قائلة: لا أبداً.

وفي تلك الليلة كتبت في يومياتها «ألقاء مع رينيه ماهو، أم مع نفسي؟ من هو الشخص الآخر الذي مارس علي مثل ذلك التأثير العنيف؟ لَمِ يغمرني هذا اللقاء بالمشاعر، وكأن شيئاً حقيقياً حدث لي أخيراً؟.

بدأت تحجز مقعداً بجانبها في المكتبة. كان «ماهو» يأتي معظم الأيام. وطوال الأسابيع الأولى كان يدعوها «مدموزيل» بصوته التهكمي المعهود. وفي أحد الأيام أخذ دفتر يومياتها وكتب على غلافه بأحرف كبيرة بوفوار = بيفر. فقد رأى أن اسمها يشابه الكلمة الإنكليزية «بيفر». (قندس)، وهي تعمل أيضاً مثل القندس. ومنذ ذلك اليوم دأب على دعوتها بيفر.

حدثها حول «صديقيه الصغيرين»، كما يدعوان نفسيهما. لقد قابلهما في ثانوية لوي – لو – غراند، حين قدِم أولاً إلى باريس من الأقاليم وهو في الثامنة عشرة. هما الآن في الرابعة والعشرين. كان لقب «ماهو» اللاما (كاهن بوذي)، ونيزان «الدوق الكبير»، وسارتر «الرجل الضئيل». كان «ماهو» معجباً بصديقيه أيما إعجاب، خصوصاً سارتر، الذي يعتقد بأنه عبقري. لكنه أضاف قائلاً إن سارتر كان مختلفاً جداً عنه، فسارتر ينتمي إلى البورجوازية الباريسية، وقد شعر «ماهو» بأنه حديث النعمة في تلك البيئة. كان «ماهو» يهوى الاستمتاع بالحياة،

٥– فرداني Individualist: من ينهج في الفكر أو العمل منهجاً مستقلاً على نحو مميز. (المورد الحديث).

أما سارتر فلا يكف لحظة عن التحليل. «ماهو» يهوى الريف والهواء المنعش، أما سارتر فلا يعير تلك الأشياء أي اهتمام.

كان ثمة شيء أميريّ (من أمير) حول «ماهو». وقد ذكَّر دوبوفوار بجاك، ابن عمتها الذي أغرمت به إبان مراهقتها. فكلاهما كان ظريفاً وطفولياً، يضحكان دائماً بدلاً من أن يتحدثا. وكلاهما يقدر الجمال - في الفن والطبيعة والناس. كانا بالنسبة إليها فنانين وشاعرين.

كانت صداقات بوفوار رسمية على نحو استثنائي، حتى مع صديقتها الحميمة زازا «Zaza» التي عرفتها منذ كانت في العاشرة، وقد اعتادت أن تستخدم كلمة أنتم الرسمية بدلاً من كلمة أنتِ / أنت غير الرسمية. (اعتادت زازا استخدام أنتِ / أنت مع جميع أصدقائها). وحين تلتقيان أو تقولان إلى اللقاء كانتا تتصافحان. ثمة شخص واحد عانق أو قبل سيمون، إنه صديقها البولوني ستيبا الممتلئ حيوية، الانبساطي[٦] والعفوي.

دفع «ماهو» دوبوفوار إلى أن تعي جسدها بطريقة لم تكن تألفها من قبل. كان يضع يده على ذراعها، ويحرك إصبعه أمام وجهها ساخراً. كان يعلق على مظهرها وثيابها وصوتها الأجش، الذي وجده جذاباً جداً. كذلك كانت واعية حضور «ماهو» الجسدي. وقد كتبت في مذكراتها: «كنت أراقبه قادماً عبر الحدائق بخطواته الواسعة، وأنظر إلى أذنيه الشفافتين بتأثير الشمس، فتبدوان كقطعتي حلوى حمراوين، فأدرك بأن الذي بجانبي ليس ملاكاً بل إنساناً حقيقياً». كان ضحكه لايقاوم. «حين يطلق العنان لضحكته يبدو كأنه سقط للتو، ومن دون توقع، على كوكب غريب...»

٦- الانبساطي: شخص تتجه اهتماماته إلى كل ماهو خارج عن الذات.المورد الحديث.

في غضون ثلاثة أسابيع من التحضير للامتحانات الكتابية كانا يلتقيان كل يوم تقريباً. وفي مناسبة نادرة، حين لا يتمكن «ماهو» من العمل في المكتبة، يأتي أواخر الأصيل ويدعوها لتناول الشاي أو القهوة.

لقد فتنتها محادثاتهما. كان «ماهو» يعرف الكثير حول التاريخ والخرافات - أكثر من معرفته بالفلسفة، كما كانت تعتقد - وكان لديه أسلوب ممتع حين يستحضر الماضي باثاً فيه الحياة. وقد كتبت في يومياتها: «سعادتي الأروع هي «ماهو».

كذلك كان مصدر كربها الأعظم. فحين يقول إلى اللقاء في نهاية اليوم، كانت تستشعر الحزن. فهو ذاهب إلى منزله، إلى زوجته. كان نادراً ما يتحدث حول حياته الشخصية، لكنه أخبرها بأن زوجته إينيس تكبره بخمسة أعوام، وتمثل جميع الألغاز والمفارقات الأنثوية. كان يحبها. كانت جميلة. أتت من طبقة النبلاء الكاثوليكية.

أحياناً كانت بوفوار ترى في «ماهو» إنساناً تقليدياً، خصوصاً حين يتعلق الأمر بالنساء. كان يعترف بأن النساء البارعات أظهرن مقاومة تجاهه. وحين أخبرته دوبوفوار حول علاقتها بابن عمتها جاك، قال إنه يعتقد بأن عليها الزواج به. فالمجتمع لا يحترم النساء غير المتزوجات. وقد أعارته بوفوار رواية إنكليزية كانت صدرت حديثاً عنوانها «القبعة الخضراء» للكاتب مايكل آرلن، أعجبت بوفوار ببطلتها إيريس ستورم المستقلة الحرة. لكنها لم تعجب «ماهو» وقال معلقاً: «ليس لدي ميل للنساء المنحلات أخلاقياً، لئن كنت أحب أن تمتعني امرأة ما، إلا أنني أجد أنه من المستحيل أن أحترم أي امرأة حظيتُ بها». أجابته بوفوار غاضبة «المرء لايحظى بواحدة كـ إيريس ستورم».

جرت الامتحانات الكتابية في منتصف حزيران. قال«ماهو» لـ بوفوار بلطف، وهما يسيران معاً في مكتبة السوربون «أتمنى لكِ التوفيق». وجدا مقعديهما. وضعت بوفوار ترمساً من القهوة وعلبة من البسكويت بجانبها فوق المقعد. كان أعلن عن موضوع الامتحان: «الحرية والعَرَضية». حدقت طوال فترة قصيرة إلى السقف، وسرعان ما بدأ قلمها يجري فوق الصفحة البيضاء. وحين خرجا من القاعة، بحثت عن «ماهو» لكنه كان قد اختفى.

استمرت الامتحانات طوال عدة أيام. وبعد الامتحان الأخير، قام «ماهو» بزيارة دوبوفوار في شقة عائلتها الكائنة في Rue de Rennes ودعاها إلى الغداء. أخبرها بأنه كان على وشك اللحاق بزوجته في النورماندي. ولكنه حين يعود سينضم إلى صديقيه من أجل التحضير للامتحانات الشفوية، وسألها إن كانت تحب الانضمام إليهم؟

أُجبر سارتر، حين فشل في نيل شهادة الأستاذية، على ترك غرفته في الإيكول نورمال. وهو يعيش الآن في غرفة من غرف الطلاب في المدينة الجامعية في الجانب الجنوبي من مدينة باريس. وفي الثامن من تموز عام ١٩٢٩ حضر «ماهو» في الصباح برفقة مدموزيل دوبوفوار.

فتح سارتر الباب وحياها بأدب وغليونه في فمه. نظر إليها بول نيزان بتردد من خلال نظارتيه.

كانت بوفوار منزعجة من قذارة غرفة سارتر. كانت أعقاب السجائر منتشرة على الأرض، وكان الهواء مثقلاً برائحة الجسم البائتة ودخان التبغ. كانت الكتب والأوراق مبعثرة في كل مكان، ورسوم هجائية ملصقة على الجدران. جلبوا كرسياً من أجل بوفوار. وجلس الآخرون، واحد على كرسي سارتر والثاني على مقعد والثالث على السرير الضيق.

قدمت بوفوار، التي تهيأت لهذا طوال عطلة نهاية الأسبوع، قدمت قراءة دقيقة لبحث لايبنتز «مقالة في الميتافيزيقا»، وهي في حالة توتر وكأنها خاضعة لامتحان شفوي حقيقي.

في نهاية اليوم، قرر الرجال منح بوفوار لقباً، وطرحوا عليها عدة احتمالات. أراد سارتر أن يدعوها «فالكوره»[٧]. فقد كانت بالنسبة إليه مثل الربة المحاربة عذراء الفايكنغ. اعترض «ماهو» قائلاً: لا إنها قندس. فوافق الجميع.

كرست بوفوار يومين من أجل لايبنتز، ورأت أن ذلك كان كافياً. عندئذ راح سارتر يفسر «العقد الاجتماعي» لـ جان - جاك روسو[٨]. وقد أثبتت بوفوار بأنها الأفضل حين أشارت إلى بعض العيوب في حجج سارتر. قطب نيزان وراح يقضم أظافره. نظر «ماهو» إليها بإعجاب صريح. اتهمها سارتر بجعله يعرض كل شيء يعرفه. لكن كان واضحاً أنه يحب نقل معرفته، ويفعل ذلك بحماسة. كان يعرف كيف يفك الأفكار المعقدة، وكيف يجعلها مفهومة ومثيرة. وقد كتبت بوفوار في يومياتها: «بدا لي عقله جباراً على نحو مميز، إني معجبة به وأشعر أيضاً بالامتنان الكبير للطريقة السخية التي قدم بها نفسه».

لم يكبح الرجال أنفسهم في حضور بوفوار، و لم يكتموا شيئاً، وقد صُدمت بما يقولونه. لكنها كانت منذ سنوات متمردة ترفض العالم التقليدي. وكان تحديهم يزيدها قوة.

٧- واحدة من العذارى المحاربات اللواتي ينقلن الأبطال الصرعى إلى الفالهالا مسكن الرب أودن. معجم الأساطير، ترجمة حنا عبود.

٨- جان جاك روسو ١٧١٢ - ١٧٧٨: فيلسوف فرنسي من أصل سويسري. (المترجم)

كانت لغتهم عدوانية، وأفكارهم صريحة، وأحكامهم لاترحم. سخروا من العرف والنظام البورجوازيين، ورفضوا تقديم امتحان المعرفة الدينية.. وفي كل مناسبة - في كلامهم ومواقفهم وإيماءاتهم ونكاتهم - كانوا يبرهنون على أن البشر ليسوا أرواحاً نقية بل هم أجسادٌ من لحم وعظم، مرهقة بالحاجات الجسمانية ومنهمكة بخشونة في مغامرة وحشية، تلك هي مغامرة الحياة... وسرعان ما أدركت أنه إن بدا لي هذا العالم الذي فتحه هؤلاء الأصدقاء فجاً وخشناً، فذلك يعود إلى أنهم لم يحاولوا أن يتنكروا لحقائقه، وفي النهاية، فإن كل ماطلبوه مني هو أنه ينبغي أن أعمل ماكنت أتوق إليه دائماً: أن أواجه الحقيقة بجرأة.

لم تكن بوفوار تتخيل أبداً أن ذلك الذكاء الحاد يتفق مع روح اللهو. فحين توقف الرجال عن العمل، شرعوا في الغناء والمزاح والتمثيل. وضع سارتر على الغراموفون أسطوانة تتضمن موسيقا جاز. ثم راحوا يتمشون ويلهون.

في أصيل الأربعاء منحت المجموعة نفسها ما دعوه بـ «الترفيه الكبير» الذي جرى في مقهى دوبونت في شارع بيغال القذر التابع لمنطقة مونتمارتر. احتسى الرجال الجعة. وشربت بوفوار الليمونادة، وانخرطت في مناقشة حادة مع سارتر، وتبين أنها كانت تجادله بقصد اللهو لا غير.

بدأ سارتر ونيزان التخطيط لسهرة الجماعة. لكن«ماهو» قطع المناقشة قائلاً: إنه سيصطحب بوفوار إلى دار السينما. قال نيزان «رائع، رائع»، وقال سارتر «ليكن».

في طريق العودة إلى المنزل، قال «ماهو» لبوفوار: أنا سعيد لأنك انسجمت مع الرفيقين الصغيرين، ولكن...

«ولكن أعرف بأنك لاما».

«أنت لن تكوني واحدة من الرفاق الصغار»

«بالطبع، فأنا بيفر خاصتك».

في صباح الخميس، أقبل نيزان مع زوجته هنرييت، وقد عنى هذا بالنسبة لـ بوفوار أنهم لن يعملوا. وبدلاً من ذلك حشروا أنفسهم في سيارة نيزان وراحوا في جولة حول باريس، ثم توقفوا في مقهى لتناول القهوة ولعب البلياردو الياباني. لم يكن لقاء المرأتين ودياً ودافئاً. وقد اعتقد نيزان ومعه زوجته بأن ثياب بوفوار شنيعة، وتبدو كأنها متلهفة لتقليد الرجال - تدخن وتشرب الخمر، حتى إنها تتبنى لغتهم الخاصة. ومن جهتها أبدت بوفوار اهتماماً بطفلة هنرييت الجديدة. وقد كتبت في يومياتها: «تحدثت معها حول ابنتها على نحو عاطفي، وذلك ماجعلها تميل إلي، وأدخل البهجة إلى قلب سارتر و«ماهو» اللذين وجدا في ذلك برهاناً على أنني أنثى في نهاية الأمر».

أثناء الغداء انضمت بوفوار إلى الرجال واحتست كأساً من الجعة. وبعد انتهاء الغداء ذهب نيزان وزوجته إلى منزلهما في مونتبارناس بعد أن أوصلا البقية إلى مكان إقامة سارتر في بيت الطلبة.

شرع الثلاثة، بوفوار، سارتر، «ماهو» بالعمل. كان الجو حاراً. أسدل سارتر الستائر لحجب أشعة الشمس. استلقى «ماهو» على السرير، وراح سارتر يدخن غليونه. بدا الزمن بالنسبة لبوفوار، في هذا المعتزل نصف المظلم، يتلاشى تدريجياً. وفي ذلك الأصيل كانت في أفضل حالاتها، وقد أحست بذلك؛ إذ كتبت في يومياتها: «أحسست أنني متحررة».

في الثامنة مساء هرعت إلى غابة بولون لتلتقي بأصدقاء آخرين - مجموعة من الفلاسفة الأكثر محافظة الذين ما زالوا يمارسون الشعائر الكاثوليكية. وكان بضمنهم موريس ميرلو - بونتي. كانت بوفوار هي التي عرفته بـ زازا. وفي ذلك الصيف الساحر، حينما كانت الثرثرة تتناول حياة بوفوار الخاصة، وقع موريس وزازا في الحب. لكن زازا كانت مُنعت من الانضمام إليهم في تلك الأمسية، فعائلتها لم توافق.

أتت زازا لاكوان، الثالثة بين عشرة أطفال، من عائلة ثرية كاثوليكية متزمتة. وكانت هي وسيمون أفضل صديقتين منذ العاشرة، حين نافست كل منهما الأخرى بصفتهما تلميذتين لامعتين في مدرسة كاثوليكية مختصة بالفتيات في سان جيرمان - دي - بري، التي كانت تركز على التربية أكثر من الصلاة والتعاليم الدينية والتقوى. كانت الفتيات يتعلمن العزف على البيانو والحياكة وآداب السلوك في حفلات الشاي.

لقد رغب السيد بوفوار الملحد أن ينقل ابنتيه إلى مدرسة مدنية (غير دينية)، تتلقيان فيها تربية أفضل، ولا يضطر إلى دفع أجور، لكن سيمون لم ترد مفارقة صديقتها، فقد كانت تحبها إلى حد العبادة. وفي حين كانت بوفوار تلميذة جبانة وساذجة ومطيعة، كانت زازا، ذات الشعر الأسود، مبكرة النضج ومتمردة. و لم تنس بوفوار حفلة المدرسة التي عزفت فيها زازا الموهوبة مقطوعة موسيقية أصرت والدتها على أنها صعبة بالنسبة إليها. وحين أنهت عزف المقطوعة على نحو متقن أخرجت زازا المنتصرة أمام الجميع لسانها في وجه والدتها. اكتفت السيدة لاكوان بالابتسام.

ولكن حين وصلت بناتها إلى سن الزواج، تحولت السيدة لاكوان إلى طاغية. كان لديها طموحات كبيرة من أجل بناتها، فلا شيء أكثر أهمية من زواج جيد. كانت تود أن تعرف. قبل السماح لـ زازا بالذهاب

للعب التنس مع مجموعة من الشبان، ما إذا كان الشبان ينتمون إلى عائلات كاثوليكية جيدة.

لم تكن سيمون وأختها تطمحان في زواج بورجوازي بسبب افتقارهما لـ بائنة. إن احتمال زواجهما تلاشى عام ١٩١٨ حين أطاح البولشفيون برأس القيصر في ثورة درامية حولت أسهم سكة الحديد والمناجم الروسية إلى أوراق بلا قيمة، وكان جورج دو بوفوار استثمر معظم ثروته في شراء بعض أسهمها. وبعد الحرب لم يعد يملك رأسمالاً لفتح مكتب يزاول فيه مهنة المحاماة. وقد ناضلت الأسرة للحفاظ على المظاهر، لكن جورج أخبر ابنتيه بمرارة قائلاً: أيتها الفتاتان سوف لن تتزوجا، ينبغي أن تعملا لكسب لقمة العيش».

حين غادرت بوفوار المدرسة، قررت الحصول على شهادة الأستاذية، التي تعني عملاً ثابتاً بصفة أستاذة في مدرسة ثانوية. وكانت ترغب في دراسة الفلسفة، وقد أفزع ذلك راهبات مدرستها. وقد كتبت بوفوار: «كانت المدرسة الحكومية، بالنسبة إليهن، ليست أكثر من ماخور مرخَّص، وقد أخبرن والدتي أن دراسة الفلسفة تفسد الروح على نحو مميت». وفي النهاية وافق والداها على السماح لها بدراسة الفلسفة في السوربون.

لم يسمح والدا زازا لابنتهما بالاقتراب من السوربون. إنهما ينتميان إلى البورجوازية الفرنسية الكاثوليكية التقليدية التي لاتؤمن بالمفكرين، خصوصاً الفلاسفة. وكانا يعدَّان الكلاسيكيات اليونانية والرومانية مليئة بالفجاجة. وفيما يتعلق بالأدب الحديث، كانا يخشيان التفكير بما قد يُحدث من تأثير على مخيلة فتاة شابة. وفي حين كانت بوفوار تدرس اليونانية واللاتينية والفلسفة وعلم أصول التدريس، غدت حياة زازا سلسلة لا تنتهي من الذهاب إلى الكنيسة وحفلات الشاي

ولعب البريدج والنزهات والزيارات الاجتماعية. لم يكن لديها أوهام حول خواء وجودها. كانت تشتكي لـ بوفوار عدم قدرتها على النوم، ومعاناتها آلام الصداع.

وعلى الرغم من الاختلافات بين عائلتيهما دامت صداقتهما. حدثت نقطة التحول حين اعترفت سيمون، ذات التسعة عشر عاماً، لـ زازا أنها لم تعد تؤمن بوجود الله. صلَّت زازا من أجل روح صديقتها، لكنها بقيت مخلصة لها على الرغم من مقاومة والدتها الشديدة. وبحلول صيف عام ١٩٢٩ - كانت زازا وسيمون في الحادية والعشرين - تحول الموقف إلى أزمة. لم تعد السيدة لاكوان تسمح لـ سيمون الملحدة بدخول منزلها. كذلك لم تعد تسمح لـ زازا بركوب الزوارق في غابة بولون مع سيمون وأصدقائها الفلاسفة من السوربون ذوي التفكير الحر.

كان سارتر وبوفوار ضمن ٧٦ طالباً من كامل الأمة، جلسوا لتقديم الامتحانات التنافسية لنيل شهادة الأستاذية في الفلسفة عام ١٩٢٩. وكان الناجح يحصل على منصب مدى الحياة بصفة مدرس في المدارس الثانوية التابعة للدولة. وكان عدد المرشحين الفائزين تحدده المراكز المتوفرة في تلك المدارس. لقد تبوّأت الفلسفة في فرنسا منذ زمن طويل مكانة موقرة، وجذبت إليها الأفضل والألمع.

أُعلنت النتائج في السابع عشر من تموز، الذي كان يوماً حاراً في باريس وثقيل الوطأة. نجح ٢٦ مرشحاً، منهم ست نساء. وقد تأهلت هذه المجموعة لمتابعة الامتحانات الشفهية، وكان بضمنهم سارتر وبوفوار ونيزان، ولم يكن «ماهو» بينهم.

غادر «ماهو» باريس في أصيل ذلك اليوم، وطلب من سارتر أن

ينقل إلى بوفوار تحياته لها بالسعادة. وفي ذلك المساء أخذ جان - بول سارتر بوفوار للاحتفال بنجاحهما، وقال لها: «من الآن فصاعداً، سآخذك باليد».

نادراً ما كان الجو يفضي إلى شيء من الرومانسية. فقد اشتهرت الامتحانات الشفوية بأنها مجهدة ومرهقة. فقد انهمكا في أربعة اختبارات منفصلة أمام ستة حكام. وكان الأقسى بينها هو ما يدعى «الدرس الكبير». إذ يسحب المتقدم للاختبار موضوعاً من الموضوعات التي تحتويها قبعة، ثم يعطى مدة خمس ساعات يحضر خلالها في مكتبة السوربون درساً من الدرجة الثالثة يلقيه في الصف. إضافة إلى ذلك، كان ثمة قراءات دقيقة لنصوص في اللغة اليونانية واللاتينية والفرنسية، يعطى الطالب لتحضيرها ساعة واحدة فقط. ويجري الامتحان الشفهي أمام جمهور من الحاضرين. وقد حظي الطلاب الأفضل مثل سارتر بجمهور عريض.

خلال أسبوعين كان سارتر وبوفوار، أثناء تحضيرهما لامتحاناتهما الشفهية، نادراً ما يفترقان. كانا يذهبان لحضور ما يقدمه رفاقهما. وبين الجلسات كانا يتابعان تحضيراتهما - أحياناً مع نيزان في غرفته. لكنهما كانا يفضلان البقاء وحدهما.

تحدثا في البارات وفي المقاهي التي كانت محظورة على بوفوار. كانت تذهب فقط إلى دور السينما لمشاهدة الأفلام الفنية الجادة، فأصبح سارتر يأخذها لمشاهدة أفلام رعاة البقر. كانا يتمشيان في حدائق اللوكسمبورغ، وعلى ضفتي نهر السين حيث توجد أكشاك بيع الكتب المستعملة. وقد اشترى لها سارتر العديد من الروايات التاريخية التي أحبها. وقد كتبت بوفوار في يومياتها: «ما أضيق عالمي الصغير إذا ما قيس بعالم سارتر الغني».

يميل الناس إلى افتراض أن جان - بول سارتر هو الذي حوَّل سيمون دو بوفوار من ابنة مطيعة من البورجوازية الفرنسية إلى امرأة حرة التفكير قامت أكثر من أية امرأة في فرنسا في القرن العشرين بصدم تلك البورجوازية. لم يكن الأمر كذلك. لقد شجع سارتر بوفوار للمضي في الطريق الذي كانت صممت على المضي فيه.

وقد أظهرت يوميات بوفوار ومذكراتها تلك المرأة الشابة التي كانت تتهيأ لخوض غمار الحياة من دون نصير قبل أن تتعرف إلى سارتر. ففي سن الخامسة عشرة - ذات العمر الذي قررت فيه أن تصبح كاتبة - لم تعد تؤمن بوجود الله. وطوال فترة طويلة لم تخبر أحداً بذلك. وحين أفشت سرها المظلم، وهي في سن الثامنة عشرة، حدث شرخ كبير في علاقتها بأمها. وفي التاسعة عشرة تأثرت بالكتاب الفرنسيين أندريه جيد وموريس باريه وبول فاليري وبول كلوديل - كتاب كانوا في منتصف العمر، لكنهم مثلها أتوا من البورجوازية وثاروا ضد نفاقها. لقد احتضنت سيمون دو بوفوار ذاتها بإخلاص، والتزمت التحدث بصراحة. كانت ناقشت مسألة الزواج على أرضية أخلاقية: «الخيار بالنسبة لي لم يكن أبداً مخططاً له، بل دائماً ما كان متخذاً...ثمة رعب من الخيار الحاسم، ليس لارتباطه بالحاضر، بل بالغد، ذلك ما يجعل الزواج منافياً للأخلاق».

اختارت بوفوار وهي العشرين من عمرها طريقاً اتضح لها باطراد أنه سيجلب لها الوحدة. «لم أستطع التخلص من فكرة أنني وحيدة في عالم منعزل، وجودي عند الآخرين كوجودي في مشهد غير اعتيادي». «هذا الصباح... تمنيت بحماسة أن أكون فتاة تشارك في قداس الصباح وتمشي بيقين مستبشر... إلى أي مدى أثَّرت فيَّ كاثوليكية مورياك وكلوديل، وأي مكان لها في نفسي؟ ومع ذلك لا أرغب في الإيمان:

فعل الإيمان هو أقصى درجات اليأس، أود أن يحتفظ يأسي، على الأقل، بصفائه. لا أريد أن أكذب على نفسي».

أتت بوفوار من عالم كانت النساء فيه مقيدة. كان الرجال والنساء يقطنون عالمين منفصلين بحدة. لم تكن النساء يصوتن في الانتخابات. وكانت أفضل معاهد التعليم في فرنسا للرجال فقط. كان يُنتظر من النساء الذهاب إلى الكنيسة، أما الرجال فيمكنهم أن يكونوا ملحدين. لم يكن بمقدور النساء الذهاب إلى البارات، وحتى إنهن لم يجازفن بدخول المقاهي. كان الرجال يشربون الخمر ويدخنون علانية، أما النساء فلا. النساء يبقين عذراوات حتى الزواج، أما الرجال فلا. وكان يُرثى لحال النساء غير المتزوجات، حتى إذا كانت المرأة الشابة جميلة ومثقفة وتتوق إلى زواج مرغوب فيه اجتماعياً فيجب أن تتوفر لها بائنة كبيرة.

كان ثمة أوقات وصفت فيها بوفوار تمردها المنفرد بـ «السُكْر». ومع ذلك أدركت أنها بحاجة إلى قوة استثنائية. وقد كتبت في يومياتها: «أرغب في أن أملك الحق، كما الأخريات، في أن أكون بسيطة وضعيفة جداً، في أن أكون امرأة» «في أي عالم قاحل أسير، عالم مجدب، الواحة الوحيدة فيه هي تقديري، غير المتواصل، لذاتي».

لقد أدركت أن الحب، بالنسبة للنساء، يُنال بثمن، وأن هناك جزءاً منها من المحتمل أن لا يقبله رجل كتبت تقول: «أتحدث بغموض عن الحب، فأنا أعرف الثمن. «أنا عقلانية جداً، ومتطلبة جداً، وواسعة الحيلة بالنسبة لأي شخص بمقدوره أن يكون مسؤولاً عني على نحو كامل. لا أحد يعرفني أو يحبني تماماً. ليس لدي سوى نفسي فقط».

كان الرهان مختلفاً بالنسبة لـ سارتر بصفته ذكراً. كان بمقدوره

أن يطلق العنان لمفهومه الرومانتيكي عن الحب من دون أن يجازف بذاتيته. لقد حلم بضوء القمر، مشى وتحدث بحنان على مقعد حديقة بجانب البحر. كان يتخيل أن يكون مسؤولاً عن امرأة شابة، يحميها ويحافظ عليها. أحب الكلام العاطفي، الهيام، همس بأمور عذبة عديمة الأهمية. وذكّره ذلك بعلاقته الشغوفة بوالدته. والتي مازالت حتى الآن تدعوه بولو.

وبصفته رجلاً، كان من الممكن أن تنفصل حياته الجنسية عن أحلامه عن الحب. لقد فقد سارتر عذريته وهو في الثامنة عشرة مع امرأة متزوجة كانت في الثلاثين. وهي التي قامت بالخطوة الأولى. قال سارتر: «مارست الجنس معها من دون حماسة كبيرة لأنها لم تكن جميلة جداً». بعد ذلك كان ثمة مومس التقطها من حدائق اللوكسمبورغ. وخلال السنوات التي قضاها في الإيكول نورمال، كان يزور، ومعه رفاقه، المواخير بانتظام. وقد شعروا بالخزي تجاه هؤلاء النساء. «شعرنا بأنه لا ينبغي على تلك الفتاة أن تهب نفسها هكذا».

حين بلغ سارتر الحادية والعشرين أغوى امرأة شابة كانت تعيش في ليون. وقد غذت قصتهما الغرامية رسائل نرجسية طويلة. كتبت له جيرمين مارون: «أحبك إلى درجة الجنون»، «وجدتني بسيطة من دون تصنع، هذا صحيح، ولكني أعطي انطباعاً في المجتمع الليوني الناعم بأني حيوان بري». وقد غدا الاثنان خطيبان. وحين بلغ الثالثة والعشرين طلب سارتر، بصفته ابناً بورجوازياً باراً، من أمه وزوجها أن يطلبا يدها للزواج.

وحين فشل في نيل شهادة الأستاذية في صيف عام ١٩٢٨، فسخت عائلة مارون الخطبة. ويتذكر سارتر: «بدلاً من الانضمام إلى أصدقائي للعب التنس، قصدت مرجاً أخضر ومعي زجاجة خمر». «حتى إني

بكيت، بكيت لأنني ثملت، لكنني شعرت بالراحة. لست متأكداً من أنني تصرفت على نحو صائب طوال هذه العلاقة».

بعد أن انفصل سارتر عن خطيبته، تمتع بعلاقة عاصفة مع سيمون جوليفيه، الشقراء المتكلفة التي مارست، منذ سن الثامنة عشرة، البغاء في مبغى من الطراز الحديث في تولوز. كان زبُنها يجدونها إلى جوار الموقد تقرأ وهي عارية تقريباً. وقد كتبت عنها بوفوار بسخرية: «إن ثقافتها ومشيتها الفخورة، وتقنيتها المصقولة التي استخدمتها في أداء مهمتها لفتت إليها أنظار كبار موظفي المدينة ومحاميها».

كانت جوليفيه تكبر سارتر بثلاث سنوات ولديها طموحات كبيرة في أن تغدو كاتبة. أعد لها سارتر قائمة كتب، وشجعها ودرَّسها. فقد رأى أن من واجبه منعها من إفساد حياتها. لقد خاطرت بأن لاتكون أكثر من مدام بوفاري الحالمة؛ وسوف يجعل منها فنانة. لقد اشتكت من رسائله التي بدت لها «محاضرات صغيرة». فكتب لها رداً على شكواها: «من الذي جعلك هكذا؟ من الذي يعمل على حمايتك من التحول إلى امرأة بورجوازية، إلى امرأة همها الجمال، إلى مومس؟ من الذي تولى مسؤولية عقلك وفكرك؟ أنا وحدي».

ظهرت نتائج شهادات الأستاذية في تموز عام ١٩٢٩. لقد تنافس واحد وعشرون طالباً وطالبة في الامتحانات الشفهية، نجح منهم ثلاثة عشر. كانت المرتبة الأولى من نصيب جان - بول سارتر، تلته سيمون دو بوفوار. أما نيزان فكان الخامس. كان ثمة أربع نساء بين الـ ١٣ مرشحاً ناجحاً. وكان ذلك استثنائياً. إذ كان هناك فقط ٨ نساء يدرِّسن الفلسفة في فرنسا.

كانت سيمون دو بوفوار هي النجاح الثقافي الأبرز في ذلك

العام. كانت في الحادية والعشرين، وبهذا تكون أصغر طالبة تنجح في الامتحانات النهائية في أي وقت من الأوقات. فقد أنهت دراسة منهاج الفلسفة الجامعي في غضون ثلاث سنوات فقط. أما سارتر فقد تطلب منه ذلك سبع سنوات. وقد اتضح في السنوات التي تلت أن أعضاء لجنة تحكيم الامتحانات لعام ١٩٢٩ تجادلوا طويلاً حول منح الجائزة الأولى لـ سارتر أم لـ بوفوار. فقد أثر جدل المرأة الشابة الدقيق تأثيراً قوياً عليهم. وأخيراً قرروا منح الجائزة لـ سارتر.

في آب من عام ١٩٢٩ غادرت بوفوار مع عائلتها إلى ليموزين لقضاء عطلتهم السنوية. لقد أحبت بوفوار هذه المنطقة من فرنسا، إذ قضت أصياف طفولتها في عزبة فسيحة تعود إلى جدها تدعى ميريناس، وهي منطقة ريفية هادئة كثيرة التلال تقع قرب Uzerch. في ذلك الصيف لم يكن جدها موجوداً – توفي في ذلك الربيع الذي لبست فيه بوفوار ثياب الحداد – وقد أقامت العائلة مع العمة والأعمام في منزل العائلة الثاني الذي يبعد أربعة كيلومترات عن قرية Saint – Germain – les Belles وقد أدركت بوفوار أن عطلتها الصيفية هذه ستكون الأخيرة مع عائلتها. وقد أصابها هذا الشعور فيما مضى بالكرب. لكن هذا العام بدا مبهجاً ومثيراً.

تجولت في الحقول، وفي غياض أشجار الكستناء، استنشقت عبير التبن الطازج وصريمة الجدي (شجيرة متسلقة ذات أزهار صفراء وزهرية فواحة)، وأحست بالسعادة تغمر كيانها. وفي اليوم التالي تلقت رسالة من سارتر. وقد كتبت بوفوار في يومياتها بأنها نسيت وجودها. فقد كان لديها الكثير من الأمور التي ترغب في قولها له. لكنها لم تكن واقعة في غرامه.«أحتاج إلى سارتر، وأحب «ماهو»»، «أحب سارتر لما يقدمه لي، وأحب «ماهو» لذاته».

وحين لم تسمع شيئاً من سارتر خلال بضعة أيام شعرت بالتعاسة «لم هذا الصمت؟». وأخيراً وصلها منه ظرف سميك يحتوي على تفاصيل زيارته الوشيكة.

قابلته في محطة القطار في ٢٠ آب. وقد كتبت «فرح هائل»، «وبعض من الخوف الذي جعلني متكلفة». كان مفزعاً التفكير في إمكانية إمتاعه. ترى هل سيضجر بسبب بعده عن باريس؟ في اليوم الأول اقترحت نزهة سيراً على الأقدام. ضحك منها سارتر قائلاً: إن لديه حساسية من اليخضور. وجدا مرجاً جلسا وسطه وبدأا الحديث. وفي نهاية النهار، رأت بوفوار أن الضجر لن يشكل مشكلة. «أدركت بأننا إن تابعنا الحديث إلى يوم القيامة، سيبدو لي الوقت قصيراً جداً».

أقام سارتر في فندق في القرية التي يذهب إليها أعمام بوفوار لحضور قداس الأحد. كانت بوفوار تصحو في السابعة صباحاً، وتظل لوقت قصير في السرير تنعش نفسها بالتفكير في رؤيته، عندئذ تهرع إلى المروج لملاقاته، مفكرة بالأمور التي تود إطلاعه عليها في ذلك اليوم. إن كانت تتوقع تناول الغداء في منزلها، تأخذ معها جبناً وعصير التفاح وخبزاً ليأكلها أثناء انتظاره لها في المرج.

كان سارتر مستمعاً يقظاً، لذا وجدت بوفوار القصص تتدفق منها. كانا يستلقيان متلاصقين على العشب، وحين تتطاول الظلال حولهما، كانت تتحدث حول حياتها - حول والديها وبوبيت وزازا وجاك. وكان لدى سارتر موهبة رؤية الأشياء من منظورها. وحين حدثته عن ابن عمتها جاك، وكيف أملت ذات مرة بالزواج به، علق سارتر قائلاً: إنه من الصعب بالنسبة لامرأة مثلها لديها تجاربها وثقافتها ألا تتزوج، ولكنه يعتقد، شخصياً، بأن الزواج فخ. إنه معجب بـ «روح الفالكوره» لديها ويأمل ألا تفقدها.

كان سارتر مشجعاً، فلديه أيضاً مشاريع وخطط من أجل حياتهما المستقبلية. سيقومان بمغامرات ورحلات. سيعملان بكد، وسيعيشان أيضاً حياة متألقة عمادها الحرية والشغف. سوف يقدم لها كل ما يستطيعه. الشيء الوحيد الذي لا يستطيع تقديمه لها هو شخصه. إنه بحاجة إلى أن يكون حراً.

كان من الواضح أن عون سارتر لن يكون من النوع التقليدي. فقد كان يحتقر كل شيء فيه مذاق الخضوع والتقليدية. إن فكرة العمل المألوف، مع زملاء ورئيس، كانت بغيضة بالنسبة إليه. و لم يكن يريد أن يغدو أديباً محترفاً، يخربش في مكتب عفن تتراصف فيه الكتب. فالمكوث في مكان واحد لا يغريه. وعلى الرغم من أنه خطب فتاة ذات مرة، فإن فكرة الزواج، وإنجاب الأطفال، وحيازة الممتلكات، كانت ترعبه. كان لديه رسالة: أن يصبح كاتباً عظيماً. عدا ذلك ليس هاماً. ولكي يكتب، ينبغي عليه أن يكتشف العالم.

شرح سارتر لـ بوفوار نظريته حول الحرية والعَرَضية. ذلك الموضوع الذي كتبا عنه في امتحانهما، وقد فكر فيه نحواً من الوقت. وكما رأى، فإن الأفراد يعيشون في حالة من السخف المتجذر، أو «العَرَضية». لم يكن ثمة إله. لم يكن للحياة معنى سابق. وقد توجب على كل فرد أن يحقق حريته، أن يخلق حياته الخاصة به. ليس ثمة نظام طبيعي، الناس حملوا قدرهم بأيديهم. كان من واجبهم أن يحددوا معنى حيواتهم، أن يحددوا حتى الطريقة التي يختارون بها المحبوب. كان من المرعب أن يكون المرء حراً. إن معظم الناس يفرون من حريتهم. لكن سارتر عانق حريته. إنه لن يدع أي مجموعة من القوانين المقررة مسبقاً أن تحدد حياته. كانت حياته ماضية لتغدو تشييده الخاص به. وقد عدت بوفوار هذه الفلسفة رائعة.

في الأيام الأولى، كانا يلتقيان صباحاً في ساحة القرية. وكانت

الوجوه الفضولية تراقبهما من خلف الستائر. بعد ذلك اختارا مكاناً منعزلاً، غيضة من شجر الكستناء تقع بين لاغرييه والقرية. في باريس، شعرت بوفوار بالإرباك حين قبلها سارتر. ولكن في مروج ليموزين التي تطوقها أغاني الطير، استمتعت بقبلاته الرقيقة وعناقاته. وقد كتبت في يومياتها: «الآن تقبلت من دون إرباك الإحساس المقلق بكوني بين ذراعيه شاعرة بقوته»، «إن إعجابي وثقتي بـ جان بول سارتر لا ريب فيهما، وحناني نحو جنيِّ الصغير لا حدود له».

بعد خمسة أيام من إقامة سارتر، وبينما كانا مستلقيين وسط المرج، شاهدا والدَيْ سيمون يتجهان نحوهما. نهض الاثنان. نظر إليهما والد سيمون بارتباك. ثم أخبر سارتر بأن الناس بدؤوا بنشر الأقاويل، وأنه يخشى أن يطلب منه الرحيل. اشتعلت سيمون غضباً وأخبرت والدها قائلة إنه ليس من اللائق التحدث إلى صديقها بتلك الطريقة. ثم بدأت والدتها بالصراخ في وجهها. عندئذ قال سارتر بهدوء بل بحزم بأنه سيغادر في القريب العاجل، ولكنه يعمل مع ابنته الفاتنة على مسألة فلسفية، وينبغي أن ينهياها أولاً. عند ذلك انسحب الوالدان إلى منزلهما.

كان سارتر يتناول طعام الغداء في الفندق، وتعود سيمون إلى المنزل. وبعد الغداء كانت تظهر مع بوبيت وابنة عمتها مادلين. كان سارتر ينظم ألعاباً جريئة، إذ يطلب منهن ارتجال مقاطع تمثيلية، ثم يغني بصوته التينور الرائع طالباً منهن مشاركته الغناء.

غادر سارتر، تاركاً بوفوار تدون أفكارها وذكرياتها حول تلك «الأيـام الرائعة». كا ن يدعوها «حبي العذب». وكان أخبرها بأنه يحبها، وسيظل يحبها. وقال بأنه يخشى أن يسيء إليها. وقد كتبت «هي ذي الحياة التي كنت أنتظرها». إنها المرة الأولى التي تقابل فيها إنساناً يعدُّها متفوقة وبهيجة. كان مليئاً بالوعود واليقين. إنها تشعر

معه بانسجام استثنائي (آه! أكثر من اللاما وجاك). هناك شيء حيوي في هذا الإنسان. لقد جعلها ترغب في اكتشاف ذاتها، جعلها ترغب في اكتشاف العالم. وقد أدركت أنها معه سوف لن تأسن.

كتبت في يومياتها: «إنه ليس شغفاً غامراً». ليس بعد. إنه لا يقارن بـ «الجنون». و«الهوس» اللذين أحستهما ذات مرة تجاه جاك. «لكنها السعادة». «لم يسبق لي أن عشقت القراءة والتفكير إلى هذا الحد. لم يسبق لي أن كنت حية وسعيدة، أو تخيلت المستقبل المشرق. آه، أشكرك جان - بول».

بعد أسبوع من مغادرة سارتر، ذهبت بوفوار إلى محطة القطار لاستقبال «ماهو». وكان ذلك إشارة إلى استقلالها الجديد عن والديها. لقد جاء «ماهو» لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، ودعاها لتبقى معه - في غرفتين منفصلتين في الفندق.

خرج من حجيرة القطار متعباً، غير حليق، معطفه معلق على كتفه، وقبعته معوجة. استقلا حافلة أوصلتهما إلى فندق صغير. سمعته بوفوار يغني في الغرفة المجاورة بينما هو يغتسل ويحلق ذقنه. بعد الغداء - لم يكن جائعاً، فأكلت معظم وجبته إضافة إلى وجبتها - صعدا إلى التلة باتجاه الكنيسة وتطلعا إلى النجوم. تحدثا ساعة من الزمن في غرفتها، ثم لثم يدها برقة متمنياً لها ليلة هانئة، ثم قصد غرفته.

وفي اليوم التالي تمشيا بجانب النهر. غنى أغنية (So Blue)، ثم قص عليها قصصاً حول الرومانيين والغاليين في تلك المنطقة. تناولا الغداء في نزل صغير. تسلق «ماهو»شجرة. كتبت بوفوار في يومياتها: «لن أنسى رينيه ماهو، الواسع الاطلاع، جالساً على غصن الشجرة، شعره على وجهه، وقدماه محمرتان».

في المساء جلسا لتناول العشاء. طلب «ماهو» زجاجة نبيذ معتقة، وحين نهض تاركاً الطاولة، بدا كأنه مصاب بدوار. تمدد فوق سريرها، وتمددت إلى جانبه، لكنه لم يقم بأية حركة. لم يكن راغباً في مغادرة السرير، ولم تكن راغبة في طلب ذلك منه. تحدث، وحدقت إليه. وبعدما غادر، أحسّت بالمرض «ليلة شنيعة».

كان الصباح التالي عذباً. فقد عشقت كلماته «أسعدت صباحاً بوفوار»، وبجامته الزرقاء، وعطره الخفيف، وقطعة الصابون التي أعارها إياها. كانت مازالت تشعر بأنها ليست على ما يرام، وكان مفعماً بالعناية الحنونة. أخذ يدها. قبّل شعرها. كان كعادته مرحاً وفطناً، بعيداً وقريباً، صارماً وعطوفاً، إنه «أمير اللامات».

وبعدما غادر. كتبت بوفوار في يومياتها: «كان أشبه بحلم دام يومين»، «أعرف تماماً ماهو «ماهو»، وما هو سارتر. ولكن سأتحدث لاحقاً حول ذلك».

حين عادت إلى باريس في منتصف أيلول تركت منزل أبويها واستأجرت غرفة من جدتها في جادة دنفرت - روشيرو في مونتبارناس. وقد عاملتها جدتها مثل المستأجرين الآخرين. كان بإمكانها الذهاب والإياب متى شاءت. اشترت بوفوار بعض الأثاث الرخيص: طاولة وكرسيين ورفوفاً للكتب وديوان برتقالي اللون. وقد ساعدتها أختها بوبيت في لصق ورق جدران. وعلقت بوفوار رسماً لـ ميكل آنجلو كان «ماهو» أهداها إياه، وبعض الاسكتشات الساخرة لـ سارتر ونيزان. وأهدتها صديقتها البولونية ستيفا بعض الأزهار وضعتها على الطاولة، وإلى جانب بعض الكتب كان ثمة قلم حبر وسجائرها الإنكليزية. نظرت هنا وهناك بنشوة. أخيراً بدأت حياتها الجديدة.

-٢-

الاتفاقية

تشرين الأول ١٩٢٩ - أيلول ١٩٣٢

في الرابع من تشرين الأول عام ١٩٢٩، وفي تلك الغرفة الواقعة في الطابق الخامس، المطلة على أشجار الدلب في جادة دنفرت - روشيرو، فقدت بوفوار عذريتها.

لقد وضحت زيارة «ماهو» لـ ليموزين الأمور. كانت واقعة في غرامه منذ أشهر. كان وسيماً، وكانت، بصراحة، ترغب فيه. كان محباً وودوداً. لكنه كان متزوجاً، وعلى أية حال، خيب أملها. فقد قال لها أكثر من مرة: «ينبغي ألا تحكمي عليَّ». لم تكن تستطع أبداً أن تجزم فيما إذا كان يسألها خدمة أو يوحي إليها بأمر ما. لكنها الآن قابلت إنساناً لا يخشى من الحكم، إنساناً يؤمن بأن شخصيته هي جملة أفعاله الكلية، إنساناً يطلب أن يُحكم عليه.

في الوقت الذي غادر فيه «ماهو» ليموزين، أدركت بوفوار أنها بحاجة إلى سارتر وليس إلى إنسان آخر. قد يكون رجلاً ضئيلاً، لكنه عاش حياته بكثافة، ويبدو أنه أقوى من أي رجل عرفته. كان مفعماً بالطموح، ولكن

ليس بالمعنى المادي. لم تكن تهمه الأشياء المادية، و لم يسع إلى مخالطة الناس المشهورين، وببساطة تامة، كان على قناعة بأنه في طريقه ليصبح إنساناً عظيماً. لقد أراد سارتر حريته، لكنه أراد أيضاً أن تعانق بوفوار حريتها. لم يكن هذا الإنسان ليحثها على الإذعان للتقاليد الاجتماعية.

إنها مازالت تحب أمير اللامات. كانت علاقتهما هي «الأكثر حناناً» لكنه كان مقيداً بآراء الآخرين، وكان تواقاً بشدة لأن ينحت لنفسه مظهراً مؤثراً في المجتمع. فكرياً، لم يرضها.«في الحياة اليومية، يمكن للمرء أن يشعر بالضجر معه... لا يستطيع أحد أن يدع نفسه تنساق، بانبساط، مع هذا الرجل».

بعدما غادر «ماهو» ليموزين، كتبت مبررة، : «إنه لمن الجيد، بالتحديد، مع هذا الإنسان الحسي أن ليس ثمة شيء جسدي بيننا... بينما مع سارتر، غير الحسي، فإن انسجام جسدينا يجعل حبنا أكثر جمالاً وروعة».

كان ثمة أسبوعان من «العناقات المحمومة والممارسات الجنسية» قبل أن يغادر سارتر إلى Saint – Cyr، في بداية تشرين الثاني ليبدأ خدمته العسكرية الإلزامية. في ساعة متأخرة من كل ليلة، كان سارتر يغادر غرفة بوفوار ليعود إلى شقة جده وجدته في الحي اللاتيني.

تحدث العاشقان مطولاً حول المستقبل. لم يقترح سارتر الزواج. بدلاًمن ذلك اقترح «عقد تعايش مدته سنتين». أثناء خدمته العسكرية الإلزامية كانا يلتقيان كلما سنحت لهما الفرصة. وبدلاً من أن تباشر بوفوار مهنة التدريس فوراً، فضلت البقاء في باريس لتبدأ كتابة رواية، ولتعمل، لفترة قصيرة في التدريس الخاص. وقد ورث سارتر ميراثاً صغيراً من جدته لأبيه، وسوف يساعد بوفوار قدر استطاعته.

في نهاية السنتين، حين أنهى سارتر خدمته العسكرية، توقع أن ينفصلا مدة من الزمن. فقد تقدم بطلب للعمل أستاذاً للغة الفرنسية في مدرسة يابانية في كيوتو، وسيبدأ العمل في تشرين الأول عام ١٩٣١. وهذا يعني انفصالاً لعدة سنوات. بعدئذ سيلتقيان من جديد في مكان جديد - أثينا أو ربما إسطنبول - وسيعيشان ثانية جنباً إلى جنب بضع سنوات قبل أن يشرعا في عمل مستقل. بتلك الطريقة، لن يفسد الروتين البليد علاقتهما.

لم تشاركه بوفوار في أحلامه. كانت تفضل الشروع معه في مغامرات مثيرة. كانت تحلم في علاقة غرامية عظيمة، وتخشى فكرة الانفصال الطويل. في الوقت الحاضر بدت لها السنتان فترة طويلة، وقد بذلت قصارى جهدها لإخماد مخاوفها. فهي تعرف أن سارتر سيعد مخاوفها ضعفاً.

لقد وضح لها سارتر منذ البداية بأنه لايكترث بالزواج الأحادي. إنه يحب النساء (كان دائماً يقول إنه يحب النساء أكثر من الرجال)، ولا ينوي التوقف عن إقامة علاقات جنسية. كذلك لاينبغي على بوفوار التوقف أيضاً عن إقامة علاقات جنسية، كما قال. إن الحب الذي جمع بينهما «جوهري» وأساسي. «إنهما متماثلان»، وينبغي أن تستمر علاقتهما مدى الحياة. ولكن لا ينبغي عليهما حرمان نفسيهما من علاقات «عرضية»، ثانوية وأكثر عشوائية.

لم يكن الحب بالنسبة لسارتر تملكاً. إن الحب المعطاء هو، بالنسبة إليه، حب الشخص بصفته كائناً حراً. وحين أثارت بوفوار المسألة الشائكة التي تتعلق بالغيرة، قال سارتر: إن أخبرا بعضهما بكل شيء، فلن يشعرا أبداً أنهما بعيدان أحدهما عن الآخر. ولاينبغي أن يكون بينهما أسرار. في علاقتهما الغرامية، يجب أن تهدف الشكوك والأخطار والهواجس إلى الانفتاح الكامل. وقد دعاه سارتر «الشفافية».

وجدت بوفوار الفكرة مرعبة بقدر ما هي منشطة. فقد قدرت الحقيقة والإخلاص، كما قدرت عالياً حياتها الداخلية. فطوال فترة مراهقتها تعلمت أن تحتفظ بأفكارها لنفسها، و لم تعد منذ زمن طويل تسرد خطاياها للقسيس. والآن، يريد منها سارتر أن تشاركه في أفكارها - جميع أفكارها.

هل لفتت بوفوار انتباه سارتر إلى أنهما ليسا «متماثلين» تماماً وأن رهاناتهما ليست متعادلة، وأن المجتمع ينظر إلى النساء من خلال زاوية نظر مختلفة عن الرجال؟ على الأرجح، لا، حين ذاك، على الرغم من أن كلاً منهما يعرف ذلك. وبعد عشرين عاماً أشارت بوفوار في كتابها «الجنس الآخر» إلى أن النساء لسن «جنساً آخر»، ولكنهن «جنس من الدرجة الثانية»، لم يكن يُنظر إليهن كمتساويات، بل يُنظر إليهن كجنس أدنى.

في حين لم يرد سارتر أن يفقد حريته، فقد استمتع بها طوال عدة سنوات. أما بوفوار فلم تستطع أن تتخيل تماماً كيف ستبدو حريتها. إن جميع أصدقائها الذكور طمحوا إلى الزواج، أما بوفوار فكانت مثل الغزالات المحتقرات - البنات العوانس - مثل أية واحدة أخرى.

كانت تدرك أن أبويها سيغدوان خجلين إن لم تتزوج. وسيشفق عليها العديد من الناس. حتى أقرب أصدقائها، مثل زازا و«ماهو»، سينزعجان من فكرة علاقة غرامية علنية مع سارتر. حتى هي نفسها ينبغي أن تتوصل إلى تفاهم مع تلك الفكرة. وقد اعترفت قائلة: «لم أحرر نفسي من محرمات الجنس». «مازال تعدد علاقات المرأة الجنسية يصدمني».

على الرغم من أنها أعلنت، في يومياتها عام ١٩٢٧، بأنها تزدري

الزواج، إلا أنها قضت سنوات مراهقتها يراودها أمل الزواج بابن عمتها جاك. حتى بعد لقائها بسارتر لم تكف عن تخيل نفسها زوجة وأماً وكاتبة أيضاً. و لم تكن متلهفة إلى التحرر الجنسي. على العكس تماماً. وطوال فترة مراهقتهما، هي وأختها بوبيت، كانتا تشعران بالخزي في تلك الليالي التي لا يأتي والدهما إلى البيت. فقد كانتا تدركان، بينما والدتهما تبكي، أنه يرافق حظيته إلى المسرح. وقد ارتاعت بوفوار، حين بلغت العشرين، إذ اكتشفت أن ابن عمتها جاك يقيم علاقة جنسية مع واحدة من تلك المتبرجات اللواتي يتسكعن في الحانات. كذلك أرعبها التفكير بصديقتها البولونية ستيفا التي قد تكون، فعلياً، في فراش صديقها الرسام الإسباني فيرناندو. وحين شاءت ستيفا أن تطلعها برفق على الحقيقة، أغلقت سيمون عينيها وغطت بيديها أذنيها. حتى حين قابلت سارتر، وهي في الحادية والعشرين، صُدمت حين تناهى إلى سمعها أن نيزان متزوج «زواجاً مفتوحاً» (متحرراً من الضوابط التشريعية). هؤلاء الناس جميعهم حافظوا على المظهر العلني الخادع كمتزوجين محترمين. لم يقترح سارتر شيئاً من هذا القبيل.

يبدو أن سارتر كان مندهشاً من قبول سيمون دو بوفوار شروطه. وبعد عشر سنوات، حلل سارتر حاجته إلى الحرية باستهزاء من الذات بغموض مضطرب. فمنذ أن كان شاباً مولعاً بالقراءة، سلم بأنه سيصبح يوماً ما كاتباً عظيماً. وفي مرحلة مبكرة، أدرك أنه ينبغي على المغامر أن يحافظ على حريته. ففي كل ما قرأه - من الخرافات اليونانية إلى المآسي الكلاسيكية إلى روايات القرن التاسع إلى الروايات البوليسية التي التهمها واحدة بعد الأخرى - اتخذ البطل الفرد سبيله من خلال عقبات غرارة كانت النساء هي الأكثر رعباً فيها. وقد قرر سارتر بنفسه تجنب هذا الفخ.

ما كان مضحكاً أكثر في ذلك، هو أن النساء لم يكن يلاحقنني، بل كنت أنا، في الواقع، من لاحقهن. وهكذا ففي المغامرات القليلة التي حدثت لي في ذلك الوقت، بعد أن تغلبت في واحدة منها على عقبة كأداء في غزو سيدة شابة، شعرت بأني ملزم بأن أفسر لها، وكأني تنين الفضيلة، بأنه ينبغي عليها أن تحذر ألا تنتهك حريتي. ولكن، خلال وقت قصير، بما أني كنت دمثاً، كنت أرغب أن أقدم لها هدية من تلك الحرية الغالية. كنت أقول: إنها أروع هدية يمكنني أن أقدمها لك... لحسن حظي... تتدخل الظروف المستقلة عن إرادتي في الوقت المناسب لتعيد لي (بعد شيء من الهزيمة) عزيزتي الحرية تلك، مما يجعلني أسارع فوراً لأمنحها سيدةً شابة أخرى.

في مناسبة واحدة، وقعت في الفخ الذي نصبته لغيري. لقد تقبلت بوفوار تلك الحرية واحتفظت بها. كان ذلك عام ١٩٢٩. كنت أخرق تماماً، إذ قلقت من ذلك، بدل أن أدرك حسن طالعي المتميز، فانتابني شيء من الحزن.

يبدو أن بوفوار لم يكن لديها صعوبة في قبول فكرة عدم إنجاب أطفال. كانت علاقتهما قائمة على أسس غير اعتيادية تماماً. فقد كانا كاتبين. كانا بحاجة إلى حريتهما، وبحاجة إلى قدر كبير من الوقت من دون نزاعات وإلهاءات. علاوة على ذلك، أدركت بوفوار أن سارتر يشمئز من بطون الحوامل ومن الأطفال الذين تفوح منهم رائحة البول، على حد قوله. إن كان سارتر قد أثر عليها حول هذا، فهو موضوع قابل للنقاش، ولكن طوال سنتين لاحظ العديد من أصدقائها أن النساء الحوامل ينفرن بوضوح من سارتر وبوفوار. وهذا واضح في كتابتهما.

أحست بوفوار بالوحشة في بداية تشرين الثاني، حين شاهدت سارتر يسافر بالقطار إلى Saint – Cyr. في الأسبوعين الأولين لم يكن

يُسمح بزيارة المجندين. وفيما بعد سُمح لبوفوار أن تزوره. لقد تحول سارتر إلى جندي، بلفافتي ساق زرقاوين وبيريه (قبعة). كانا مرغمين على اللقاء في غرفة مزدحمة بالجنود وأسرهم. وكان سارتر غاضباً من فقده حريته، وهدره ١٨شهراً. وقد شعرت بوفوار بأنها تزور إنساناً وراء القضبان.

في منتصف تشرين الثاني كانت زازا في مشفى صغير تعاني مرضاً خطيراً، مع حرارة عالية وهذيان. شخّص الأطباء مرضها بأنه التهاب سحايا أو التهاب دماغ، لم يكونوا متأكدين. وقد أقنعت بوفوار صديقتها بأنها تعاني أزمة قلب محطم.

طوال الأشهر الخمسة الأخيرة، عرّضت السيدة لاكوان ابنتها زازا لإجهاد لا يطاق. فقد كانت زازا واقعة في غرام موريس ميرلو - بونتي، وقد قرر الاثنان الزواج خلال سنتين، بعد أن ينال موريس شهادة الأستاذية وينهي خدمته العسكرية الإلزامية. لكن السيدة لاكوان لم تكن سعيدة. كان موريس طالباً متميزاً وكاثوليكياً ملتزماً، لكن لم يكن ثرياً. ومع أنه يطمح إلى منصب جامعي، إلا أن إمكاناته المادية متواضعة بالمقارنة مع إمكانات السيد لاكوان، رجل الأعمال.

كذلك كانت السيدة لاكوان معنية أيضاً بوضع عائلة ميرلو - بونتي الاجتماعي. وقد اعترفت زازا بأنها لا تعرف الكثير عن عائلته باستثناء والدة موريس التي كانت أرملة، ووالده الذي كان ضابطاً في البحرية، وأن موريس كان واحداً من ثلاثة أطفال. وقد أكدت زازا لوالديها بألا يقلقا حول هذه الناحية.

لم تكن والدة زازا راضية. فقد رتبت لابنتها قضاء سنة في برلين، على أمل أن تنسى هذا الإنسان. وقد كتبت زازا لصديقتها سيمون في

نهاية صيف عام ١٩٢٩: «إنه لشيء قاس جداً». «ينبغي على المرء في الواقع أن يؤمن بفضيلة المعاناة، وأن يرغب في حمل الصليب مع المسيح ليتقبل هذا من دون تذمر».

كانت زازا ممزقة بين والدتها وبين الإنسان الذي أحبته. إن الإخلاص الشديد للأسرة علمها الطاعة. وفي مواجهة جميع الصعوبات، تراجع ميرلو - بونتي بهدوء، بدلاً من مقاومة والدة زازا. وفي الوقت الذي كانت فيه المرأة الشابة المعذبة بحاجة إلى تطميناته، لم يعودا متعاونين.

في تشرين الأول، تلقت سيمون رسالة غامضة من زازا: «أخبرتني ماما شيئاً مذهلاً لا أستطيع أن أفسره لك الآن». وفي رسالتها التالية سألتها زازا: «هل يستطيع الأطفال تحمل آثام آبائهم؟».

في بداية تشرين الثاني، سقطت زازا مريضة. وفي المشفى لم يُسمح بزيارة الآخرين لها باستثناء عائلتها. وحين رأتها بوفوار ثانية في نهاية ذلك الشهر المفزع، كانت ممددة في نعش في مشرحة المشفى، يداها متصالبتان فوق صدرها.

أدانت بوفوار ميرلو - بونتي لأنه لم يمتلك الشجاعة الأخلاقية لدعم زازا ضد أمها، وقد أوضحت ذلك في مذكراتها. وفي عام ١٩٥٨، حين نُشر كتاب بوفوار «سيرة حياة ابنة مطيعة»، كان موريس ميرلو - بونتي معروفاً بصفته فيلسوف الجناح اليساري «لم يعد يؤمن بالله»، مع منصب تعليمي في كلية فرنسا ذات المكانة العالية. وقد دعته بوفوار في كتابها «جان براديل». وفي محاولة إضافية منها لكي لاتشتت تفكير القراء، دعته لمرة واحدة فقط باسمه الحقيقي: «كان بين زملائي الطلاب ميرلو - بونتي وليفي شتراوس، وقد عرفتهما قليلاً. أعجبني الأول من بعيد». لكنها جعلت القارئ لايشك بأنها لم تكن معجبة بالمدعو «جان براديل».

ظل موريس ميرلو - بونتي من أصدقاء بوفوار المقربين طوال سنوات. وحين قرأ «سيرة حياة ابنة مطيعة»، عام ١٩٥٨، كتب لها قائلاً: إنه أعاد قراءة الرسائل التي تبادلها مع زازا خلال تلك الأشهر المؤلمة من عام ١٩٢٩. (دعاها باسمها الحقيقي إليزابيث) «إن إعادة قراءة هذه الرسائل، إضافة إلى كتابك، جعلني أدرك - بشدة إلى درجة اليأس - إلى أي مدى كنت سلبياً ولاواعياً وغير موجود في تلك السنوات. كل شيء ذكرته حولي هو صحيح». كما قال إنه في الحادية والعشرين من عمره لم يكن ناضجاً تماماً ليتعامل مع الضغوط التي وضعته تحتها «إليزابيث». وعائلتها:

لم أكن أرتاب أبداً بأنها كانت المرأة التي كان بودي أن أحبها... لكنني لم أكن مهيأ لأحب أي شخص، حتى تغيرني أو يغيرني وجودها. إن موقف عائلتها وقلقها (الذي أخفته عني أكثر مما أخفته عنك)، ثبطا عزيمتي بدلاً من أن يؤثرا بي...

ولكن هناك شيء لا تعرفينه، شيء أنا نفسي كنت أجهله وقتئذٍ حين سقطت إليزابيث مريضة، وقد كان لزاماً عليها تحمله وحدها، من دون وجود أي خطأ من جانبي.

بعد ذلك بوقت قصير، قابلت بوفوار ميرلو - بونتي في مقهى - بعد ثلاثين عاماً من تلك الأحداث المأسوية - سرد ميرلو - بونتي القصة كاملة. في خريف عام ١٩٢٩، تصرف والدا زازا، كما تتصرف بعض العائلات البورجوازية قبل الزواج، إذ استأجرا تحرياً خاصاً ليتحرى عن عائلة ميرلو - بونتي. السر الدفين الذي برز صدم المتدينين الكاثوليكيين اللذين يعدان الزنا خطيئة مميتة. وقد أطلعت السيدة لاكوان ابنتها على السر، حينئذٍ كتبت زازا تينك الرسالتين الغامضتين. و لم يُخبر ميرلو - بونتي بشيء حتى وقت متأخر جداً، إذ كانت زازا قد توفيت.

كان السيد ميرلو - بونتي فعلاً ضابطاً بحرياً، وعاش مع زوجته في لاروشيل، وقد أنجبا ابناً واحداً. وأثناء غيابات الزوج الطويلة، أقامت السيدة ميرلو - بونتي علاقة جنسية مع بروفيسور جامعي. كان متزوجاً أيضاً، لكنها كانت علاقة جدية، إذ غدت علنية إلى حد ما. وقد أنجبت السيدة ميرلو - بونتي منه طفلين - الأول موريس، ثم أخته مونيك. وقد أخذ البروفيسور على عاتقه مسؤوليات طفليه، لكنه لم يستطع إعطاءهما اسمه.

بالعودة إلى شهر تشرين الثاني عام ١٩٢٩، كان كل من بوفوار وميرلو - بونتي منهكَيْن بسبب موت زازا. وفي ذلك الوقت لم يكن لدى ميرلو - بونتي فكرة حول إدانة بوفوار له وتحميله جزءاً من المسؤولية. ولم يكن لدى بوفوار فكرة عما جرى خلال تلك الفترة.

لقد انتاب بوفوار إحساس دائم بأن قدر زازا كان يمكن أن يكون قدرها. كانت زازا ظلها هي، الظل الذي يمكن أن تكونه لو لم يفقد جورج دو بوفوار ثروته. وتنتهي «سيرة حياة ابنة مطيعة» بكلمات ملتاعة «منذ وقت طويل اعتقدت بأني دفعت موتها من أجل حريتي».

كان رايموند آرون هو الذي اقترح أن يخدم سارتر وصديقه بيير غيل خدمتهما العسكرية الإلزامية في قسم الأرصاد الجوية. كان آرون قضى سنة من خدمته في ذلك القسم. وقد أخبرهما بأن الأمر لم يكن سيئاً جداً.

أُرسل سارتر وغيل إلى محطة للأرصاد الجوية في Fort Saint – Cyr. وكان آرون واحداً من مدرسيهما، وقد ضايقاه بقذفه بالمسودات أثناء المحاضرات. كان سارتر مغتاظاً من انعزاله في ثكنته، ولكن كان عليه التسليم بأن قراءات سرعة الريح كانت سهلة، وأن لديه الكثير من الوقت الفائض، بل أكثر مما كان يتوقع.

كانت Saint - Cyr قريبة جداً من باريس مما سمح لـ سارتر وبوفوار أن يلتقيا في معظم الأيام. وعلى مدى ثلاث أو أربع أمسيات في الأسبوع، كانت بوفوار تأخذ القطار إلى فيرساي، ثم تستقل الباص إلى Saint - Cyr، حيث تتناول مع سارتر طعام العشاء، أحياناً ينضم إليهما غيل وآرون. وفي أيام الآحاد يذهب سارتر إلى باريس.

بعد فترة التدريب، أُرسل غيل إلى باريس، وأُرسل سارتر إلى محطة الأرصاد الجوية في Saint Symphorien قرب تور، حيث تشارك في منزل مع مجندين اثنين لم يحبهما سارتر. لكن المشرف عليهم، وهو موظف مدني، منحهم عطلة مدتها أسبوع كامل كل شهر إضافة إلى أيام الآحاد. أمضى سارتر وقته الفائض كله في باريس. ولمرة واحدة في الأسبوع كانت بوفوار تأخذ القطار إلى تور.

وحين يفترقان عن بعضهما، يكتبان لبعضهما في معظم الأيام. كان سارتر يدعوها بـ «زوجتي الصغيرة» و«محبوبتي الصغيرة بيفر». وكانت تدعوه «زوجي الصغير العذب» و«الكائن الصغير الأغلى».

وقد كتب لها سارتر بعد أسبوعه الأول في باريس: «محبوبتي الغالية، إنها ترعد، وأنا أنظر باستمرار إلى الماضي، إلى تلك الأيام الرائعة التي قضيتها معك». كان يشعر بالضجر والاضطراب: « مثل سباح يدرك أنه عالق بعشب البحر».

وكتبت إليه من سريرها في دنفرت روشيرو حيث كانت تستعيد عافيتها من التهاب في الحنجرة: «إذا كان على المرء أن يسقط مريضاً، فمن الممتع أن يفعل ذلك بعد رحيلك ياحبي الأغلى».

كانت تفكر بـ «الأسبوع الخارق» الذي قضياه معاً. «سوف نرى بعضنا قريباً أليس كذلك ياحبي؟ أنت وعدت، لذلك فأنا أعتني بنفسي جيداً. أحبك. أحبك».

مع حلول صيف عام ١٩٣٠، كتبت بوفوار في دفتر يومياتها ملاحظات مضطربة. «لاأستطيع أن أتصالح مع الحياة إن لم يكن هناك هدف في حياتي... يتحدث معي سارتر كما لو أنه يتحدث إلى فتاة صغيرة... لقد فقدت كبريائي... وذلك يعني أني فقدت كل شيء».

في البداية كانت جذلى من وقوعها في حب الرجل الذي عدته متفوقاً. الآن بدأت تدرك المخاطر. فالرجل الذي عُدّ الألمع بين مجموعته في الإيكول نورمال لديه إحساس قوي بعبقريته. هي الكلمة التي اعتاد أن يستعملها من دون إحراج. «أنظر إلى نفسي من دون أن أعاني في مدح نفسي - كعبقري». وقال أيضاً: «أتحدث مع أصدقائي كما يتحدث عبقري إلى أصدقائه». لقد تمتع سارتر بشخصية قوية، وغدا جميع أصدقائه ببساطة «شمّاسيه» على حد تعبيره.

كانت إلفة سارتر وكرمه أسطوريتين. كان مسلياً ومرحاً ومبتكراً ومقلداً لامعاً، كان يدفع الناس إلى الضحك حتى البكاء. كان مولعاً بمساعدة الناس وتشجيعهم ومنحهم الهدايا. ولكن على الرغم من دفئه وحبه للتآلف مع الآخرين، كان مكتفياً بذاته. لم يبد أنه بحاجة إلى أي شخص. حتى إلى شخص متميز. كان يحب أن يكون الناس حوله، وضجيج الأصوات في الخلف. كان يحتاج إلى امرأة تعشقه وتحتاج إليه. لكن إذا سلمنا بقدرته على الإحساس بأنه محبوب، إلا أنه كان أسعد حالاً حين يكون وحيداً مع قلمه وورقته وكتبه.

لقد اتهمه أصدقاؤه دائماً باللامبالاة. في البداية نعمت صديقاته برعايته لهن، ثم تذمرن بسبب عدم إعطائهن مايكفي من وقته الثمين. وأصبحن ينزعن إلى التملك والغيرة، مما دفع سارتر إلى التذمر لأنهن متطلبات جداً. ذلك كان نمط حياته.

لم تكن بوفوار تميل إلى التذمر. فمنذ بداية علاقتهما بذلت جهداً كبيراً لترى الأمور من منظور سارتر. وذلك بسبب شعورها بأنها، جزئياً، تدين له بكل شيء، وأيضاً بسبب أنها كانت على قناعة بأنها تحبه أكثر مما يحبها. لقد تصرفت بعقلانية حين اقتنعت بأنها لن تخلق مظلمة خارج الواقع الموضوعي. ومع ذلك، فهي إن أحبت سارتر، فذلك يعود، جزئياً، إلى أنه علمها أن تجابه الأمور على نحو مباشر.

لم تساعد الأشهر الثمانية عشر الأولى من علاقتهما، إذ كانت غشاوة من اللقاءات والوداعات على رصيف محطة القطار. كان لديهما وقت قصير ليستمتعا بعلاقتهما، بعد ذلك كان على سارتر أن يعود إلى ثكنته. كانت اللحظات المحسوبة بالنسبة لبوفوار، هي اللحظات التي تقضيها مع سارتر، أما ماتبقى من وقت فهو وقت ميت.

كان هناك أيضاً مشكلة جسدية، مشكلة ملأت بوفوار بالخجل حينئذ، وقد بحثتها بانفتاح صاعق بعد ثلاثين عاماً في مذكراتها. كان سارتر يوقظ شهواتها الجسدية، وباستثناء وجوده في باريس، كانا يفتقدان الفرص لممارسة الجنس. وحين زارته في تلك الأيام في تور، شعرا بالخجل من استئجار غرفة في فندق في وضح النهار. لقد عانت بوفوار «رغبات طاغية» و«هواجس حارقة». وقد أفزعها إحساسها بأنها غير قادرة على السيطرة على جسدها. إن حقيقة أن سارتر لم يعان المشكلة ذاتها جعلها أكثر خجلاً. «كنت مرغمة على الاعتراف بأنني بذلت مافي وسعي لأخفي، منذ ذلك الحين، مراهقتي: كانت شهواتي الجسدية أكبر مما أردت لها أن تكون». لم تخبر بوفوار سارتر حول ذلك على الرغم من اتفاقيتهما.

كل شيء تآمر لجعلها تسقط في فخ وصفته بعد عشرين عاماً في كتابها «الجنس الآخر». هناك فصل يدور حول «المرأة العاشقة»، المرأة

التي ترى أن الحب هو الإخلاص، التي تبدد حياتها تنتظر، والتي تُقدم حياتها، حتى يوم حسابها، لرجلها.

تحاول المرأة العاشقة أن ترى بعينيه، تقرأ الكتب التي يقرؤها، تفضل الصور والموسيقا التي يفضلها، تهتم فقط بالمناظر التي تراها معه، بالأفكار التي تنبثق منه، تتبنى صداقاته وعداواته ووجهات نظره، وحين تساءل نفسها، تحاول أن تسمع إجابته... سعادة المرأة العاشقة القصوى هي أن ينظر إليها عشيقها كجزء منه، وحين يقول «نحن» فهذا يعني أنها متحدة ومتماهية معه، تشاركه منزلته وتسود معه على سائر الناس، ولاتتعب أبداً من أن تكرر - إلى حد الإفراط - هذه الـ «نحن» المبهجة.

لقد وصفت في مذكراتها - التي كتبتها حين كانت امرأة مستقلة ومفكرة شهيرة - ذاتها المبكرة في عبارات مريرة، كـ «كائن ثانوي»، و«مفكرة طفيلية».

إن أساس الفلسفة الوجودية لمذكرات بوفوار - كان أيضاً الأساس الفلسفي لعلاقتها بسارتر - هو إن «المعتقد الفاسد» هو أن تنظر لآخر، سواء كان كائناً إنسانياً أم إلهاً، على أنه الخلاص. وبما أننا أفراد مستقلون فنحن أحرار، ونحن نتصرف بطريقة تتلاءم مع «المعتقد الفاسد» حين نحاول تجنب حريتنا. إنها ليست سهلة تلك الحرية. إنها تجلب معها ألم الاختيار، إنها تأتي مع عبء المسؤولية.

وبالعودة إلى الثمانية عشر شهراً الأولى من علاقتهما، كتبت بوفوار تقول: إن سارتر أصبح عالمها كله، وبفضله أصبحت أكثر فتنة حتى إنها نسيت نفسها، وكفت عن أن تحيا لمصلحتها الخاصة.

* * *

في اللحظة التي كانا يلتقيان على رصيف محطة القطار في تور أو في باريس، كان سارتر يمسك بيدها ويقول: «توصلت إلى نظرية جديدة». وكانت بوفوار تنصت باهتمام، ثم تشير إلى العيوب التي رأتها في جدله. وهذا سيكون دورها مدى الحياة، وهو الدور الذي سيعتمد عليه سارتر بجدية. حينئذ يعود ليشير إلى أنها تفتقر إلى الأصالة. «حين تفكرين على أساس معضلات، فأنت لاتفكرين أبداً».

كان تطوع لأن «يأخذ بيدها»، لكن ثقتها الآن أقلقته. كان يقول: «اعتدت أن تكوني مليئة بالأفكار». ويقارنها ببطلات روايات جورج ميريديث، اللواتي بعد أن ناضلن بشدة من أجل استقلالهن، انتهين إلى الاستسلام للحب. كانت بوفوار تشعر بالخزي.

في الذكرى السنوية لموت زازا، تبلل دفتر يوميات بوفوار بالدموع. «زازا، ليتك كنت هنا فقط. لاأستطيع تحمل موتك». لم يكن والدا سيمون يحبان سارتر، وكانا يأملان بحماسة أن تفطم نفسها عن هذا الشخص، ذي النظرة الغريبة، ومن تأثيره السيئ. أما أصدقاؤها فقد تشتتوا. إذ حصل رينيه ماهو على عمل في حقل التدريس في النورماندي. وتزوجت ستيفا صديقها الإسباني فيرناندو غيراسي، وانتقلا إلى مدريد. وابن عمتها تزوج. وكانت أختها بوبيت في وضع مريح، فهي تدرس الرسم وتعمل بجد، وهي في الوقت الراهن تنام هنا وهناك مع صديقتها جيجي، وهي أيضاً فنانة، وتحاولان أن تكتشفا نفسيهما.

رفض زوج أم سارتر، جوزيف مانسي، استقبال سيمون دو بوفوار في منزله. فربيبه لم يطرح فكرة الزواج بها، لذلكِ فهي، بكل بساطة، مومس. لم يتخذ سارتر موقفاً إزاء هذا التصرف، وتابع زياراته الأسبوعية لأمه وزوجها. وكانت والدته تلتقي به مع بوفوار من وقت لآخر في

كافيتيريا تابعة لمتجر، لكنها كانت دائماً فزعة من أن يكتشفها زوجها، إذ بعد انقضاء نصف ساعة معهما، تسارع بالرحيل.

الأسوأ من ذلك، هو أن بوفوار لم تكن تشعر أنها مقبولة تماماً من أصدقاء سارتر. وبالتالي لم تكن متأكدة من هذا، لكن كان لديها انطباع دائم بأن بول نيزان يسخر منها قليلاً. ولم يكن بينها وبين زوجته هنرييت شيء مشترك. في ذلك الوقت كان بيير جيل Pierre Guille هو الصديق الأقرب لسارتر، كان زميلاً في دار المعلمين، ويحمل شهادة الأستاذية في الأدب الفرنسي. كان وسيماً، مثل جميع أصدقاء سارتر الذكور والإناث (كان سارتر يعد ذلك شرطاً ضرورياً للصداقة). وكان غيل يرتاب بنظريات سارتر الفلسفية، ويضحك طويلاً وبصوت عالٍ من المقاطع المتكلفة في رواية كان يكتبها سارتر. وكان سارتر يتقبلُ ذلك بصدر رحب. إذ تجمعهما مودة عميقة.

كان غيل في الرابعة والعشرين من عمره، وهو ذات عمر سارتر، ويعشق سيدة متزوجة في الأربعين من عمرها تدعى مدام موريل. كان سارتر نفسه منجذباً إليها. كانت ضئيلة الجسم ممتلئة، بشعر أسود وعينين بنيتين متألقتين. نشأت مدام موريل في الأرجنتين – فتاة وحيدة غنية اعتادت ركوب حصانها عبر السهول الواسعة. كانت ثرية ومضيافة وحيوية.

وفي شقتها في بوليفار راسبيل، خصصت غرفة من أجل غيل. مما حدا بسارتر وبوفوار إلى افتراض أن بينهما علاقة غرامية. لم يتأكدا من ذلك. ولم يكن أحد، حتى زوج مدام موريل العاجز وولداها الناضجان، يرتاب في قربها من غيل. كانت بوفوار وسارتر، بصراحة، مفتونين بهما. لكن الذي آذى بوفوار، هو إحساسها بأن غيل ومدام موريل كانا يتحفظان تجاهها.

لم تكن مدام موريل تمنح صداقتها بيسر، وقد وجدتُ سهولة أكبر في التعامل مع غيل، على الرغم من أنه أطّر مودته بسخرية كثيراً ما أربكتني. كلاهما أرعباني...ولا أملك دليلاً قاطعاً على ذلك. ولكنني كنت أشعر دائماً، بحضور مدام موريل، بأني خرقاء ومراهقة، وكان من المؤكد أنها وغيل قد أقرا حكمهما علي.

إن أصدقاء سارتر أشعروا بوفوار بأنها ساذجة وخرقاء، فقد زعزعت عشيقة سارتر السابقة، سيمون جوليفيه، ثقتها بنفسها على نحو مؤلم. لم يكن هناك من شيء لاتستطيع جوليفيه أن تفعله. فبعد مشاهدتها شارل دولين يقدم أفضل أداء حين لعب دور لويس الحادي عشر في فيلم «معجزة الذئاب»، خططت جوليفيه لإغوائه. وقد عد سارتر ذلك نزوة مجنونة. كان دولين مسناً ومتزوجاً، وكان ممثلاً شهيراً ومخرجاً مسرحياً. ومع ذلك، استطاعت جوليفيه، بعد عام، أي في نهاية عام ١٩٢٨، أن تغدو خليلته، لقد شغف بها دولين. اشترى لها شقة فانتقلت إلى باريس، وشرعت في كتابة مسرحية.

كانت الطريقة التي يتحدث بها سارتر عن جوليفيه تمزق بوفوار غيرةً. «كان يذكرها أمامي كمثال يحتذى حين يحاول حثي على الخروج من خمولي».

كان سارتر يكره الغيرة، فهو يعتقد بأنها هامة بالنسبة للأفراد ليتحكموا بانفعالاتهم، لا أن يدعوا أنفسهم تنجرف بتأثيرها، وإلا فهم ينكرون حريتهم، وينساقون وراء ردود أفعالهم بدلاً من التصرف بمعزل عنها.

بعد سنوات، أخبر سارتر محاوره، بأن سيمون جوليفيه كانت «علاقته الأولى الجدية»، وأنه خَبِر معها «أكثر الانفعالات تقززاً، انفعالات هيمنت عليّ، وأعتقد أنه يمكن وصفها كغيرة»

لقد طلب منها أن تكف عن مضاجعة رجال آخرين، فردت جوليفيه بحسم: «هل تمتلكني؟ هل من المفترض أن أجلس هنا وأنتظر حضورك؟ هل أنت مستعد للتخلي عن الايكول نورمال؟».

يتذكر سارتر ويقول: «ذرعت غرفة النوم، المترفة المعطرة، جيئة وذهاباً»، «طبعاً كانت على حق، وأنا عرفت ذلك. واستنتجت أن الغيرة هي تملك. لذلك، قررت ألا أكون غيوراً ثانية».

كان سارتر ينزع إلى أن يعد أي عاطفة عنيفة إدعاءً. و لم يكن لديه وقت لاستدرار العطف. وقد أخطأت سيمون جوليفيه ذات مرة إذ أخبرته بأنها حزينة. فكتب لها سارتر، ابن الحادية والعشرين، قائلاً:

هل تتوقعين مني أن ألين أمام موقفك المشوق الذي قررت تبنيه؛ أولاً من أجل فائدتك ثم من أجل فائدتي؟ فيما مضى كنت ميالاً نحو ذلك النوع من التمثيل... أما الآن فأنا أكره واحتقر اللواتي، مثلك، يتلذذن بساعات الحزن الوجيزة. الذي يقززني هو الملهاة الصغيرة المخزية المتجذرة في حالة من البلادة الجسدية التي نمثلها من أجل أنفسنا. يمضي الحزن يداً بيد مع الكسل... وأنت تستمتعين به إلى حد الكتابة لي من مسافة ٥٠٠ كيلومتر، أنا الذي من المحتمل جداً ألا أكون في ذات المزاج. «حزينة أنا»، لعلك تخبرين عصبة الأمم أيضاً... لو نشرت بعض الخشب في أمسيتك الكئيبة، فسيتبدد حزنك خلال خمس دقائق. انشري من غير تردد، فكرياً بالطبع. قفي منتصبة، كفي عن التمثيل، انشغلي، اكتبي».

كان سارتر غير مستعد للتساهل في إيمانه بأنه لاينبغي على الناس استخدام انفعالاتهم كعذر. وكان يمكن لـ بوفوار أن تعيش صراعاً يستمر طوال حياتها مع الغيرة، لكنها روضت نفسها بقسوة. الأمر الذي جعلها برمة بغيرة الآخرين.

بعد زيارة «ماهو» لـ ليموزين في ذلك الصيف، استمر حبهما الأفلاطوني. وفي تشرين الأول من عام ١٩٢٩ ترك «ماهو» عمله في التدريس بالنورماندي. وحين رآها في باريس بعد قدومه إليها ببضعة أسابيع، لم تكشف له بوفوار عن علاقتها الغرامية بسارتر. وفي كانون الثاني، قرأ «ماهو» رسالة من سارتر، وجدها على طاولتها، كشفت له، من دون أدنى شك، طبيعة علاقتهما. وقد أوضح لها «ماهو» قائلاً: إنه لن يثق بها ثانية. بكت بوفوار. وفي عيد رأس السنة، حين تناهى إلى سمعه أن سارتر قضى أسبوعاً في باريس، بعث «ماهو» إلى بوفوار رسالة موجزة:

ساميني على تشويشك وأنت وسط كل الذكريات الرقيقة الغنية بالألوان التي تطيل، من دون شك، درب حبك الغالي عليك. ومع ذلك: هل باستطاعتك أن تكوني في البيت في أصيل الأربعاء؟ لدى أشياء هامة سأحدثك عنها، إذ من الممكن ألا أراك ثانية. لأنه ينبغي عليك أن تدركي أنني قد اكتفيت من الوضع الصعب الذي أنا فيه الآن، نتيجة لـ أيلولك ذلك، وللشهرين من الكذب اللذين تبعاه.

نقلت بوفوار لسارتر فحوى رسالة «ماهو»، وأخبرته بأنها تعاطفت قليلاً مع «ماهو». وكان هذا «مجرد غيرة من نوع كريه بكل مافي الكلمة من معنى».

كان سارتر يؤمن بشدة أن المرء يمكنه، بقوة الإرادة، أن يتجاوز كل العواطف والإزعاجات والعقبات. وبالنسبة إليه، فإن الدموع والحالة العصبية السيئة هو ضعف. حتى دوار البحر كان ضعفاً. وقد قال سارتر نحن كائنات حرة، ويمكننا أن نختار. وهو لم يولِ أهمية للوظائف الفيزيولوجية، ولا للتكيف الفيزيولوجي.

ومع بعض التحفظات، مضت بوفوار - المعرضة لدوار البحر وذرف الدموع - وفق إرادة سارتر المتطرفة. وحسب ما كتبت في مذكراتها، لم يكن ثمة شيء يجبرهما على رؤية الأمور بطريقة أخرى. كانا في شرخ الشباب، وفي صحة جيدة، مع وفرة من الوقت المتاح والمال الكافي لفعل مايريدانه. وكفيلسوفين، كانا على قناعة بأنهما يقيّمان العالم من خلال نظرة موضوعية.

تتذكر بوفوار جدالاً حامياً جرى في كافيه بلزار بين سارتر وصديقه الفيلسوف جورج بوليتزر، وهو يهودي هنغاري هاجر إلى فرنسا حين كان في الثامنة عشرة من عمره. كان بوليتزر أكثر وعياً من سارتر على الصعيد السياسي. وقد أشار إلى أن سارتر، في كل الحالات، هو نتاج البورجوازية. فرد سارتر قائلاً: ذلك هراء، فهو يحتقر البورجوازية، وأن باستطاعة المفكر أن يتجاوز أيديولوجية طبقته، وقد قام هو بنفسه بفعل ذلك. كانت عواطفه مع الطبقة العاملة، ويشعر بالراحة أكثر مع الناس العاديين. لم يوافق بوليتزر على ماقاله سارتر. وقد كتبت بوفوار: «انفعل بوليتزر، وتدفقت منه الكلمات، لكنه فشل في إقناع سارتر».

في السنوات العشر التي تلت، حافظ سارتر وبوفوار على معتقدهما في الحرية الفردية المطلقة. وقد أدت كارثة الحرب العالمية الثانية (التي عُذب فيها وقُتل مقاوم النازية الشجاع جورج بوليتزر على أيدي الغستابو) إلى جعلهما يكتشفان التاريخ. لقد أدركا بدقة أنه بسبب انتمائهما للبورجوازية ذات الامتياز، كانا قادرين على الاحتفاء بوهمهما الكبير لأمد طويل.

كلما كان سارتر في باريس، قضى هو وبوفوار وقتاً مع مدام موريل وغيل. كان لدى مدام موريل سيارة، ومن حين لآخر كانت تقل بوفوار

وغيل لرؤية سارتر. لقد أحبت بوفوار غيل الوسيم حباً كبيراً، على الأغلب بسبب حب سارتر له.

سُرح غيل بعد انتهاء خدمته العسكرية الإلزامية قبل سارتر بأسابيع. وقرر الاحتفال بهذه المناسبة بالذهاب في رحلة مدتها عشرة أيام عبر فرنسا، يزور في طريقه أقرباءه وأصدقاءه. كانت مدام موريل سعيدة بإعارته سيارتها، إذ ستبقى في منزلها للعناية بزوجها العاجز. وقد طلب غيل من بوفوار مرافقته في رحلته.

«رحلة حقيقية بالسيارة، إنها الرحلة الأولى من هذا النوع، التي لم يسبق أن قمت بمثلها!». وقد أبهجها التفكير بالأيام العشرة التي ستقضيها وحدها مع غيل. حينئذٍ برز تعقيد غير منتظر. فقبل يومين من مغادرتهما، حضر رينيه ماهو. كان ينوي البقاء في باريس مدة أسبوعين من دون زوجته، وخطط لقضاء وقت مع بوفوار. كانا قد سويا نزاعهما قبل شهور. لكن ينبغي عليها الآن أن تخبره بأنها على وشك الذهاب مع رجل آخر. وحين أعلمته بذلك، وجه لها إنذاراً: إن هي ذهبتْ مع غيل، فسوف لا يراها ثانية. احتجت بوفوار قائلة: إنها لا تستطيع أن تخذل غيل. فقال«ماهو» إنه خيارها. ذهبا إلى دار السينما حيث بكت طوال عرض الفيلم.

وما إن بدأت رحلتها مع غيل، حتى عادت إليها البهجة. سارا خلال هضاب مورفان، وتوقفا لمشاهدة بعض المعالم. وفي ليون قضى غيل أمسية مع أصدقائه، ومكثت بوفوار مع أقربائها الذين ضايقوها من دون رحمة. «لأنني كنت مسافرة وحدي برفقة رجل، افترضوا أني معتادة على ذلك النوع من الفساد، وقد فاجأتني دعاباتهم الخشنة والسمجة. وعند تقديم التحلية بعد الطعام أهدوني ما كان يدعى (جوزة غرينوبل) تبين لي أنها غلاف جوزة فارغ بداخله واقٍ ذكري).

كانت المرة الأولى التي تزور فيها جنوب فرنسا. لقد أحبت عُري البروفانس، الألـوان ومشهد أشجار السرو التي تتمايل مع الريح، والرياح الشمالية الباردة الجافة. وقدرسمت في مذكراتها صورة لأمسية حميمية في Les Baux. كان الوقت مساءً حين وصلت مع غيل. وكانت الريح تهب بشدة، والأضواء تلتمع في أسفل السهل.

كانت النار تطقطق في الموقد في Reine Jeanne، حيث كنا الزائرين الوحيدين. تناولنا طعام العشاء قرب الموقد، وشربنا نبيذاً.

وقد اعترفت بوفوار في سيرتها الذاتية، حين كانت في سن متقدمة، بأنها مارست الجنس مع غيل في تلك الرحلة. ترى هل أخبرت سارتر بذلك؟« لم أكن معنية في ذلك وقد علم بذلك».

شكلت العودة إلى باريس صدمة. فبعد «عشرة أيام من التقارب الحميمي، عادت هي وغيل إلى مدام موريل وسارتر، واتسعت الهوة بينهما. كذلك علم سارتر للتو بانه لن يحصل على العمل التدريسي في كيوتو، ويعاني خيبة مريرة. وكان ثمة رسالة وداع بغيضة من رينيه ماهو.

الآن وقد فشلت مغامرة سارتر اليابانية، انحصر مستقبله القريب في وزارة التربية الفرنسية. وفي آذار من عام ١٩٣١ أتيحت له فرصة الحصول على منصب تدريسي في الهافر. فقرر سارتر قبوله، على الأقل لم تكن منطقة الهافر بعيدة عن باريس. بعد ذلك سمعت بوفوار أنها عُينت أستاذة في مدرسة في مرسيليا، فذعرت. فمرسيليا تبعد مسافة ٨٠٠ كيلومتر. كانت مرسيليا بالنسبة إليها منفى.

سقطت بوفوار في حالة من التلهف والقلق حين اقترح سارتر، في النهاية، أن يتزوجا. وفي تلك الحالة سيحصلان على وظيفة في البلدة ذاتها. وقال سارتر: إنه من العبث أن يضحيا بنفسيهما من أجل مبدأ.

فالزواج لن يكن سوى شكلانية قانونية. ولن يؤثر، في المدى البعيد، على علاقتهما.

كانت بوفوار تدرك ما يمثله الزواج بالنسبة لسارتر. و لم تكن لديها الرغبة في أن تغدو الزوجة الصغيرة التي يمتعض منها. كما كان يمكنها أن ترى أنه يكابد أزمة تخصه. فحلمه بمنصب في مكان ما أجنبي تقوض، تاركاً له فرصة السنوات المقبلة، فرصة أن يغدو أستاذ مدرسة في الأقاليم. وقد كتبت بوفوار تقول: «إن الانضمام إلى صفوف الرجال المتزوجين سيعني ارتداداً كبيراً عن مبدئه. إن الحذر الأساسي حال دون اختياري مستقبلاً ربما سيسممه الندم». وقد اختارت مستقبلاً أقل تقليدية. لقد عدلا اتفاقيتهما، اتفاقية السنتين، لتغدو اتفاقية لمدى الحياة.

في ذلك الصيف – كان سارتر في السادسة والعشرين، وكانت بوفوار في الثالثة والعشرين – عبرا الحدود الفرنسية لأول مرة في حياتهما. فقد دعاهما فرناندو غيراسي لزيارته في مدريد. (كانت ستيفا مؤقتاً، في باريس مع طفلهما). وقد دفع سارتر أجور السفر من إرثه الذي ورثه عن جدته لأمه.

«نحن في إسبانيا» كانا يرددان، من دون تصديق، هذه العبارة وهما يتجولان هنا وهناك في أول أمسية لهما في بلدة Figueres. تجولا في الأماكن الأكثر فقراً في برشلونة، وهما على قناعة بأن الأحياء الفقيرة احتفظت بمفتاح الروح الإسبانية. لقد راجعت بوفوار الدليل السياحي الذي بحوزتها بدقة بالغة، فقد أرادت أن ترى كل شيء. أما سارتر فكان يفضل، بعد ارتياده للمعالم في الصباح، أن يجلس في مقهى يدخن غليونه، «يتشرب الجو»، على حد تعبيره.

كنزت بوفوار الأيام الثمينة التي قضتها وحدها مع سارتر. وحين

وصلا إلى مدريد، كان فيرناندو بانتظارهما في المحطة. وبعد أن وضعا حقائبهما في شقته، أخذهما في جولة في المدينة. وعند زوال الأصيل، بكت بوفوار. وقد اعترفت قائلة: «كنت أشعر بالحنين ليس إلى برشلونة، بل إلى الفترة الطويلة الخاصة التي قضيتها وجهاً لوجه مع سارتر».

ذهبا إلى المطاعم الرخيصة، وتناولا القريدس المشوي والزيتون الأسود وآيس كريم الدراق. جلسا في المقاهي حيث تحدث العمال بنشاط عن ثورة وشيكة، واحتسيا الـ مانزانيا. وفي متحف الـ برادو، أعجبا بلوحات إل غريكو، وتجادلا حول لوحات غويا، و لم تعجبهما لوحات تيتيان. وفي أيام الآحاد ذهبا لمشاهدة مصارعة الثيران.

في نهاية أيلول، أخذا القطار حتى بايون، على الحدود الفرنسية. ثم توجه سارتر إلى الهافر، وأخذت بوفوار القطار السريع من بوردو إلى مرسيليا.

وقفت على قمة درجات السلم في محطة St. charles، ونظرت إلى الأسفل. «كنت في مرسيليا – وحيدة، فارغة اليدين، مقطوعة من ماضيَّ ومن كل شيء عشقته. وقفت أحدق إلى هذه المدينة الفسيحة المجهولة، حيث سأصنع طريقي الخاص بي، من دون مساعد، ومن يوم إلى آخر».

تقبلت بوفوار عزلتها بحماسة الراهبة الشابة. اختارت لنفسها غرفة غير بعيدة عن مدرستها Lycee Montgrand. في الصباحات كانت تمشي بمحاذاة البوابات الأمامية المزخرفة، ثم تجلس في زاوية مع كتابها.

في وقت فراغها، كانت تقوم برحلات طويلة سيراً على الأقدام. وقد وصفت في مذكراتها هذا كتصرف وسواسي. «لو تخليت حتى عن رحلة واحدة بسبب اللامبالاة أو لإرضاء مجرد نزوة عابرة، ولو

سألت نفسي عن جدوى كل ذلك، كنت سأدمر كل ذلك الصرح الذي خططت له». إن التجوالات المرهقة صانتها من «الضجر والأسف ومن عدة أنواع من الكآبة».

في كل يوم خميس وأحد، حين لا يكون هناك تدريس، كانت تغادر المنزل عند الفجر وقد ارتدت ألبسة قديمة وحذاء من الخيش، وحملت في حقيبتها الظهرية دليلاً سياحياً وخريطة، لتمشي مسافة ٤٠ كيلومتراً في اليوم. لم تفكر في أن تضم إليها أي شخص من زمرة المشائين في البلدة. و لم تشتر لنفسها حذاءً رياضياً لائقاً. تسلقت وحدها الهضاب الشديدة الانحدار، ومشت على طول الجروف ذات اللون النحاسي. وقد حذرتها زميلاتها الأقدم من أنها يمكن أن تتعرض للاغتصاب. فازدرت تحذيراتهن بقولها «هوس العوانس». وتابعت التلويح لركاب السيارات العابرة.

في أصيل أحد الأيام الحارة، كانت تمشي منحدرة بعناء على درب ترابي، حين توقف شابان وعرضا عليها توصيلة إلى البلدة التالية. قطعا مسافة قصيرة، ثم انحرفا عن الطريق الرئيسي، وهما يتمتمان بكلمات حول طريق مختصرة، فأدركت بأنهما يتجهان نحو بقعة معزولة في المنطقة. فما كان منها إلا أن فتحت باب السيارة وهددتهما بالقفز منها. عندئذ توقفا ودعوها تذهب. لم تكن هذه الحادثة هي الوحيدة التي خلَّصتْ فيها نفسها من مأزق في الوقت المناسب.

حين زارتها أختها في تشرين الثاني (دفع سارتر أجور سفرها)، أخذتها بوفوار في مسير عبر الجبال، فأصيبت قدماها بتقرحات، لكنها لم تجرؤ على التذمر. وفي مسير آخر أصابتها حمى. لكن بوفوار أكملت رحلتها الشاقة، تاركة أختها ترتجف طوال عدة ساعات في غرفة انتظار كئيبة حتى جاء الباص فأخذته عائدة إلى مرسيليا، لتعاني بداية أنفلونزا.

حاولت زميلة واحدة شجاعة أن تنفذ إلى قوقعة عزلة بوفوار، وقد دعتها بوفوار في كتابها «مطلع الحياة» الذي نشر في تشرين الأول في عام ١٩٦٠، بـ «مدام تورميلان»، لكن في بعض الحالات لم تحاول إخفاء هويتها. فقد كان اسم المرأة الحقيقي هو سوزان توفرو. كانت واحـدة من مدرسات اللغة الإنكليزية في المدرسة، وكانت تبدو لبوفوار، بشعرها البني وببشرتها الوردية النضرة وبشفتيها الرقيقتين، كـ امرأة إنكليزية. كانت في الخامسة والثلاثين، أكبر من بوفوار بـ ١٢ عاماً، ومجنونة بكاثرين مانسفيلد[٩] – في عملها وحياتها. وقد لاحظت بوفوار أن توفرو لم تكن شغوفة بزوجها، الذي يقضي فترة نقاهة من مرض السل في مستوصف ناءٍ.

قدَّمت سوزان توفرو بوفوار إلى صديقاتها. ولازمتها على نحو دائم. ذهبتا معاً إلى الحفلات الموسيقية وإلى دور السينما. وذات مرة ذهبتا في نهاية الأسبوع برحلة إلى الآرل Arles. وبفضل صديقتها الجديدة، انتقلت بوفوار إلى غرفة تقع فوق شقة توفرو – غرفة جميلة في حي دو برادو الأنيق، مع شرفة مطلة على الأسطح وأشجار الدلب.

ظلت توفرو تلح على بوفوار لكي تأخذها معها في مسير. أخيراً وافقت بوفوار.

ظهرت كاملة، بحقيبة ظهرية وحذاءين مدعمين بالمسامير، مع كل المعدات المناسبة، وحاولت أن تجعلني أمشي مشية متسلقي جبال الألب، وهي مشية بخطوات بطيئة وراسخة. لكننا لم نكن في جبال الألـب، وفضلت أن أسير بسرعتي المعتادة. راحت تلهث ورائي، وغمرني إحساس بالرضا بسبب مأزقها... ومدفوعة بالبغض، مشيت

٩– كاثرين مانسفيلد ١٨٨٨ – ١٩٢٣. أديبة نيوزيلندية. المترجم.

بثبات مسرّعة خطواتي. ومن وقت إلى آخر كنت أقف لالتقاط أنفاسي في الظل، ثم أعود لأنطلق ثانية حالما تدركني.

لم ترتدع زميلة بوفوار الشجاعة. وذات أمسية دعت بوفوار إلى مطعم شهير يقدم السمك. أكلتا سمكاً مشوياً، وشربتا كمية كبيرة من النبيذ المحلي، وتحدثتا باللغة الإنكليزية، وسخرت توفرو بمحبة من نطق بوفوار السيئ. بعد ذلك غادرتا عائدتين إلى الـ برادو. وفي اللحظة التي دخلتا الشقة جذبت توفرو بوفوار إليها وعانقتها بشدة.

«هيا، لنتخلى عن التظاهر» قالت ذلك بتوتر بالغ وقبلتني بشغف. ثم صرحت بأنها وقعت في حبي من النظرة الأولى، وقد حان الوقت للتخلي عن كل هذا النفاق، وتوسلت إليّ لكي أمضي الليلة معها. أصابني الدوار بتأثير هذا الاعتراف المتهور، وتمتمت: «فكري بصباح الغد – ما الذي سيكون عليه إحساسنا».

«هل ينبغي عليَّ أن أركع على قدميك» قالت ذلك وهي تكاد تختنق.

«لا، لا، لا، !»صرختُ بصوت عالٍ وفررت.

شاطرت بوفوار شغف توفرو بكاثرين مانسفيلد. ففي ذلك العام قرأت، وأعادت قراءةيوميات مانسفيلد ومراسلاتها وقصصها القصيرة، ووجدت إغراءً رومنسياً كبيراً في عبادة «المرأة المتوحدة» لـ مانسفيلد.

حين كنت أتناول طعام الغداء في كانيبير، الذي يقع فوق الـ O'central، أو طعام العشاء في خلف شارلي تافيرن – وهو مكان مظلم بارد غُطِّيت جدرانه بصور الملاكمين – كنت أقول في نفسي: أنا أجسد هذه «المرأة المتوحدة». وكنت اشعر بمثل ذلك حين كنت

أحتسي القهوة تحت أشجار الدلب في ساحة المحافظة، أو جالسة إلى جانب نافذة في مقهى سينترا في منطقة المرفأ القديم.

وقد وصفت بوفوار، قبل موتها بوقت قصير في محادثة جرت بينها وبين كاتب سيرتها Deirdre Bair، وصفت الفترة التي قضتها في مرسيليا كـ «أسوأ سنة في حياتها». واعترفت بأنها أحست بعدم وثوقها تماماً بسارتر.

لم أكن أريد ترك سارتر، لأني كنت أحبه حينئذ عاطفياً وفكرياً، وأردت أن أبقى معه. كان عذباً جداً وبريئاً جداً ويشعر دائماً بالأسف نتيجة علاقاته مع فتيات أخريات. أعتقد بأنه كان خائفاً من أن تجعله طبيعته العاطفية أحمق تجاه بعض الفتيات اللواتي ينشجن.

يبدو أن بوفوار حين كانت تندفع عبر الدروب الجبلية، كان سارتر يمارس فن الإغواء. لم تقرأ بوفوار الكثير في ذلك العام في مرسيليا، وفي النهاية نبذت الرواية التي كانت تكتبها، ولكن في الوقت الذي غادرت، أحست بشعور أفضل تجاه نفسها. «الانفصال والوحدة لم يدمرا سلامي وعقلي». «أدرك بأني أستطيع الآن الاعتماد على نفسي».

-٣-

أولغا كوزاكيفيتش

تشرين الأول ١٩٣٢ - نيسان ١٩٣٧

مضى على سارتر وهو في الهافر ثمانية عشر شهراً، وكان واضحاً بالنسبة له وللآخرين أن إقامته فيها عابرة وليست مستقرة. هو لم يكره المكان. فقد كانت الهافر في تلك الأيام حسنة المظهر (قبل أن تدمر الحرب أقساماً منها). وكان يحب التجوال حول أحواض السفن، مراقباً البحارة والمقاهي والبارات وبيوت الدعارة. ولكن إن هو اختار العيش في فندق برينتانيا Printania السيِّيء السمعة، فذلك بسبب قربه من محطة القطار. وحين قبلت سيمون دوبوفوار عرضاً بالتدريس في روان Rouen في تشرين الأول عام ١٩٣٢، وجدت نفسها أيضاً في فندق (بائس على نحو مماثل)، وعلى مسمع من صفارات القطارات.

مرة أخرى شكلت محطة القطار موضع اهتمام في حياتهما. لم يكن ثمة عمل يوم الخميس، وعندما تتوقف الدروس في منتصف الأربعاء، يقوم كل واحد منهما برحلة مدتها ساعة لـ روان أو للهافر. وعند ظهيرة أيام السبت، حين تكون المدرسة مغلقة، يتوجهان إلى باريس (ليمكثا عند مدام موريل، أو ليتشاركا في غرفة في فندق لقضاء الليلة). وفي

مساء أيام الآحاد يعودان إلى محطة سانت لازار، ليستقر كل منهما في حجيرة القطار الخاص به، وليستغرق كل واحد في قراءة رواية بوليسية. وحين يصل كل منهما إلى فندقه تكون بلدته نائمة.

لم يسبق لطلاب سارتر في ثانوية فرانسوا الأول في الهافر أن قابلوا شخصاً مثله. كانوا مفتونين بهذا الرجل القصير الممتلئ الجسم، الذي حضر إلى المدرسة مرتدياً جاكيتاً قديماً من التويد - من دون ربطة عنق. وجلس على مقدمة المقعد مؤرجحاً قدميه في الهواء، وشرع ينثر الأفكار من دون النظر إلى أية كراسة وكأنه يتحدث إلى أصدقائه. لم يكن يشبه الآخرين. كان يأخذ الأفكار على محمل الجد، لكنه لم يأخذ موقعه السلطوي على محمل الجد مطلقاً. لم يرسب أحداً من تلامذته، و لم يعطهم درجات أدنى من المعدل المطلوب. حتى إنه يدعهم يدخنون في الصف.

لم يكن متعالياً، و لم يكن هناك شيء يمكن أن يشكل موضوعاً لا يثير اهتمامه. كان لديه رؤية تتلخص بأن كل شيء يخبرهم شيئاً عن الحضارة المدنية المعاصرة. كان يطلب من تلاميذه مشاهدة الأفلام. كان صوته معدنياً، لكنه واضح، مع تصور مدهش، وبطريقة مايسلب اللب تماماً. وكان مقلداً لامعاً، ومسلياً ومبتكراً إلى حد أنه يثير الضحك حتى في حصة الفلسفة.

لم يبد سارتر اهتماماً حول الأمور التي يهتم بها البالغون الآخرون. فهؤلاء التلاميذ الذين قدموا ليروا غرفته في الفندق صدمتهم بساطتها الإسبارطية (نسبة إلى إسبارطة اليونانية). وقد أخبرهم بأن لديه القليل من المقتنيات ولايهمه المكتسبات المادية. كان لديه عادات عمل منظمة، لكنه يفتخر بأنه قادر على العمل في أي مكان - في القطار، تحت الشجرة، في المقهى الصاخب.

لم يبد أنه يحب العمل في غرفته. ففي وقت الغداء يمكن إيجاده على نحو دائم تقريباً في مقهى الهافر القديمة والشهيرة «وليام تل». وفي الأمسيات يكون عادة في مقهى La grand poste حيث يتناول عشاءً بسيطاً - عادة سجق، كرنَب، بيض مقلي، جعة - ثم يخرج غليونه ويبدأ بالكتابة. كان تلاميذه يعرفون بأنه يكتب رواية تتضمن أفكاره حول الاحتمال والحرية. في بعض الأمسيات كان يجتمع مع تلميذين أو ثلاثة من تلاميذه في مقهاه. وكان يطرح الأسئلة، وكانوا يجدون أنفسهم يتحدثون حول جميع الأنواع من المواضيع. كان يشجعهم، ويجعلهم يدركون بأن لديهم خيارات. أحياناً يلعبون البوكر، أو يعلمهم الأغاني البذيئة.

أحد زملاء سارتر في التدريس جعله شديد التعلق بالملاكمة، وقد شجع سارتر تلاميذه على أن يصبحوا شركاء له في تدريب الملاكمة. وكما كان يحلو له أن يقول للآخرين: «إن واقع أني كنت أستاذهم لم يمنعهم من أن يسددوا لكماتهم إلى وجهي كلما استطاعوا».

* * *

كانت كوليت أودري زميلة بوفوار في ثانوية جان دارك في روان. وكان نيزان يعرفها من الأوساط الشيوعية، وقد تحدث حولها بحرارة أمام بوفوار. في البداية لم تكن أودري ودودة مع الباريسية الرشيقة التي دنت منها في غرفة الأساتذة وعرفتها بنفسها. لقد اعتقدت أن بوفوار بورجوازية جداً، باستثناء صوتها السريع المتلاحق، الذي لم يكن بورجوازياً على الإطلاق. وطوال أسابيع شعرت بوفوار بالخوف من هذه المرأة الشابة الواثقة التي تتنقل من مكان إلى آخر وعلى رأسها قبعة من اللباد، وترتدي بنطالاً رجالياً وجاكيتاً من الجلد، وتبدو

دائماً في طريقها إلى اجتماع سياسي. كانت أودري تروتسكية[١٠] ملتزمة، وبوفوار لاتفقه في السياسة. أودري زينت شقتها الصغيرة بعناية بالغة، وبوفوار عسكرت في غرفتها في فندق لا روشفوكو La Rochefoucauld. ولكن لم يمض وقت طويل حتى راحت المرأتان تتناولان معاً طعام الغداء بانتظام في مطعم بول، وينهيانه بلعب البلياردو الروسي في طرفه القصي، وسط الرجال، قبل رحيلهما لتحضير دروسهما لليوم التالي.

وكما صرحت أودري فيما بعد، فقد تمتعت بصحبة بوفوار، بضحكتها، وشراستها مع من أحبت أو ازدرت من الناس. وقد بدا لأودري أن لاحدود لشجاعة بوفوار وتصميمها. كانت بوفوار قد نبذت رواية وشرعت في كتابة أخرى. و لم يكن لدى أودري شك في أن صديقتها ستصبح في يوم ما كاتبة ذائعة الصيت.

عندما كان سارتر يزور بوفوار في روان، كانوا يخرجون أحياناً كثلاثي. تذكر أودري: «في الحال كنا، نحن الثلاثة، نتبادل الأفكار بسرعة كبيرة تجعل رأسي يدور أحياناً». وقد شرحت بوفوار بأن بينها وبين سارتر عقداً مبنياً «على الحقيقة وليس العاطفة». لكن أودري استطاعت أن تلمس بينهما الحنان والحب، إضافة إلى الومضات الفكرية. «كانت علاقتهما من نوع جديد، لم أر شيئاً مماثلاً لها. لاأستطيع أن أصف حتى الآن ماذا كانت تشبه حين كانا معاً. كانت قوية جداً إلى درجة أنها جعلت الآخرين أحياناً، حزانى بسبب فقدهم لمثلها».

١٠- أي من أتباع تروتسكي (١٨٧٩ - ١٩٤٠) القائد الاشتراكي الروسي الذي كان يدعو إلى ثورة اشتراكية عالمية. (المترجم)

كتبت بوفوار في مذكراتها أن سارتر كان مفتوناً بأودري، وغالباً ما كانا يناقشانها. لم تقل إن سارتر أقام علاقة قصيرة معها، وأنها وأودري كانتا، لفترة قصيرة، تغاران من بعضهما.

* * *

كان صديق سارتر الفيلسوف رايموند أرون (الذي دفع سارتر إلى الانضمام إلى الأرصاد الجوية) في زيارة قصيرة إلى باريس حين أشار إلى كوكتيل المشمش الذي يتناوله سارتر قائلاً «أنت تعلم يا صديقي العزيز، أنك إذا كنت فينومينولوجياً، يمكنك أن تتحدث حول هذا الكوكتيل وتستنتج منه فلسفة». كان أرون عضواً في المعهد الفرنسي في برلين حيث كان يدرس الـ «فينومينولوجيا» (علم أو دراسة الظواهر). وقد أكدت هذه المدرسة الفكرية، التي ارتبطت بالفيلسوفين الألمانيين إدموند هوسرل ومارتن هايدغر، أن المرء يمكنه التحدث بطريقة ملموسة حول أي موضوع. شحب وجه سارتر من الاهتياج، هو الذي لم يرد شيئاً أكثر من أن يطبق الفلسفة على الحياة اليومية.

لم يُضع سارتر الوقت، فقد قدم طلباً للحصول على منحة جامعية في المعهد الفرنسي، وقد نجح في ذلك. وفي الوقت المحدد وصل إلى برلين، في أيلول عام ١٩٣٣. كان هتلر مستشاراً وأعلام الصلبان المعقوفة ترفرف على مباني الحكومة، والنازيون يسيرون في الشوارع. في أيار، كان ثمة مشعلة أحرقت فيها كتب اليهود والشيوعيين أمام دار الأوبرا. لقد روعت النازية سارتر، لكنه كان على قناعة بأنها لايمكن أن تدوم طويلاً. كان لديه اهتمام ضئيل بالسياسة.

في تلك السنة عاش ثانية حياة جماعية مثل تلك التي تمتع بها في الإيكول نورمال. وقد قال سارتر فيما بعد عن إقامته في برلين:

«اكتشفت ثانية لامسؤولية شبابي». لكنه عمل أيضاً بجد. كان برنامجه نادراً مايتغير طوال سبعة أيام الأسبوع. في الصباحات، من التاسعة إلى الواحدة والنصف بعد الظهر يدرس الـ «الفينومينولوجيا». بعد ذلك يأخذ استراحة لعدة ساعات، يتمشى بجانب نهر سبري أو يستكشف المدينة، ويكتب رسائل. ومن الخامسة بعد الظهر إلى التاسعة مساءً يعمل في روايته. كان يكتب مسودتها الثانية.

كان طلاب المنح الفرنسيين يعيشون في فيلا فاتنة. وفي المساء كان سارتر وأصدقاؤه يلقون بأنفسهم في حياة برلين الليلية. وكان سارتر مولعاً بالأطعمة الألمانية الدسمة - لحم الخنزير والنقانق والكرنَب المملح والكاتو الغني بالشوكولاته. كما كان مولعاً بالجعة الألمانية.

كان يتوق إلى مصاحبة فتاة ألمانية، لكنه لم يكن يجيد التحدث بالألمانية. كان قد درس الألمانية في المدرسة ويستطيع قراءتها، لكنه يتحدث بها على نحو رديء. وقد كتب فيما بعد يقول: «كنت مجرداً من سلاحي، كنت أشعر بالبلاهة، و لم أجرؤ على محاولة شيء. كان عليَّ أن ألجأ إلى امرأة فرنسية».

كانت الفرنسية ماري فيل زوجة أحد زملاء سارتر في المعهد. امرأة حالمة، مخلوقاً شارداً، منفصلاً عن العالم، وقد دعاها سارتر بـ «المرأة القمرية». فبالنسبة إليه «النساء الغارقات»، كما كان يدعوهن، يمتلكن«جاذبية سحرية».

ومهما كان اعتقاد جان - أندريه فيل، عالم الرياضيات، حول علاقة زوجته بسارتر، فإن وقعه لم يكن سهلاً على بوفوار. ففي شباط عام ١٩٣٤ دبرت بوفوار لنفسها وثيقة طبية وأمضت أسبوعين في برلين المثلجة. لم يكن قد مضى عليها هناك سوى ثلاثة أيام فقط حين تسلمت

بوفوار رسالة من كوليت أودري تعلمها فيها أن المسؤولين في المدرسة يسألون عنها. وإن اكتشفوا أنها ليست في سريرها في المنزل فسوف تفصل من المدرسة. وقد ألحت عليها بالعودة، كذلك ألح عليها سارتر. رفضت بوفوار. «ارتعشتُ غضباً من فكرة أن أُجبر على تقديم تنازلات مقابل التعقُّل، وبقيت حيث أنا».

عرَّف سارتر صديقتيه إلى بعضهما. وأكد لـ بوفوار أنه على الرغم من التقارب بينه وبين ماري فيل، فهما يدركان أن علاقتهما ليس لها مستقبل. وقد عادت بوفوار إلى باريس و لم يكن ثمة مضاعفات في مدرستها.

روان هي البلدة التي وجد فيها فلوبير مدام بوفاري[١١] مدفوعة إلى الجنون بسبب الضجر. كذلك عانت دو بوفوار الكثير من الضجر. وكما أوردت في مذكراتها، فقد كانت في السادسة والعشرين، و لم يكن هناك من شيء يلهيها - «لازوج، لا أولاد، لامنزل، لامجتمع مصقول». وفي غضون ذلك كان سارتر ينعم بمكوثه في برلين، غارقاً في علاقة غرامية مع امرأة أخرى.

في أيام العطل، كانت بوفوار تنفق ثماني ساعات منعزلة في غرفتها، تقرأ وتكتب في جو أفسده الدخان. وبتوجيه من سارتر، كانت تقرأ هوسرل والفينومينولوجيا، وكانت تتلقى دروساً في اللغة الألمانية من مهاجر ألماني عرفته من خلال كوليت أودري. كما كانت تكتب رواية تستكشف فيها الصراع بين الحب والاستقلالية.

في نهايات الأسابيع، كانت بوفوار تذهب أحياناً إلى باريس لرؤية

١١- مدام بوفاري، هي الشخصية الرئيسية في رواية «مدام بوفاري» للكاتب الفرنسي غوستاف فلوبير ١٨٢١ - ١٨٨٠. (المترجم)

بيير جيل الذي تقربت منه ثانية. «اعتدتُ أن أخبره كل شيء حدث لي. وحين أكون بحاجة إلى نصيحة ألتجئ إليه. لقد وثقت كثيراً في حكمه، وقد احتل مكاناً هاماً في حياتي». كان يأتي إلى محطة سان – لازار للقائي. وقد خمنت بوفوار أنه إذا بدأت الشائعات تنتشر في روان حول كونها خليلة سيناتور ثري، فذلك بسبب أنها كثيراً ما شوهدت مع غيل، الذي تمتع بـ «حضور رائع».

في تلك السنة صادقت بوفوار واحدة من تلامذتها. وهي تلميذة في مدرسة داخلية، كان الأساتذة يدعونها بـ «الروسية الصغيرة». كانت تجلس في الخلف في حصة الفلسفة لتلاميذ البكالوريا – شاحبة، بالغة الرقة كئيبة النظرة، يتدلى شعرها الأشقر الطويل على وجهها. في البداية اعتقدت بوفوار أنها كسولة وغير مكترثة. كانت الفتاة لاتتفوه بشيء في الصف. و لم يكن هناك أحد أكثر دهشة من بوفوار حين سلمت أولغا كوزا كيفيتش أفضل مقالة في الصف عن الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت.

كانت أولغا مفتونة بمدرسة الفلسفة الجديدة، الشابة والجميلة، والتي تدخل الصف – بخلاف الأساتذة الآخرين – مرتدية ملابس أنيقة وممكيجة. وقد بدت مدموزيل دو بوفوار، التي تومض ذكاء وحيوية، عارفة بكل شيء، بدت أنها قرأت كل شيء. وهي ترسل إشارات خفية حول حياتها – السنة التي قضتها في مرسيليا، الوحدة الطويلة والمسيرات بجانب البحر، عادتها في الكتابة في المقاهي. فبالنسبة إلى أولغا فتاة السابعة عشرة، التي كانت تشعر بأنها وقعت بقسوة في فخ مدرستها الداخلية في روان، فقد مثلت بوفوار عالماً يتجاوز آفاق روان. بدت حرة تفيض حيوية.

في أحد الأيام، بعد اختبار جرى في الصف، انفجرت أولغا بالبكاء.

اعتقدت بوفوار أن الفتاة خجلة، مع شعور بعدم الثقة في إمكاناتها. اقترحت بوفوار أن تلتقيا في مطعم فيكتور يوم الأحد التالي. تحدثتا طويلاً. كانت أولغا ذكية وواضحة، لكنها بدت مشوشة وضائعة في الحياة. وقد شعرت بوفوار أن بإمكانها مساعدتها.

ساعدتها بوفوار، وأنهت أولغا سنتها الدراسية على نحو جيد، خصوصاً في الفلسفة. وقبل أن تفترقا بسبب العطلة الصيفية، قضت المرأتان أمسيات معاً، لعبتا الشطرنج وتينس الطاولة، مشتا طويلاً، وجلستا في البارات وأصغتا إلى الموسيقا. لم يكن لدى أولغا فكرة عما تريد أن تفعله بحياتها. لقد شغفت بالقراءة، واستخدمت اللغة بسهولة. أعارتها بوفوار كتبها (ستاندال وبروست وبودلير) وشجعتها على الكتابة. فقد كانت أولغا قد بدأت بكتابة قصائد نثرية.

في الصيف عام ١٩٣٤، عادت أولغا إلى منزل عائلتها في ليغل laigle، وهي بلدة صغيرة في النورماندي، في حين أمضت بوفوار عطلتها في ألمانيا ثم في كريت مع سارتر. وفي رسالتها الأولى إليها، طلبت بوفوار من أولغا ألا تدعوها «مدموزيل» بعد الآن. «أنت قريبة جداً مني ولاداعي لاستخدام هذه الكلمة الرسمية». وأضافت: «أنا متعلقة بك بشدة، لكني لم أدرك مدى هذا التعلق حتى غادرت. أشتاق إليك اشتياقاً يشبه الألم. ليس فقط لأنك واحدة من أكثر الناس الذين أعرفهم روعة، ولكن لأنك واحدة من هؤلاء الناس الذين يغنون من حولهم، والذين يتركون فراغاً كبيراً وراءهم». كتبت بوفوار عدة مرات لأولغا قائلة: إن الصيف يشجعها على التمتع باستقلالها الجديد. ((يمكن أن يكون رائعاً، أن يكون، في بعض الأمسيات، ثمة امرأة وحيدة في مقهى ريفي تأكل البيض المقلي وتصغي إلى الموسيقا الرديئة. ذات يوم سوف تعرفين هذه المسرات، أنا شديدة التوق إلى أن تختبريها)).

في شهر آب، سألتها بوفوار، «لم تمزقين الرسائل؟». «أريدك أن تعلمي أنني أهتم بكل تعبير من تعابير وجهك، وبكل إحساس من أحاسيسك، وبكل حدث في حياتك. كوني على يقين من أنك حين تجلسين لتأكلي، أن هناك شخصاً يهمه معرفة نوع الحساء الذي تحتسينه. ومن الطبيعي أن هذا الشخص يود الحصول على رسائل طويلة مفصلة».

حدثت سارتر حولها، وأخبرت أولغا: «وضعتُ خططاً للسنة المدرسية الجديدة. سنذهب معاً إلى الهافر. سنقوم بنزهات طويلة سيراً على الأقدام، وسوف نرى بعضنا دائماً».

في تشرين الأول عام ١٩٣٤، استأجرت أولغا غرفة في روان وبدأت حياتها الجديدة. حثها والداها على دراسة الطب، فشرعت تُحضِّر من أجل امتحانات القبول على الرغم من أنها لا تهتم أدنى اهتمام بهذا الاختصاص. كانت غير ناضجة من عدة نواحٍ، لكنها امتلكت قابلية غير عادية للإصغاء والفهم. وقد أكدت بوفوار لسارتر أنها اكتسبت معها إدراكاً جديداً للعالم، عالم أعاد النظر فيه بطريقة غير متوقعة فعلاً وعيٍّ صغير أصيل».

بعد عام في الخارج - دعاه« عطلة برلين» - عاد سارتر إلى الهافر، أقصر وأكثر سمنة («كنت بوذا صغيراً حقيقياً») وكانت بوفوار أسعد مما كانت سابقاً. لم يكن سارتر كذلك.

فيما بعد سيصف هذه الفترة من حياته بـ «السنوات الكئيبة»، فقد انتهت إثارة برلين، وعاد إلى مدرسته القديمة. (أخذ رايموند أرون مكانه حين كان في برلين). كان سارتر مدركاً على نحو مؤلم أن الزمن يتقدم. في شبابه المتعجرف كتب في يومياته: «إن من لم يصبح شهيراً في الثامنة والعشرين ينبغي أن يتخلى عن حقه في المجد إلى الأبد». الآن هو في

التاسعة والعشرين، وذاهب إلى الثلاثين، ولا أحد سمع به. لقد نشر بول نيزان كتاباً، أنطوان بلويه، وحصل على إطراء أكثر من كتابه الأول. كان سارتر يكتب بدأب طوال سنوات، وكل ما أنتجه كان رواية عرضها على الناشرين، ولكن من دون جدوى، وثمة مسودتان لرواية ثانية اتفق كل من غيل وبوفوار ومدام موريل على أنها مازالت في حالة غير مرضية.

فكرت بوفوار أنه من الأفضل بالنسبة لسارتر أن يكتب رواية فلسفية، ولكن كتابات سارتر حتى الآن كانت رمزية جداً وجافة وغير واضحة. ترى هل باستطاعته إيصال أفكاره عبر كتابة قصة شبيهة بالقصص البوليسية التي يعشقها، قصة تصور الحياة الحقيقية؟ أخيراً أدرك سارتر أنه كان على خطأ. وفي مسودته الثالثة، جعل أحداث الرواية تجري في الهافر، وبنى الشخصية الرئيسية فيها «أنطوان روكانتان» مطابقة لشخصيته.

حاول سارتر أن يضرم علاقته مع ماري فيل التي عادت إلى باريس مع زوجها، لكنها كانت ضاقت ذرعاً بسارتر. لقد شعرت بأنه جعل حياتها في برلين صعبة من دون داعٍ لذلك. وشعر سارتر بالإحباط بشأن كتابته وحياته وعلاقته ببوفوار. وكان هو نفسه يرغب في القول بأنها أحست الشيء نفسه.

كنا ضَجِريْن من تلك الحياة المبنية على الاستقامة والواجبات التي نحياها، ضجرين مما كنا ندعوه حينئذٍ «بنيناها». لأننا «بنينا علاقتنا على أساس الإخلاص الكلي والتضحية الكاملة، وقد ضحينا بنوازعنا، وبأي إرباك قد يتولد فينا، من أجل ذلك الحب الدائم والموجه الذي بنيناه. من حيث الجوهر، ماكنا نحنُّ إليه كان حياة الفوضى.

في أصيل يوم من أيام شهر تشرين الثاني عام ١٩٣٤، جلسا في تيراس مقهى النورس، مكانهما المفضل في الهافر. كان البحر أخضر غامقاً ومتموجاً. وكانت النوارس تدور وتزعق. بدأ سارتر بالتذمر من رتابة حياته. ما الذي حصل للامسؤولية المرحة في أيام التدريس؟ إلى أين رحلت أحلامه؟ هذا لم يكن رجل الحياة العظيم الذي كان يتوقعه. حتى الآن لم يكتب شيئاً جيداً. من هو؟ أستاذ مدرسة في مقاطعة: لقد أحب التدريس وكان مولعاً بتلامذته، لكنه يزدري المؤسسات ومديري المدارس وذوي المراتب العالية في الهيئات التدريسية والزملاء والآباء. وقد عبر لبوفوار بقوله: إن أحببت أم لا، إنهم سجناء عالم البورجوازية. إنهم يدرّسون ١٤ ساعة في الأسبوع، يقومون في كل صيف برحلات إلى الخارج، رواتبهم تضمنها الدولة. كانوا ٣٠ تقريباً، دروبهم مقدرة سلفاً. ربما كانوا متزوجين أيضاً. ما هي التجارب المثيرة التي قد تتاح لهم؟ سرعان ما فاضت عينا بوفوار بالدموع.

كان على سارتر أن يضع روايته جانباً لكي ينهي مقالته الفلسفية حول «التخيل» التي كلفته بكتابتها دار نشر أكاديمية. وقد دفعه الموضوع إلى التساؤل حول دور الهلوسة والأحلام. تحدث مع دانييل لاغاش، صديقه في الإيكول نورمال الذي تخصص في الطب النفساني. اقترح عليه لاغاش أن يأخذ عقار المسكالين[١٢] ليختبر بنفسه كيف تبدو الهلوسة. وقد حذره من أثر العقار الذي قد يكون بغيضاً، لكن تأثيره يتلاشى بعد عدة ساعات.

في شباط عام ١٩٣٥، ذهب سارتر إلى مشفى سانت – آن في باريس ليُحقن بعقار المسكالين. وطوال عدة ساعات تمدد في غرفة

١٢– المسكالين: عقار مخدر يسبب الهلوسة، يستخرج من الصبار المكسيكي. المعجم المحيط

خافتة الضوء وهو تحت المراقبة. لم يهلوس في ممر وردي كما كان يرغب، بدلاً من ذلك اتخذت جميع الأشياء اليومية التي تراءت له هيئات وأشكالاً عجيبة. غدت الساعة بومة، وتحولت مظلته إلى نسر، واعتلت زاوية عينه اليسرى سرطانات وبوليبات[١٣]. انتظرته بوفوار في منزل مدام موريل. وحين عاد في ذلك الأصيل، صُدم أصدقاؤه بحالته غير العادية. تكلم بصوت منخفض وبليد، وحدق بثبات إلى كل من سلك الهاتف وحذاءي بوفوار.

بدا سارتر طوال أسابيع، أنه لايهتم بشيء، وفي نهاية أحد الأسابيع رافقت كوليت أودري بوفوار إلى الهافر. «سرنا على طول الشاطئ نجمع نجم البحر. بدا سارتر أنه لافكرة لديه عما كنا نفعل هناك». وفي باريس ذهبا إلى معرض لوحات فيرناندو غيراسي، وطوال اليوم جلس سارتر في زاوية ووجهه بلا تعبير. وأخيراً اعترف بأنه يصارع حالة اكتئاب جدية. مازالت الرؤى العجيبة تلاحقه، فقد اكتسبت المنازل وجوهاً ماكرة، وسرطانات البحر خلفه تطارده. لم تعد بوفوار، التي اعتادت إصرار سارتر على أن العقل يتحكم بالجسد، تحتمل، وأخبرته قائلة: «الجنون الوحيد الذي لديك هو قناعتك بجنونك».

نصح أحد الأطباء سارتر بأن يتجنب الوحدة. كان يبدو بحال أفضل بصحبة الآخرين. وكان يعرف بوفوار جيداً، مما لايدعوه إلى الخروج من نفسه. ولكن مع أصدقائهما، وخصوصاً مع الشباب، كان يبذل قصارى جهده ليكون مسلياً، وبالتالي ينسى – مؤقتاً – عصابه.

ثمة عدد قليل من تلاميذ البكالوريا كانوا أصدقاء لسارتر في الهافر،

١٣- بوليبات: كائنات بسيطة أنبوبية الشكل مثل الكائنات التي تشكل المرجان. المعجم المحيط.

وكان جاك – لوران بوست واحداً من المفضلين لديه. شاب فاتن هو الأصغر بين ١٠ أطفال في عائلة بروتستانتية معروفة. كان والده قساً ملحقاً بمدرستهم. وقد عمل شقيقه الأكبر بيير، الكاتب الروائي والمسرحي، قارئاً في مؤسسة غاليمار للنشر. كان الجميع يلقب جاك – لوران، الوسيم والمفضل لدى أمه، بـ «بوست الصغير».

في روان بدأ سارتر يمضي وقتاً مع أولغا كوزاكيفيتش. لقد تمتعا بوجودهما معاً، وقد عاد ذلك بالفائدة على كل شخص. ففي حضور أولغا شعر سارتر بعودة النشاط إليه، واطمأنت بوفوار لرؤية سارتر مبتهجاً، وأحبت أولغا الشعور بأنها مرغوبة.

كانت أولغا قد واجهت الأسطورة حتى قبل أن تقع عيناها على سارتر. فقد حدثتها بوفوار عنه، وعن الثنائي الذي شكلاه. سارتر عرف ذلك. وكما كتب فيما بعد فإن علاقته مع بوفوار بدت في نظر الناس المحيطين بهما «جذابة» و«ذات تأثير ساحق». «لم يستطع أحد أن يحب واحداً منا من دون أن تستحوذ عليه الغيرة الضارية – التي تنتهي بالتحول إلى إعجاب لايقاوم – نحو الثاني، حتى قبل أن نقابلهم، على أساس تقديرات محضة.

كان الرجل الذي واجهته أولغا مغرياً وفي أفضل حالاته. فقد أضفت عليه سرطاناته هالة شاعرية. لقد استهوت أولغا فكرة الفنانين الشاذين والجنون البوهيمي. إذ تماشت مع الروح الروسية المظلمة. كذلك كان سارتر جذلان مرحاً. أحياناً كانا يمثلان معاً مشاهد قصيرة: امرأة إنكليزية طويلة تقابل مغامراً شهيراً وسط الصحراء، وهلم جرا. كان يستمع إليها طوال ساعات، يشجعها ويعرض مساعدته. وقد قالت أولغا فيما بعد: «كان فيه شيء من فارس القرون الوسطى».«كان رومانسياً جداً».

في ذلك الصيف ذهب سارتر وبوفوار للتمشي في منطقة تان شمال مونبيلييه Montpellier. كانت السرطانات تتبع سارتر على طول الدروب الجبلية. والأسوأ من ذلك، اكتشف أنه يفقد شعره. «حين لاحظ ذلك - أو بالأحرى حين لاحظت بوفوار تلك المنطقة الخفيفة الشعر في رأسه - كانت كارثة رمزية بالنسبة لي... فمنذ فترة طويلة اعتدت أن أدلك رأسي أمام المرآة: غدا الصلع إشارة ملموسة إلى أني كبرت في السن».

أفسحت السرطانات الطريق للروسية الصغيرة. فطوال سنتين، من ربيع عام ١٩٣٥ إلى ربيع عام ١٩٣٧، كان سارتر مأخوذا تماماً. وكما أورد، فإن «مزاجه الأسود الغريب تحول إلى جنون». من كانت هذه المرأة الشابة، أولغا كوزاكيفيتش، التي فتنت في البداية بوفوار ثم سارتر؟

كان والدها، الأرستقراطي الروسي، ضابطاً لدى القيصر. وكانت والدتها فرنسية، ذهبت إلى كييف لتعمل مربية في عائلة أرستقراطية، وانتهى بها الأمر إلى الزواج من أحد الأبناء. ولدت أولغا في كييف في تشرين الثاني عام ١٩١٥. وولدت شقيقتها واندا عام ١٩١٧، العام الذي نشبت فيه الثورة الروسية. وسرعان ما انضمت عائلة كوزا كيفيتش إلى قافلة النبلاء الذين خرجوا من روسيا قاصدين فرنسا.

اشترى فيكتور كوزا كيفيتش منشرة في ليغل بالنورماندي. لم يسر العمل على نحو جيد. وقد نشأت الفتاتان على سماع القصص الرومانتيكية حول البلد الساحر الذي ستظلان تعيشان فيه، القصص التي ليس فيها مكان للشيوعيين الأشرار.

منذ شهر أيلول عام ١٩٣٤، حين اتخذت أولغا لنفسها غرفة في البلدة، كانت تمضي مع بوفوار كل الوقت الفائض. وقد شرحت

بوفوار في مذكراتها علاقتهما الوثيقة عبر الخلفية الريفية التي تخبطتا فيها. وكتبت عن أولغا: «سرعان مااستحالت مشاعرها نحوي إلى قوة ملتهبة». والواقع هو، أن مشاعر بوفوار كانت قوية أيضاً. إذ أخبرت أولغا قائلة: «في الوقت الحالي، هناك في العالم شخصان فقط يؤثران في حياتي، أنت أحدهما».

رافقت بوفوار الفتاة إلى المسرح ودور السينما. شربتا كمية كبيرة من الشيري براندي في غرفتيهما. «في إحدى الليالي شربتا كثيراً، وحين غادرت أولغا ترنحت وتدحرجت إلى أسفل السلم حيث نامت هناك إلى أن أيقظها أحد المستأجرين». كانتا تذهبان أحياناً إلى بارات الرقص، وكانت أولغا، الراقصة الرائعة، تحاول تعليم بوفوار الرقص.

وصفت بوفوار تلك الليالي بعدئذ في شكل قصصي في روايتها الأولى «أتت لتبقى». تحب كزافييه، الفتاة الإغرائية الشابة، الرقص أكثر من أي شيء آخر. تقول فرانسواز، شخصية بوفوار، «إنها لم تستهجن أن يظنهما الناس سحاقيتين حين تدخلان مكاناً عاماً، فقد كان ذلك نوعاً من التصرف الصادم الذي يمتعها». وسرعان ما أخذت كزافييه هؤلاء الناس إلى باحة الرقص:

كانت، بالتأكيد، قد استمتعت بلفت الانتباه، جذبت إليها فرانسوازبشدة أكثر من المعتاد، وابتسمت لها بغنج فاضح. استجابت فرانسواز بابتسامة مماثلة. سبب الرقص دوراناً خفيفاً في رأسها. أحست بثديَيْ كزافييه الجميلين الدافئين مستندين إليها. استنشقت أنفاسها العطرة. هل كان هذا رغبة؟ لكن ما الذي رغبت فيه؟ هل رغبت في شفتيها الملتصقتين بشفتيها؟ وبهذا الجسد الذي لايُقاوَم؟

في تموز عام ١٩٣٥ فشلت أولغا في الامتحانات التمهيدية الطبية،

وأصر والداها على أن تعود إلى المنزل. عندئذ قدم سارتر اقتراحاً لبوفوار. لم لا يأخذان أولغا على عاتقهما؟ إنها لم تعر الطب اهتماماً لكن يبدو أن لديها موهبة في الفلسفة. وبرواتبهما يستطيعان أن يتحملا نفقاتها. وأن كل ما يطلبانه، بما أنها في العشرين ومازالت قاصرة، هو موافقة والديها. وعدت بوفوار، التي لم تستشعر الخطر القادم، أولغا بأنها ستساعدها جداً، «يالها من سنة ممتعة ستقضينها».

ذهبت بوفوار إلى ليغل لتقابل والدَيْ أولغا. أخبرتهما بأن أولغا ذكية وأنها تعتقد أن باستطاعتها مساعدتها. وقالت بوفوار، إن أولغا لم تقدر نفسها تماماً. وهي بحاجة إلى تحضير. لكنها إن أقدمت على فعل شيء تحبه، فسوف تفعله بنجاح.

كانت مارتا وفيكتور صريحين حول قلقهما. أنهما لايعرفان ما الذي سيفعلانه مع أولغا. إنها لم تفعل شيئاً. لاشيء يهمها. وحين حاولا التحدث معها حول مستقبلها، قوبلا بلامبالاة تامة. وقالا إن أولغا أمضت الصيف تحلم. تدندن لنفسها ثم تنهض وترقص بضع دقائق. تقرأ قليلاً، لكن لاتبذل جهداً كبيراً. كانت تلعب التنس، ثم تشرع في مسير طويل. على الأقل، قلت ثوراناتها، عما كانت عليه في السنة الفائتة. وقد اعتقدا أن مدموزيل بوفوار ربما كانت على صواب: فهي الشخص الوحيد الذي يمكنه منحها إحساساً بالهدف. وإن استطاعت بوفوار دعم أولغا، فسوف يكونان شاكرين بعمق. وقد كتبت مارتا كوزاكيفيتش لبوفوار تقول: «لاأستطيع أن أدرك إلى أي حد تستطيع ابنة العشرين تقبل الهبة الجميلة التي تقدمينها إليها». «أريد منها أن تُظهر استقلالية أكبر».

كانت بوفوار قد انتقلت إلى فندق الخروف الصغير، وهو مكان فاتن ذو دعامات خشبية مكشوفة، ونوافذ زجاجية، وأثاث قديم لكنه

جميل. وفي تشرين الأول عام ١٩٣٥ استأجرت غرفة هناك لأولغا. اشترت لها هي وسارتر رفاً ملأاه بالكتب الفلسفية. وحددا لها جدول عمل.

كان ذلك بداية «الثلاثي». فجأة ارتكزت علاقتهم على أساس مختلف تماماً. كانت بوفوار، في الأصل، معلمة أولغا، ثم أصبحتا صديقتين، وأحياناً عشيقتين. وكان سارتر قد أغوى أولغا أيضاً، والآن غدا أستاذها. وقد اعتمدت أولغا، مالياً عليهما. وكانت مشاعرها نحوهما مزيجاً من الامتنان والاحترام والتمرد والاستياء. فقد تكشفت مظاهر السلطة عن متمرد.

كتبت بوفوار: في البداية اكتسب الثلاثي بريقاً سحرياً:

كانت أولغا تفتح بابها لنا باحتفال، وتقدم لنا الشاي بالياسمين والساندويتشات التي صنعتها بطريقتها الخاصة، وتروي لنا قصصاً حول طفولتها، وحول الريف اليوناني في الصيف. وكنا نحن أيضاً نخبرها عن رحلاتنا. وكان سارتر يغني مخزونه الكبير من الأغاني. كنا نبتكر مسرحيات. وبوجه عام كنا نسلك معها كما لو كنا في العشرين.

في مجال دراسات أولغا، لم يكن سارتر وبوفوار واقعيين. فقد توقعا أن تدرس وحدها من دون أصدقاء من الطلاب، ومن دون دعم الحياة الجامعية. لكن أولغا افتقرت إلى الحافز في أفضل الأوقات. كانت بوفوار تعرف حدود أولغا، فتكف عن تدريسها بعد ساعة ونصف. أما محاضرات سارتر فتستمر من دون توقف طوال ثلاث ساعات، فتبدأ أولغا بالنوم، فيوبخها سارتر. إن اللوم المتكرر كان له أثر في تعطيل أولغا. فتناقص نشاطها تدريجياً. وبعد عدة شهور أُجبر سارتر وبوفوار على إهمال خطتهما.

تابعا دعمهما لأولغا مالياً. ومن الآن فصاعداً، بددت أولغا وقتها في النوم والاستماع إلى الموسيقا والرقص، قلقة على مستقبلها، متخذة طريقاً عبر قواعد مستحيلة ومتناقضة -صديقة وعشيقة ومصدر وحي وتحت الحماية - فرضها عليها اثنان أكبر منها، وأقوى شخصية منها.

في السنوات التي تلت، وفي واحدة من المناسبات النادرة، قبلت أولغا كوزاكيفيتش إجراء مقابلة علقت فيها قائلة: كنا، أنا وشقيقتي واندا وجاك - لوران بوست غائصين في إرشادات اثنين من العظماء. «كنا مثل الأفاعي المنومة مغناطيسياً». «نفعل ما يريدان لأنه لاأهمية لماذا، كانت تهزنا رعايتهما. وكنا محظوظين بالظفر بتلك الرعاية».

وقد راقبت كوليت أودري من بعيد. «رأيت مايكفي لأدرك أنها كانت تجربة شنيعة لأولغا». «كانت الفتاة المسكينة صغيرة جداً لتعرف كيف تصون نفسها حقاً».

في ذلك الوقت، فهم سارتر «الأصالة» على أنها خالصة، وعفوية طائشة - قابلية أن تكون مأخوذاً، كلية، بعاطفة فورية. على هذا الأساس استنتج أنه لم يكن أصيلاً. كتب في يومياته: «في كل ما أحس به، حتى قبل الإحساس به فعلاً، اعلم أني أعرفه». «عندئذ، مقيداً بتفكيري به وتحديدي له، لا أعود إلا شبه شاعر به... استغفلت الناس: أبدو مثل شخص حساس، لكني متبلد الحس... أدرك ذلك - وأنا دائماً متعب منه». لقد ظن أن هذا كان مصدر جاذبيته لـ «إذهال النساء» - النساء المترددات، المرتعشات اللواتي شعرن بعاطفة قوية، واللواتي نادراً ما استطعن الإفصاح عن مشاعرهن.

بالنسبة لسارتر، مثلت أولغا الأصالة المتطرفة. وتفلسف حول حريتها، كانت أولغا هي الحرية. وكان، على الدوام، يحلل تصرفه،

أما هي فقد جرفتها الأحاسيس العنيفة الخالصة. وفي حين أعد نفسه للمستقبل، عاشت أولغا الحاضر، رفضت أن تضع خططاً، وازدرت الروتين والمسؤوليات والواجبات الاجتماعية. وقد أرعبتها عادات عمل سارتر وبوفوار الممنهجة. كانت تنفق، بسعادة، ثلاث ساعات وهي تغسل شعرها بمح البيض. واتخذت قوة إرداتها دائماً شكل الرفض. رفضت النوم، محتسية الشاي طوال الليل لكي تظل مستيقظة، أو رفضت أن تأكل خوفاً من أن يزداد وزنها. شغلت صحتها وحميتها وجسدها أكبر اهتماماتها.

نرجسيتها فتنت سارتر. كان ثمة أوقات شعر فيها برغبة عنيفة بأن يكون هي، «أن يشعر بتينك الذراعين النحيلتين من الداخل». لقد رأى جسده من خلال عينيها. وحين عاد سارتر من برلين سخر غيل من كرشه. في ذلك الوقت وجد ذلك مضحكاً. لم يعد كذلك. كان السمان من الناس يروعون أولغا. كذلك كان سارتر يشعر بالألم من تساقط شعره.

فيما بعد كتب سارتر: «إنني أقيمها عالياً جداً... إذ شعرت، لأول مرة في حياتي، بالذل، وبأني منزوع السلاح أمام شخص». لقد أهمل عقلانيته المتطرفة واتجه بتوق نحو الشغف. «دخلت في عالم أكثر ظلمة، لكنه أقل تشويقاً».

بمرور الزمن شعرت بوفوار بالثلاثي يكتم أنفاسها باطراد. كان هيام سارتر في برلين، على الأقل، خارج مرأى بصرها. أما مع أولغا فقد «اختبر سارتر مشاعر الخوف والاضطراب والنشوة».وكان سارتر يبوح بسره جيئة وذهاباً إلى بوفوار. كتبت تقول: «الألم الذي تولد في داخلي كان أكثر من مجرد غيرة».

كان سارتر عازماً على أن يحل محل بوفوار في حياة أولغا، وقد تركته بوفوار يفعل مايشاء، إذ لم تكن تتحمل النزاع بينها وبينه. حاولت أن ترى الأمور من خلال عيني سارتر، لكن سرعان ماأدركت أنها وسارتر لم يريا الأمور بالطريقة ذاتها. ففي حين كانت ترى سلوك أولغا شيئاً يشبه سلوك الأطفال، كان سارتر يأخذ كل نزوة من نزوات أولغا بجدية. وطوال سنتين، كان ثمة مشاجرات ومصالحات وجدت بوفوار نفسها فيها وسط وضع لا تحسد عليه. فإن انحازت إلى أولغا، استشاط غضب سارتر. وإن انحازت إلى سارتر، حردت أولغا طوال يومين.

في اللحظات التي كان سارتر يبدو فيها غريباً تماماً عنها، تحاول بوفوار مواساة نفسها في التفكير بأن علاقته بأولغا هي سراب، مثل السرطانات. ولكن إن كان الأمر كذلك، فما الذي قيل حول علاقتها الخاصة به؟«أحياناً، كنت أسأل نفسي ما إذا كانت سعادتي كلها لم ترتكز على كذبة هائلة».

في السنوات التي تلت، رسم كل من سارتر وبوفوار صورتين روائيتين لأولغا. في رواية سارتر «سن الرشد»، ماثيو دولارو في الرابعة والثلاثين من عمره يعمل مدرساً للفلسفة في باريس. أصلع وله كرش، يظل يردد بينه وبين نفسه بقرف «أصبحت مسناً». كان ملازماً لصديقته مارسيل طوال سبعة أعوام. إنها «رفيقته وشاهدته ومستشارته وناقدته». وكان بينهما اتفاقية، أن يخبرا بعضهما بكل شيء. لكن ماثيو واقع في حب إيفتش Ivich. وهي امرأة شابة شقراء شاحبة وضئيلة، ابنة عائلة روسية أرستقراطية، تفوح من شعرها رائحة مح البيض.

اعتاد ماثيو أن يحلل شخصيات الناس. وهو لم يستطع أبداً نسيان نفسه. وقد مر وقت طويل منذ أن نسي نفسه أثناء مضاجعته مارسيل. أخبرته أن هناك شيئاً عقيماً إلى حد ما في الطريقة التي يفكر فيها. «كل

شيء مرتب ونظيف جداً في عقلك. يفوح برائحة الملابس الكتانية النظيفة، وكأنك خرجت تواً من غرفة التنظيف».

إفيتش عاطفية ونزواتية. ويتوق ماثيو لمعرفة كيف يبدو العالم من داخل رأسها. وقد أخبرها قائلاً: «إن قيض لي أن أُمنح أمنية، فهي أن تُجبَري على التفكير بصوت عالٍ».

لقد أفزعه حكمها. أخبرها قائلاً: «اعتدت أن تنظري إلى مافوق الجبين على مستوى الشعر». «لطالما توترت من إصابتي بالصلع... اعتقدت بأنك لاحظت البقعة القليلة الشعر ولم تستطيعي إبعاد عينيك عنها». وحين كانت تنظر إلى رجل آخر تأكله الغيرة. ويقول في نفسه إنه لايستطيع تحمل الحياة من دونها.

اعترفت بوفوار بصراحة أن روايتها «أتت لتبقى» قريبة جداً من الواقع. فعلى الرغم من التفصيلات الروائية الطفيفة، تقدم الرواية بحوارها الغني، صورة مفعمة بالحيوية لتجربة الثلاثي، أعمق بعداً من مذكرات بوفوار.

بيير وفرانسواز، مفكران منغمسان في عالم المسرح بباريس، يعيشان علاقة مفتوحة، ويخبران بعضهما بكل شيء. في بداية الرواية، يقول بيير إنه تعب من جميع علاقاته التي تسير إلى لامكان. ويقول لفرانسواز: « باستثناء علاقتي معك، كل شيء حولي تافه ويؤدي إلى الضياع.

قال بيير: « لم أعد استمتع بهذه العلاقات. ليس كما لو أني كنت شهوانياً كبيراً، لا أملك حتى ذلك المبرر!» ينظر إلى فرانسواز بحياء: «الحقيقة هي أنني طُردت من المراحل الأولى».

كزافييه الشابة، صديقة فرانسواز، على وشك العودة إلى عائلتها في

روان. يقترح بيير على فرانسواز: أن «يشرفا على رعايتها». يشكلوا ثلاثياً. وسرعان مايبرز عصاب بيير في المقدمة. يقول بيير:

إنه لشيء مضحك جداً، إنها في الواقع تضايقني، تلك الشيطانة الصغيرة، بفلسفتها التي تجعلنا أدنى من التراب. يبدو لي إنني إذا استطعت أن أجعلها تحبني، فسأكون على يقين بأني مازالت كما كنت من قبل... إن جعلها تحبني يعني الهيمنة عليها، ودخول عالمها وغزوها وفقاً لقيمها». ابتسم وقال: «أنت تعرفين أن الحاجة إلى هذا النوع من النصر هو هوس عندي!». «أعرف»، قالت فرانسواز.

إن الانحراف الوحيد المتطرف للرواية عن الواقع هو النهاية. تذهب فرانسواز إلى فرن الغاز في غرفة كزافييه - كانت كزافييه على وشك أن تنام - وبهدوء تفتح مفتاح الغاز. إن الجريمة، من الناحية السيكولوجية، غير مقنعة أبداً، وقد أفشلت الرواية لكنها أظهرت حاجة بوفوار إلى التخلص من منافستها. والمدهش هو أن بوفوار أهدت الكتاب إلى أولغا كوزاكيفيتش.

ضمن ألاعيبهما المتنوعة المبتكرة، اعتاد سارتر وبوفوار أن يستعيدا في ذهنهما شخصية أطلقا عليها اسم «الرأس الصغير» - إنسان وسيم، مستقيم الأخلاق، رجلُ فعلٍ أكثر منه رجل كلام، يفكر قليلاً ويتكلم قليلاً، ليس لديه طموح ولارغبات. وحين انضم بوست الصغير إلى حلقتهم، سخرا، إذ تجسد الرأس الصغير مادياً في الحياة الواقعية. قال سارتر لبوفوار «خفيف حضور ذلك الشاب، تشعرين بما يشبه انسحاب نسمة هواء حين يخرج».

كان بوست الصغير طويلاً ذا شعرٍ أسود فاحم ينسدل على وجهه، وعينين خضراوين تؤطرهما أهداب سود، وابتسامة متألقة. لم يكن يلفت

نظر الآخرين إليه أبداً، ولايحب التحدث حول نفسه. وقد عزا سارتر وبوفوار تحفظه واستقامته إلى تربيته البروتستانتية الهوغونوتية[١٤]. لم يكن لديه عقل مبدع، ويخشى دائماً أن يقول شيئاً غبياً. لكنه يصبو إلى أن يصبح كاتباً مثل سارتر المتعلق به تعلقاً شديداً.

في تشرين الثاني عام ١٩٣٥، حصل مارك زورو Marc Zuorro على منصب تدريسي في روان، وانضم إلى حلقتهما. كان صديقاً لبيير غيل ومدام موريل. وعلى مدى سنين التقى به سارتر وبوفوار في باريس. كان زورو، أيضاً، شخصاً وسيماً. كان يملك صوتاً غنائياً جميلاً، ويؤمن بشدة أنه سيغدو يوماً ما مغنياً أوبرالياً شهيراً. ومن علياء مستقبله الشامخ كان ينظر إلى العالم، يسخر من كل شخص، بضمنهم سارتر وبوفوار، اللذان ظهرا أنهما يطاوعانه في قدراته المتوسطة. «وعلى الرغم من هذا كان يتظاهر بمعاملة أصدقائه بمراعاة كبيرة. كتبت بوفوار: «كنا نتسلى بولعه بالتآمر، وبحماقاته، وبترويجه للفضائح».

حذرت بوفوار أولغا قائلة: «سوف يوقعك زورو الوسيم في أشراكه القذرة». بالفعل، سرعان ما انضم زورو إلى جو التوتر والغيرة الذي كان ينمو مثل العليق الكثيف حول الثلاثي. انتقل إلى فندق «الخروف الصغير» وعقد صداقة مع أولغا. عرف زورو أن سارتر مهتم بها أكثر مما هو في العلن. وقد حثته روح المنافسة على المضي قدماً في مخططه. أسمع أولغا تسجيلاته الكلاسيكية. وفي الشارع كان يغني لها آريات من الأوبرات. وكانت القصص التي قصها عليها أغرب من قصص سارتر.

راقب سارتر الاثنين ينطلقان خارجاً يداً بيد، وغدا غيوراً على نحو وحشي، وقد بذلت بوفوار قصارى جهدها لتهدئته.

١٤- الهوغونوتيون: البروتستانت الفرنسيون (المترجم).

تابع سارتر وبوفوار، كل سنة، طلب الحصول على منصب تدريسي بباريس. بوفوار، التي أدركت أن فرصها في العيش بالفنادق، وفي مرافقة تلميذتها السابقة، إلى بارات الرقص القذرة، باتت قليلة، أُصيبت بالدهشة حين عُرض عليها، في مستهل صيف عام ١٩٣٦، منصب تدريسي في ثانوية موليير للبنات في الدائرة السادسة عشرة التابعة لباريس. كذلك نُقل سارتر، ولكن إلى مدرسة في لايون Laon. التي تبعد عن باريس مسافة ساعة بالقطار السريع. لقد تعمد سارتر قبول هذا العمل المتواضع أملاً في الحصول على فرصة أفضل لنقله إلى منصب في باريس العام القادم.

انتقلت بوفوار إلى فندق رويال بريتان في شارع دولاغيتيه قرب محطة مونتبارناس. كذلك انتقل زورو، الذي حصل على منصب في باريس، إلى فندق أغلى قريب من شارع ديلامبر. وذهب بوست الصغير لدراسة الفلسفة في جامعة السوربون، وعاش في شقة أخيه بيير في بلاس – سانت جيرمان – دي بري.

أصر سارتر على بوفوار أن تجلب «ابنة عائلة كوزاكيفيتش» إلى باريس. كان أمل بوفوار ضعيفاً في أن يسمح والدا أولغا لابنتهما بالعودة إلى ليغل. لكن أولغا في الحادية والعشرين تقريباً، وهي تتوق إلى الانتقال إلى مدينة كبيرة. استأجرت لها بوفوار غرفة صغيرة في رويال بريتان، ووجدت أولغا عملاً بدوام جزئي بصفة نادلة. أمضى سارتر كل لحظة من وقته الفائض في باريس. ودائماً ماكان يقضي ليالي كاملة مع أولغا، يتجولان في شوارع باريس حتى الفجر.

لقبا نفسيهما بـ«العائلة». ومثل معظم العائلات. كانت عائلتهما حافلة بالتوترات والمنافسات. كان هوس سارتر بأولغا مدمراً لأناه. فقد أخبرته باستمرار أنها ليست واقعة في حبه. ونادراً ماتدعه يلمسها.

وطوال أكثر من سنتين انتظر بفارغ الصبر باذلاً جهوداً كبيرة لإغوائها. أحياناً، حين تكون دفاعاتها هزيلة، يخطط لتقبيلها. لكن أولغا لم تنم معه أبداً.

في روان أظهر زورو الكثير من التودد لأولغا. وفي باريس أدرك زورو أخيراً أنه كان مثلياً. كان شديد التحمس لـ بوست. والآن أعلن أن بوست كان شغفه السرمدي.

ارتبك بوست - فهذا الشغف لم يكن متبادلاً - وبدأ يبتعد عن زورو. كذلك كانت أولغا تتوارى عن أنظار سارتر في تلك الأيام. وكان بوست وأولغا حذرين على الدوام من بعضهما. إن إعجاب بوست الشديد بسارتر كان واحداً من الأمور التي تبعدهما عن بعضهما. لكن الأمور الآن اتخذت منحى مختلفاً.

في إحدى الأمسيات كان زورو يختلس النظر من خلال ثقب مفتاح غرفة أولغا في رويال بريتان، فشاهد ماكان يخشى منه تماماً: بوست وأولغا مشتبكين في عناق. وفي عيد الميلاد، رافق زورو سارتر وبوفوار للتزحلق على الثلج. وقد تشارك الثلاثة في غرفة واحدة بالفندق (غرفة عارية وباردة جداً، بثلاثة سرر). كان زورو يبكي حتى يغلبه النعاس، حتى سارتر ذرف بعض الدموع في هذه العطلة.

طوال الشهور التي تلت، كان زورو يتنقل غاضباً ناشجاً، يطوف مونتبارناس وفي جيبه مسدس. وعانى سارتر غيرة ضارية أقسى مما اختبره من قبل. لم يذع أبداً مشاعره الحقيقية تجاه أولغا. وكان يتظاهر وكأنه غير مكترث. حتى إنه شجع بوست. وبحسب بوفوار، كان في حالة غضب ويأس.

الذي جعل الأمور أسوأ، أسوأ بكثير، كان رفض مؤسسة غاليمار

لرواية سارتر «كآبة» «رواية الغثيان لاحقاً». كان قد عمل بها طوال أربع سنوات، وراهن عليها بكل شيء. وبتشجيع من بوفوار ونصيحتها، أعاد كتابتها ثلاث مرات. وكانت على قناعة بأنها أصبحت رواية من الطراز الأول. كان سارتر محطم القلب.

بحلول شباط عام ١٩٣٧ كانت بوفوار محتارة في أمرها. كانت تمارس عملاً شاقاً - معظم الصباحات في المدرسة من الساعة الثامنة والنصف، وفي وقتها الفائض تحاول أن تنهي مجموعة من القصص القصيرة - وتشعر بإرهاق غريب. ففي إحدى الأمسيات، وكانت تشرب خمراً مع بوست في مقهى في مونتبارناس، أصابتها رعدة تغلغلت في داخلها. وقد أمضت بضعة أيام في الفراش تتعرق وتعاني الآلام. كانت تشعر في كل يوم أنها أضعف من اليوم الفائت. في النهاية ذُعر طبيبها. أُخذت في حالة إسعاف إلى مشفى في سانت - كلود في طرف باريس.

ثبت في النهاية أنها مصابة بذات الرئة. انهارت إحدى رئتيها، والأخرى لحقها الضرر. إن فشلت الرئة الجيدة، فسوف تموت. وطوال أسابيع كانت بوفوار في حالة بين الوعي واللاوعي، ساكنة بين الملاءات، وحولها الممرضات، منتزعة من أزمات الثلاثي اليومية.

كانت والدتها تزورها كل صباح. وأولغا ومدام موريل في الأصائل. وحين يكون سارتر في باريس، كان يراها كل يوم. حنانه وقلقه أعادا إليها الطمأنينة. لكنه ظل مشغول البال. كتب فيما بعد «كانت آخر مرحلة من مراحل هيامي بأولغا». «كنت عصبي المزاج ومضطرباً، اعتدت كل يوم انتظار لحظة رؤيتها ثانية - ومابعد تلك اللحظة أنتظر من أجل نوع من المصالحة المستحيلة. وكان مستقبل تلك اللحظات التي أمضيتها في محطة سانت - كلود منتظراً القطار، هو ذلك الحب المستحيل».

أراد طبيب بوفوار إرسالها إلى مصح. وأرادت هي أن تمضي نقاهتها في باريس. وافق الطبيب بعد ممانعة. نقلها سارتر إلى فندق أكثر راحة، إلى الفندق الذي يقيم فيه زورو. وخلال عطلة عيد الفصح، حين كان سارتر في باريس، حمل إليها طعام الغداء، متحاشياً إسقاطه في الطريق.

في ذلك العيد، عام ١٩٣٧، قدمت واندا، شقيقة أولغا، لزيارة باريس. لقد ازدادت جمالاً عما قبَل. وفي حين كانت أولغا رقيقة ولبقة، كانت واندا ممتلئة الجسم وجميلة. لكن وجهها كان مميزاً. وبخلاف شقيقتها، كانت لاتنطق بوضوح. «كانت حالة مرضية» وفق ماقالت بعد سنوات. «لم أستطيع التحدث، خصوصاً مع سارتر». كانت مراهقة من الريف، وهذه كانت باريس، العاصمة المرعبة، وكان هناك سارتر، وهو مرعب أيضاً، الذي لايتوقف عن الحديث، لقد شعرت بأنها خارجة تماماً عن وسطها.

في أحد الأيام، بينما كانت أولغا تعتني ببوفوار، اقترح سارتر على واندا الذهاب معاً ليريها مونتمارتر. كانت مشّاءة جيدة وتستطيع المشي بسعادة عدة كيلومترات، لكن سارتر أرهقها في ذلك اليوم. أخذها إلى مكانه المفضل (المقهى الأحمر). في هذه الأثناء اقترح عليها أن يمثلا أدواراً واقعية. ستلعب دور والدته، وسيلعب دور ابنتها. تتذكر واندا «صُدمت برعب».

إن ذكرى ذلك الأصيل ظلت تسبب لواندا الرعدة وهي في السادسة والخمسين. فأثناء عودتها إلى المنزل في سيارة أجرة، وضع سارتر ذراعيه حول كتفيها، ثم جذبها نحوه وطبع قبلة على شفتيها. وقد روعت واندا العذراء ذات العشرين عاماً.

ظلت واندا طوال ماتبقى من العطلة تخشى أن تقابل سارتر مصادفة في الشارع. كانت تختبئ في غرفة شقيقتها، رافضة الخروج. وكانت

أولغا غاضبة من سلوك سارتر إزاء شقيقتها. وبعدما عادت واندا إلى ليغل، واجهت أولغا سارتر بشأن ماحدث.

بعث لواندا رسالة قاسية طلب منها أن تهدأ. إذ سوف لن يراها هي وشقيقتها الأكبر. وإن شاء لهما القدر أن يجتمعا في الشارع، فسوف ينتقل إلى الجانب الآخر من الشارع. ألهذه الدرجة أفسد عطلتها في باريس؟ لقد أفسدت عطلتها بنفسها! أوعلى الأقل، شقيقتها فعلت ذلك بإخبارها جميع الأمور البغيضة حوله. فهو لم تكن لديه أدنى نية في لعب دور الغاوي. فذلك الدور لايناسبه، هو يعرف ذلك مسبقاً. إن حصل أي شيء، فهو أنه أصبح برماً، من دون ريب، من فكرة أخذها في جولة. وهو لم يكن يتصور للحظة أنها أحبته.

فقدت بوفوار، مع رئتها المنهارة، فصلاً كاملاً من الفصول الدراسية. كانت طوال أسابيع طريحة الفراش. وقد كتب لها سارتر رسائل رقيقة. «هل تشعرين بتحسن، هل ثمة ورود في وجنتيك؟» لاتنسي أن تتمشي حول مقعدك، وحين يصيبك التعب عاودي الجلوس».

كان زورو وبوست هما اللذان أخذاها إلى الخارج أول مرة. «مشَّياني حتى حدائق اللوكسمبورغ، كل منهما ممسكٌ بذراعي». غمرني الهواء الطازج وضوء الشمس، وبالكاد استطعت الحفاظ على توازني».

كانت ماتزال ضعيفة ونحيلة، حين أخذت القطار في منتصف نيسان قاصدة الجنوب للنقاهة في الجو الدافئ. وفي بلدة ريفية صغيرة، أكلت بشراهة الطعام الجيد، واستلقت تحت الشمس تقرأ قصصاً قصيرة لفوكنر. وبعد عدة أيام شرعت بالمشي. ألح عليها سارتر بألا تتعب نفسها. «كلي جيداً عزيزتي بيفر، أديري ظهرك للبحر، سيري مسافة ثلاثة كيلومترات، ثم استريحي».

من لايون laon، كان سارتر عازماً على إغواء واندا، على الرغم من تصريحاته. كان يعمل كل يوم على قصصه القصيرة، ثم ينفق ساعة إلى ثلاث ساعات يكتب إلى «كوزاكيفتيش الأصغر». ونحو نهاية نيسان أخبر بوفوار بأن ثمة رسالتين في صندوق بريده:

رسالتك قصيرة جداً عزيزتي بوفوار، لكني قرأتها بمنتهى السعادة. رسالة واندا كانت أطول (تقريباً مثل سابقتها) وجذابة جداً. تبدو تلك الفتاة كسولة لكنها ذكية جداً، لأن كل رسالة من رسائلها تظهر تقدماً أكثر من سابقتها. سأرسل لك في أقرب فرصة ما أجبته عليها.

بعد سنوات، أخبر سارتر كاتب سيرته جون غيراسي (ابن فرناندو وستيفا) أنه حين ذهبت أولغا مع بوست عانى طوال ستة أشهر آلام الغيرة المبرحة. ولكي لايستسلم لليأس، أحس بأنه مجبر على تكوين علاقة رومانسية مع واندا شقيقة أولغا.

سأله غيراسي: «لم أحسست بأنك مجبر؟».

أجابه سارتر«لأن المرأة التي أحببتها رفضتني». «أنت ترى أنهما متشابهتان، وبالتالي كان يجب أن تكون هي. لا يمكن أن تكون أي واحدة أخرى سوى هذه الأخت».

-٤-

توقع الحرب

أيار ١٩٣٧ - أيلول ١٩٣٩

في أيار من عام ١٩٣٧، انتهت على نحو مفاجئ سنوات سارتر الكئيبة. «كل شيء بدأ يبتسم لي». وقد أعلم بوفوار، التي مازالت في طور النقاهة بالجنوب، أن مؤسسة غاليمار قررت نشر روايته «الغثيان». «اليوم تمشيت في الشوارع مثل كاتب». وستظهر واحدة من قصصه القصيرة في عدد الصيف من Nouvelle Revue Française ذات المكانة العالية. وحصل أيضاً على منصب تدريسي جديد. فبعد ثماني سنوات من النفي في بلدات مختلفة - ثماني سنوات من التسكع على أرصفة محطات القطارات - سيكون هو وبوفوار في باريس.

في الصيف، أمضيا ستة أسابيع في اليونان، ثلاثة منها بصحبة بوست. ناموا في العراء. تسابق سارتر وبوست على أدراج الأكروبوليس الرخامية. قصدا جزر السيكلاند على متن زوارق عتيقة. وقد خططت بوفوار لرحلات مجهدة، وافق سارتر على معظمها. اعترفت بوفوار بأنه حين لايوافق، كانت على استعداد لذرف «دموع الغضب الخالص». في جزيرة سانتوريني، انطلقوا في مسيرهم الطويل الذي لن ينسوه أبداً.

كانت الشمس تتوهج بقساوة، وحين وصلوا إلى أطلال ثيرا القديمة كانوا ظمأى ومتعبين. عندئذ كان عليهم السير نصف الطريق عبر الجزيرة لأخذ الباص للعودة. كانت القشة الأخيرة، حين ضلوا الطريق، وفقدوا اتجاههم. عندئذ قذف سارتر، في نوبة غضب حادة، بنطاله القصير وقال: «هذا نوع رائع من أنواع القبرات. أتيت إلى هنا لأقوم بجولة كبيرة، والآن جعلتموني عضواً في جمعية كشفية». استطاعوا الوصول إلى قرية في إيمبوريو، وتعثروا في طرقات شديدة الحرارة، وطرقات مغلقة، باحثين عن مكان ليأكلوا فيه. شعروا بأنهم نصف أموات.

أحياناً كان بوست وبوفوار ينطلقان وحدهما، يستكشفان أو يسبحان، في حين يجلس سارتر في مقهى ليعمل. في ذلك الصيف كتب لـ واندا كل يوم - مئات الصفحات - النابضة بالحيوية، رسائل فكهة مفعمة بالرقة.

في حين سافرت بوفوار إلى الألزاس لقضاء عشرة أيام مع أولغا، عاد سارتر إلى باريس للبحث عن غرفة. كان فندق بوفوار رويال بريتان ملآن كغيره من الفنادق في مونتبارناس، وقد سر سارتر حين اكتشف فندق ميسترال في شارع سيلز، شارع صغير بين حي دومين ومقبرة مونتبارناس. وقد أخبر بوفوار: «لا يبدو واعداً جداً، بدرجه البالي وصالاته المليئة بالعث، لكن الغرف واسعة ونظيفة ومفروشة جيداً، مع صوفا وسجادة ورفوف كتب على الجدران».

حين عادت بوفوار إلى باريس، انتقلا إلى الفندق الجديد، واستأجرا غرفتين، في طابقين مختلفين. كتبت بوفوار في مذكراتها: «وهكذا امتلكنا جميع ميزات الحياة المشتركة، من دون عوائقها ومزعجاتها».

كانت المقاهي المفضلة لديهما هي: دوم، كوبول، سيليست – وهي قريبة من بوليفار دو مونتبارناس. وستصبح هذه المقاهي في السنوات التالية أليفة بالنسبة إليهما كغرفتيهما. كتب سارتر: «ما لم يضجرني أبداً، هو الجلوس على كراسٍ لا تخص أحداً (أو، إن أحببت، تخص الجميع)، أمام طاولات لا تخص أحداً: لهذا السبب أذهب إلى المقهى لأعمل – أحقق نوعاً من العزلة والتجريد».

الآن وقد عاشا في ذات المدينة، توجب عليهما أن يحذرا من أن يتطاول أي واحد منهما على فضاء الآخر الخاص. كانت أيامهما مبرمجة بصراحة. عموماً، لم يريا بعضهما قبل الذهاب إلى المدرسة. فعادة ما يكون سارتر حاد الطبع في بداية صحوه، ويفضل أن يكون وحده عند الإفطار. «بالكاد أستطيع أن أتحمل أحداً، حتى بوفوار ». «كنت معروفاً، حين كانت تنتظرني عند الرالي، بدخولي السريع إلى مقهى الفرسان الثلاثة، وتناولي بسرعة القهوة والكرواسان لكي أبقى للحظة مستغرقاً في ذاتي وفي أحلام الليلة الفائتة». كانت الكتابة في ساعات الأصيل مقدسة لدى كل منهما. وكانت أوقات الغداء والأمسيات، بعد الثامنة، مكرسة للاختلاط بالآخرين. منذ زمن بعيد، اتخذا قراراً مفاده أن شكل التواصل الأكثر إقناعاً هو أن يكونا «وجهاً لوجه». فإن كان سارتر يأكل مع واندا في الكوبول، أو إذا كانت بوفوار مع أولغا في الدوم، فلن يكون هناك مشكلة أمام الآخر للانضمام إليهما بعفوية. وكانت حدود الوقت بالغة القداسة بالنسبة إليهما. ودائماً ما كان أصدقاؤهما يتذمرون من انسحابهما المتوقع حين يأزف الوقت.

كان سارتر يدرِّس في ثانوية باستور في نيولي، وهي المنطقة الغربية الغنية من باريس، والقريبة من منزل والدته في باسي. وقد أرادت والدته آن – ماري أن يتناول طعام الغداء في بيتها كل يوم، بعد انتهاء يومه

في المدرسة، لكنه لم يكن يستطيع تحمل زوج والدته المزعج. «أقنعت والدتي بأنه يكفي أن آتي للغداء كل ثلاثاء، وللعشاء كل مساء أحد».

كانت بوفوار ترى والديها قليلاً، و لم تكن تستمتع بزياراتها لهما. فقد غدا جورج دو بوفوار أقسى وأكثر خيبة من حياته، ودائماً مايبدي ملاحظات حول كتابة سيمون التي لن تجد ناشراً لها، وحول علاقتها الحرة المشينة بسارتر. كان يشتمها قائلاً: «لن تساوي أكثر من عاهرة حقيرة».

نُشرت رواية«الغثيان» في نيسان عام ١٩٣٨ ، وأهداها «إلى بيفر». وقد وصفتها مجلة الأخبار الأدبية بأنها « واحدة من الأعمال المتميزة في عصرنا». وقد حيا نيزان (الذي كانت روايته الثالثة «المؤامرة» تنافس من أجل كسب الجوائز)سارتر، ووصفه بـ «كافكا الفرنسي». كان سارتر ونيزان مرشحَيْن للحصول على فرصة الفوز بجائزة غونكور الهامة. كلاهما لم يفز.

حين ظهرت قصة سارتر «الجـدار» في الـNouvelle Revue Française. قال الكاتب أندريه جيد: إنه يعتقد بأنها واحدة من الروائع. وتساءل: «من هو هذا الـ جان - بول الجديد؟». «يبدو لي أن بإمكاننا أن نتوقع الكثير منه».

بهرت سيمون دو بوفوار تلميذاتها في ثانوية موليير. قدمت إلى الصف في ملابس أنيقة، محكمة التفصيل، وتنضح ذكاءً حاداً. لم تنظر أبداً في كراساتها، وهي تتحدث بسرعة تضطر تلميذاتها إلى التوسل إليها لكي تبطئ في الحديث. وقد وصفتها بيانكا بنينفيلد، وهي أفضل تلميذة في صف بوفوار، بأنها «كـ قيدوم سفينة يشق عباب الأمواج».

في ذلك الربيع، كتبت بنينفيلد إلى بوفوار رسالة قالت فيها: إنها

متأثرة تأثراً شديداً بدروس الفلسفة، وتود متابعة دراساتها في الجامعة. هل من الممكن أن تجتمعا وتتحدثا بعد المدرسة؟ وافقت بوفوار، واقترحت أن تجتمعا في مقهى في مونتبارناس.

كانت بيانكا في السادسة عشرة، ضئيلة الجسم وجميلة، مع كتلة مجعدة من الشعر الأصحر. قدم والداها إلى فرنسا هرباً، من تيار اللا سامية الذي عاناه في بولندا، حين كانت بيانكا طفلة. وقد عمل والدها الطبيب السابق في تجارة اللؤلؤ ونجح فيها. كانوا عائلة مثقفة وواسعة الاطلاع. وكانت بيانكا أيضاً عازفة بيانو موهوبة. وقد استجابت بوفوار لحماسة الشابة وذكائها. أخبرت بوفوار بوست قائلة: «أحترمها من كل قلبي»، «وفي العديد من المناسبات لم يكن لدي انطباع بأنني أتحدث مع شابة يافعة».

سرعان ما أصبحت الامرأتان تقضيان كل يوم أحد معاً. وستكتب بنينفيلد في مذكراتها ما يلي: «كان الاستيقاظ صباح الأحد فرحة بالنسبة لي. كنت أجري لآخذ الميترو في محطة باسي، قرب منزل العائلة... وكنت شديدة التوق للوصول، لا أعتقد بأنه سبق أن شعرت بمثل ذلك الشعور القوي في أية رحلة أخرى في حياتي كلها». كانت تخرج من القطار في محطة إدغار - كوينت، وتهرع نحو فندق «ميسترال العتيق».

حدثتها عن سارتر، وشرحت لها أنهما يحبان بعضهما لكن لا يريدان العيش معاً، إنهما لا يؤمنان بالزواج، ولا يريدان إنجاب الأطفال، ولهما علاقات مع أناس آخرين، وهما ليسا غيورين. كانت بنينفيلد مفتونة بتلك القصص حول الثلاثي السابق مع أولغا، ودهشت حين علمت أن سارتر يغازل شقيقة أولغا الأصغر. واعتقدت أن الشقيقتين كوزاكيفيتش بدتا كسولتين ومزاجيتين، و لم تستطع أن تدرك مدى كرم

سارتر وبوفوار تجاهما. في كل الأحوال صدمتها بوفوار الشجاعة والجديرة بالإعجاب:

منذ الأشهر الأولى اندمجت بحماسة مع سيمون دو بوفوار. فعلت كل شيء لأتقرب منها إلى ذلك المدى الذي دفع زميلاتي في الصف إلى السخرية من طرق الكلام التي التقطتها منها... نحو حزيران، حتى قبل التخرج من الثانوية، أدركت أني أريد الحصول على شهادة في الفلسفة وأدرِّس، مثلها تماماً.

في نهاية حزيران، بعد أن تخرجت بنينفيلد من المدرسة، ذهبت الامرأتان في رحلة سيراً على الأقدام إلى منطقة مورفان في بورغوندي. مشتا في بيئة جبلية، نحو عشرين كيلومتراً في اليوم. وقد وجدت بنينفيلد صعوبة في الاستمرار، فحثتها بوفوار بنفاد صبر. أمطرت السماء طوال خمسة أيام، مكثت خلالها المرأتان في نزل صغير، وتشاركتا في سرير واحد. كتبت بنينفيلد: «خلال هذه الرحلة بدأنا، بخجل في البداية، علاقتنا الجسدية». وسرعان ما أخبرت بوفوار بأنها لن تحب أحداً مثلما أحبتها.

في تموز عام ١٩٣٨، بقي سارتر في باريس ليكمل مجموعة من القصص القصيرة، وليرى واندا كوزاكيفيتش، التي قدمت لتقيم في فندق ميسترال مدة أسبوع. في حين ذهبت بوفوار في رحلة إلى جبال هوت - سافوا مع بوست، الذي غدا واحداً من أصدقائهما القلائل، الذكور والإناث. وقد ودعها سارتر حين غادرت في قطار المساء.

في الليلة التي تلت، كان سارتر يأكل في الكوبول، وهو يقرأ رواية بوليسية. وبعد العشاء، تناول غليونه وراح يكتب لـ بوفوار:

أمس، لم أكن أرغب في قول وداعاً، أيتها الجوالة الصغيرة المضحكة،

كنت ستكونين معي الآن، بابتساماتك الصغيرة الحلوة، لولا ذلك الهوس الغريب الذي يدفعك لالتهام الكيلومترات. على كل حال، أين أنت أيتها الشيطانة؟ هذا الصباح حزنت لفقدك، فقد كان الجو كئيباً في الخارج، وتخيلتك فوق قمة جبلك الصغير تنظرين للأعلى، بتعبير عنيد، إلى بحر من السحب الرمادية، مثل صياد سمك يحدق إلى فلينته وهي تهتز فوق الماء... أحبك كثيراً، أيتها العبثية الصغيرة.

بعد ذلك، مشى سارتر طويلاً، ثم أخذ الميترو عائداً إلى الفندق. لم يكن ثمة رسالة من واندا، وقد أخبر بوفوار في اليوم التالي بأنه (كان منزعجاً إلى حد ما)، وكانت غرفة أولغا مظلمة. وقد تساءل عما إذا كانت واندا قد غيرت رأيها بشأن المجيء.

بدأت أقلل من أهمية المرح الذي سأحصل عليه مع واندا في اليوم التالي، من خلال الظاهرة التعويضية، التي أعرفها جيداً الآن: فمنذ قضية أولغا رحت أمحو على الفور أي شيء ذي أدنى شبه بالشغف، الذي هو ليس أكثر من توتر عصبي، نتيجة لنوع من الخوف الساكن في داخلي، وهذا الأمر لا يقتصر على أولغا وحدها بل على العالم أجمع الذي «بلورت شكل مواجهته». وهكذا مضيت إلى السرير متأسفاً لأني، في الواقع، لن أكون قادراً على العمل في الأيام القادمة إن قدِمت واندا.

تبين أن أولغا ذهبت للقاء واندا التي جاءت في قطار المساء. استيقظ سارتر ليجد ملاحظة من واندا تقترح فيها أن يلتقيا في الدوم في الثانية بعد الظهر، وملاحظة من أولغا تطلب فيها نقوداً. وجد الأختين جالستين في تيراس الدوم. تمشى مع واندا في شارع موفيتار وأصابعهما متشابكة.

أعلنت رسالتا سارتر التاليتان، اللتان وجههما إلى بوفوار وبوست، عن نقطة تحول غير متوقعة للأحداث. فقد أجاز لنفسه أن يتلهى بممثلة شابة، كوليت جيلبير (حفز اهتمامه بها واقع أن موريس ميرلو - بونتي كان يطاردها أيضاً)، وكانت واندا قد غادرت إلى منزلها في ليغل باكراً، في نوبة غضب.

في غضون ذلك، أخبر جيلبير بأنه يحبها، ولكن ليس ثمة مكان لها في حياته مع بوفوار وواندا. وعلى الرغم من ذلك، كما أخبر قارئيه، أنفقت جيلبير ثلاث ليالٍ معه في غرفته في فندق ميسترال:

إنها المرة الأولى التي نمت فيها مع سمراء، في الواقع ذات شعر أسود، بروفانسية كالشيطان، مضمخة بالروائح، شَعْراء على نحو لافت، مع فرو أسود يغطي جزءاً من ظهرها، وجسد شديد البياض، أشد بياضاً مني... وساقين فاتنتين، وبطن عضلي مسطح، وليس هناك ظل لثديها. على العموم جسد ناعم وفاتن. لسانها كالزمارة لا يهدأ. ويمتد ليداعب لوزتي الحلق.

كان سارتر متأكداً تماماً بأنه في ليلتهما الأخيرة معاً، قبل أن تغادر لقضاء العطلة، فض بكارة جيلبير. («كيف يمكنني أن أخبرك بلغة ناعمة إلى الحد الذي لا تصدم بوست؟»).

نحو منتصف الليل قدمت على نحو مفاجئ. كانت متوترة جداً، دفعتني بعيداً ثم جذبتني إليها. وأخيراً قالت، «إن ما يضايقني هو أنني لست لك. أريدك أن تدخل فيَّ»، «هل تريدين مني أن أحاول؟» «إنك تؤلمني، لا، لا!»لكني حاولت بنعومة. أنَّت... وقالت بعد لحظة بصوت عالٍ: «كفى، كفى، دعني من فضلك». توقفت وقلت لها: «لكنك لم تعودي عذراء».

في السابعة من صباح اليوم التالي، رافق جيلبير إلى المحطة. وحين قالا وداعاً، اغرورقت عيناها بالدموع. ولما عاد إلى الفندق وجد دماً على الملاءات.

كان سارتر مفتوناً بميدان الإغـواء، ويعرفه جيداً. وقد وصفه بـ «النشاط الأدبي». الذي يشبه كثيراً الكتابة المتضمنة كلمات رائعة وصمتاً بارعاً واستخداماً حاذقاً لوجهة نظر. إن الفارق، كما أظهر ذلك في يومياته، هو أن إغواء النساء لا يجعله يشعر بالنبالة.«أعود من موعد امرأة، الفم جاف، عضلات الوجه متعبة من كثرة الابتسام، الصوت مازال يقطر بالعسل، والقلب مليء... بالقرف». من ناحية ثانية، تشعره الكتابة بأنه مفيد. حين سمع أول مرة أن رواية «الغثيان» ستصدر، أخبر بوفوار: «أشعر بأن هذا محبب للقلب أكثر من ذلك النوع من السعادة التي أحصل عليها من خلال عطاء امرأة جيدة. أستطيع أن أفكر بذاتي بمتعة». كانت رغبته في الإغواء ناجمة، جزئياً، عن إحساسه بالقبح. فعندما كان طفلاً تعلم أن يرضي البالغين الآخرين من حوله بتهريجاته الصغيرة. وقد كتب في كتابه «كلمات» إنه غدا، في مرحلة مبكرة «ممثلاً هزلياً ومهرجاً ودجالاً». حتى قبل أن يبدو حَوَله ظاهراً للعيان، قام بجهود جبارة لكسب قلوب الفتيات الصغيرات من خلال مواهبه كممثل وراوٍ للقصص. وأثناء مراهقته، أبدى زوج أمه البغيض ذات مرة ملاحظة عرضية قال فيها إن سارتر مثله«لن يكون قادراً على التحدث إلى النساء».

في حياة طفل هناك دائماً كلمات من هذا النوع، تُطلق بشرود، والتي تشبه عود ثقاب مدخن شارد الذهن في الغابة... والتي تحدث اشتعالاً كبيراً. لست متأكداً من أن هذا التصريح، لم يكن واحداً من الدوافع الرئيسية، في المستقبل، لجميع تلك المحادثات التي ضيعتها

في تدفق كلام فارغ - فقط لأثبت لنفسي أنني في الواقع أعرف كيف أتحدث إلى النساء.

كان سارتر يحلم بأن يصبح «دونجواناً مثقفاً، يذبح النساء بقوة لسانه الذهبي». فمنذ أن شعر بقبحه الشنيع، كان من الضروري بالنسبة إليه أن تكون النساء جميلات («رجل قبيح وامرأة قبيحة - النتيجة هي في الواقع... واضحة إلى حد كبير»). وقد اعترف بأن المشكلة الوحيدة هي أنه حين أخضع ذات مرة امرأة، بالكاد عرف ما سيفعله معها. «أن أكون صادقاً، لمدة طويلة - أو ربما لهذا اليوم - لا شيء صدمني وأثار مشاعري أكثر من اللحظة التي يُنتزع فيها في النهاية الاعتراف بالحب».

إن سارتر، الذي مارس تحليل الذات الجافي طوال حياته كان مُربكاً - زلقاً تقريباً. كان يمكن لأصدقائه أن ينتهي بهم الأمر إلى الإعجاب به لولا سلوكه حينئذ، أو على الأقل لولا تلك الشفافية التي لا رحمة فيها والتي تفحص بها ذاته. ولكن ماذا أضافت هذه الشفافية؟ لقد ناقش النقاد باستمرار مسألة جلد سارتر لذاته. ترى هل كان ذلك فعلاً استعراضياً؟ هل كان يتحمل مسؤولية أفعاله؟ أم كان ذلك شكلاً من أشكال تبرئة الذات؟

منذ سنة كان سارتر غارقاً في التودد إلى واندا، ولم تزل علاقتهما غير مكتملة. كانت مثل أختها، مروعة من نظام تغذيته، وقد لامته على بشرته السيئة، وأوضحت أنه يثير اشمئزازها جسدياً. وهذا ما دفع سارتر إلى الإصرار على ملاحقتها.

لقد شعر بالندم لأنه جعلها تغار من جيلبير، لذا أخذ القطار إلى روان. وقد وافقت واندا على لقائه هناك في عطلة نهاية الأسبوع. تشاركا في غرفة واحدة في فندق الخروف الصغير (حيث عاشت بوفوار وأولغا

سابقاً). حتى إنهما تشاركا في سرير واحد. أتاحت له واندا فرصة تأمل جسدها العاري، لكنها قاومت أي غزوة من غزواته. وقد أبلغ بوفوار قائلاً «الحقيقة هي أني في كل مرة أحقق تقدماً».

بعدما أخذت واندا القطار عائدة إلى ليغل. كان لدى سارتر بضع ساعات يقضيها قبل العودة إلى باريس. كان يوماً كئيباً موحشاً. جلس في مقهى الأوبرا وخط رسالة رقيقة إلى واندا. دعاها بـ «رائعته الصغيرة». قال إنه تجول في الشوارع متألماً لفقدها. إنه مازال يرى البسمة الفاتنة التي رمته بها حين غادرت. تخيَّلها في القطار محزونة لعودتها إلى ليغل. «أحبك يا غاليتي الصغيرة واندا». لقد اعتقد، أو أراد أن يعتقد، بأنها، على الأقل، مغرمة به قليلاً. ترى هل كانت كذلك؟

حُثت واندا على العودة إلى باريس لقضاء عدة أيام أخرى. لكنه كتب لبوفوار (التي مازالت في الجبال مع بوست) يقول: إنه ليس ثمة تقدم:

تُظهر كوزاكيفيتش الصغيرة قدرات اليعسوب العقلية، وأنا أجد الأمر بطيء التقدم. أود أن تكوني هنا. أود أن أشعر أن ذراعك بذراعي، وأن أسرد عليك بعض النوادر وأن أسمع تعليقاتك. كانت الليلة الماضية مؤلمة... كنت حنوناً جداً معها. أولاً في لابوت، ثم في نُزل الكلية، لكن كل ذلك كان عبثاً. وفي النهاية، جعلها حناني ترتعد استياءً.

أمضيا الليلة يحتسيان الخمر. كانت واندا تبدو جميلة جداً، «في سترة ملائكية صغيرة». بعد ذلك، في غرفتها في فندق ميسترال، دفعها سارتر إلى السرير وقبلها. اندفعت إلى الحمام، وسمعها تتقيأ، اعتقد بأن شراب الروم والشيري أفسدا معدتها. قابلها في أصيل اليوم التالي في الدوم. «عاملتها ببرود طيلة اليوم، لاعباً لعبتي، معلناً أننا منتهيان ما لم تغدو أكثر وداً معي. وعدت بكل ما أردت».

خطط سارتر وبوفوار على أن يلتقيا في محطة القطار في مرسيليا في صباح ٣٠ تموز. سوف يأخذان قارباً إلى المغرب عبر البحر الأبيض المتوسط. كتب سارتر: «أشعر بنوع من ذهاب الكرب الآن، السنة كلها خلفي». «آه يا فتنة قلبي وعيني، عماد حياتي، إدراكي ورشدي، أحبك بشغف وأحتاجك».

كانت بوفوار قد قضت وقتاً ممتعاً في سافوي مع بوست. كان ينتظرها في محطة أنيسي، «أسمر بتأثير الشمس، ويبدو أنيقاً جداً بكنزته الصفراء». وطوال الأيام الخمسة الأولى كانا يستيقظان في السادسة صباحاً ويمشيان مسافات طويلة. شقا طريقهما عبر الوديان الضيقة، تسلقا الممرات الجبلية الضيقة، زحفا عبر قطع من الصخر، واجتازا امتدادات من الثلج. أثناء العاصفة المصحوبة بالبَرَد انحدرا من جبل مرتفع، منزلقِيْن فوق السرخس، وقد جرحت بوفوار يدها اليسرى. غسل بوست الجرح بالكحول، وربط يدها بمنديل، وأصر على إيجاد طبيب في قرية مجاورة. في أحد الأصائل تقيأ بوست من الإعياء، ونزفت بوفوار من أنفها. في الأمسيات، بعد عشاء عامر كانا يحتسيان النبيذ المحلي. كان بوست يدخن غليونه ويدون سجل رحلتهما، بينما تكتب بوفوار رسائل. في الطقس اللطيف، كانا ينامان في خيمة صغيرة. وحين يكون الجو بادراً، يستأجران غرفة في نزل. في الليلة الخامسة، كان المطر ينهمر بغزارة، فناما في مخزن للحبوب. وستكتب بوفوار إلى سارتر من ألبرتفيل:

حدث لي شيء رائع إلى حد بعيد، حدث لم أكن أتوقعه أبداً حين غادرت: نمت مع بوست في الأيام الثلاثة الماضية. كنت أنا من أوحى بذلك، بالطبع كلانا كان راغباً في ذلك: كنا نتجاذب أحاديث جدية في النهار، وكانت الليالي ثقيلة الوطأة. وفي ليلة ماطرة في تيغنيس، كنا

مستلقيَيْن، في مخزن للتبن، على بطنينا، متباعدين عن بعضنا مسافة ١٠ سنتمترات، محدقين إلى بعضنا طوال ساعة، مؤجلين لحظة النوم بشتى الحجج: كان يثرثر بجنون، وكنت أبحث عبثاً عن عبارة عرضية وغير مقصودة لأنطق بها بوضوح - سأحدثك عن هذا على نحو أفضل حين أراك. أخيراً نظرت إليه وضحكت ببلاهة، فقال: «لم تضحكين؟» فقلت: «كنت أحاول تخيل وجهك إن اقترحت عليك أن تنام معي»، فقال: «اعتقدت بأنكِ تفكرين بأني أريد أن أقبلك ولم أجرؤ على ذلك». بعد ذلك تخبطنا طوال ربع ساعة قبل أن يقرر تقبيلي. قضينا أياماً وليالي من الهيام. ولكن لا تخشَ من أن تجدني حزينة، مرتبكة أو قلقة يوم السبت، إنه لشيء نفيس بالنسبة لي، شيء عاطفي، ولكن أيضاً غير ثقيل وسهل وله مكان لائق في حياتي، إنه ببساطة ازدهار العلاقات الذي أجده دائماً رائعاً جداً.

في عطلة نهاية الأسبوع التالية، كان سارتر وبوفوار في طريقهما إلى طنجة. وقفا في مقدمة السفينة تحت الشهب، يراقبان اختفاء القمر في البحر. لم يُظهر سارتر علامات الغيرة، لكنه أخبر بوفوار، من دون أدنى لوم في صوته، بأنها بنومها مع بوست غدت«خسيسة». في نظر أولغا. هل تأملت بوفوار إلى أية درجة من التعقيد ستغدو عليها حياتها في السنة القادمة؟

كان صحيحاً ما قاله سارتر. لقد ظلت بوفوار وأولغا صديقتين مقربتين، على الرغم من الصعود والهبوط على مدى السنوات. (مضى وقت طويل منذ لم تعودا عشيقتين). إن إخلاص بوست لأولغا عنى الكثير بالنسبة لها. لكن بوفوار واصلت تفكيرها في الصيف الماضي، حين كان بوست معها في اليونان. لقد عبرا من مرسيليا إلى بيروس في مركب متقلقل يدعى مدينة القاهرة، وقد حدقت بتوق إلى بوست

النائم. وطوال الأسابيع الثلاثة تلك مع بوست، كانت تدرك بألم أن بوست مايزال شاباً مبهجاً في الحادي والعشرين، وهي في طريقها لبلوغ الثلاثين.

في هذا الصيف كانت في الثلاثين، ولن تنسى أبداً الطريقة التي دمدم بها بوست كلمة «أحبكِ» في محطة شامبيري. وقد شعرت كأن الشباب يعود إليها. إنها لن تفسد ذلك بالندم.

طنجة، كازابلانكا، مراكش، فاس، قصر السوق: لقد دهشا أمام الأماكن المغلقة بمصاريع، المساجد، متاهات الشوارع، ضجيج الأسواق، النساء المحجبات، الحمير التي تتقدم بتثاقل تحت عبء أحمالها. في حرارة شهر آب الخانقة كان ثمة عدد قليل من السياح الأوربيين في المغرب. وقد حاول سارتر وبوفوار قضاء الجزء الأحر من اليوم في المقهى، يقرأان، يكتبان، يشربان الشاي مع النعناع. وفي مكناس بقي سارتر في الفندق ليعمل، بينما انطلقت بوفوار لقضاء اليوم وحدها مستجمعة قواها ضد إزعاجات الرجال العرب. كانت قد أنهت في تلك السنة كتاب القصص القصيرة. وقد أجازت لنفسها فرصة للراحة من الكتابة. وكان سارتر قد أنهى مجموعة قصصه القصيرة. ويعكف الآن على كتابة مقالة جريئة لـ « Nouvelle Revue Française » يهاجم فيها الكاتب الكاثوليكي ذا النفوذ فرانسوا مورياك. ستعد المقالة، في السنوات القادمة، الألمع وسط مقطوعاته الأدبية النقدية.

تحركا بين عالمين، الأوربي والعربي. في البلدات التي تزدحم فيها الأكواخ، صادفا أسوأ أنواع الفقر التي لم يشاهدا مثيلاً لها أبداً. وقد حملا مسؤولية ذلك على الفرنسيين. قاما برحلة إلى الجنوب استغرقت ١٢ ساعة، عابرين صحراء ملتهبة في باص مثل الفرن. وقد أصر السائق، الأوربي الآخر الوحيد في الباص، أن يجلسا بجانبه. وقد

روعتهما الطريقة الاستبدادية التي يعامل بها العرب الذين ينقل إليهم البضائع على طول الطريق.

حين سمعت بوفوار أغنية حب تذاع من راديو في مقهى عربي، قاومت رغبتها في البكاء. كانت تفكر على نحو دائم بـ بوست. كتبت إليه: «خلال الأسابيع الثلاثة لم أنس ابتساماتك وقبلاتك». «أنا على وشك الذهاب إلى السرير، أرغب بشدة في رؤيتك. أتذكر إمبوريو، كم كنا ظِماء نعاني الحر، كم كنا بحاجة إلى الظل والماء. حسنٌ! ذلك لا شيء مقارنة مع الكرب الذي أعانيه الليلة. يا حبي يا حبي، ما أشد رغبتي في أن تكون هنا ليضغط جسدك على جسدي».

كتب إليها بوست يخبرها بأنه كان يقرأ، ويعيد قراءة رسائلها بفرح خالص. وأنه عانى «تجربة مريرة» مع خطها. شعر بأنه أشبه بتلميذ يوناني سيئ، يحتاج إلى معجم لقراءة النصوص اليونانية.

لكني لست منزعجاً... إجمالاً، حين أقرأ رسائلك، أكون في حالة من الفرح المجنون، بطريقة لا أعتقد أبداً بأني سأحسها نحو أي شخص آخر. أحبك إلى أبعد الحدود. في الواقع استمتع بالكتابة إليكِ. حين أكتب أستطيع تصور وجهك. يتراءى لي أن ثمة ابتسامة بلهاء على وجهي. لا أبالي اكتبي لي دائماً. وسأفعل أيضاً... لا أحاول تخيل الأماكن التي تكتبين عنها. ولا أتخيلك في كازابلانكا ومراكش، لكني أستطيع سماعك وأنت تتحدثين إلي. لم أفقد حقيقة صوتك ووجهك، وبسهولة أتصورك على الطريق، الذي يمتد إلى بورغ - سانت - موريس، حينما كنت تخبرينني أموراً تتعلق بك. أود أن أعانقك وأقبلك... أحبك وأقبلك.

وكتب يقول إنه عانى وقتاً عصيباً الليلة الماضية. «تقلبتُ في الخيمة

حتى الثالثة صباحاً. ونهضت بقصد الشرب. كان لدي رغبة قوية في أن تكوني بجانبي في الخيمة، وبدا الشهران لا نهاية لهما».

في فاس، علمت بوفوار أن والدة بيانكا بنينفيلد عثرت مصادفة على رسالة حب كتبتها بوفوار إلى بيانكا، وأنها غضبت غضباً شديداً من هذه «العانس ذات العادات الشاذة». ورفضت دار النشر غراسيت مجموعتها القصصية (ردتها سابقاً مؤسسة غاليمار) بسبب افتقارها للأصالة. وقد ساعدتها رسالة من بوست على مواجهة هذه الأنباء السيئة.

لكن رسالة من أولغا، ساخنة على غير العادة، أقلقتها. كان بوست الآن مع أولغا في مرسيليا في فندق متداع مطل على الميناء القديم. كانت بوفوار مشحونة بالقلق. سألت أولغا بوست: كيف يشعر وهو مشدود بين امرأتين؟ أجاب بوست قائلاً: هناك لحظات شعر فيها بالندم الشديد.

في تشرين الأول عام ١٩٣٨، عادت بوفوار إلى باريس، واختلست مع بوست ما استطاعا من وقت. قضيا عدة ليال في فندق دو بواربير في مونتمارتر، بعيداً عن مكان عمل أولغا. طافا في القنوات، وتجولا بجانب السين. أحياناً كانت بوفوار تشعر بالقلق، مدركة أنها تعقد حياة بوست، ومقتنعة بأنها تحبه أكثر مما يحبها. وقد حاول بوست أن يطمئنها. فقد أراد هذه العلاقة بقدر ما أرادتها. «سعيد أنا بحياتي الآن».

في بداية تشرين الثاني، كان على بوست أن يغادر ليؤدي خدمته العسكرية الإلزامية في أمينز، هذه المرة كان هناك توقع لنشوب الحرب. كان بوست جندياً في أسفل سلم المراتب. ومن الطبيعي، بالنسبة إلى شخص في مستوى تعليمه، أن يتسلق مراتب الضباط. لكن بوست الديموقراطي الروح، والعنيد الذي لا يرضى بالتسويات، رفض مثل ذلك. وقد قال إنه لم يكن يريد إصدار الأوامر. كان يريد الانتماء

إلى القطيع العام. وقد أدرك هو وبوفوار ماذا يعني هذا القرار. ففي زمن الحرب سيكون وسط الرجال الأوائل الذين يُضحى بهم كطعام للمدافع.

كان بوست يأتي إلى باريس في معظم أيام الآحاد. وفي بعض عطل نهاية الأسبوع، كانت بوفوار تذهب إلى أمينز Amiens لرؤيته. وكانت أولغا تطلب المال بإلحاح للذهاب لرؤية بوست، ودائماً ما كان سارتر وبوفوار يدفعان مصاريف سفرها. ومن الآن فصاعداً كان بوست يوازن في توزيع أوقات فراغه بين أولغا وبوفوار ووالديه. («راعي الكنيسة» و«راعية الكنيسة» كما كان يدعوهما، ويعيشان في تافيرني التي تبعد مسافة ٢٠ كيلومتراً شمال باريس). وقد عنى ذلك، عادة، الكذب على أولغا.

كان سارتر وبوفوار يناقشان، بانتظام، وضع أولغا. ما هي، بدقة، طبيعة سعادة أولغا الزائفة؟ وما هي الحرية التي امتلكتها داخل تلك الطبيعة؟ هل يتوجب على بوفوار أن تشعر بالندم إزاء علاقتها بـ بوست؟ كان سارتر يقدم، عادة، تبريرات ترضي ضمير بوفوار. لقد اهتاجت أولغا غضباً حين بدأ سارتر بإغواء واندا، وهي ما زالت غاضبة منه. وقد تبنى سارتر وجهة نظر مفادها أن هناك عدداً من الناس ينبغي على الإنسان ببساطة أن يكذب عليهم. حث سارتر بوفوار على أن تكتب حول حياتها الخاصة. وفي أحد أيام ذلك الصيف، كان الاثنان جالسين في «الدوم» يناقشان كتاباتهما، مال سارتر إلى الأمام وقال بحماسة مفاجئة:

«لم لا تضعين نفسك في كتابتك؟ أنت أكثر أهمية من جميع هؤلاء الـ Renées والـ Lisas. صعد الدم إلى وجنتي. كان اليوم حاراً، وكالعادة كان المكان مليئاً بالدخان والضجيج. شعرت كأن أحداً ضربني بعنف على رأسي. قلت: «لا أجرؤ أبداً على فعل ذلك». أن أضع ذاتي

الصرفة وغير المهضومة في كتاب، أن أفقد المنظور، أن أعرض نفسي للخطر – لا، لا أستطيع فعل ذلك، وأجد الفكرة بكاملها مرعبة. قال سارتر «استجمعي شجاعتك»، وأخذ يؤكد هذه النقطة.

كانت فكرة جريئة، قبل نحو ثلاثين عاماً، قبل أن يغدو البوح الذاتي الحميمي مألوفاً، في البداية كانت بوفوار قلقة. إذ كان ذلك انغماساً ذاتياً. وهناك مشاعر الناس الآخرين التي ينبغي وضعها في الحسبان. لكن في خريف عام ١٩٣٨ أحست برغبة قوية مفاجئة في الكتابة حول العلاقات المعقدة بين أربعة أشخاص عرفتهم جيداً – سارتر، نفسها، بوست، أولغا. أرادت أن تكتب رواية حول الحرية والحب والصداقة والغيرة. أرادت أن تكتشف مسألة «الآخر» التي غالباً ما كانت محور مناقشتها مع سارتر. اعتقد سارتر بأنها فكرة ممتازة.

اعتقد الناس أن رواية «أتت لتبقى» تدور حول الثلاثي الذي تشكل من فرانسواز وبيير والشابة الغريبة الأطوار كزافييه. لكن الشخصية الرابعة في الرواية تتسم بذات الأهمية، ومرسومة بدقة. إنها شخصية جربير بعينيه الخضراوين وشعره الأسود الناعم الذي ينسدل على عينيه، ويشبه جاك – لوران بوست إلى أبعد مدى.

في الرواية، تضع كزافييه نهاية لآلام الثلاثي بوقوعها في حب جربير. «أنا مولعة بما يخصني»، «إنه لمن المريح أن تحظى بما هو لك كلية». وقد سبق أن قالت أولغا لبوفوار ذات الشيء تماماً.

بعد ذلك بقليل، تذهب فرانسواز في رحلة سيراً على الأقدام مع جربير. وفي ليلة ماطرة، رمى الاثنان كيسَيْ نومهما وتمددا في مخزن للقش. كانت الشمعة ترتعش. وفجأة شعرا بارتباك تجاه بعضهما. سأل جربير فرانسواز: لماذا تضحك؟ استجمعت شجاعتها وقالت: «كنت

أضحك متسائلة كيف ستبدو – أنت الذي يعاف التعقيدات – إن اقترحت عليك أن تنام معي؟»

«أعتقد بأنك تفكرين بأني أريد أن أقبلك ولا أجرؤ على ذلك».

في باريس أخبر جربير فرانسواز قائلاً: « لم أحب أية امرأة بالطريقة التي أحببتك فيها، لا شيء يقارب الطريقة التي أحبك فيها». كان هذا في الواقع انتقام الروائية.

في أصيل أحد الأيام المشمسة، كانت فرانسواز تقرأ في تيراس«الدوم». وحين فتحت حقيبتها اليدوية لتدفع الحساب، اكتشفت أن مفتاح طاولتها مفقود. شعرت أن قلبها توقف عن الخفقان. عادت بسرعة إلى الفندق، صعدت السلالم باندفاع، فتحت باب غرفتها فوجدت طاولتها قد نُبشت. كانت رسائل جربير منشورة على السجادة.

«كزافييه تعرف». بدأت جدران الغرفة بالدوران. ألم حارق، ظلام دامس سقط فوق العالم. ارتمت فرانسواز على الكرسي، يسحقها حِمل مميت. حبها لـ جربير تراءى أمامها أسود كالخيانة.

في الرواية تبدو فرنسواز منزعجة جداً من معرفة كزافييه للحقيقة. أنها تقتل كزافييه حتى لا تضطر إلى مواجهة عينيها اللوامتين. حتى هنا، كانت كزافييه، الكاتبة، تخبر أولغا بأنها أقامت علاقة مع بوست.

لا أحد عرف أفضل من أولغا كم كانت الرواية حقيقية وواقعية، مع مقاطع حوار أخذت مباشرة من الحياة. ومع ذلك وبالنسبة لأولغا، ستصر بوفوار وبوست دائماً على أن الرومانس بين فرانسواز وجربير كان تلفيقاً خالصاً. كان على أولغا أن تتساءل دائماً: أين تكمن الحقيقة في قاعة المرايا المحيرة هذه؟ أولاً يأتي الإهداء المتملق. «إلى أولغا

كوزاكيفيتش». ثم العبارة المقتبسة من هيغل: «كل ضمير ينشد موت الآخر». في حين كانت بوفوار واقعة في غرام بوست، كانت أيضاً مرتبطة بعلاقة غرامية متقدة مع بيانكا بنينفيلد. (كان بوست يعرف أمر بنينفيلد، لكن بنينفيلد لم تعرف بأمر بوست). كانت بنينفيلد في الثامنة عشرة. تدرس الفلسفة في السوربون. كانت ترى بوفوار ثلاث مرات أسبوعياً، وكانت علاقتهما الجنسية متقدة.

في عيد الميلاد عام ١٩٣٨، ذهب سارتر وبوفوار إلى ميغيف mégéve. (طلبت بوفوار من بوست أن يكتب إليها بصفة«مدام سارتر»). وكانت بنينفيلد مقيمة في بيت الشباب في مونت داربوا، في الجانب الآخر من الجبل. في بعض الصباحات، كان سارتر وبوفوار وبنينفيلد يأخذون دروساً في التزحلق معاً. كانت بنينفيلد فاتنة على المنحدرات، بشعرها الأحمر المعقوص بوشاح صغير. وفي أحد الأصائل عادت إلى فندقهما، وشرح لها سارتر الفينومينولوجيا، في حين كانت بوفوار تقلب صفحات المجلات. وبعد العشاء، استلقت بنينفيلد على سريرهما، وراح الاثنان يحللانها نفسياً. وفي أمسية رأس السنة، دعوا بنينفيلد إلى عشاء احتفالي في فندقهما. ولما كان الوقت متأخراً على عودتها إلى الجبل، فقد نامت على أرض الغرفة.

حين عادوا إلى باريس في كانون الثاني عام ١٩٣٩ بدأ سارتر بمغازلة بنينفيلد على نحو جدي. وقد أشبع ذلك غرورها، إنه جان – بول وثن سيمون دو بوفوار. وفي ذات الشهر صدرت مجموعة سارتر القصصية «الجدار»، (أهديت إلى أولغا كوزاكيفيتش). ظهر اسمه في الصحف كافة، وتحدث النقاد الأدبيون عن ألمعيته وعن كتابته التجديدية.

كان سارتر «معلماً في لغة الحب»، هذا ما كتبته بنينفيلد في مذكراتها بعد سنوات. «تماماً كما يلعب النادل دور نادل، يلعب سارتر، إلى حد

الكمال، دور إنسان في الحب». إنها لم تعد تلاحظ عينه الحولاء أو البثرات السوداء على وجهه ورقبته. أخبرها بأنها تملك عينين رائعتين. وقال إنه وجدها متواضعة إلى حد مؤثر. وقد غمرها بشتى أنواع الألقاب.

تمشيا عبر مونتمارتر إلى المقهى الأحمر، وفي ذلك الجزء الداخلي الحميم، القريب من الموقد الكبير، أعلن حبه لها. وسألها إن كانت تعتقد أن باستطاعتها الوقوع في حبه. ردت بنينفيلد قائلة ربما، لكنها لا تريد أن تؤذي بوفوار أبداً. أكد لها سارتر أن بوفوار ليس لديها مانع على الإطلاق.

تحدث حول إكمال علاقتهما. كانت بنينفيلد، التي مازالت عذراء قد كتبت في مذكراتها أنها شعرت برعدة استباقية. اختارا اليوم. وبينما هما يسيران إلى شارع سيل باتجاه فندق ميسترال، قال سارتر: إن خادمة غرفة الفندق تنتظرها مفاجأة، فقد فضضتُ بكارة فتاة أخرى في اليوم السابق. تقول بنينفيلد: «ارتعدت من الداخل»، «لكنني لم أقل شيئاً و لم أفعل شيئاً».

كتبت بيانكا بنينفيلد لامبلان مذكراتها «علاقة شائنة»، في بداية التسعينيات (من القرن العشرين)، بعدما قرأت المراسلات المنشورة بين سارتر وبوفوار. لقد روعها أن تعرف ماقالاه لبعضهما حولها من وراء ظهرها أثناء التصريح بحبهما الحنون لها. إن وصفها لذلك الأصيل كان من دون شك مصبوغاً بهذا التبصر:

حين وصلنا إلى غرفته، خلع سارتر جميع ملابسه تقريباً، ووقف بجانب المغسلة ليغسل قدميه رافعاً رجله الأولى ثم الثانية. كنت مرعوبة. وحين طلبتُ منه إسدال الستائر لحجب بعض الضوء، رفض بحزم قائلاً إن ما سنشرع في فعله ينبغي أن نفعله في وضح النهار. اختبأتُ وراء

ستارة الخزانة لأخلع ملابسي... لم أخلع عقد اللؤلؤ، الذي للأسف أثار غضب شريكي - سخر مني لأن هذا التجميل بدا بالنسبة إليه طفولياً يثير السخرية، أو ربما غضب لأن حبات اللؤلؤ كانت طبيعية، وهو يزدري عمل والدي، لا أعلم. كنت محزونة و لم أفهم لَمَ لمْ يكن كعادته لطيفاً، كان كمن يريد أن يتوحش معي (لكن مع نفسه أيضاً) وكان مسوقاً بدافع مدمر.

لم يحقق سارتر مبتغاه في ذلك اليوم. شرح لها بنية صادقة الفرق بين المهبل والبظر. تصورته بنينفيلد مثل معلم أو «طبيب يحضر من أجل عملية جراحية». وبعد بضعة أيام أحرز هدفه.

كتبت بيانكا لاميلان تقول: إنها لم تكن قادرة على التمتع بالجنس مع سارتر. وحين التفتت إلى الماضي، إلى تلك الفترة من حياتها، بعد تجاربها الجنسية السعيدة مع زوجها، بدا لها أن ممارسة سارتر لعادة العزل[١٥] كانت جزءاً من عجزه عن إطلاق العنان لعاطفته، بل مظهراً مما عدّته ساديته. وقد أشارت إلى أنه كان بإمكانه، بكل بساطة، استخدام واقٍ ذكري.

ومن وراء ظهر واندا. أوجد سارتر ثلاثياً جديداً. كتب لـ بنينفيلد يقول «ياحبي، مستقبلنا هو مستقبلك». وبدأت الترتيبات القديمة من جديد. سيقرع سارتر باب بوفوار في التاسعة صباحاً ليخبرها شيئاً حول أمسيته مع بنينيفلد. وقد اعترفت الفتاة بأنها واقعة في حب سارتر، لكنها لا تشعر بأنها مولعة به، وهي خائفة من ألا يتقبل سارتر ذلك، وفزعة من فقده، وهل يمكن لبوفوار أن تشرح له الأمور لكي يتفهم الوضع؟

١٥- العزل: إفراغ المني خارج المهبل أو إيقاف الجماع قبل الإنزال. (المترجم)

قبل أن يدخل سارتر بينهما، لم يكن لدى بوفوار موقف سلبي حول بنينفيلد. الآن، غالباً ما تشكو أمرها إلى بوست. وقد كتبت إليه تقول: «كابد ثلاثتهم ليلة متوترة في المقهى الأحمر. كان الحوار بالإكراه، وكانت بيانكا غاضبة. «إنها لم تدرك أن تدفق الحنان يتحقق بين اثنين لا بين ثلاثة... أمسكت أيدينا، ضغطت عليها، تركتها، أمسكت بها ثانية، حريصة على أن تقسم ذاتها بالتساوي».

في البداية، تراءى لبوفوار كأن الأختين كوزاكيفيتش ستكونان بعبع حياتها. وقد أشارت في رسائلها لبوست إلى أن العامل المؤثر للأختين كان لازمة مؤلمة متكررة. وفي كل مرة يستلم بوست صفحة موجزة من بوفوار يلاحظ فيها ألمها. «يا حبي... حاول قدر استطاعتك أن تبقى معي، هل تستطيع أن تخبر «ك» بأن وصولك سيكون متأخراً عما هو في العادة؟ أود أن ألقاك في المحطة وأن أقضي معك اللحظات الأولى».

لم يكن بوست يطلعها دائماً على مخططه. في إجازته الأولى قابل أولغا قبل أن يرى بوفوار. لم يكن يجرؤ على إخبار بوفوار حتى الدقيقة الأخيرة. كانت غاضبة، وأخبرته أنها شعرت وكأنها أمه «راعية الكنيسة»، شخص ما تُكشف له الأمور فيما بعد حين تكون الأحداث قد مضت.

علاوة على ذلك، كان هناك «كوزاكيفيتش الأصغر» كما دعاها سارتر. فقد غدت هاجسه الجديد. فإن كانت واندا ما زالت غير متأكدة من شعورها تجاه سارتر، كانت متأكدة من شعورها تجاه بوفوار. إنها لم تكن تحبها. في الواقع كانت تكرهها، كما أخبرت سارتر، الذي لم يتردد في نقل المعلومة إلى بوفوار.

في ربيع عام ١٩٣٩، أتت واندا لتعيش في باريس. وقد دعمها سارتر مالياً، وأخبرها أن من الممكن أن تصبح رسامة. واتفق معها على

أن تأخذ دروساً، وأن تتشارك مع بوبيت، أخت بوفوار، في استديو. وحين سألته واندا عن طبيعة علاقته ببوفوار، أكد بأنهما ليسا أكثر من صديقين. ثم أخبر بوفوار بما قاله لواندا.

كان الوضع «قذراً» برمته. هذا ما قالته بوفوار لـ بوست بغضب. أحست بأنها مخونة ولامت نساء سارتر اللواتي، كما رأت، يُكرهن سارتر على الكذب. واستاءت من الطريقة التي تتحدث بها الأختان كوزاكيفيتش حولها. «إنه لمن المقيت أن أشعر بأني ممزقة بين هاتين الامرأتين». لم يتعاطف معها بوست هذه المرة، فكتب لها:

كنت ساخطاً إلى حد ما لأنك اعترضت على الأحكام والأحاديث التي ربما قد تداولتها واندا وأختها حولك وحول سارتر وحولي أيضاً. أعتقد أنه ينبغي عليكِ أن تتخذي موقفاً جديداً حيالهما بما أنكِ واسعة الحيلة وشاكة إلى أبعد درجة، وهذا له ما يبرره بما أنهما خدعتا من كل النواحي.

كانت بوفوار مغلوبة على أمرها. فبعد أسبوع، جرى نزاع بينها وبين بوست. كانت قد كتبت له واصفة يوم أحد جميل قضته مع بيانكا بنينفيلد. فقد قدمت الشابة إلى فندق ميسترال كالعادة ظهراً. وكانت تبدو جميلة جداً بثوب أزرق ومعطف أرجواني فاتح. ذهبتا إلى الكوبول وتناولتا طعام الغداء مع زجاجة شمبانيا. ثم ذهبتا لتناول القهوة. وحين عادتا إلى الميسترال ألقتا التحية على سارتر الذي كان في غرفته يعمل وهو في قميص النوم.

ذهبنا إلى غرفتي حيث انهمكنا في عناق محرم. أعتقد بأني، جوهرياً، لست شاذة جنسياً نظراً لأني حسياً لا أشعر بشيء، ولكن الذي جرى كان ساحراً، وأنا أعشق أن أكون في السرير بعد الظهر حين يكون هناك الكثير من الشمس الساطعة في الخارج.

كتب بوست أن كلمة «ساحراً» سمَّرته في مكانه. بدا له أن من «الفحش المرعب» بالنسبة لبوفوار أن تتحدث حول بنينفيلد بتلك الطريقة. ومضى يقول إنه كان مسروراً لأن بوفوار نوهت ببعض مشاعر الندم حول أولغا. كان متشبثاً بذنبه إلى درجة الشعور بالمرض. وفي المرة الأخيرة التي شاهد فيها أولغا، كانت، على غير العادة، صريحة ومخلصة معه. وقد أحس بالخجل.

أثارت رسالته نوبة من القلق وصفتها بوفوار بـ «المَرَضيَّة». قرأتها في المساء، قبل أن تخرج مع أولغا. ولساعات أحست بالخدر. وحين صعدت التاكسي بعد انقضاء الأمسية، صارعت لكي تحبس دموعها حتى تصل إلى غرفتها. عندئذ استسلمت إلى نوبة من البكاء الشديد. استيقظت وهي في حالة من اليأس المَرَضي. تناولت طعام الغداء مع والدتها. حاولت السيطرة على نفسها إلى حين مغادرتها. وبينما كانت تهبط الأدراج شعرت بالدموع تقترب كموجة غثيان. الشيء الوحيد الذي كان باستطاعتها فعله، هو أن تذهب إلى غرفتها وتبكي.

السبب الذي دفعني لأن أعلق على علاقتي الجسدية مع بيانكا... هو بالتحديد، لأني لم أرد أن تسيء فهمي. لديَّ حياة حسية واحدة، وهي تلك التي معك، وهي بالنسبة لي أثيرة وجادة وعظيمة الشأن ومتقدة. لا أستطيع أن أكون غير مخلصة لك، لأن ذلك يجعلك فصلاً في هذه الحياة، بينما أنت الحياة. لا أريد حياة أخرى، فأنا منغمسة كلية فيها، وبسعادة كبيرة.

وقبل أن أنهي هذا الموضوع، ينبغي أن أوضح شيئاً آخر، على الرغم من أنه يربكني قليلاً. لدي أيضاً علاقة جسدية مع سارتر، لكنها هزيلة جداً، وهي في الأغلب حنونة، ولست متأكدة تماماً كيف أصفها – أشعر بأنني منغمسة فيها، وهو نفسه غير منغمس فيها. لذلك أستطيع

القول إن الحياة الحسية التي أحظى بها، والتي حظيتُ بها دائماً، هي معك، وأريد منك أن تأخذها على محمل الجد، وأن تعلم بأني آخذها على محمل الجد بكامل روحي.

لقد اعترفت بأنها كانت خائفة من شعور بوست بالندم تجاه أولغا. وخائفة من أن يرافق ذلك ضغينة مبهمة تجاهها. وقد فضلت أن لا تراه حتى تشعر بأنها تستحق تأنيبه، لكن فكرة عدم رؤيته كانت بغيضة بالمطلق بالنسبة إليها. «إنه ليس بالوضع السار»

«في هذا الصباح، وللمرة الأولى، نمت معها»، هذا ما أعلنه سارتر. كان ذلك في أواخر تموزعام ١٩٣٩، وكان مع واندا في جنوب فرنسا. «النتيجة هي أني تركتها في سريرها»، نقية ومأسوية، وقد أعلنت بأنها متعبة، وأنها كرهتني بسبب الـ ٤٥دقيقة الممتعة». انسل خارجاً، وذهب إلى المقهى ليكتب لبوفوار.

أخبرها أن مرسيليا كانت ممتلئة ببوفوار، وقد شعر بانفعالات عاطفية في الأماكن التي جلسا فيها لتناول طعام العشاء معاً. مع واندا كان «حباً خالصاً، التحديق إلى الأعين، مسك الأيدي».

الآن نذرت نفسي لحياتي الشخصية... واندا فاتنة ومحبة دائماً، والنوم معها رائع. أنام معها، حالياً، صباحاً ومساءً. يبدو أنها تستمتع كثيراً بالجنس، لكنه يقتلها، إذ تستلقي في سريرها وتغط في نوم عميق مدة ١٥ دقيقة بعد عربدتها. المشكلة هي أن تحمل المجادلات العنيفة أو المصالحات المؤثرة تجعلني أشعر بأنني حي. الليلة الماضية جرت مجادلة رهيبة، لكنها كانت جديرة بالجهد.

كانا لا يذهبان عادة للنوم قبل الثالثة صباحاً. يستيقظان في السابعة صباحاً ويمارسان الجنس. يرتدي سارتر ثيابه في العاشرة تقريباً، يذهب

إلى مكتب البريد، ثم إلى مقهى ليكتب. تخرج واندا ظهراً، ويمضيان الأصائل يقرأان ويزوران الأماكن. ترتاح واندا مدة ساعة قبل العشاء، في حين يكتب سارتر رسائل سرية. يذهبان لتناول طعام العشاء، عادة في شارلي تافيرن، ثم يجلسان في مقهى الميناء القديم لاحتساء الشراب. وقد أسف سارتر لأنه مزق جميع الرسائل الواردة إليه، حتى تلك التي طلبت منه بوفوار الاحتفاظ بها. «من المستحيل الاحتفاظ بها، نحن نتشارك في غرفة، وواندا تطوف في أرجائها حين أكون نائماً».

أمضى سارتر سنتين في إغـواء وانـدا. إنها أطول مدة أنفقها في الإغواء، وهذه المرة، بخلاف حالة أولغا، أحرز هدفه.

في بداية آب عام ١٩٣٩ عادت واندا إلى باريس، وانضمت بوفوار إلى سارتر في مرسيليا. وقدم بوست لقضاء عدة أيام من إجازته. كان يرى أن الحرب ستقع لا محالة، وسخر هو وسارتر من أن الأسوأ أن يعود بلا ساقين وبلا ذراعين. كانت بوفوار مروعة.

أعلن بوست أن الأمور سارت، على غير العادة، بينه وبين أولغا على نحو جيد. واعتقد بأن أولغا أصبحت أكثر ثقة في أن تغدو ممثلة. إذ عملاً باقتراح بوفوار انضمت أولغا إلى دورات في التمثيل في مدرسة دولين، ويتوقع لها دولين مستقبلاً زاهـراً. وقد بدا أخـيراً أن أولغا أصبحت ملتزمة أكثر ببوست، وقد عنى ذلك التزامه بها. وقد طلب من بوفوار أن تحرق جميع رسائله إليها، وأنه في سبيله لحرق رسائلها. «إنه لمن الخسة أن يتسرب منها شيء... لست نادماً على شيء، لكنني سأشعر بالذنب إذا عانت كوزاكيفيتش بسببي. يربكني أن أقول لك ذلك، لكنني أستطيع أن أخبرك بكل شيء، فأنا أعرف من أنت».

بعد أن غادر بوست، كان سارتر وبوفوار جالسَيْن في المساء في

مقهى الميناء القديم حين لاحظا بول نيزان يمشي وتحت إبطه طائر تم مطاطي كبير. كان مع زوجته وطفليه في طريقهما إلى كورسيكا. شربا معاً. كان نيزان مكتئباً على غير عادته، فقد كان على قناعة بأن ألمانيا ستركع على ركبتيها في القريب العاجل. دهش سارتر وبوفوار، وشجعهما تفاؤله. راقباه وهو يبتعد وطائر التم تحت إبطه. وهذه المرة ستكون الأخيرة التي يشاهدانه فيها.

ذهبا للمكوث عند مدام موريل في فيلتها في Juan les Pins. قرب الأنتيب. كان ثمة حديقة كبيرة تمتد حتى البحر الأبيض المتوسط. حاول سارتر تعليم بوفوار السباحة وكان يستطيع السباحة مسافة طويلة.

في Juan les Pins واصلت بوفوار البكاء. كان توقع الحرب مروعاً. فقد بدا لها أنها ستفقد رَجُليها، إن لم تفقدهما بسبب الأختين كوزاكيفيتش، فبسبب الحرب مع الألمان. فقد كان سارتر مأخوذاً بواندا إلى درجة دفعت بوفوار إلى التساؤل حول ما إذا كانت نفسها تعني شيئاً بالنسبة إليه الآن. وبوست بدأ يلمّح إلى أن علاقته ببوفوار كانت مجرد علاقة قصيرة الأجل، وأن علاقته بأولغا كانت علاقة جدية. كان ذلك الصيف بالنسبة لبوفوار تعيساً.

منذ سنوات كانت الحرب تلوح في الأفق. كل شخص عرف بأنها قادمة - كل شخص باستثناء سارتر، الذي أكد لأصدقائه مراراً بأنها لن تحدث. «إنه لمن المستحيل أن يفكر هتلر بالحرب، بناء على الحالة الذهنية للشعب الألماني. إنها خدعة». عاد سارتر وبوفوار إلى باريس. كانت بنينفيلد مضطربة وقلقة على والديها في أنيسي.

في ذلك اليوم، أُمر بوست بالالتحاق بالجيش. وفي اليوم التالي، الجمعة ١ أيلول، زحفت القوات الألمانية نحو بولندا. ألصقت

الإعلانات هنا وهناك في باريس تدعو إلى التعبئة العامة لجميع الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والأربعين. في أصيل ذلك اليوم، عاد سارتر إلى فندق ميسترال لحزم حقائبه. نزل هو وبوفوار إلى القبو ليخرجا حقيبتي ظهر وجزمتين.

بعد أن حزم حقيبتيه، ذهب سارتر إلى المقهى ليكتب لـ بنينفيلد. «سوف أعود إليك. أنا جدير بالثقة، وستجدينني ثانية حين يحين الوقت، تماماً مثل الشخص الذي فارقته في محطة أنيسي. لاشيء يمكن أن يبدلنا، حبي، وأنت، وبوفوار، وأنا... أود منك أن تعلمي أنني أحبك بشغف للأبد».

كان وداعه لواندا مؤثراً «أخشى أن تنسيني». وعد بأن يكتب لها كل يوم، وطلب منها أن تحاول الشيء ذاته، ووعد بأنه سيدعمها في السنة القادمة، وهكذا يمكنها أن تستمر في الرسم بباريس، لكنه يخاف، إن ترك التدريس طويلاً، أن لا يكون قادراً على مزاولته.

قضى سارتر ساعاته الأخيرة الثمينة مع بوفوار. تناولا طعام العشاء معاً، ثم ذهبا إلى السرير في العاشرة مساءً، في غرفة بوفوار. ربطا الساعة وحاولا النوم. في الثالثة صباحاً ارتديا ملابسهما بسرعة. استمر سارتر في قضم أظافره. حملا الحقيبتين وذهبا لاحتساء قهوة الصباح في الدوم. كانت نظرة خاطفة أخيرة على باريس قبل الحرب. من الآن فصاعداً ستغلق المقهى أبوابها في الحادية عشرة مساءً.

كانت باريس مظلمة وصامتة، القمر محتجب وراء السحب، وأضواء الشوارع خافتة والستائر الزرقاء السميكة مسدلة على نوافذ المقهى. وفي مونتبارناس كان الدوم جزيرة من الضجيج والدخان. ظهر الرجال في اللباس الرسمي الموحد، وكأنهم جاؤوا من أماكن خفية،

وجلسوا إلى الطاولات يتحدثون. وكانت بعض المومسات يلعبن لعبتهن. جلس سارتر وبوفوار في التيراس وطلبا قهوة. قالت بوفوار إنها شعرت كأنهما في رواية لـ دوس باسوس[١٦].

في الرابعة والنصف صباحاً أخذا سيارة أجرة وذهبا إلى مركز التعبئة في بلاس هربرت. طلب منهما الشرطي الذهاب إلى محطة دوليس. مشيا باتجاه المحطة. كان الوقت فجراً، وكانت السماء زهرية اللون. توقعا ازدحاماً في المحطة، لكن الصالة كانت شبه فارغة. لم يكن ثمة رجل في اللباس الرسمي. أوضح سارتر قائلاً بأن ثلاثة أرباع الرجال كانوا قد دُعوا من قبل.

في السادسة وأربع وعشرين دقيقة وصل القطار، ولكن لم يكن ثمة أحد يريد أخذه، فقرر سارتر أن يأخذ قطار السابعة وخمسين دقيقة. ذهبا واحتسيا القهوة. وأكد سارتر لبوفوار مرة ثانية أنه لن يكون ثمة خطر في نانسي. كان هذا ببساطة انفصال آخر. وسيكتبان إلى بعضهما بانتظام. وسترسل له رزماً من الكتب.

عادا إلى المحطة. كان هناك الكثير من الناس حولهما، بضمنهم رجال يحملون الحقائب. شعرت بوفوار بالدموع تخز عينيها. ضمها سارتر إليه، ثم راقبته وهو يسير إلى رصيف المحطة بخطوات ثابتة. بدا صغيراً وغير حصين، وقد لاح لها بأنه كان متوتراً. استدارت عائدة باتجاه المخرج. قالت في نفسها، إن استمرت في البكاء لساعات فلن تستطيع إيقافه. ستسير من دون توقف وإلا سينفجر قلبها.

١٦- جون دوس باسوس (١٨٩٦ - ١٩٧٠) روائي أمريكي تطغى على كتاباته الموضوعات الاجتماعية والسياسية. (المترجم)

-٥-

الحرب

أيلول ١٩٣٩ - آذار ١٩٤١

«الحرب!». كان ذلك في أصيل يوم ٣ أيلول ١٩٣٩. في صباح ذلك اليوم، أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا. الآن ينبغي على فرنسا فعل ذلك أيضاً. ألقت بوفوار نظرة على عناوين الصحف الرئيسية وانفجرت بالبكاء. فكرت على الفور بموت بوست. وكتبت له «يا حبي، إن أصابك أي مكروه، فسأفتقد السعادة في هذه الحياة». كان سارتر، بصفته جندياً احتياطياً، في خطر أقل، ولكن إلى متى؟ قالت بوفوار في نفسها، إن قتل سارتر فسوف تنتحر. كانت تعزي نفسها بطريقة غريبة.

لقد غادر الشبان. وخلال الأيام القليلة التي تلت فر آلاف المدنيين من المدينة في سيارات مكتظة بالحقائب. غدت باريس مدينة نساء وشيوخ ومرضى. وزعت الأقنعة الواقية من الغازات السامة. وفي المقاهي، توجب على الزبن دفع حسابهم بعد تقديم الخدمة مباشرة، تحسباً لوقوع غارات. خفتت أضواء الشوارع وغدت كالشموع. وفرض حظر التجول عند منتصف الليل.

توقعت بوفوار أن تدوم الحرب بضعة شهور، والآن يتحدث الناس عن عدة سنوات. استمعت إلى بعض النسوة وهن يتحدثن عن البرقيات التي سوف يستلمنها إن قتل أزواجهن في ميدان المعركة. وطوال أسابيع أتلف الهلع صحتها، فغدت غير قادرة على الاستقرار والعمل. عاشت من أجل رسائل سارتر وبوست. كتبت تقول: «انفجرت الأحداث فوقي، وتحولت إلى شظايا».

* * *

طوال ثمانية أشهر كان ثمة «حرب وهمية» - لا حرب ولا سلم. كان هناك أثر ضئيل ودائم من كابوس، وحتى الآن بقي العدو خافياً. وقد طلع سارتر بنظرية تقول: مثلما كانت الموسيقا الحديثة من دون انسجام، فالحرب الحديثة من دون موت.

كتب من الألزاس: «تثيرني الحرب». «أشعر بأني في بلد أجنبي، ماضٍ في اكتشافه تدريجياً». وكالعادة، فقد تكيف مع الحياة المشاعية. كانً هناك أربعة أشخاص آخرين في وحدة الأرصاد الجوية، وكانوا يقيمون مع قس عجوز. «مجموعة غريبة. من يدري كم سنة سأعيش معهم؟ إنهم ليسوا ظرفاء»، ودعاهم «شماسيه». وباستثناء ما يقومون به من قراءة للرصد الجوي كل ثلاث ساعات، كان لديهم القليل من العمل. في يوم الأحد الأول لهم، ساروا في الريف، التقط الشماسون الخوخ، بينما راح سارتر يدخن غليونه. «قلقي الوحيد هو أن أغدو سميناً».

اعتاد سارتر العمل طوال ١٠ ساعات إلى ١١ ساعة في اليوم، وحقق تقدماً ملموساً في روايته «سن الرشد». وأخبر بوفوار بأنه سيرسل إليها فصولها بالسرعة الممكنة. لقد أعطته الحرب منظوراً جديداً، وللمرة

الأولى صار يحتفظ بدفتر يومياته. كان يستمتع بحرية الكتابة العفوية، متبعاً أفكاره إلى حيث تقوده. إضافة إلى ذلك، كان يكتب، على الأقل، ثلاث رسائل يومياً.

أنهى قراءة كتب فرانز كافكا التي جلبها معه، وتمتع بقراءة يوميات أندريه جيد التي أرسلتها له بوفوار. وسوف يرسلها إلى بوست حالما ينتهي منها. وأعد قائمة بالعناوين التي يود قراءتها. ليس ثمة عجلة، ولا ينبغي على بوفوار إرسالها دفعة واحدة. هل كان ثمة روايات بوليسية جديدة؟ وهل سترسل له العدد الأخير من Nouvelle Revue Française، وأربع رزم من ورق الكتابة، وخمسين ظرفاً؟

كتب سارتر إلى بوفوار معترفاً: «صدّقي أو لا، لقد شعرت بالسلام العميق، حين كتبتِ بأنك لن تعيشي بعدي إن وقعت كارثة». «لا أحب أن أتركك خلفي، ليس لأنك ستصبحين وجوداً صغيراً حراً يجول حول العالم، وسأغدو غيوراً، لكن لأنك أقنعتني بأنك ستكونين في عالم عبثي... لكن لا تقلقي، فقد كنت أفكر حول كل ذلك على نحو تجريدي، نظراً لأني موجود في قرية ألزاسية فاتنة، آمن ورخي البال. علاوة على ذلك، أفكر أيضاً، على المدى البعيد، بأنني أريد منك بالتحديد أن تواصلي حياتك القصيرة من دوني: ففي النهاية تبدو الحياة المنتهية قبل أوانها فقداً لشيء جيد. في الواقع، ومهما حدث، لم أشعر أبداً من قبل بهذه الحدة بأنك أنا.

منذ سنوات اعتاد سارتر استخدام فكرة «الفردانية» ليخفف من شكوك بوفوار العرضية حول علاقتهما. فكتب لها: «إن كان هناك حاجة لأن نشعر إلى أي حد نحن الاثنين واحد، فهذه الحرب الوهمية سيكون لها، على الأقل، الفضل في جعلنا نرى ذلك». «إنها تجيب عن السؤال الذي يعذبك: يا حبي، أنت لست «شيئاً واحداً في حياتي –

حتى إنه ليس الأكثر أهمية - لأن حياتي لم تعد تخصني، ولأنك... أنت دائماً أنا».

في الذكرى السنوية العاشرة (١٤ تشرين الأول عام ١٩٣٩) لبدء علاقتهما، أدرك سارتر، أكثر من أي وقت مضى، كم كان مديناً لبوفوار. لم يسمع منها شيئاً منذ ثلاثة أيام، وفيما بعد كتب في يومياته: «إن غضبي من تأخر رسائل واندا هو وهم. هذا جدي. أحسست بأن العالم صحراء من دون بوفوار ». (ليس لأني فكرت بأنها ميتة، ولكن ببساطة، لم يكن هناك رسالة، وأنا أعيش عالمها وعالمي من خلال رسائلها).

وكتب بعد يومين: «شعرت اليوم بأن كل شجاعتي، وحتى قابليتي لاختبار الحرب نشأتا من يقيني بأن بوفوار قد فهمتني ودعمتني ورضيت بي، ولو لم يكن ذلك لانهار كل شيء ولأصبحت هائماً على غير هدى».

أحس سارتر بالارتياح حين علم أنه سوف يتقاضى معاش التدريس كاملاً طوال الفترة التي سيقضيها في الخدمة العسكرية. وأخبر بوفوار قائلاً: «سيكون لدى عائلتي الصغيرة ما يكفي من المال والضمان، ولن أشعر - بذلك الشعور الذي بدأ ينخر فيَّ - بأنكِ أنت التي تتحملين عبء الجماعة كلها». سوف تكون الأختان كوزاكيفيتش قادرتين على البقاء في باريس. وستتمكن أولغا من متابعة الدروس في المحترف لتبني نفسها كممثلة. وستتابع واندا دروس الرسم ولن تهتم بإيجاد عمل.

في تشرين الثاني عانى سارتر فترة سوداء. كانت عيناه تؤلمانه. في السابق كانت عينه اليمنى عمياء تقريباً، ولازمه خوف من أن يفقد بصره كله. لكن ذلك لم يمنعه من العمل، صار يكتب وعيناه مغمضتان.

ومع ذلك، لم تكن عينه مصدر عذابه الرئيسي، كانت واندا مصدر عذابه. كان معولاً على رسائلها، بضخامتها وبخطها الطفولي. حين كان يقرأ «أحبك بشغف» أو «ينبغي أن تعاملني كراشدة»، كان يشعر بالدفء في داخله. لم يكن يأبه بأخطائها اللغوية الشنيعة ولا بقواعد اللغة ولا بافتخارها بروحها الروسية. كان بحاجة إلى أن تقول له بأنها تحبه. في بداية تشرين الثاني لم تعد تكتب له كل يوم. وقد كتبت تقول إنه بعيد جداً، ربما في كوكب آخر. وصرحت بأن روجر بلين أكثر الممثلين موهبة، كان يغازلها. باح سارتر ببلواه إلى يومياته:

البارحة... نحو الساعة الثانية، استلمتُ رسالة منها اختتمتها هكذا: «ينبغي أن أتوقف، لأني أستطيع أن أرى قمة موهبة بلين وهي تظهر للعيان، الناس يتمسكون به حين يمر، لكن نظرته تتركز عليَّ وهو يسير بنعومة في الاتجاه الذي أسير فيه. إلى الغد». إن نهاية تلك القصة المتسلسلة – «البقية غداً» – قذفتني في نوبة من التنبؤ الغيور: كنت على يقين من أن شيئاً سيحدث بينهما. وفي الحال كتبت رسالة حاسمة، انتهيت إلى تمزيقها. اليوم عدت لأقف موقفاً أكثر توازناً.

فيما بعد تساءل حول «فورة الهوى الغاضبة» التي عاناها في تشرين الثاني. إن استجابته لمشاعر الغيرة كانت نموذجاً عرفه جيداً. وقد قال في نفسه إنه لم يكن يهتم ولن يفقد واندا، وسيقذف بشخصها الصغير في الفراغ. وكالعادة لم يكن قادراً على خداع نفسه. هجرته تماماً الثقة المستبشرة التي يحتاجها للكتابة. فقد الرغبة في أن يبدأ فصلاً جديداً من روايته. وحين حاول تخيل حياته بعد الحرب من دون واندا، لاح له أن عالمه قد تضاءل. كان البعد الحيوي مفقوداً.

لقد فعل ما بوسعه لعقلنة الأمور. فوجود علاقة مع بلين قد لا تعني الشيء الكثير بالنسبة لواندا. وقد كتب لبوفوار يقول: «من الواضح...

أن حياتها هي أنا» - إن الحنان الذي استلهمه منها ربما هو أقل من حاجتها الفكرية والمادية التي تطلبها مني. «ربما تخدعني، ولكني، حالياً، أصبحت أسطورياً بالنسبة إليها، إنها تنحني لي، كما تعلمين، وذلك يجعلها، مع وقارها، خرافة رومانتيكية صغيرة. لا تدمِّري ذلك من أجلي، أرجوك».

كان سارتر يضع في يومياته ملاحظات من أجل بحث فلسفي سيغدو كتاب «الوجود والعدم». وقد دار الجدل المركزي في هذا البحث حول العلاقات مع الآخرين التي تتضمن صراعاً دائماً. والحب بين اثنين هو بالضرورة صراع.

كل شخص يريد من الآخر أن يحبه، لكنه لا يأخذ بالحسبان واقع أن من يحب يريد أيضاً أن يكون محبوباً، وهذا يعني أنه عندما يريد من الآخر أن يحبه فإنه يضع الآخر في موقع من يريد أن يُحب أيضاً... من هنا يبرز استياء العاشق الدائم.

رأى سارتر الحب كمعركة بين شخصين حُرين يحاول كل شخص أن يقيد حرية الآخر، وفي الوقت نفسه يحاول الاثنان أن يحررا نفسيهما من تقييدات الآخرين. هذا السيناريو يتكرر في كل مكان في عمله، تماماً كما سيتكرر في حياته كلها.

حين غادر سارتر باريس، كتبت بوفوار، التي عانت الوحدة، رسالة إلى أولغا الموجودة في ليغل تطلب منها المجيء، وضمنت رسالتها مالاً من أجل أجور السفر إلى باريس. بعد يومين عادت بوفوار إلى فندق الميسترال في منتصف الليل لتجد ملاحظة من أولغا موضوعة تحت بابها: «أنا هنا في الغرفة ٢٠ في نهاية الممر». تعانقت الاثنتان، وتحدثتا حتى الثالثة صباحاً.

لطالما كرهت أولغا فندق الميسترال، لذا انتقلت بوفوار مع الأختين كوزاكيفيتش إلى فندق الدنمارك في شارع فافان. كانت الغرف أوسع وأكثر راحة، وكان الفندق قريباً من مقهاهن المفضل، الدوم، لكن بوفوار شعرت بالحزن لتركها المكان الذي تشاركت فيه مع سارتر.

كتبت إليه تقول «أحسست كأني أنفصل عنك». «سنعود كلانا إلى فندق ميسترال، يا حبي أليس كذلك؟ هل سنعيش معاً ثانية؟ وبفجور؟ أيها الكائن الصغير، أيها المخلوق الصغير الغالي، أحبك كثيراً – لم أستطع اليوم الكف عن البكاء». مع غياب الرجلين، كانت المرأتان تجتمعان على نحو أكثر. في أحد الصباحات، وبينما كانت بوفوار تتناول طعام الإفطار في غرفة أولغا، قدمت واندا إلى الغرفة، وقضت الثلاث ساعة ممتعة معاً. وفي إحدى الأمسيات رافقتهما واندا إلى مكان يدعى جوكي، وهو بار للرقص في مونتبارناس. وجدت بوفوار نفسها مفتونة بواندا، بكنزتها السوداء الصغيرة، ومزاجها الطيب، وشعرها الأشقر القصير، وتعابيرها الطفولية. وطوال الأمسية لم تستطع بوفوار الكف عن النظر إليها. وأدركت السبب في انجذاب سارتر إليها.

لكنها قاومت باستياء. إنها تكسب دخلاً وتعمل بنشاط. وعلى الرغم من أن الأختين كوزاكيفيتش تعيشان بدعم منها ومن سارتر، إلا أنهما تفقدان الحافز. فواندا تتشارك مع بوبيت في ستديو قرب حديقة النباتات (تدفع بوفوار أجرته). وقد أنجزت بوبيت رسماً رائعاً لواندا وهي تعمل أمام حامل اللوحة، لكن ذلك كان مشهداً نادراً. فواندا «تعمل مدة ساعة واحدة كل ثلاثة أيام». وقد استأنفت أولغا دروسها في محترف التمثيل، ودولين يشجعها، لكن أولغا تعاني قلقاً رهيباً. كانت دائماً تخبر بوفوار عن آخر كارثة في التمرين. فهي إما أن تفقد صوتها

أو تقرأ ببطء وعلى نحو مشوش أو تنسى الكلمات. إنها بحاجة إلى طمأنة دائمة.

كانت بوفوار تستمتع بالكتابة إلى سارتر وبوست، وترسل لهما رزماً تحتوي - كتباً، ودفاتر يوميات، وتبغاً، أو أي شيء آخر يطلبانه. ونادراً ما تكون هذه الرسائل والرزم قانونية، لكن معظمها سريٌّ. لم تكن الأختان تعلمان أن بوفوار تراسل سارتر وبوست كل يوم تقريباً. في حين أوضحت أولغا بكبرياء أن العلاقات عن بُعد هي علاقات تجريدية وغير حقيقية، وستكتب رسائل إلى بوست حسب مزاجها.

بعد التدريس الصباحي، كانت بوفوار تلتقط بريدها السري من مركز البريد المحلي. وتمضي مباشرة، كلما استطاعت، إلى المقهى لترد على ما وردها. وفي أحد الأصائل أرسلت رسائلها إلى سارتر وبوست ثم عادت للقاء أولغا، التي استلمت أيضاً رسالة من بوست، وكانت الرسالة أطول من رسالتها. وعندما طوت أولغا الرسالة، لمحت بوفوار الكلمتين«حبيبتي الغالية». شعرت بوفوار كأنها تلقت ضربة عنيفة. فقد كتب إليها بوست.. «عزيزتي بوفوار». وحاولت إقناع نفسها بأن بوست أحبها بالقدر الذي أحب به أولغا، وينبغي أن تكون راضية بذلك. ومع ذلك فهي لم تعطه كل حبها أيضاً. لكن في محاولتها لكي تكون معقولة، اكتشفت أن حب بوست لأولغا سيظل جرحاً مفتوحاً.

لم يكن يُسمح للنساء بزيارة أزواجهن في الجبهة. فهن بحاجة إلى جواز مرور للدخول إلى منطقة الحرب، أو يجازفن فيُسجنَّ، ويُعاقب الجنود إن حاولت نساؤهم رؤيتهم. كذلك لم يكن النساء يعرفن مكان إقامة أزواجهن. وكان المراقبون الحربيون يفضّون الرسائل كيفما اتفق للوقوف على محتواها. ومع ذلك، واستجابة لتوسلات بوفوار، أرسل إليها سارتر تعليمات في رمز «كود». فكتب «إيما» تود أن تراها في

تشرين الثاني. وأمل أن تكون أسعد حالاً من أصدقاء إيما: برنارد، رينيه أولمان، موريس، أدريان، تيريز هيريكورت. كان يدلها بدقة، من خلال ذكر الأسماء، على اسم البلدة وهو بروماث Brumath [١٧].

في ٣١ تشرين الأول، نهضت بوفوار في السادسة والنصف صباحاً وارتدت ثيابها بسرعة. كان بوليفار دو مونتبارناس لا يزال مظلماً حين سارت باتجاه سيارة أجرة واقفة. غادرت من محطة الشرق على متن ذات القطار الذي استقله سارتر قبل شهرين. كانت بوفوار قد تذرعت بالمرض لكي تحصل على وثيقة طبية وإجازة من المدرسة، ودبرت وثيقة إقامة مزيفة لكي تحصل على جواز مرور. لم يكن ذلك سهلاً.

كان القطار مزدحماً بالعسكريين. قرأت بوفوار أثناء الرحلة Barnaby Rudge لـ ديكنز، متطلعة بين حين وآخر إلى ألوان الخريف في الريف. وفجأة أدركت أنها سترى سارتر، فأحست بالسعادة الخالصة.

كان الوقت منتصف الليل حين وطئت رصيف المحطة الخاوي في Brumath. هرعت إلى فندق الأسد الذهبي - أشار سارتر في رسائله إلى المكان - وقرعت الباب. لم يجب أحد. مر جنديان يحملان مصباحين وطلبا رؤية وثائقها. أخبرتهما أنها من باريس. فقالا إنهما من باريس أيضاً. رافقاها إلى عدة فنادق قبل أن تجد غرفة. انزلقت بين الملاءات الباردة مرهقة ومتوترة.

كان سارتر قد أخبرها بأنه يتناول إفطاره في السابعة صباحاً في مطعم الأيل، استيقظت بوفوار باكراً ثم يممت شطر المكان عند انبلاج الفجر. خفق قلبها بعنف حين رأت شخصاً صغيراً مألوفاً يلوح في الشارع،

١٧- تتشكل كلمة Brumath بأخذها الحرف الأول من كل اسم من أسماء أصدقاء إيما. (المترجم)

سائراً، كالعادة، بسرعة وغليونه في فمه. لقد نبتت له لحية صغيرة بدت لها مرعبة. لم يكن يتوقعها بهذه السرعة. فبرقيتها لم تصل.

كان سارتر مرتدياً الزي العسكري، مما عنى أنهما لن يستطيعا دخول المقهى معاً. ذهبا إلى غرفة بوفوار المتجمدة في الفندق. شعرا بالقلق الشديد. ترى هل تستطيع تمديد مدة إجازتها؟ قال سارتر إن شرطة المنطقة صارمة. إذ بعد ساعة ينبغي عليه العودة إلى ثكنته. وحين عاد إلى فندق بوفوار في الساعة الحادية عشرة صباحاً، كان قد أزال لحيته.

في النهاية قررت بوفوار البقاء مدة أربعة أيام. تحدثا طويلاً. شرح لها سارتر آخر أفكاره الفلسفية. وفي الفترة التي عاد بها إلى ثكنته، قرأت بوفوار روايته، وسجلت ملاحظاتها النقدية واقتراحاتها. قرأا معاً يومياتهما. تضمنت يوميات بوفوار الأحداث اليومية، أما يوميات سارتر فكانت تأملية أكثر. شجعها سارتر على أن تسبر على نحو أعمق، وقال: كان هذا وقتاً طيباً بالنسبة إليهما ليلتفتا إلى حياتهما في الماضي. فعلى سبيل المثال، إلى أي حد اعتقدت أن حياتها تشكلت وفقاً لكونها امرأة؟

ناقشا حياة حبهما المعقدة. اعترفت بوفوار بالألم المبرح الذي سببه لها حب بوست لأولغا. لقد سبق أن خشيت من صعوبة رؤية بوست في إجازته بسبب أولغا، وخافت خوفاً شديداً من الاضطراب العاطفي الذي أدركت أنها ستشعر به. لم يعتقد سارتر بأنه ينبغي عليها أن تكون خجلة من أحاسيسها، ولكن يتوجب عليها ألا تنسى أنها اختارت علاقتها ببوست. في الواقع، كانت أولغا ضرورية من أجل توازن العلاقة. إذ لم يكن باستطاعة بوست أن يعطي نفسه كلها لبوفوار، لأنها (بوفوار) لم تعط نفسها كلها لبوست. كان لديها سارتر.

اعترفت بوفوار أيضاً بأنها كانت قلقة جداً بشأن إجازة سارتر القادمة. وسألت سارتر «وأنت». كيف سيكون من الممكن أن أراك معظم الوقت تقريباً، ولا تراك واندا إلا لوقت قصير كما قلت؟ أحست بالحزن لأنه سيتوجب عليهما الاختفاء في باريس، بعيداً عن مرأى واندا. فقد رأت أن من الوضاعة ألا تعلم الأختان كوزاكيفيتش بأن سارتر يقضي معظم إجازته معها. شعرت أحياناً برغبة جامحة في البقاء وحدها في العالم مع سارتر، فقط هما وحدهما.

أعطاها سارتر رزمة من رسائل واندا بنينفيلد لتقرأها. قال: إنه يشعر بالحنان تجاه واندا، لكنها في الثانية والعشرين من عمرها، غير ناضجة وغير مستقرة. ومع نهاية الحرب من المحتمل أن تكون «ميتة، مجنونة، أو ذاهبة مع فتى آخر». أما فيما يتعلق بـ بنينفيلد، فهو يكتب لها بانتظام - أحياناً ينسخ مقاطع كاملة من رسائله إلى واندا - لكنها لا تهتم به في هذه الأيام.

تمكن سارتر من تدبير غرفة لهما في فندق الثور الأسود لقضاء ليلتين معاً. تانك الليلتان كانتا، في ذلك الجو المشحون بجو الحرب، متقدتين بالعواطف الجامحة. مارسا الجنس. وقد كتبت بوفوار فور عودتها: «أنا سعيدة يا حبي. لم يسبق أبداً أن رغبت فيك بمثل تلك القوة والفرح العارم... لم يسبق أبداً، أبداً أن شعرت بهذا الاندماج الكامل معك».

كان يحلو لسارتر أن يفكر بها وهي في غرفتهما - «وحدنا وعاريين تماماً، التعابير القليلة المرتسمة على وجهك، ابتساماتك الرقيقة، ذراعاك الصغيرتان حول عنقي». وفي بعض رسائله نقرأ. «يا زهرتي الصغيرة، لم أحببك بهذا القدر الكبير مثلما أحببتك في الأيام القليلة الماضية... زوجك الصغير يحبك».

اعترفت بوفوار لسارتر قائلة: «الحقيقة هي أني طورت ميلاً مؤكداً فيما يتعلق بمثل هذه العلاقات». لم تكن تتحدث عن علاقتهما، فهي تعلم أن سارتر يكره أن تتشبث به. كانت تشير إلى ما كان سارتر يدعوه «حريم النساء».

لم يكن لدى بوفوار أية شكوك حول اشتهائها الجنس الآخر، لكنها طالما تساءلت عمّا إذا كانت أيضاً «فخ ذئب» - تعبير مدام موريل تصف به الشاذين جنسياً، تبنته بوفوار وسارتر. لقد أثارت بوفوار كمعلمة افتنان عدد استثنائي من التلميذات. وكانت النساء يخبرنها بأنها جميلة. أما الرجال فنادراً ما أخبروها بذلك - في صميم هذا الموضوع، أجرت استطلاعاً للرأي، إذ طلبت من صديقاتها أن يسألن الرجال عن كيفية استجابتهم لها جسدياً. سارتر لم يُشعرها أبداً بأنها مشتهاة على نحو خاص. حتى بوست كان يبدي أحياناً تعليقات مضطربة. وقد بدأت تلف رأسها بعمامة (كانت تشبه العمامة، لكنها في الواقع عصابة رأس)، أرسلت صورة لها بالعمامة ليراها بوست. كتب يقول: إنه ألقى عليها نظرة واحدة وراح يضحك حتى البكاء. «تبدين مثل سحاقية، أو مدمنة كوكائين، ومثل درويش أيضاً».

كانت بوفوار تتمتع بممارسة الجنس مع الشابات الجميلات - لم يكن هناك شك في ذلك - لكنها كانت تقول دائماً بأن النساء كن بديلاً هزيلاً عن الشيء الحقيقي. وحين كتبت لسارتر حول علاقاتها الغرامية مع النساء، كان أسلوبها يشبه أسلوبه تماماً. كان جزءاً من متعتها أنها شعرت كأنما كانت سارتر. وقبل عيد الميلاد عام ١٩٣٩ بوقت قصير كتبت له تخبره عن الليلة التي قضتها مع بنينفيلد:

ذهبنا لنتناول طعام العشاء في الـ Knam، تحدثنا، وبذلت جهداً حقيقياً. علاوة على ذلك كان مزاجي جيداً، وفي نفس الوقت كنت

متعبة، ولهذا كنت بسيطة تماماً. كانت دائماً ما تجدني في تلك الأحوال مرحة - ومفتونة. عدنا إلى غرفتها، ذهبنا إلى السرير وتحدثنا قليلاً، ثم تحولنا إلى العناقات. اكتشفت أن من الآسر حقاً أن أنام في غرفتها. وعلى الرغم من ذلك نمت نوماً سيئاً منذ أن بدأت تشخر... استيقظنا في الثامنة والنصف تقريباً، ومثل رجل ارتوى رغبة تجنبت عناقاتها بوقار. أردت أن أتناول طعام الإفطار وأعمل.

في هذه الأيام، كانت بوفوار متحمسة بشأن ناتالي سوروكين، شابة أخرى في صف البكالوريا، تطورت علاقتها بها إلى شغف. ولدت سوروكين لأبوين روسيين، وقد تمتعت بجمال طلعة سلافية. طويلة وذات شعر أشقر، وجسم عضلي قوي، وإيماءات خرقاء، وتسلك سلوك الصبيان عند المشاجرات. غرتها الشقراء تحجب ندبة، ولها طبع وعر جعل أولغا تبدو بالمقارنة معها لينة العريكة.

حصلت سوروكين على نتيجة جيدة في فحص البكالوريا، وتحمست لمتابعة دراساتها. أرادت لها أمها، المطلقة التي تكافح لتكسب إيراداً، أن تبحث عن عمل. لكن بوفوار عرضت أن تدفع للفتاة نفقات الدراسة. وبعد اندلاع الحرب مباشرة، انتسبت سوروكين إلى جامعة السوربون.

سرعان ما اتضح لبوفوار أن سوروكين تريد شيئاً آخر أكثر من الدعم ومن التقبيل على الشفاه. وأخبرت سارتر قائلة: «لا شيء يمكن فعله، إنها تريد أن تنام معي»

صدقاً إني لم استسلم لها بسرعة - لم تجرفني العاطفة عبثاً - لكنني لا أستطيع إيجاد أي عيب فيها، لكنها محدودة. إن كنت حرة، فسأسلم نفسي لهذه العلاقة بحماسة. البارحة كنت مفتونة بها، وقد لاحظتْ ذلك - جعلها ذلك سعيدة حقاً. أخبرتها الكثير عن المومسات وبيوت

الدعارة - أصغت باهتمام كبير. إنها تقرأ الآن Intimacy... إنها حساسة تجاه الأسلوب، وكانت مبتهجة وهي تقتبس لي عباراتك التي وجدتها فاتنة. طلبت مني أن أشرح لها الفواحش - ولكن فقط في غرفتي، ووجهها إلى الحائط. دعوتها بـ الظبية المذعورة مما أهاجها وأشعل رغبتها.

بحلول كانون الثاني عام ١٩٤٠ كانت المرأتان تمارسان علاقة جنسية مكتملة النضوج. وقد اعترفت بوفوار قائلة: «لدي ولع شديد بجسدها». كانت بوفوار، مع سارتر، تؤكد على الجانب الجنسي لعلاقاتها السحاقية، ومع بوست تقلل من أهميته. فقد أخبرت بوست قائلة: كان غريباً أن أكون محبوبة وموضع إعجاب من قبل تلك الشابات. ولكن في أعماقها السحيقة كانت تعلم بأنهن لم يحببنها. ما كن يرغبن فيه هو ما ينعكس منها على حياتهن الخاصة. كن يعشقن حريتها.

في شباط عام ١٩٤٠، كان قد مضى على الجنود الفرنسيين المبعدين عن عائلاتهم مدة خمسة أو ستة أشهر، كانوا ضجرين وعصبيي المزاج. وحتى الآن لم يفعل الألمان شيئاً. ما الذي كانوا ينتظرونه؟ كانت الشائعات تدور حول هجوم في الربيع.

حتى اللحظة الأخيرة، كان الرجال لا يعلمون ما إذا كانوا سيحصلون على إجازة أم لا، وإن حصل ذلك، فما هي مدتها. كانت الأفضلية للرجال المتزوجين. في البداية بدا أن سارتر وبوست سيكونان في باريس، على الأرجح، في ذات الوقت. بعدئذ بدا أنهما لن يأتيا أبداً. وأخيراً أخبر سارتر بوفوار بأنه سيصل إلى باريس يوم الأحد في الرابع من شباط، وسيمضي فيها عشرة أيام.

كانت بوفوار متوترة. كتبت في يومياتها: «لدي شعور بأنني سألقاه

فقط في الحلم» أو «إنه، على الأقل، سيمنح إجازة في الحلم فقط». خططا للبقاء في ميسترال، مأواهما القديم. إذ إن الأختين كوزاكيفيتش لا تقتربان منه. وستخبر بوفوار أولغا بأنها ستذهب إلى ليموزين. وقد كتب سارتر عدة رسائل إلى واندا قبل أن يغادر ثكنته، وطلب من شماسيه أن يرسلوا كل يوم واحدة منها من منطقة الحرب.

في صباح الأحد ملأت بوفوار حقيبة بملابس سارتر المدنية أخذتها من منزل أمه، وحملتها إلى ميسترال. وفي الساعة الخامسة مساءً، كانت بوفوار في محطة الشرق جالسة في مقهى الشرق تنتظر، منفعلة، قدومه. أخيراً ها هو ذا سارتر في قمة السلالم مرتدياً معطفاً حربياً قذراً وحذاءين ضخمين.

كانا طوال الأيام الأربعة التالية، معاً في كل دقيقة، باستثناء الفترة التي تكون فيها بوفوار في المدرسة، ويكون سارتر في منزل أمه. كانا يذهبان كل صباح إلى مقهى الفرسان الثلاثة، ويقرأان روايتيهما. في رواية بوفوار «أتت لتبقى» لم تُعالج شخصية بيير لابروس، التي تمثل شخصية سارتر على نحو مثالي. على العكس تماماً، أشارت بوفوار إلى أن قلق سارتر وسلوكه التلاعبي مرسومان بدقة. لم يكترث سارتر بالأمر. واقترح عليها إعادة كتابة الفصل الافتتاحي، ولكنه أشاد بالرواية ككل.

في مساء الجمعة، غادر سارتر لقضاء ثلاثة أيام مع واندا. كان قد أخبرها بأن مدة إجازته ستة أيام فقط، وانه سيمضي الأيام الثلاثة الأولى معها، والأيام الثلاثة الأخيرة مع بوفوار.

كتبت بوفوار في يومياتها: «لم يزعجني ذلك، وليس لدي شعور بأن هذه الأيام أُخذت مني». ومع ذلك، فقدت هدوءها حين قابلته في اليوم

التالي في الدوم، إذ لم يكتم سارتر عواطفه القوية تجاه واندا، وغادرت المقهى مغمومة. أما آن لسيناريو الثلاثي، الذي رسمته في روايتها «أتت لتبقى»، أن ينتهي؟ وفي اليومين التاليين نامت نوماً مضطرباً و لم تفارقها آلام الرأس. وكتبت في يومياتها: «الأسى العاري الذي سببه الغياب».

في صباح الثلاثاء استيقظت «متعبة مشحونة بالقلق». قضت الفترة الصباحية في التدريس. ثم ذهبت إلى الدوم للقاء سارتر. لم يتغير مزاجه، كان يلازمه إحساس بالسوء سببته جميع الأكاذيب التي قالها لواندا، خصوصاً أنها بدت تحبه بإخلاص. لقد بدأ يتساءل عما إذا كان من غير الممكن قضاء حياة واحدة بإخلاص مع شخص واحد.

أمضى سارتر مع بوفوار آخر أمسية لهما معاً في المقهى. وخرجا قبل منتصف الليل، ساعة منع التجول، وعادا إلى الميسترال. تحدثا طويلاً. لم يرد سارتر الذهاب إلى السرير إذ سيحول النوم بينهما. أرادا أن يدخرا كل دقيقة معاً. وأخيراً ذهبا إلى السرير.

في يوم الخميس، بعد إفطار مبكر في مقهى الفرسان الثلاثة، ارتدى سارتر الملابس العسكرية التي نظفتها له والدته، وذهب مع بوفوار إلى محطة الشرق. كانت المحطة مكتظة بالمسافرين والمودعين. كتبت بوفوار في يومياتها: «إنه لمؤثر وبدائي هذا الفصل العنصري بين الجنسين، فالرجال يؤخذون بعيداً، والنساء يعُدنَ إلى البلدة». «يشعر المرء بحرقة الليل خلفهم، والافتقار إلى النوم، والإجهاد العصبي في الصباح».

لم تشعر هي وسارتر بحرقة الليالي. كتب لها سارتر فيما بعد: «يمكنك أن تدركي أني لم أتغير، ربما ذوت قليلاً علاقتنا الجسدية، ولكني أجد ذلك مرضياً أكثر».

كان قلقاً من أن يُظهر أن ذلك لن يؤثر في حبه لها. «وجهكَ الصغير،

عيناك الطافحتان بالدموع اللتان رأيتهما عبر زجاج مقصورة القطار، غمرتاني بالحب. كم كان ذلك رائعاً يا عزيزي بيفر، لم أعرف شيئاً أكثر جمالاً في العالم من ذلك الوجه. لقد جعلني أشعر بالقوة وملأني بذلك الخزي لاعتقادي بأن ذلك «لأجلي» كان جميلاً جداً».

بعد يوم من مغادرة سارتر، ثارت عاصفة ثلجية عنيفة. لم تسمع بوفوار شيئاً عن بوست. وطوال أسابيع كانت تتوقع زيارته بمزيج من الألم والتوقع والرغبة المشتعلة. لم يريا بعضهما منذ ستة أشهر. وبعد زيارتها لسارتر في Brumath، ضغطت على بوست ليدعها تأتي لرؤيته. وكان قد قال لا. ضغطت أكثر. فظل يقول لا. ومنذ ذلك الوقت، وطوال الشهرين الأخيرين كان في الجبهة. عانى هو ورفاقه تجمداً في أرجلهم. كانت أعصابهم متوترة. وبسبب من ضجرهم راحوا يشربون الخمر بكثرة. كانت بوفوار تكتب له يومياً، وقد كتب لها مراراً، أحياناً في ظروف رديئة. وقد أكد لها قائلاً: «أحبك، ولا تستطيعين أن تدركي كم أنا سعيد بحبك لي، وإلى أي حد غيَّر ذلك حياتي».

في أصيل يوم الجمعة، وبينما كانت في الحصة التدريسية، قرعت إحدى عاملات التنظيف باب صفها ودخلت. مشت نحو مقعد المدِّرسة وهمست في أذنها: «السيد بوست» ينتظرك في غرفة الزوار. «بدأت يداي ترتجفان وقلبي يدق، وبالكاد استطعت أن أكمل الموضوع المتعلق بعلم الاجتماع - مرت الربع ساعة تلك في أغرب ألم لنفاد الصبر. اندفعت بعد انتهاء الحصة إلى هناك لأجد بوست الصغير ينتظرني».

تمشيا وسط الثلج - إلى جانب السين، وعلى طول قناة سانت مارتن إلى محطة الشرق حيث تناولا القهوة في المقهى الكئيب الواقع تحت الأرض، الذي كان يعني الكثير بالنسبة لبوفوار، بدا بوست كأنه لا

يلاحظ المحيطين به. تحدث بهوس - عن الحياة في الجبهة وعن رفاقه وضباطه، تحدث عن كل شيء باستثناء نفسه.

عند تناول طعام العشاء، غدا أهدأ بقليل. أراد أن يعرف كل شيء حول سارتر والأختين كوزاكيفيتش، وحول كل شخص آخر. أمضى مع بوفوار ليلة «حنونة ملتهبة العاطفة» في فندق الشرق. أخبرت سارتر قائلة. «لكني نمت نوماً سيئاً بسبب الحرارة الخانقة - إضافة إلى أن أعصابي كانت مرهقة».

في اليوم التالي أطلعته على يوميات سارتر، التي قرأ منها مقاطع بنشوة وحشية. أخبرته بآخر القصص حول بنينفيلد ووواندا. كتبت لسارتر تقول: «من وجهة نظر رجل المبادئ الأخلاقية وجدنا سيئي السمعة. لكن قلبه معنا».

ذهبنا إلى نوكس، جلسنا وتحدثنا - بلطف، بلطف زائد. في الحقيقة كان متأثراً: إنه يخطط ليعد بحثاً عنك وعني، آملاً ذلك فيما بعد. تحدث حول رفاقه - وحول نفسه ومزاجه، أسفه وسعادته - على نحو متقطع من دون هذر اليوم الفائت، بما كان في أعماقه السحيقة. كنت متأثرة إلى حد البكاء، وكان شديد الانفعال - احتسيت الكثير من شراب التودي والمشروبات الكحولية الأخرى - لكني لم أنزلق إلى وضع يثير الشفقة.

أمضت بوفوار مع بوست ثلاثة أيام وليالٍ معاً. متنقلين بين فنادق مختلفة. وغادر بوست مساء يوم الاثنين. كان ماضياً لقضاء الأيام الستة التالية مع أولغا، التي كانت تعتقد بأنه وصل لتوه إلى باريس.

في الأيام التالية حلمت بوفوار ببوست، افتقدت قبلاته، تاقت إلى جسده، وحسدت أولغا. ومع ذلك، كانت في حالة رائعة، إذ جعلها

حنان بوست تستشعر القوة. وقد أخبرت سارتر: «هناك شيء واحد واثقة منه الآن، هو أن بوست يشكل جزءاً من مستقبلي بكُل ما في الكلمة من معنى - وعلى نحو جوهري».

كانت قد نسيت القواعد. فعلاقاتهما «العرضية» لم تكن تعني أن تصبح «جوهرية». وفي حين عادت السكينة إلى بوفوار، غاص سارتر في أزمة أخرى. كان قد غادر باريس مفتوناً بواندا. وبعد وصوله إلى منطقة الحرب داهمه كابوس حقيقي. فقد واجه أياماً من الصمت الطويل. لا رسائل من واندا. ثم أتاه فجأة خبر صاعق - أربع صفحات من واندا ترغي وتزبد فيها.

يبدو أن ماضي سارتر قد لاحقه. فالممثلة كوليت جيلبير التي أقام معها علاقة جنسية في الصيف الماضي، روت قصتها الكاملة مع سارتر إلى مارسيل مولودجي، تلميذ الدراما البالغ من العمر ١٨ عاماً وصديق واندا المقرب. لقد أعلنت جيلبير أن سارتر قام باغتصابها، حتى إنها أطلعت مولودجي على رسائل الحب التي كتبها لها سارتر. كان مولودجي يكن لواندا كوزاكيفيتش أكثر من مودة. وقد كتب في مذكراته «الضيف الصغير». بأنها كانت تسلب لبه. لقد أحب عاداتها الروسية، ضحكتها، شعرها القصير الأشقر. كان مفتوناً بلغتها العقلانية. وفي أمسيات يوم الجمعة كانا، عادة، ما يذهبان إلى مرقص الزنجي في شارع بلوميه حيث يراقبها وهي ترقص مع مراقصيها الإفريقيين والهنديين الغربيين. كانت بالنسبة إليه صعبة المنال، نوعاً من ربة. وقد عرفته بثلة سارتر. كانت واندا تتحدث عن سارتر بإعجاب. لكن لم يدر بخلد مولودجي أنها وسارتر عشيقان.

نقل مولودجي قصة جيلبير. وقد أظهرت واندا، في ذلك الوقت، رد فعل هادئ. فقط بعد عقود، وحين نُشرت رسائل سارتر لبوفوار في

عام ١٩٨٣، اكتشف مولودجي أن واندا لم تكن لا مبالية كما أظهرت في ذلك الحين.

حاول سارتر، الذي شعر بالخوف والخجل، أن يحافظ على هيبته بتظاهره بالغضب. أخبر واندا أن من حقه هو أيضاً أن يغضب. فلماذا أصغت لرواية مولودجي و لم تستمع إليه؟ ينبغي على واندا أن تعيد قراءة رسائله. كيف يمكنها أن تشك في حبه؟

وكتب لكوليت جيلبير رسالة قاسية جاء فيها: «لم أحبك أبداً. وجدتك مستساغة جسدياً مع أنك سوقية، ولكن بالتأكيد كان لدي انحراف جنسي حين انجذبت إلى سوقيتك. لم أكن أنوي أبداً – من اليوم الأول – سوى أن أقيم معك علاقة قصيرة جداً... رسائلي، التي كانت مجرد تمارين في الأدب العاطفي والتي أضحكت بوفوار وأضحكتني، لم تكن لتخدعك أبداً». بعث هذه الرسالة إلى واندا طالباً منها أن ترسلها إلى عنوان جيلبير. وأرسل نسخة منها إلى بوفوار.

لقد كان «وغداً وضيعاً». مع واندا، كما اعترف لبوفوار بحزن. كان خجلاً، بكل ما في الكلمة من معنى، من سلوكه مع جيلبير، ومع النساء بوجه عام:

ما الحاجة التي توخيتها من وراء ما فعلته مع تلك الفتاة؟ أليست بكل بساطة الرغبة في لعب دور دون جوان؟ وإن عذرتني بسبب الشهوانية، دعيني أقُل لك، قبل كل شيء، بأنه ليس لدي شيء منها، وتلك الرغبة الصغيرة السطحية ليست عذراً مقبولاً...يبدو لي أني تصرفت، حتى الآن، مثل طفل مفسد في علاقاتي الجسدية مع الناس. هناك عدد قليل من النساء لم أزعجهن في هذا الصدد... وفيما يتعلق بك أيتها البيفر الصغيرة، التي لا أكن لها سوى الاحترام، فقد أربكتك، خصوصاً في

البداية، إذ وجدتني داعراً إلى حد ما. لست شهوانياً بالتأكيد. أنا متأكد تماماً أني لست كذلك. ولكني ببساطة داعر.

توسل سارتر، في فورة تبادل الرسائل، إلى واندا أن تدرك إلى حد جعلته هشاً. لقد أحبها. لم يكن يتحمل التفكير بالاشمئزاز منها. «أنت تعرفين جيداً أني سأدوس على الجميع (حتى على بيفر)...لكي أحظى بعلاقة جيدة معك».

اقتبس هذه الملاحظة وأقحمها في رسالة بعث بها إلى بوفوار. وقد اعترف لها قائلاً: «الخاتمة تسوغ الوسيلة، لكني لست فخوراً بكتابة ذلك». وحين لم يسمع شيئاً من بوفوار طوال خمسة أيام، بدأ يقلق بشأنها.

أنا في وضع غريب، لم أكن أبداً غير واثق من نفسي منذ أن أصبحت مجنوناً..يا حلوتي، لكم أنا بحاجة إليك... أحبك. أنا خائف من أن أبدو مخادعاً بالنسبة إليك مع كل الأكاذيب التي ورطت نفسي فيها... خائف من أن تتساءلي فجأة... هل من المحتمل أن يكون كاذباً معي، وهل يخبرني نصف الحقائق؟ يا صغيرتي، يا عزيزتي بيفر، أقسم لك بأني نقي معك تماماً. يا حبي، أنت لست فقط حياتي، بل أنت صدق حياتي الوحيد.

شعر سارتر براحة كبيرة حين وصلته رسالة من بوفوار في اليوم التالي، رسالة قاسية لكنها متسمة بالغفران. وقد رد قائلاً: «ينبغي ألا تكوني خائفة جداً من رسائلك التي تضمنت نفحة جميلة من التأنيب، فقد عاودت تذكيري بأخطائي التي اقترفتها. أو بطريقة أخرى، ألست بعد الآن ضميري الأخلاقي؟ أشعر بأن هذه الفترة بأكملها سيطولها الإصلاح فقط حين تتاح لنا الفرصة للتحدث حولها معاً».

أكد لها أنه لن يقيم أية علاقات جديدة لوقت طويل. لقد جعله هذا الحدث يدرك مرة أخرى كم كانت علاقتهما هامة بالنسبة إليه. وفيما يتعلق بالعلاقات «الزوجية» كانت واندا أكثر من كافية.

كتب سارتر، العازم على ترتيب حياته العاطفية، إلى بيانكا بنينفيلد، معلناً أن ما بينهما قد انتهى.

وبعد وقت قصير التقت بوفوار بـ بنينفيلد. كتبت بوفوار حول هذا اللقاء: «كانت تكبح نفسها بشجاعة مدهشة – لكن الغضب كان قد بدلها». وكتبت إلى سارتر تؤنبه: «لا أعرف ماذا كان يدور برأسك. تلك الرسالة، بما حوته من عظة أخلاقية وتصريحات الاحترام، كانت غير مقبولة تماماً... كانت بيانكا تحس بالإهانة لأنك لم تأل جهداً لتشرح لها الأمور على نحو لائق. كانت تشعر بالخزي والقرف من الرسائل العاطفية التي كتبتها لها قبل أسبوعين فقط. وقد وجدت ذلك غير مرض... إنها تعرف أن هناك كذبة في مكان ما وتتساءل ما هي الحقيقة – إنها لا تفتقر إلى الشكوك حتى فيما يتعلق بي».

بعد بضعة أيام، اعترفت بوفوار بأنها لم تكن بريئة أيضاً. «أنا لم ألمك على قطع علاقتك بعد كل الذي نصحتك بعمله. لكني في الواقع لمت كلينا، أنا وأنت، على الطريقة التي نعامل الناس بها. أحسست أن من غير المقبول أن نخطط لجعلها تعاني كثيراً». وستغدو بوفوار أكثر اقتناعاً بهذا في المستقبل، حين عانت بنينفيلد انهياراً عصبياً.

في نهاية آذار عام ١٩٤٠، بعد ستة أسابيع من إجازته الأولى، عاد إلى باريس لقضاء إجازته الثانية. وفي التاسع من نيسان سمع هو ورفاقه، في القطار المتوجه إلى الألزاس، أن الألمان اجتاحوا الدنمارك والنرويج. كانت «الحرب الوهمية» قد انتهت. ولن يمنح بوست إجازة ثانية.

خلال الشهر الذي تلا واصلوا حياتهم كما في السابق، باستثناء أحداث الجبهة. أقامت أولغا علاقة. وحاولت مع واندا إخفاءها عن سارتر وبوفوار، لكن بوفوار اكتشفتها في النهاية. كان الشخص يدعى باباتاكيس، وهو وسيم جداً، نصف يوناني ونصف أثيوبي، يتسكع مع المشتغلين في المسرح والسينما في مقهى النباتات ويرقص في مرقص الزنجي برشاقة ومن دون ارتباك إلى درجة يضع الرجال الآخرين في الظل.

ما الذي فكر به سارتر؟ أرادت بوفوار أن تعرف. هل يتوجب إعلام بوست؟ لقد أقسمت هي وبوست على أن يكونا صريحين مع بعضهما، وليس من المريح بالنسبة إليها أن تعرف شيئاً لا يعرفه بوست. و لم ترد أن تشارك في ذنب أولغا. وإن اكتشف بوست بطريقة ما، فسيغضب من بوفوار لأنها أخفت الأمر عنه.

أصيب سارتر بصدمة. ترى ألم تشمئزّ أولغا قليلاً من نفسها لقيامها بخداع بوست؟ كذلك غضب سارتر من واندا لأنها حجبت عنه أمر العلاقة. لكنه نصح بوفوار بألا تُعلم بوست. وهو لا يعتقد أن من الصواب أن تقول شيئاً باستثناء أن تهيئ نفسها لتحل محل أولغا، إن قرر بوست التخلي عنها. لا، لا تستطيع بوفوار فعل ذلك، لأن لديها سارتر، ولا يستطيع المرء احتواء علاقتين «كاملتين» في ذات الوقت. ويعتقد أن على أولغا نفسها أن تعلم بوست خلال إجازته التالية. بتلك الطريقة ستتسنى لبوست الفرصة لمناقشة الموضوع معها. فالرجل الذي في الجبهة ليس في حاجة إلى أن يوهن عاطفياً.

بعد مضي عدة أيام، أشار سارتر، على نحو غير متوقع، إلى مذنبين اثنين آخرين في كامل القصة. لقد أخبر بوفوار قائلاً: أينما كانت أولغا متورطة، فإن ذنبهما كان مطلقاً. وكيفما تزعجها أولغا بين وقت

وآخر، فهما جعلاها، جزئياً، تلك الشخصية التي أصبحتها. إنهما خلقا الوضع الذي عاشت فيه، وحافظا عليها بوساطة كذبة مضاعفة. ولا يمكنهما من وجهة نظره الشعور بالندم الوافي تجاه الثعيلبة الصغيرة.

* * *

كتب نيكو باباتاكيس في مذكراته «كل حالات اليأس مسموح بها» أنه أقام علاقة خلال «الحرب الوهمية» مع ممثلة شابة من أصل روسي، هي واحدة من عشيرة سارتر. ولأنه لم يكن فرنسياً، لم يدع إلى الالتحاق بالجيش. فغدا واحداً من الشبان الذين يمكن أن تجدهم في باريس. وكانت النساء يتهافتن عليه.

ومع بلوغ باباتاكيس الثمانين كان لم يزل وسيماً ويمكن رؤيته أحياناً في مقهى النباتات. وهو يذكر أن «أولغا كانت مثيرة جنسياً. ليست جميلة، لكنها مثيرة. كانت تمتلك فتنة سلافية، غامضة من دون أن تبدو هكذا في الواقع. كانت شخصيتها خنثوية، صبيانية تقريباً. لم تكن تمتلك ثديين يمكن الحديث عنهما. كانت جذابة جداً بصوتها العميق. أعتقد بأنها أحبت أن تغوي».

يعتقد باباتاكيس أن علاقتهما دامت عدة شهور. وبما أنها أخفت العلاقة عن بوفوار، لم يخرجا كثيراً معاً، خصوصاً إلى مونتبارناس. لكنه يتذكر أنهما ذهبا مع واندا ومولودجي إلى مرقص الزنجي، حيث كان من غير المرجح أن تلتقي بهم بوفوار.

لقد وجد واندا أكثر جاذبية، إلى حد ما، من أختها. «كانت أولغا تبدو ضائعة وسط الحياة، وواندا ضائعة أكثر. أتذكر أنها كانت تحرك يديها كثيراً أثناء الكلام، وتحاول أن تساير أختها».

كتب سارتر لبوفوار: «يا صغيرتي، البارحة كنت مرهقاً تماماً».

قصفت طائرات الألمان بلدة تقع على بعد ١٥ كيلومتراً، لكن ذلك لم يقلقه. إنها واندا. فقد أصيبت بآفة مرضية. ولن يتمكن الأطباء من تشخيصها إلا بعد تعريضها لأشعة - إكس. لقد كتبت له تقول «عزيزي ما أشد رغبتي في قدومك. تعال بأي ثمن».

شيء غريب، إنها تغدو أكثر فأكثر «طفلتي»، كما كانت أولغا في وقت ما بالنسبة إليك. في هذا الوقت لدي مايكفي لأرد عليها بكلام عذب حين تكون في حاجة إلي. كتبت لها لتوي. أنا على استعداد لأتزوج بها كي أحظى بإجازة مدتها ثلاثة أيام. لا أتخيل أن ذلك سيكون ساراً بالنسبة إليك، ولو أن ذلك رمزي تماماً، فإنه يجعلني متورطاً حتى أذني. أنا لا أرغب في ذلك، إنقاذاً لأحد، على الإطلاق... لكني أخبرك بأني قررت: أود أن أعمل كل شيء أستطيعه من أجل واندا من الآن فصاعداً.

أُخبر سارتر بأنه ليس ثمة إجازات زواج أثناء احتدام المعركة. وتوسل إلى واندا بألا تشعر أنها قد هجرت، مادياً ومعنوياً. وكتب لها قائلاً: «أنت مجمل حياتي، يا حبي». وطلب من بوفوار أن تعطيها مالاً.

في ١٠ أيار عام ١٩٤٠، اجتاح الألمان هولندا وبلجيكا واللوكسمبورغ. وفي ذلك اليوم، نُقل بوست ورفاقه إلى غابات قرب سيدان، القريبة من الحدود البلجيكية. لقد أكدوا معاً بحدة أن خط ماجينو لا يمكن اختراقه، إذ إنه أقوى الخطوط الدفاعية في التاريخ.

لكن خط ماجينو لم يكن مكتملاً، إذ لم يمتد على طول الحدود البلجيكية. وفي ١٢ أيار اجتاحوه من خلال غابة الآردن في بلجيكا، إلى فرنسا. لقد حوصرت الفرق العسكرية الفرنسية وعُزلت، ثم قصفت بالقنابل من الجو.

كتب سارتر إلى بوفوار رسالة ثانية في مساء ١٢ أيار ورد فيها: «عزيزتي بيفر، أرسلتِ لي رسالة عاطفية صغيرة، موجعة جداً، يا أعز ما لدي أين هو بوست في هذه اللحظة؟».

في ٢١ أيار عام ١٩٤٠ أصيب بوست بجروح، أصابته شظية طائشة. حُمل من الخطوط الأمامية وهو ينزف، ونقل على محفة إلى محطة الصليب الأحمر. ومن هناك نقلته سيارة إسعاف إلى مشفى عسكري، حيث أجريت له عملية. أخبره الجراح بأنه كان محظوظاً فنجا.

بعد عدة أيام كتب سارتر لبوفوار يخبرها بأن «رسالتها وضعته في حالة من الاضطراب المؤلم». تساءل، مثلها، عما إذا كان بوست قد عرف شيئاً حول خطورة جراحه، لكنه يعتقد بأنها إشارة جيدة من بوست، إذ استطاع أن يخربش لها رسالة قصيرة. إن نجا فهذا أفضل شيء يمكن أن يحدث له. على الأقل، سيكون بعيداً عن خطوط العدو طوال عدة أسابيع.

خلال الأيام التي تلت، دُمر فوج بوست تدميراً شبه كامل. وبعد يومين من إصابة بوست بجروح، قُتل بول نيزان على الحدود البلجيكية برصاصة ألمانية.

في ساعة متأخرة من ليلة التاسع من حزيران عام ١٩٤٠، عادت بوفوار إلى فندق الدنمارك لتجد رسالة قصيرة في صندوق بريدها. كانت بيانكا بنينفيلد تفتش عنها طيلة اليوم. هل من الممكن أن تأتي مباشرة إلى مقهى النباتات؟

لم يكن ثمة سيارة أجرة في الشوارع المهجورة، لذا أخذت بوفوار المترو إلى محطة سانت جيرمان. اندفعت إلى داخل المقهى، فوجدت بنينفيلد مع أصدقائها، وأمارات الكرب بادية على وجوههم. لقد

تلقى والدها معلومة موثوقة تفيد أن الألمان على وشك الدخول إلى باريس. المدارس في باريس في طريقها إلى الإغلاق. وستغادر بنينفيلد مع والدها باريس في اليوم التالي في سيارته. كان الأمر بالنسبة لبوفوار أقل إلحاحاً - فهي لم تكن يهودية - لكنهما يأملان أن تحزم أمتعتها وتنضم إليهما.

تلك كانت مرحلة هامة في تطور الأحداث، لحظة عصفت في النهاية الحقيقة المرة بالوطن. هُزمت فرنسا وأهينت وركعت، وهي على وشك الاستسلام للألمان. وسيغدو سارتر سجين حرب. بكت بوفوار على نحو هستيري، وخلال مدة قصيرة لم تستطع السيطرة على نفسها.

في اليوم التالي انضمت إلى بنينفيلد في سيارتهما. كان خروجاً جماعياً شهيراً. فقد انطلق على الطرقات نحو ثلاثة ملايين من البشر، متوجهين إلى الجنوب أو الغرب. توجهت سيارة بنينفيلد نحو الغرب. كانوا في طريقهم إلى كويمبر في بريتاني. طلبت بوفوار أن يوصلاها إلى لافال، وهي أقرب نقطة إلى المنزل الريفي التابع لصديقتها مدام موريل، الواقع في منطقة لابوزيه، التي تبعد مسافة ١٤ ميلاً عن أنغرس.

في الرابع عشر من حزيران سقطت باريس في أيدي النازيين. وبعد بضعة أيام استسلمت فرنسا. وفي الثاني والعشرين من حزيران، وقَّع المارشال هنري - فيليب بيتان، البالغ من العمر ٨٤عاماً، هدنة مع الألمان. لقد أحكم النازيون سيطرتهم على القسم الشمالي لفرنسا، بما في ذلك باريس. وسيحكم الفرنسيون الجزء الكبير من الجنوب برئاسة بيتان. وستكون عاصمة الجنوب، التي دعيت «المنطقة الحرة»، فيشي. لقد وقَّع بيتان، سواء أدرك في ذلك الوقت أم لم يدرك، تعاوناً كاملاً مع النازية.

مكثت بوفوار في لابوزيه تستمع إلى نشرات الأخبار، وتقرأ روايات بوليسية وتبكي. وفي نهاية الشهر، نفد صبرها، وأرادت العودة إلى باريس. كانت على يقين بأن ثمة رسائل تنتظرها من سارتر وبوست في الفندق، وكانت تتخيل واحداً منهما، أوكلاهما، قد عاد إلى باريس.

قبلت بوفوار أن تنقلها شاحنة عسكرية ألمانية مسافة جزء من الطريق. كان القسم الخلفي للشاحنة مزدحماً باللاجئين الفرنسيين. لم يكن بإمكانهم التحرك، وكان الجو خانقاً، وأصابت رائحة البنزين بوفوار بالغثيان.

كل ما توقعت أن تجده في فندق الدنمارك كان رسالة مبهجة من سارتر يعود تاريخها إلى التاسع من حزيران. هرعت إلى غرفتها، وراحت تشهق بالبكاء. كان العلم النازي بصليبه المعقوف يرفرف فوق مجلس الشيوخ في حدائق اللوكسمبورغ. الشوارع خالية. كانت باريس متجهمة. أحست بوفوار بأنها وحيدة تماماً.

خلال تلك الأيام الأولى الصعبة، كانت بوفوار تجلس في تيراس الدوم محدقة عبر الشارع إلى تمثال بلزاك للنحات رودان. كانت قد كُلفت بعمل تدريسي آخر، وقد أراحها قضاء صباحاتها في ثانوية دوروي. هتفت إلى منزل بوست في تافيزني، فأخبرتها واحدة من أخواته بأنه نقل إلى المشفى العسكرية في كاربنتراس قرب أفينون. كذلك هتفت إلى أولغا في ليغل. كانت البلدة قد قصفت، مما حطم نوافذ منزل عائلتها، لكن العائلة لم تصب بأذى.

عادت ناتالي سوروكين إلى باريس، لكن بوفوار لم تكن أكثر انشراحاً لرؤيتها. فقد كانت سوروكين لصة متمكنة، وبدأت بسرقة دراجتين هوائيتين، أعطت واحدة لبوفوار. وقد تعلمت بوفوار ركوبها، وسرعان ما بدأت المرأتان بالتجوال في شوارع باريس الخالية.

في الحادي عشر من تموز، استلمت بوفوار رسالة قصيرة من سارتر. كان الظرف مفتوحاً، ولم تتبين بوفوار، في البداية، خط سارتر. لقد اعتقل في الحادي والعشرين من حزيران. كان قد بلغ الخامسة والثلاثين قبل يوم واحد من الهدنة. وقد بدت معنوياته عالية.

«كتبت بقلم الرصاص لأني فقدت البارحة قلم الحبر. آمل أن أراك قريباً، وضعي جيد، أحبك بكل قوتي». فقط فيما بعد أخبرها بأن السجناء كانوا ينامون على الأرض العارية. ومع ندرة الطعام، كانوا في «حالة عاطفية غريبة».

بدأ الناس بالعودة إلى المدينة. ففي الثامن عشر من تموز وصلت أولغا إلى باريس. كان هناك فقط حيز للوقوف في القطار. كتبت بوفوار في دفتر يومياتها:

ذهبت إلى المدرسة بالدراجة، ثم عدت تحت المطر. في الفندق وجدت حاشية من كوزاكيفيتش تخبرني بأنها هنا. نزلت بسرعة من غرفتها، وذهبنا إلى الدوم. كانت ترتدي معطفاً جديداً واقياً للمطر، ولفت حول شعرها وشاحاً أحمر، بدت أنيقة جداً، وأنا سعيدة برؤيتها.

أمضتا بقية النهار في المقهى، تتحدثان بقلق. عادتا في المساء إلى غرفة بوفوار في الفندق. حضّرت أولغا الشاي. تشاركتا سرير بوفوار، ونامتا نوماً سيئاً. انتهت يوميات بوفوار الخاصة بالحرب هناك.

بعد عدة أسابيع، تورطت بوفوار وأولغا في مسألة تعد في نظر قانون حكومة فيشي جريمة. كانت أولغا حبلى. وكان الرجل، موضع الشك، هو نيكو باباتاكيس. علاقتها معه انتهت. ولكن جتى لو كان بوست والد الطفل، فأولغا لم ترده، وهي عازمة على إجراء عملية إجهاض. ولكن في ظل حكومة فيشي كان من الصعب إيجاد مجهض.

حصلت بوفوار على عنوان. كان المجهض عجوزاً نحيلاً، وخشيت بوفوار وأولغا من أن يكون على غير دراية بأمور الصحة وعلمها. انتقلتا مؤقتاً إلى منزل جدة بوفوار، حيث مكثتا «أسبوعين مشؤومين». وستُضمِّن بوفوار روايتها التالية «دماء الآخرين». مشهد إجهاض، وسيستخدم سارتر مجهضة عجوزاً في رواية «سن الرشد» التي كان يكتبها.

كتب سارتر إلى بوفوار يقول: « أعادت لي رسائلك الفرح. أنت حياتي، حلوتي الصغيرة، أنت كل حياتي». كان التواصل متقطعاً. كان يحق للسجناء كتابة بطاقتين أسبوعياً. وقد كتب سارتر رسائل مطولة أرسلها عبر مكتب البريد المدني، لكن ذلك تطلب «براعة وفرصة مناسبة».

في منتصف شهر آب نُقل سارتر إلى معسكر قرب ترابر في ألمانيا بصفة سجين حرب. وقد أكد لبوفوار أنه مبتهج، إذ لم يكن ضجراً ولا جائعاً. في الواقع، لم يشعر أبداً بأنه حر إلى هذا الحد. لقد أحب أصحابه السجناء، وجد شريكاً جيداً في لعب الشطرنج، وغدا لاعباً جيداً في لعبة البريدج. كان يمارس الملاكمة أو المصارعة مدة ثلاثة أرباع الساعة يومياً. وكان يقرأ هيديغر (كان الضباط النازيون يعطونه بسرور نسخة مجلدة من كتاب «الوجود والزمن») ويكتب دراساته الفلسفية «الوجود والعدم». كان أقرب صديقين له قسيسين - أحدهما يسوعي والآخر دومينيكاني. وفي أمسيات الثلاثاء كان يلقي محاضرات فلسفية لجمهور أغلبه من القساوسة.

أنا لست بائساً على الإطلاق، بل أعيش الكثير من اللحظات السارة. صُلْب أنا مثل البلور الصخري. أحتاجك لكي أذوب في الماء يا صغيرتي بيفر، أنت الوحيدة التي أسعى إلى إيجادها ثانية. إن وجدتك ثانية، فقد وجدت سعادتي أيضاً ووجدت نفسي.

واصلت بوفوار حياتها في باريس قدر استطاعتها. لقد غادر معظم أصدقائها. كان رينيه ما هو يُدرّس الفلسفة في مدرسة عليا في مدينة فاس بالمغرب، ستيفا وفرناندو فرا إلى نيويورك بعد أن عُرف أنهما شيوعيان. كوليت أودري في غرينوبل مع زوجها. بوبيت علقت في البرتغال. (ذهبت لزيارة صديقها ليونيل دو روليه، وأغلقت الحدود بعد أسبوع).

كانت بوفوار تدرس في الفترات الصباحية، وفي بعض فترات بعد الظهر، وكانت تذهب إلى المكتبة الوطنية لتتصارع مع هيغل، لكي تستطيع مجاراة سارتر في تفكيره. وفي الأحوال الأخرى كانت تجلس في الدوم، تنقح روايتها «أتت لتبقى».

وكانت تمضي أمسيتين في الأسبوع مع أولغا، التي حظيت بدور صغير في مسرحية بلوتوس plutus التي يعدها شارل دولين. وكانت واندا ترسم صورة شخصية لبوفوار. أخبرت بوفوار سارتر قائلة: «علاقتنا في الوقت الحاضر مهذبة جداً، على الرغم من أنها ابتكرت لي وجهاً يشبه اليقطينة». كانت بوفوار تمضي ليلتين من كل أسبوع مع ناتالي سوروكين. وكانت سوروكين غيورة جداً، إذ لم تكن تقبل أن تضعها بوفوار في جملة الأشخاص في جدولها القاسي. وقد انتقدت بوفوار بشدة لأنها تخصص لها جزءاً صغيراً جداً من حياتها. أوضحت لها بوفوار أنها تعمل في الرواية، إضافة إلى المقررات المدرسية التي ينبغي تحضيرها. كانت سوروكين تنتظر خروج بوفوار كل صباح وتنتظر عودتها من المدرسة. كانت المجادلات بينهما دائمة وحادة، مما أثار انتباه النزلاء. لم يكن لدى أحد أية شكوك فيما يتعلق بطبيعة علاقتهما. كانت المرأتان في طريقهما لإحداث فضيحة في الفندق.

عاد بوست إلى باريس في أيلول عام ١٩٤٠. كتبت بوفوار: «بعد

عدة شهور قضاها في صحبة الإناث، من الرائع أن يحظى مجدداً بعلاقة مع رجل ». استأجر بوست وأولغا غرفة في فندق شابلين في شارع جول – شابلين. كذلك انتقلت واندا إليه. كان ثمة مسافة خمس دقائق تبعد عن فندق الدنمارك.

أُعطي بوست عملاً تدريسياً مؤقتاً. كان يتناول طعام الغداء مع بوفوار كل يوم باستثناء أيام الثلاثاء، حين تذهب بوفوار لزيارة والديها. في أمسيات السبت كانا يلتقيان سراً في فندق قديم يقع في ساحة إميل غودو في مونتمارتر. لقد أحبا هذه الساحة التي تنتشر فيها أشجار الكستناء، أحبا نافورتها المصنوعة من حديد الصب، واستوديوهاتها الخربة، فقد كان يرسم فيها فنانون أمثال بيكاسو وموديلياني وبراك، في بداية القرن العشرين. كان هذا اللقاء يشكل، بالنسبة لبوفوار، ذروة الأسبوع.

كان الجنود في زيهم الرمادي الضارب إلى الأخضر يتبخترون حول المدينة. كان ثمة العديد من اللافتات المكتوبة باللغة الألمانية. وكان التزود بالطعام يستلزم بطاقات إعاشة، ووقوفاً في طوابير طويلة. كانت الفنادق باردة جداً، مما أرغم بوفوار على النوم في سراويل التزحلق على الجليد الصوفية. كان البنزين مفقوداً تقريباً، ولا تجد في الشارع سوى سيارات الأجرة ومركبات الإسعاف. في المقاهي، كان الجميع يتحدث عن السجناء، عن أوضاع السجناء في المعسكرات، وعن إمكان إطلاق سراحهم قبل انتهاء الحرب. كان ثمة شائعات تقول بأنهم يعانون الجوع حتى الموت.

كان هناك لافتات ملصقة على نوافذ المخازن كتب عليها عبارة « يحظر دخول اليهود». لقد طرد العمال اليهود من المعامل، وحرموا من الوظائف العامة والمهن الفكرية. كان على الأساتذة أن يوقعوا شهادة خطية مع قَسَم بأنهم غير يهود وغير ماسونيين.

أنهت بوفوار مسودة أخرى لروايتها «أتت لتبقى»، وراحت تصقل التفاصيل الدقيقة. وأخبرت سارتر أنها بحاجة إلى حكمه. «وحدي في مواجهة النص، شعرت في النهاية بأني مريضة». وكانت بوفوار تساعد بوست في كتابة نص فيلم.

كتبت بوفوار: إنها لم تكن غير سعيدة، لكنها لم تكن تعيش حياتها الحقيقية، التي كانت مليئة وغنية ومبهجة. كان سارتر هو حياتها الحقيقية. إنها تكتب طوال الوقت من أجله. «أعاني كوابيس دائمة حولك. ستعود... لكنك لم تعد تحبني، وأنا يائسة تماماً... أحياناً أبحث عنك في كل زاوية. أعيش فقط من أجل اللحظة التي سأراك فيها من جديد».

لم تر بوفوار سارتر خلال ١١ شهراً. وفي إحدى أمسيات نهاية آذار عام ١٩٤١، عادت إلى فندق الدنمارك لتجد حاشية في صندوق بريدها مكتوبة بخط يده. «أنا في مقهى الفرسان الثلاثة». أحست بقلبها قد توقف. هرعت إلى المقهى. لم يكن سارتر هناك. أعطاها النادل حاشية. انتظر سارتر مدة ساعتين، ثم خرج. سيعود بعد قليل.

كان هناك بعض المدنيين إلى جانب العسكريين في سجون المعسكرات النازية، وقد أطلق النازيون سراح المدنيين الذين أثبتوا أنهم لم يكونوا مؤهلين للخدمة العسكرية. وقد زور سارتر ورفيقه القس وثائق تثبت ذلك. فعند إجراء الفحوص الطبية بالغ سارتر في إظهار ضعف البصر في عينه اليمنى، إذ راح يقرأ على نحو مشوش وببطء شديد. وقع الطبيب أوراق إطلاق سراحه.

عاد سارتر إلى باريس إنساناً مختلفاً. مما أرعب بوفوار. لم يسبق أن كانا على هذه الدرجة من البعد. كان قليل الاحتمال، متصلباً عنيداً،

حافلاً بالانتقادات الأخلاقية اللاذعة. لقد صُدم بسبب توقيعها شهادة خطية تعلن بأنها غير يهودية، واشمأزَّ أن يسمع أنها تشتري أحياناً أطعمة من السوق السوداء. وأخبرها أنه لم يعد إلى باريس ليتمتع بحريته، بل ليعمل. إنه يريد تنظيم فريق مقاومة. ينبغي طرد الألمان من فرنسا. اعتقدت بوفوار بأنه مخدوع. هل ما يزال يفتقر إلى فكرة أنهم لا يملكون القوة بوصفهم أفراداً.

ستكتب بوفوار في مذكراتها: «تلك الليلة، واليوم الذي تلا، ثم الأيام التي تلت، أربكني سارتر على نحو كامل. شعرنا كلانا بأن كل واحد منا يتحدث بلغة مختلفة تماماً».

-٦-

باريس المحتلة

آذار ١٩٤١ - أيلول ١٩٤٤

لم يضع سارتر الوقت لإجراء صلة مع مفكرين آخرين يرغبون بتشكيل فريق مقاومة. فقد عاد بوريس ميرلو - بونتي إلى باريس - بعد أن تحرر من معسكر الاعتقال حين أصيب بذات الرئة - وهو يعرف بعض الفلاسفة الشبان الذين كانوا شكلوا فريقاً دعوه «تحت الجزمة». كذلك كان لدى بوست أصدقاء يتوقون للعمل ضد الألمان. في النهاية، حضر نحو ١٢ شخصاً إلى أول اجتماع عقد في غرفة بوفوار في فندق الميسترال، حيث عادت بوفوار وسارتر للسكن فيه. كان معظمهم، مثل بوست، في عشرينياتهم، أصغر من سارتر وبوفوار بعشر سنوات.

أراد بعض أعضاء الفريق، بضمنهم الفيلسوف الكورسيكي الحاد الطبع جان - توسان ديسانتي، تصنيع قنابل وقذائف، لكن سرعان ما أقر الجميع بأن ذلك خارج قدرتهم. ستكون الكلمات سلاحهم. سوف يجمعون المعلومات ويوزعون نشرات أخبار، تحث الباريسيين على مقاومة السلطة الألمانية.

أطلقوا على فريقهم اسم «الاشتراكية والحرية». كان سارتر قد تأثر بالحياة الجماعية في سجن المعسكر، التي عدها نوعاً من الاشتراكية، وللمرة الأولى اعتقد بأنه اشتراكي. لم يكن قلقاً من وجود ماركسيين في الفريق. فقد أشار إلى أن هدفهم لم يكن تشكيل حزب سياسي، بل طرد الألمان من فرنسا. أحياناً كانت المناقشات التي تجري في اجتماعاتهم الأسبوعية حادة، لكن سارتر لم يحاول أبداً فرض وجهات نظره.

غالباً ما كانت دومينيك ديسانتي، زوجة جان - توسان، تنضد الكراسات، ويقوم بوست ورفيقه جان بولان بطبع نسخ منها، ويقوم أعضاء من الفريق بتوزيعها عبر باريس، مفضلين لصقها على أبواب المصانع عند الفجر. سرعان ما بلغ عدد أعضاء الفريق ٥٠ عضواً. ومن أجل سرية أفضل، قسموا فريقهم إلى شبكات تضم كل واحدة خمسة أعضاء.

بعثوا باقتراحات إلى حركة المقاومة الشيوعية، فجاء الرد لاذعاً. الشيوعيون لا يثقون بسارتر، الذي أقر بأنه جلس في سجن المعسكر يقرأ هيديغر (مؤيد النازية)، والذي من المرجح أنه اشترى تحريره بقبوله التجسس على المقاومين الفرنسيين. لقد روعت هذه الشائعة سارتر.

رتب للقاءات مع آخرين من قادة المقاومة، وكانت بوفوار تذهب معه أحياناً. وقد كتبت تقول: «اتسمت هذه المجموعات، بوجه عام، بشيئين، القوة الفعالة المحدودة جداً، ونقص الحذر المشترك. كنا نعقد الاجتماعات في غرف الفندق أو في مكتب أحدهم في الإيكول نورمال، حيث الجدران لها آذان. كان بوست يمشي في الشوارع حاملاً آلة الطباعة، وبويون يطوف حاملاً حقيبة مليئة بالمنشورات».

في ذلك الصيف عبر سارتر وبوفوار ما كان يدعى المنطقة الحرة،

التي تديرها حكومة المتعاون مع الألمان المارشال بيتان. أمل سارتر أن ينشأ اتصالاً مع عدة أعضاء من المقاومة في الجنوب، لكي يجعل حركة الاشتراكية والحرية جزءاً من منظمة كبيرة. كانت الحدود مغلقة، لكنها أرسلا مسبقاً دراجتين هوائيتين (زودتهما بهما سورروكين) ومعدات تخييم (زودهما بها بوست)، ثم عبرا الحدود ليلاً، قادهما دليل دفعا له أجرة زهيدة. وطوال أسابيع اجتازا مسافات واسعة، وسارا على طرقات وعرة، يأكلان القليل من الطعام. من ضمن الذين وضعهم سارتر في قائمة الاتصالات كان الكاتبان اللذان يمثلان الجناح اليساري للكتاب، أندريه جيد وأندريه مارلو. وكلاهما لم يُظهر اهتماماً يذكر بخطط سارتر. فمارلو (الذي لم يكن بعد عضواً في المقاومة) أخبر سارتر بأن الدبابات الروسية والطائرات الأمريكية هي التي يجب أن تقاتل الألمان، وليس مجموعة من المفكرين ذوي النية الحسنة.

كانت المقاومة عملاً خطراً، وقد اتضح بأن المجازفات التي يقومون بها أكبر بكثير من أي تأثير قد يحققونه. تتذكر دومينيك ديسانتي: «كان لدينا شعور بأننا نصرخ في الصحراء». وكفريق شعروا أنهم معزولين. وفي أيار عام ١٩٤٢، قدمت إيفون بيكارد، تلميذة بوفوار السابقة والبالغة ١٩عاماً، استقالتها من الفريق لتنضم إلى المقاومة الشيوعية الأكثر فعالية. وبعد أسبوع اعتقلها الألمان، ولم يرها أصدقاؤها ثانية.

بُعيد ذلك، جرى حل الفريق. ذهب الأعضاء الماركسيون، بضمنهم ديسانتي وزوجته وصديقها فرانسوا كوزان، للانضمام إلى المقاومة الشيوعية. انضم كوزان، الفيلسوف اللامع، إلى فريق الجنوب. وفي تموز عام ذ٩٤٤ رتب الألمان كميناً. كان كوزان ورفاقه أول من عذبوا ثم أعدموا.

على الرغم أن من سارتر لم يوقع تصريحاً بأنه ليس يهودياً ولا

ماسونياً، لم يفقد عمله، وأُعيد إلى ثانوية باستور. وقد اتضح في النهاية بان مفتش التربية العام كان مقاوماً، في تشرين الأول نُقل سارتر إلى ثانوية كوندرسيه ذات المكانة العالية، حيث هيأ سارتر تلاميذه لدخول الإيكول نورمال.

بعد التدريس الصباحي، كان سارتر وبوفوار يجلسان في مقهى ليكتبان. وكان مقهاهما المفضل مقهى فلور في بوليفار سانت - جيرمان، بمقاعده الحمراء ومراياه. لم يكن المقهى شهيراً في تلك الأيام، و لم تطأه أقدام الجنود الألمان. لكن الشيء الأفضل فيه كان الدفء. فقد كانت شتاءات الاحتلال الأربع هي الأقسى، بثلجها وصقيعها. وكان الفحم مقنناً، وانقطاع التيار الكهربائي شاملاً. وقد حرص صاحب المقهى إذكاء نار الموقد الذي يتوسط المقهى بفحم السوق السوداء.

كان سارتر وبوفوار يعملان على الأغلب في الطابق الثاني نظراً لأنه أهدأ. ويجلسان على نحو متعاكس لكي لا يغريهما التحدث أثناء عملهما. وكلاهما كان يستعمل أقلام الحبر. كان خط سارتر صغيراً ومتقناً. أما خط بوفوار فكان خشناً تصعب قراءته.حتى سارتر كان يتذمر من رداءة خطها.

كان ثمة على الطاولة، إلى جانب كدسة الأوراق، إبريق شاي صغير من البورسلين، وفنجان وصحن ومنفضة سجائر. كانا يدخنان. ولما كان التبغ نادراً أثناء الحرب كان سارتر يطوف في المقهى بحثاً عن أعقاب سجائر ليحشو غليونه. كانت بوفوار تحب أن تشعر بالسيجارة في يدها، لكنها لم تكن تستنشق دخانها، و لم تكن تأبه في حال عدم توفر السجائر.

لقد تأثرت دومينيك ديسانتي، العضوة السابعة في فريق « الاشتراكية

والحرية»، بسارتر وبوفوار. وفي أحد الأيام استجمعت شجاعتها وطلبت من سارتر أن يقرأ الصفحات الخمسين الأولى من الرواية التي كانت تكتبها. أخذ سارتر المخطوطة، وحدد لها موعداً للقائها في الأسبوع المقبل:

كانت الطاولة التي اعتاد الجلوس أمامها مقابلة للساعة... كان مستغرقاً في الكتابة، وجلست بعيدة عنه. كانت بوفوار جالسة أمام طاولة أخرى تكتب. أومأت لي إيماءة صغيرة. لم يرفع سارتر رأسه... في الساعة ١١,٣٠، وهو الوقت الذي حدده لي، قام ورحب بي بابتسامة. اقتربت من طاولته، قدم لي الشاي، وأخرج المخطوطة من حقيبته.

تحدث حول نواح مشجعة، ثم سأل ديسانتي عما إذا كانت قد خططت لاحتراف الكتابة. نعم؟ ينبغي عليه في تلك الحالة أن يقيم ما كتبته تقييماً حقيقياً. تتذكر ديسانتي: كان لطيفاً ومشجعاً، وسرعان ما بدأ يضحك من بعض المقاطع الضعيفة. كان نقده ودياً ووثيق الصلة بالموضوع. نقر غليونه على الطاولة وملأه من جديد (لاحظت أظافره القذرة)، وبذل محاولات عدة لإشعاله. «الكتابة حرفة ليس فيها راحة» قال ذلك وهو يناولها المخطوطة. «أحب التدريس. ولكن على مستوى آخر، أفكر دائماً في ما أكتب... ينبغي عليك أن تكوني، في كل لحظة، على استعداد لأن تعودي وتغوصي فيما كتبتِ انظري إلى بيفر».

كتبت ديسانتي: كانت طرفة ودية في دائرتهما، ذلك أن بوفوار تعمل بجهد كبير على نحو دائم (ربما من دون خيال واسع). وكان واضحاً أن سارتر معجب بها.

* * *

أعلن سارتر قائلاً «علاقتي بواندا ممتازة». على الرغم من أنه انتقل مع بوفوار إلى فندق الميسترال، إلا أنه كان يمضي معظم أمسياته في غرفة واندا في فندق شابلين. « إنها تبهجني من غير ريب، ولكن بطريقة احتكارية، أشعر بأني مثل قطة أو كلب بيكيني، حاولت أن أحثها على التخلي عن الرسم الذي تكرهه، والتوجه نحو العمل في المسرح». كان سارتر قد أهدى أولغا مجموعته القصصية «الجدار»(١٩٣٩)، وأهدى ثلاثيته «دروب الحرية» إلى واندا.

ستحافظ بوفوار على صمت العمر فيما يتعلق بواندا.ففي مذكراتها نادراً ما ذكرت امرأة شابة لعبت مثل ذلك الدور الكبير في حياة سارتر زمن الحرب. لكنها صبت جام غضبها في رواية كانت تكتبها. العنوان بحد ذاته «الضيفة» (نشرت باللغة الإنكليزية تحت عنوان «أتت لتبقى») يلمح إلى هذه الضيفة الاستثنائية التي أطالت المكوث. في البداية، حين شرعت بوفوار في كتابة الرواية عام ١٩٣٨، كانت شخصية كزافييه مصوغة على قد أولغا. وعلى مدى الزمن اكتسبت كزافييه سمات واندا. وفيما بعد ستخبر بوفوار كاتب سيرتها د. بير ما يلي: «الكثير من الناس فاتهم الانتباه إلى أن معظم مظاهر تعاسة كزافييه أتت من علاقتي المليئة بالشوك بواندا».

كانت علاقة بوفوار الجنسية مع سارتر قد انتهت. وقد حاولت بوفوار أن تعقلن ذلك. «إنه لمن المستحسن التسليم بأن في الرجال طبع يقتل الرغبة». فوالدها تولى عن أمها بذات الطريقة. إنها تتذكر أمها الشابة التي كانت تتوهج سعادة – سعادة ارتبطت على نحو غامض في ذهن بوفوار البالغة خمس سنوات بغرفة النوم التي كانت تخرج أمها منها لتوها، وحين أصبحت بوفوار مراهقة، كان المشهد الرومانسي قد انتهى. فقدَ جورج دو بوفوار الاهتمام بزوجته وبدأ يتردد على

المومسات. «غدت أحاسيسها أكثر تطلباً، وفي الخامسة والثلاثين،في مقتبل عمرها، لم يعد يسمح لها بإشباعها».

حين عاد سارتر من الحرب، كانت سيمون دو بوفوار في الثالثة والثلاثين، وكان عليها القبول، مرة وإلى الأبد بأن الرجل الذي أحبته إلى أبعد حد لم يعد يرغب فيها.

ولسنوات فقدت حياتها الجنسية توهجها. لم يرتب أحد منهما بأن ذلك كان بسبب سارتر وليس بوفوار. وقد ناقشا ما دعوه «لا مبالاته الجنسية» أو بروده الجنسي»، وأرجعا ذلك إلى عدم قدرة سارتر على التخلص من خجله من جسده. كان عاجزاً عن أن يصرف ذلك من ذهنه. أنه أثناء الإجازة لا يسترخي على العشب أو الرمل، ولم يجلس في كنبة وثيرة ليقرأ. وقد اعترف قائلاً إن الجنس، بالنسبة إليه، يتضمن «لمسة خفيفة من السادية »، لقد منحته شريكته جسدها، وهو لم يمنح جسده أبداً.

وستشرح بوفوار لـ نيلسون ألغرين، عشيقها المقبل، بقولها: «كانت صداقة عميقة أكثر مما كانت حباً. لم يكن الحب ناجحاً جداً. والسبب الرئيسي في ذلك هو أن (سارتر) لم يهتم كثيراً بالحياة الجنسية. إنه دافئ وحيوي حيثما كان، لكن ليس في السرير. وسرعان ما شعرت بذلك، على الرغم من أنه لم يكن لدي خبرة، وشيئاً فشيئاً، بدا ذلك عديم الجدوى، وحتى غير لائق، الاستمرار في كوننا عشيقين».

في التاسعة والستين من عمره، وفي محادثة مسجلة مع بوفوار أُعدت للإذاعة، كان سارتر صريحاً تماماً حين تحدث عن نقص الفحولة لديه:

كنت ممارساً للعادة السرية أكثر من مجامع للنساء... بالنسبة لي، العلاقة الجوهرية والفعالة هي التي اشتملت على ما قمت به من عناق

ومداعبة وتقبيل للجسد بكامله...ولما كنت أتمتع بصحة جنسية جيدة، فالانتصاب عندي كان سريعاً وسهلاً، وغالباً ما كنت أمارس الجماع، ولكن من دون متعة كبيرة، فقط متعة قليلة في النهاية، لكنها ضعيفة إلى حد ما... كنت أشعر بالسعادة التامة حين أكون عارياً في السرير مع امرأة عارية، أعانقها وأقبلها، ولكن من دون الذهاب أبعد، إلى فعل الجماع.

حقاً، لم تكن حياة بوفوار لتختلف كثيراً عن حياة أمها. إنها لم تكن زوجة تابعة، كئيبة في المنزل. وإن كان سارتر قد أقام علاقة مع واندا البالغة ٢٤ عاماً، فبوفوار أقامت علاقة مع بوست البالغ ٢٥ عاماً. ومع ذلك لم يكن وضعهما متماثلين، على الرغم من محاولتها لجعل وضعها مماثلاً لوضع سارتر. فقد كان سارتر يمضي كل ليلة تقريباً مع واندا، أما بوفوار فكانت تمضي ليلة واحدة في الأسبوع مع بوست. وكانت علاقة سارتر بواندا علنية، أما علاقتها بوفوار ببوست فكانت سرية. حتى أن علاقتها بسارتر كانت بمعظمها مخفية. و لم يرد سارتر لواندا أن تعرف مدى خصوصيتهما.

كانت واندا امرأة سارتر في هذه الأيام. وامرأة بوست الأساسية أولغا. إذ كانت بوفوار خلف الكواليس، غير معلنة. كانت أشبه بحظية. لكن من ظاهر التناقض أن أولغا وواندا هما اللتان كانتا امرأتين قعيدتين[١٨]. إذ لم تكن بوفوار مستقلة مالياً فقط، بل كانت تدفع لهما أيضاً مالاً على نحو دائم.

كانت بوفوار وسارتر يدعمان أولغا وواندا مالياً على نحو كامل،

١٨- المرأة القعيدة: امرأة يزودها رجل بمكان ومال، ويزورها على نحو منتظم ليعاشرها. (المترجم)

ويساعدان بوست وناتالي سوروكين أيضاً. في تموز عام ١٩٤١، توفي والد بوفوار، و لم يترك وراءه مالاً. فأصبحت فرانسواز دو بوفوار البالغة ٥٤ عاماً تتكل على ابنتها الأكبر سيمون.

قدرت بوفوار وسارتر بأنه لم يعد باستطاعتهما الأكل في المطاعم. وحتى يقتصدا في الإنفاق، انتقلت بوفوار إلى غرفة في الميسترال فيها مطبخ صغير. واستعارت قدوراً صغيرة وآنية فخارية وأوعية من ستديو بوبيت (التي لم تزل في البرتغال). ولأول مرة أخذت على عاتقها عملية التسوق والطبخ. وقد استمتعت بذلك التحدي - الشراء عن طريق بطاقات التموين، وإعداد وجبات من المؤن الهزيلة.

كتبت بوفوار تقول إنها كانت دائماً في حالة من الجوع أثناء الحرب. وبدا أن سارتر كان أقدر على الخروج من دون طعام. كانت مدام موريل ترسل لهما بانتظام علب الطعام من لابوزيه. أحياناً كان تصلهما علبة في داخلها أرنب فسد لحمه أو نقانق تغير لونها وفاحت منها رائحة نتنة. فكانت بوفوار وبوست يغسلان اللحم بالخل ويخفيان طعمه بطهوه مع الخضار المبهرة. وذات مرة ألقى سارتر نظرة على ما جرى تحضيره فصاح قائلاً: «إنها ذبيحة نتنة»، وأصر على رميها خارجاً. بعد العشاء، كان يمكن إيجاد العشيرة كلها في مقهى فلور. لم يجلس أفرادها كمجموعة معاً. بل يجلسون أزواجاً، وخارج مدى السمع. سارتر مع واندا، بوفوار مع سوروكين، أولغا مع بوست. كانوا يحييون بعضهم حين يقدمون وحين يخرجون. كتبت بوفوار: « كان يتملكنا دائماً ميل إلى المحادثة الثنائية. كنا نمتع أنفسنا بأكثر المواضيع حمقاً - كان يحرص كل واحد منا على ألا يقاطعنا أحد... حين نناقش أموراً مع عدد من الأشخاص في وقت واحد، تغدو المحادثة، باستثناء ظروف خاصة جداً، مبتذلة».

وهناك بُعد آخر للحديث في ثنائي إذ كان يهيمن على المجموعة التوتر والغيرة. الأختان كوزاكيفيتش غدتا أقل مودة مع بعضهما منذ أن أصبحت واندا عشيقة سارتر. «كانت واندا تعاني كونها الأخت الأصغر». وكما قالت واندا نفسها، فإن وضعها في ثلة سارتر كان غير واضحاً. «قدمت إلى هذا العالم حيث كل شيء كان مرتباً، حيث كل واحد لديه أولديها علاقة مع كل شخص آخر. كنت الأصغر وأحسست بأني معزولة تماماً. صلتي الوحيدة مع كل هؤلاء الأشخاص من خلال سارتر».

كانت سوروكين شخصية مثيرة للخلاف. لم تكن مسرورة لعودة سارتر من الحرب. فقبل أن تقابله سمعت الكثير من القصص حوله من العائلة، فكانت تشعر بالازدراء نحوه. وقد قالت بازدراء «يتخيل نفسه عبقرياً». وحين قابلته عام ١٩٤٠، بذلت كل أنواع المحاولات لتغويه. لكن ذلك لم يدم طويلاً، فقد أغوت بوست.

إلى جانب علاقتها ببوفوار، اتخذت سوروكين عشيقاً في تلك الأيام، وهو شاب ثري أملت والدتها أن تتزوجه. لكنهما كانا على خلاف في ذلك الحين. لكن سوروكين تابعت إغواء أي شخص قريب (بضمنهم الشاب مولودجي). وفي الوقت نفسه بقيت متشبثة ببوفوار.

ستهدي بوفوار روايتها الثانية«دماء الآخرين»إلى ناتالي سوروكين. هيلين، بطلة الرواية، شابة عنيدة وأنانية ولصة دراجات هوائية. ترى لأول مرة جان بلومارت (يماثل سارتر) جالساً في مقهى وأمامه كتاب. تطلب منه أن يجلب لها دراجتها الزرقاء من الفناء القريب، فقد تأخرت عن العشاء مع والديها. يصدقها. وسرعان ما تجذبه إلى سريرها.

لا يمر وقت طويل حتى تنتقل بوفوار إلى عالم الابتكار، إذ تغدو هيلين

شخصية إيجابية، بل شخصية بطولية. وبلومارت شخص فعال في فريق المقاومة. في البداية يتأثر بهيلين التي أصبحت فعالة سياسياً. إنها تدرك في مسار النضال معنى التضامن والأخوة. وفي ليلة من الليالي، تصر هيلين على الخروج في مهمة، على الرغم من احتمال وجود مخاطرة. يصيبها الألمان بجروح بليغة. ثم نراها جالسة قرب سريرها تحتضر، وبلومارت يعاني العذابات بسبب الدور الذي لعبه في هذه المأساة. يقول لها: «كانت غلطتي. كان بإمكاني منعك من الخروج». لكنها ترد وهي تبتسم: «لم تكن تملك الحق في أن تقرر عني، سوف اتخذ الخيار ذاته ثانية».

* * *

في آذار عام ١٩٤٢، قدمت والدة سوروكين شكوى رسمية إلى وزارة التربية في حكومة فيشي، تتهم بوفوار بإفساد ابنتها البسيطة. لقد ادعت أن بوفوار أغوت ابنتها ثم لعبت دور قوادة، إذ مررت سوروكين إلى صديقيها - سارتر وبوست. علاوة على ذلك، ادعت أن ابنتها لم تكن الأولى بين من تعرضن لهذه المعاملة.

مرت سنتان قبل أن تكتشف السيدة سوروكين طبيعة مجريات الأحداث في حلقة سارتر - بوفوار، لكن شيئاً واحداً كانت على يقين منه: «منذ اليوم الأول الذي وقعت عينا ابنتها على الآنسة بوفوار، غدت ابنتها غريبة عن عائلتها».

ثبت في النهاية أن عشيق سوروكين الذي تخلت عنه للتو، باح لوالدتها بجميع التفاصيل. فحين كانا معاً أخبرت ناتالي عشيقها الكثير من القصص الشاذة. نعم، قال مؤكداً للسيدة سوروكين إن بوفوار وناتالي كانتا عشيقتين. وقبل ناتالي كان هناك أولغا كوزاكيفيتش

وبيانكا بنينيفيلد. وفي كل حالة، كانت بوفوار تغوي الفتاة، ثم تعرفها بسارتر الذي ينام معها أيضاً - أو يحاول ذلك. وقد ذهبت سوروكين إلى السرير مع سارتر وبوست. والآن ينام سارتر مع واندا، أخت أولغا كوزاكيفيتش.

اتخذت شكوى السيدة سوروكين شكل تقرير طويل ومفصل. وقد تعامل وزير التربية مع القضية بجدية، فاستدعى الشرطة لاستجواب جميع أعضاء «العائلة» - بوفوار وسارتر وسوروكين وبوست وأولغا وواندا - إلى جانب - الوالدين كوزاكيفيتش ومديري مدارس بوفوار. حتى إن أعضاء من الشرطة ذهبوا إلى الفنادق المختلفة التي سكنتها بوفوار لسنوات واستجوبوا بعض النزلاء.

ناقش سارتر وبوفوار أفضل إستراتيجية لديهما. يتوجب على أعضاء الثلة أن يكونوا حذرين. كما يتوجب على كل فرد إنكار كل شيء، وأن يخبر الشرطة بأكاذيب مفبركة جيداً.

قالت بوفوار إن سوروكين كانت تلميذة ممتازة، وقد أصبحتا صديقتين. ومثلها مثل تلميذاتها الأخريات، طورت إعجابها بها، لكن بوفوار لم تستجب لإغراءات الفتاة. على العكس تماماً، وجهتها نحو «العلاقات الجنسية الطبيعية». نعم، كانت بوفوار تعرف سارتر وبوست، فقد كان سارتر عشيقها منذ ست سنوات، والآن هو صديقها. أما بوست فلم يكن أبداً عشيقها. ناتالي أيضاً تعرف هؤلاء الأشخاص، ولكن كأصدقاء فقط.

صادقت ناتالي سوروكين على هذه القصة. فقد كانت مدينة بعمق لأستاذتها السابقة. وقد قالت: إن مدموزيل دو بوفوار كانت تأتي إلى غرفتها في الفندق في شتاء عام ١٩٤٠، بسبب برودة غرفة بوفوار

الشديدة. نعم، قالت سوروكين إنها أخبرت عشيقها السابق بأنها وبوفوار كانتا عشيقتين. وذلك لأنه أراد أن يتزوجها، وأنها أرادت أن تتحرر منه. وقد نصحتها مدموزيل دو بوفوار بابتكار هذه القصة، وبذاسيشمئز منها ويدعها لشأنها. وقال سارتر مؤكداً إن مدموزيل دو بوفوار لا يوجد لديها أبداً ميول غير طبيعية تجاه النساء. وقال بوست إنه يعرف بوفوار منذ عام ١٩٣٥، وتجمع بينهما صداقة ممتازة. وقد كان تلميذاً سابقاً لسارتر، ويعرف الكثير عنه. لا، إنه لم يتلق مالاً من مدموزيل دو بوفوار. و لم يكن عشيقها. ولا يستطيع تخيل وجود علاقة جنسية بين سوروكين وبوفوار.

وأكدت أولغا للشرطة بأن بوفوار لم تتود إليها على نحو غير عادي، و لم تعرفها بأي شخص بهدف تسهيل الفاحشة. وقالت واندا إنه مضى على علاقتها بسارتر مدة ثلاث سنوات، وهي لا تستطيع تصديق أن لسيمون دو بوفوار «عادات شاذة». ويبدو لها أن مدموزيل دو بوفوار وقعت ضحية افتراء.

كان السيد كوزاكيفيتش حانقاً على السيدة سوروكين لأنها ورطت ابنتيه في هذه المسائل. أنه لا يشعر هو وزوجته تجاه مدموزيل بوفوار سوى بالشكر والاحترام العميقين.

لم يجر إثبات شيء، ورُدت الدعوى. علاوة على ذلك، بقيت وثائق بوفوار التدريسية خالية من العيوب. ومع ذلك أصدر رئيس الجامعة الداعم للمارشال بيتان مرسوماً يقضي بطرد بوفوار من سلك التدريس. إنها غير متزوجة، وعاشت طوال سنوات علاقة تسري مع سارتر. ليس لديها منزل دائم، وتعيش في الفنادق، وتصحح أعمال تلامذتها في المقهى. وفي الوقت الذي كانت فيه فرنسا تحاول الحفاظ على القيم الأخلاقية، درسَّت بوفوار كُتاباً شاذين جنسياً أمثال مارسيل بروست وأندريه جيد.

في حزيران عام ١٩٤٣، بعد ١١سنة من الخدمة، طردت بوفوار من سلك تدريس حكومة فيشي. وقد أضفى عليها هذا الإجراء، في الأوساط التقدمية، صفة مميزة. وستستعيد مركزها عام ١٩٤٥، بعد الحرب، لكن بوفوار لم تعد أبداً للتدريس.

سرعان ما اتخذت سوروكين عشيقاً لها. كان سارتر هو الذي عرفها بـ جان - بيير بورلا، وهو يهودي إسباني كان تلميذاً عند سارتر في ثانوية باستور. وقد شكلا ثنائياً لافتاً للنظر.

كانت سوروكين طويلة، شقراء، سلافية، وكان بورلا قصيراً أسمر، لاتينياً. كان «الولدان» كما دعاهما سارتر وبوفوار، يتشاجران باستمرار - كان من المستحيل ألا يتشاجر أحد مع سوروكين - لكن اعتدال بورلا وكرمه كانا يمارسان تأثيراً رقيقاً عليها. لم ترها العائلة أبداً سعيدة جداً.

تمتع بورلا بطاقة عجيبة. أراد أن يدرس الفلسفة. وقد التهم هيغل وكانت كأنه يلتهم روايتين بوليسيتين. وكان ما يزال يخطط لفهمهما أكثر. نظم الشعر، مدفوعاً بتشجيع صديقه الشاعر اليهودي ماكس جاكوب. كان بورلا صاخباً، انفعالياً، طفولياً، أخرقاً، مسعوراً، كما وصفته بوفوار. «كان يرغب في أن يكون حياً».

في حزيران عام ١٩٤٢، أصدرت حكومة فيشي مرسوماً يوجب بمقتضاه على جميع اليهود في فرنسا المحتلة ارتداء نجمة داوود. ولم يعد لهم الحق في امتلاك منزل أو رصيد في البنك، ومنعوا من دخول الأماكن العامة - بما في ذلك المطاعم والمقاهي. وكان منع التجول يبدأ بالنسبة لليهود في الثامنة مساءً. وفي الشهر الذي تلا قام الغستابو والشرطة الفرنسية بغزوة اعتقلوا خلالها عشرين ألف يهودي وأرسلوهم إلى معسكرات الموت النازية.

بدا بورلا إسبانياً أكثر منه يهودياً، وتابع حياته كما في السابق. لم يرتد النجمة الصفراء، وتجاهل منع التجول اليهودي، وأمضى ساعات في اليوم في مقهى فلور. كان والده، رجل الأعمال الثري، على قناعة بأنهم سيحظون بحماية أصدقائهم المتنفذين في السفارة الإسبانية. وذات يوم كان جان - بيير بورلا يضع مخططات من أجل المستقبل، فسأله سارتر: «ما الذي سيحصل، لو أن النازيين كسبوا الحرب؟»، أجاب بورلا: «نصر النازيين لم يدخل في مخططاتي».

* * *

كان من غير المسموح عبور الحدود بين المنطقة المحتلة وبين المنطقة الحرة من دون إذن رسمي. ولكن في صيف عام ١٩٤٢ تسلل سارتر وبوفوار ثانية، هذه المرة مع بوست. ذهبوا إلى البيرينيه على الدراجات، وناموا في مخازن الحبوب. كانت مؤونتهم من الطعام هزيلة، وكان من الصعب عليهم أن يسرقوا ما يكفيهم من طعام. كان سارتر غائصاً في «الوجود والعدم»، ودائماً ما كان يتخلف عن الذهاب معهما ليعمل في المقهى.

عاد سارتر وبوفوار إلى باريس تاركين بوست لرؤية أصدقائه في ليون. وبعد بضعة أيام اعتقل وهو يحاول التسلل عبر الحدود، وأمضى أسبوعين في السجن عانى فيهما الجوع.

حين عادت بوفوار إلى باريس اكتشفت أن مدير فندق الميسترال أجر غرفتها لشخص آخر. فراحت تطوف مونتبارناس بحثاً عن غرفة، ولكن دون جدوى. وفي النهاية وجدت غرفة بمطبخ صغير في فندق قذر. كانت الجدران مقشرة، والنور باهت، وفي الليل كانت تسمع أصوات الفئران تتراكض هنا وهناك.

انتقل «الولدان» سوروكين وبورلا، وفاءً لها، إلى ذات الفندق، واتخذا غرفة في الطابق الأسفل. كانت سوروكين تصر على بوفوار للنزول إلى غرفتهما لتأكل، ولتقبلها قبلة المساء.

في مقالة دعيت «باريس تحت الاحتلال»، التي سيكتبها سارتر في نهاية الحرب من أجل القراء الإنكليز، حاول سارتر أن يصف الحياة في مدينة احتلها النازيون. كان مدركاً بأن العديد من الإنكليز، الذين عانوا القصف الوحشي، يعتقدون أن الفرنسيين لم يقاسوا مثل ما قاساه الإنكليز في ذلك الوقت. وحول هذا يقول سارتر «أود أن اشرح لهم بأنهم على خطأ، لأن الاحتلال كان محنة قاسية، وإنه ليس من المؤكد أن تستطيع فرنسا التعافي منه، وإنه ليس هناك من فرنسي لم يحسد قدر حلفائه من الإنكليز».

لم يكن يطلب من الإنكليز أن يشفقوا على الفرنسيين، بالطبع لا. لكنه أراد أن يشرح معنى أن يعيش الإنسان في الإذلال، وألا يبالي حين يكون قدر الشعب بين يدي آخرين. لقد شهد في سجن المعسكر الخزي المباشر. وقد شعر السجناء العسكريون الفرنسيون أنهم تخلوا عن فرنسا. ونعتهم السجناء البولونيون والتشيكيون صراحة بالجبناء. وعلى الرغم من ذلك، أشار سارتر إلى أن: «القوى الثلاث الكبرى في العالم احتاجت إلى أربع سنوات لتهزم الألمان. ألم يكن طبيعياً أننا تراجعنا عند أول هجوم كاسح واجهناه وحدنا؟».

وكتب يقول: لقد حاول المتعاونون الفيشيون إذلال الفرنسيين. والأسوأ، تحت الاحتلال، هو أنه كان من المستحيل على الفرنسيين أن يتجنبوا درجة ما من المشاركة مع المحتل. حتى الفلاحين الذين عملوا في الحقول ليطعموا الفرنسيين، كانوا مجبرين في ذات الوقت على تزويد العدو بالطعام. وقد عنى ذلك أن الفرنسيين فقدوا كبريائهم. «إن أولئك

الذين هنأونا بسخرية على هروبنا من الحرب، لا يستطيعون تخيل شدة حماسة الفرنسيين لاستئناف المعركة ثانية».

كان سارتر يستمتع بكتابة مسرحية وتقديمها في سجن المعسكر. وكان السجناء الفرنسيون يدركون رسالته الخفية عن المقاومة. والآن وهو في باريس كان شديد التوق لإرسال رسالة مشابهة عصية على فهم الرقباء الألمان، وتُقدم على خشبة مسرح باريس. أراد من الشعب الفرنسي أن يتخلص من الذنب الذي يشله. ينبغي عليه الكف عن رؤية نفسه من خلال أعين المحتلين وأن يدرك بأنه حر في التخلص من أصفاده.

في ربيع عام ١٩٤٢، لعبت أولغا كوزاكيفيتش دوراً صغيراً في مسرحية أخرجها الشاب الموهوب جان - لوي بارو. كان ذلك مشجعاً لها. وذات يوم سألته كيف يمكنها أن تحظى بأدوار أكثر أهمية، أجابها قائلاً: «أفضل طريقة لذلك هو أن يكتب لك شخص ما مسرحية من أجلك». وحين أخبرت أولغا سارتر، قال على الفور: «لم لا أكون أنا؟». إن سارتر وأولغا لم يعودا يقضيان وقتاً معاً، لكنها كانت جزءاً من العائلة، وأحب فكرة منحها فرصة.

أدرك سارتر أن الرقباء الألمان لا يجيزوا مسرحية تدور حول الاحتلال. لذا قرر أن يبلغ رسالته من خلال الأساطير اليونانية. سيكتب حول عودة أوريست من المنفى إلى موطنه أرغوس، المدينة التي تفشى فيها الطاعون، والتي يحكمها الطاغية أغيستوس مع زوجته كليتمنسترا. في حوار مع جوبيتر يقول أوريست إن الآلهة غير عادلة. يتخلص من الآلهة ويتقلد حريته. يذبح أغيستوس وكليتمنسترا، والدة أوريست. يحرر فعل العنف هذا مواطني أرغوس ويخلصهم من الطاعون.

وافق بارو على إخراج هذه المسرحية «الذباب» لكنه قال إنه لا يعتقد أن أولغا ذات السبع والعشرين عاماً كفوءٌ لتلعب دور إليكترا، أخت أوريست. إنه دور يتطلب براعة في الأداء، وإنه يعمل فقط مع ممثلين محترفين. اتخذ سارتر موقفاً حازماً: فقد كتب الدور لأولغا.

بدأت التمارين. وسرعان ما نفد صبر بارو بسبب أداء أولغا. كان يتمتم من وراء ظهر سارتر بتعليقات حول ترويج سارتر لحظيته. ثم التفت إلى إنتاج عمل كان أكثر أمناً من الناحية السياسية، الدراما الملحمية «خف الساتان» للكاتب المسرحي الكاثوليكي الرجعي بول كلوديل.

أخيراً قرر سارتر إنهاء عقدهما. وكتب إلى بارو يقول: «كان هذا هو خطأي. لا أحب التحدث، بوجه عام، عن حياتي الشخصية، وصمتي يعزز سوء التفاهم هذا. أود أن أخبرك بأن أولغا لم تكن أبداً حظيتي. إنها موهبتها التي أردت أن أخدمها».

وافق شارل دولين على إخراج المسرحية. وقد لعب فيها دور جوبيتر. عمل دولين بصير مع أولغا، التي شرعت تعمل في الدور بهمة ونشاط. أحياناً كان دولين يثور عليها، فتنفجر بالبكاء وتهدد بترك العمل. كتبت بوفوار: «كانت انفجاراتهما تقع في المنتصف بين النزاع العائلي ومشاحنة العشاق». كان تلاميذ الاستديو ينظرون إلى المشهد بغيرة، آملين أن تخفق أولغا في هذه المهمة.

لقد قام دولين بمجازفة كبرى. إذ لم يكن سارتر كاتباً معروفاً، وكانت أولغا ممثلة مجهولة. وكان الإنتاج مكلفاً جداً (يستلزم حشوداً كبيرة من الكومبارس)، وكانت المسرحية مثيرة للجدل.

جرى افتتاح المسرحية في مساء الثالث من حزيران عام ١٩٤٣ في

مسرح المدينة (مسرح سارة برنار سابقاً، إذ أصر إداريو حكومة فيشي على تغيير اسمه، لأن الممثلة الشهيرة سارة برنار كانت يهودية). تتذكر بوفوار: «كم كنت متوترة حين رفعت الستارة». كان أداء أولغا، التي انتحلت اسماً فنياً هو «أولغا دومينيك»، جميلاً. وكانت بداية ظافرة في مهنتها. لقد هب نسيم منعش على جمهور تلك الليلة. كتبت بوفوار: «كان من المستحيل أن تخطأ في فهم مضمون المسرحية. تساقطت كلمات الحرية من فم أوريست، انفجرت فوقنا كالقنبلة».

فيما بعد قالت دومينيك ديسانتي: «نعم، لقد توجب على سارتر اللجوء إلى حلول وسط بسبب الرقباء الألمان. ولكن ما الذي استطاع فعله؟ آثر بعض الكتاب الصمت طوال فترة الاحتلال، لكي لا يلجأوا إلى الحل الوسط مطلقاً. كان ذلك موقفاً نبيلاً. ولكن كنا، نحن الشبان، منفعلين جداً لأن سارتر يتكلم جهاراً. وبالنسبة لنا، كانت هذه الرسالة واضحة».

إن كانت بوفوار لم تكترث كثيراً حول فقدها العمل في التدريس في صيف عام ١٩٤٣، فذلك لأنها وسارتر دخلا مجالاً أكثر تشويقاً من عالم الصفوف والسبورات والطباشير. ففي حزيران، بعد عدة أسابيع من افتتاح مسرحية «الذباب» في مسرح المدينة، نُشر كتاب سارتر الفلسفي «الوجود والعدم» وأهداه إلى بيفر».

لم يحقق الكتاب دخلاً حقيقياً إلا بعد انتهاء الحرب، لكن أدرك بعض القراء بأن الكتاب مثَّل حدثاً هاماً. لقد طبق سارتر الفلسفة على الحياة اليومية، مستشهداً بأمثلة من العالم حوله. أن تصويره لنادل في مقهى سيغدو شهيراً، فالنادل الذي يتصنع الاستخفاف وهو يحمل الصينية عالياً، والذي ينحني إلى الأمام بتوق قلق ليأخذ طلباً جديداً: هل هو حر؟ هل كان يمثل دوراً؟

في آب عام ١٩٤٣ ظهرت رواية بوفوار «أتت لتبقى»في المكتبات.فبعد ١٣ عاماً من الكتابة وإعادة الكتابة، غدت بوفوار أخيراً كاتبة.

بذرت رواية «أتت لتبقى» أسطورة سارتر - بوفوار. لم يكن ثمة العديد من الدراسات النقدية - لم تتقبل صحافة زمن الحرب المراقبة هذه الرواية المنحلة أخلاقياً - ولكن جرى الكلام هنا وهناك بأنها رواية مقنّعة (من قناع) استمدت من علاقة بوفوار المفتوحة مع سارتر والثلاثي الذي سبق وشكلوه مع أولغا كوزاكيفيتش التي أُهدي لها الكتاب، والتي كانت قد لعبت دور إليكترا في مسرحية «الذباب»لسارتر، على مسرح المدينة. وسرت شائعة تقول إن سارتر، التي لمحت مسرحيته إلى رعشة سفاح القربي بين إليكترا وأخيها أوريست، يعاشر الآن واندا، أخت أولغا الأصغر. كتبت بوفوار: «كان الناس في مقهى فلور ينظرون إلي بازدراء».

كان ثمة انقسام في الآراء حول الرواية. عدها البعض لا أخلاقية وافتضاحية، وعدها آخرون عملاً شجاعاً مقاوماً لأيديولوجية حكومة فيشي المتعلقة بالعمل والعائلة والوطن. الشيء الوحيد الأكيد هو أن رواية بوفوار الأولى تخلت عن الآثار الأخيرة للقيم البورجوازية.

أثار الكتاب زوبعة من القيل والقال: قال عالم الأنثروبولوجيا كلود ليفي - شتراوس: «إنه سارتر مرسوم بكليته، وبدا كابن زنى فاسد». وأشار رايموند كونو في صحيفته إلى أن هناك في الرواية «دقة متميزة في الوصف، وغياب كلي للمخيلة. حتى عندما تنسب سيمون دو بوفوار طفولة مختلفة لواحد من شخصياتها، فإنها تخص بها شخصاً آخر - إن طفولة جيلبير (ج - ل بوست)، على سبيل المثال، هي طفولة مولودجي». وكتصوير لمجموعة من الناس معارضة للمعتقدات

المقدسة، فإن الرواية، كما يعتقد ميشيل ليريس، تكافئ رواية «الشمس تشرق ثانية[١٩]». لكنه يرى أنها تعاني نقصاً في الوضوح.

كان على فرانسواز دو بوفوار أن تواجه عار طرد ابنتها من سلك التدريس. والآن يتوجب عليها أن تتحمل تعليقات أخرى من العائلة والأصدقاء. كتبت بوفوار: «قبل ظهور رواية«أتت لتبقى» لم تكن تعرف شيئاً عن حياتي. وقد حاولت أن تقنع نفسها، على الأقل فيما يتعلق بالأخلاق، بأني فتاة جيدة. لكن الشائعة العلنية دمرت أوهامها».

تناهى إلى سمع بوفوار أن رواية «أتت لتبقى»رُشحت لتنافس من أجل جائزة غونكور. كان هذا في فترة حكومة فيشي. لم يكن باستطاعة الكتاب اليهود أن ينشروا شيئاً، و لم يكن بالإمكان ذكر أسمائهم على أية قطعة أدبية نشرت في عهد حكومة فيشي. وعلى الرغم من أن بوفوار اشمئزت من ذلك فقد كتبت تقول: «إن حدث وفزت بجائزة غونكور في ذلك العام فسوف أقبلها بابتهاج».

في خريف عام ١٩٤٣، توقف سارتر عن العمل مؤقتاً في ثلاثيته، وكتب في غضون أسبوعين المسرحية المتألقة ذات الفصل الواحد «لا مخرج». فنجحت نجاحاً فورياً، وغدت عملاً كلاسيكياً يعرض مراراً وتكراراً على مسارح باريس.

ثمة في المسرحية ثلاث شخصيات – رجل وامرأتان – في الجحيم. لقد وصلوا واحداً بعد الآخر ليجدوا أنفسهم محبوسين في غرفة فرشت بأثاث قديم وقبيح. في البداية شعروا بالراحة. فقد توقعوا وسائل تعذيب وفحم مشتعل. ثم أدركوا أنه لم يكن ثمة مرايا ولا كتب ولا فراشي

١٩– الشمس تشرق ثانية: رواية للكاتب الأمريكي إرنست هيمنغواي ١٨٩٩ – ١٩٦١. (المترجم)

أسنان ولا تسليات. وكل ما يستطيعون عمله هو أن يعذب بعضهم بعضاً.

غارسين جبان يريد أن يبدو كبطل. إيستل نرجسية تحيا من أجل أن يشتهيها الرجال. إيريس سحاقية تحب أن ترى الآخرين يعانون. إنها أول من يدرك ورطتهم، فهي تقول: «كل واحد منا هو جلاد الاثنين الآخرين». وفي نهاية المسرحية تقريباً، ينطق غارسين بالجملة السارترية الساخرة «الجحيم هو الناس الآخرون».

كتب سارتر دور إيستل من أجل أن تلعبه واندا. فمنذ سنة دأبت على الذهاب لحضور دروس دولين في استديو التمثيل، وكانت قد لعبت أدواراً صغيرة. لكنها لم تظهر موهبة كبيرة، واعتقد سارتر بأن المسألة مسألة وقت فقط. وأراد أن يمنحها فرصة.

لعبت أولغا باربيزات دور إينيس. وطلب سارتر من ألبير كامو أن يلعب دور غارسين وأن يخرج المسرحية. بدأت التمارين الأولى في كانون الأول عام ١٩٤٣ في غرفة واندا بفندق شابلين

* * *

كتب الروائي آرثر كويستلر: «بالكاد يجرؤ أحد على أن يتكر شخصيتين في دراما بذلك المظهر الجسدي المتباين كمظهر سارتر وكامو. فسارتر بدا مثل عفريت شرير أوكرغل[٢٠]، أما كامو فهو مثل أبولو الشاب».

اقترب كامو وقدم نفسه إلى سارتر أثناء البروفة الأخيرة لمسرحية «الذباب». كان في الثلاثين من عمره، وقد وصل حديثاً من الجزائر،

٢٠- كرغل: شكل وجه غريب منحوت كفم المزراب. (المترجم)

كانت روايته الأخيرة «الغريب» قد أحدثت ضجة قوية. وكان سارتر كتب نقداً أدبياً ثمن فيه الرواية عالياً. وقد لعب كامو أيضاً دوراً جريئاً في المقاومة، إذ كان محرراً لصحيفته السرية «كومبا».

على الفور أحب سارتر كامو. وهذا ما فعله كل فرد في جماعة سارتر. كان كامو إنساناً حاراً وعاطفياً، وتمتد جذوره إلى إسبانيا وفرنسا والجزائر. وتشبه لكنته لكنة سكان الجنوب الفرنسيين.

كان حساساً ومرحاً ومليئاً بالقصص التي يرويها بلغة مبّهرة. وكان جذاباً على نحو استثنائي. يتذكر ناشر أعماله روبرت غاليمار فيقول: «تكون جالساً في حفلة أنس وسمر وتتطلع حولك، وفجأة ترى معظم النساء في الغرفة يتجمعن حول كامو».

لم تكن واندا قد سمعت بكامو قبل بدء التمارين. وقد قرأت رواية «الغريب» وسحرتها.وقد فتنت بكامو - بأصوله الشمال إفريقية وصراعه مع مرض السل وقابلية تعرضه للأذى تحت مظهره الخارجي المتباهي.

لم يكن كامو على علم بأن واندا وسارتر عشيقان. وفي إحدى الأمسيات في مقهى فلور أسر إلى سارتر بأنه مأخوذ بالروح الروسية لواندا، حتى إنه استخدم كلمة عبقرية لوصفها.

بدأت آفاق اجتماعية تنفتح أمام سارتر وبوفوار. فمن خلال كامو، انضم سارتر إلى مجموعة كتاب المقاومة (CNE) - لجنة الكتاب الوطنية. وغدا صديقاً للكاتبين السورياليين السابقين ميشيل ليريس ورايموند كينو، اللذين يكبرانه بخمس أو ست سنوات.

دعي سارتر وبوفوار إلى العشاء في شقة ميشيل وزيت ليريس،

وقدمهما ليريس إلى بيكاسو. وفي العديد من المناسبات تناولا طعام الغداء مع بيكاسو وحظيته دورا مار في المطعم الكاتالوني. كتبت بوفوار: «كان بيكاسو يستقبلنا دائماً بحماسة وحيوية، ولكن، على الرغم من حديثه اللامع، لا يستطيع المرء التحدث معه، فهو يستأثر بالحديث».

تمتعت بوفوار لأول مرة في حياتها ببيتها. فقد انتقلت هي و«الولدان». إلى فندق أفضل، فندق لالوازيان في شارع في قلب سانت - جيرمان - دي - بري، الذي عاش فيه العديد من زبائن مقهى فلور، بضمنهم مولودجي ورفيقته الجديدة. اتخذت بوفوار غرفة واسعة في الطابق الثالث تحتوي على مطبخ وتطل على أسطح المباني. تضمنت الغرفة ديواناً ورفوفاً للكتب وطاولة تراكمت فوقها الكتب والأوراق، واستندت إليها دراجة بوفوار. وفي إحدى الأمسيات نظفت بوفوار الطاولة وأودعت الدراجة في غرفة سوروكين، لتستقبل صديقيهما الجديدين ليريس وكينو مع زوجتيهما، كان ألبير كامو ضمن المدعوين، وكذلك سوروكين وبورلا وبوست وأولغا وواندا. وقف بوست أمام زبدية كبيرة مليئة بالفاصولياء وراح يسكب منها بمغرفة. انفجر كامو بالضحك وقال معلقاً: «مثلما يحدث في ثكنات الجنود».

في ذلك الربيع أقاموا سلسلة من حفلات القصف والمجون التي كانت تتواصل طوال الليل، وقد أطلقوا عليها اسم «مهرجانات». استضافهم الكاتب السوريالي جورج باتيل في أول حفلة. كانت أولغا وواندا وكامو أبرع الجميع في الرقص. وغنى سارتر أغاني داعرة، ورقص محاكياً رقص التانغو، وقلدت دورامار مصارعة الثيران.

بعد أسبوعين من حفلة باتيل، أعارتهم والدة بوست منزل العائلة في تافيرني. كتبت بوفوار: «كانت والدة بوست العجوز، وأرملة

القسيس، متسامحة إلى أبعد حد. أغلقت مؤقتاً على الأثاث القديم، وأبعدت التحف الرخيصة وأحجار الشطرنج، وخرجت لتمضي الليلة في مكان ما ». وفي حزيران أقام شارل دولين وسيمون جوليفييه حفلة في شقتهما الواسعة. وكانت جوليفييه، التي أظهرت من قبل علامات الإدمان على الكحول، ثملة قبل مجيء الضيوف.

في الحفلة الأولى توارى كامو وواندا عن الأنظار حين صعدا إلى الطابق العلوي. وفي الحفلة الثانية، وقبل الفجر تماماً. ذهبت أولغا تفتش عن بوست، فوجدته على الأريكة في زاوية مظلمة مع ممثلة جزائرية شابة. راحت أولغا تصيح وتصرخ. فخرج الناس من غرف نومهم ليستطلعوا ما يجري. وفي اليوم التالي كتب رايموند كونو في صحيفته بأن «بوست انفصل عن أولغا كوزاكيفيتش... إلخ. وخيم جو مأسوي في مقهى النباتات هذا المساء»

حاول العربيديون في هذه الحفلات نسيان أن باريس، في تلك الساعات من ساعات منع التجول، كانت تخص الرجال ذوي البذلات الرمادية. وكما أشار سارتر في «باريس تحت الاحتلال» فإن الغستابو ينفذون غزواتهم بكياسة دائمة:

نحو منتصف الليل كان يسمع في الشارع صوت عابري السبيل المتأخرين الذين يسارعون إلى منازلهم قبل بدء حظر التجول. ويتبع ذلك صمت. كنا نعرف وقع الخطوات التي تطقطق في الخارج بأنها خطواتهم. لم تكن المنازل محمية تماماً. وكان الغستابو يقوم باعتقالاته بين منتصف الليل والخامسة صباحاً. كان ثمة شعور بأنه في كل لحظة يمكن أن يفتح الباب ويدخل الألمان بمسدساتهم. كان حضورهم بيننا حتى عندما لا نتحدث عنهم ولا نفكر بهم.

في شباط عام ١٩٤٤، توقفت تمارين مسرحية «لا مخرج». فأولغا باربيزات، الممثلة التي كانت تلعب دور إينيس، كانت قد ذهبت في إحدى الأمسيات إلى حفلة في منزل زميلها الممثل الذي لم تكن تدري بأنه كان عضواً في المقاومة، إلى أن اقتحم الغستابو المكان، واعتقل كل من كان حاضراً. لم يشاهد المضيف ثانية. وأخذت أولغا إلى سجن خارج باريس اشتهر بتعذيبه لأعضاء في المقاومة وإعدامهم. وقد ظلت هناك مدة ثلاثة أشهر قبل أن يطلق سراحها. لكن كامو، لسبب ما، رفض الاستمرار في المسرحية. فعهد بها سارتر إلى محترفي مسرح دوفيو كولومبييه.

في إحدى أمسيات أواخر آذار اعتقل بورلا. كان قد ذهب لزيارة والده في منطقة نيولي في باريس. وبسبب منع التجول أمضى ليلته هناك. وقبل انبلاج الصبح داهم الألمان المنزل واعتقلوا بورلا ووالده وأخته، أخذوا إلى درانسي، إلى معسكر في ضواحي باريس الشمالية حيث توفي قبل عشرة أيام صديق بورلا الشاعر ماكس جاكوب متأثراً بذات الرئة.

كان سارتر وبوفوار في لابوزيه يمضيان عطلة عيد الفصح عند مدام موريل حين سمعا نبأ اعتقال بورلا. كتبت بوفوار عن «ألمها ويأسها». حاول سارتر أن يقنعها بأن الموت، من حيث الجوهر، في التاسعة عشرة من العمر ليس أكثر عبثاً من الموت في الثلاثين. لم تقتنع بوفوار. وعذبت نفسها بالأسئلة حول بورلا وقدره: «لماذا أمضى تلك الليلة، من بين كل الليالي، عند والده؟ لماذا أقنعه والده بأن لا خطر من المجيء؟ لماذا صدقناه؟

في ليلتي العشرين والواحد والعشرين من نيسان، حين كان سارتر وبوفوار في لابوزيه، تعرضت مناطق باريس الشمالية لقصف دول

التحالف. كانت الضجة تصم الآذان. وقد كتبت بوفوار إلى بوست الذي كان فزعاً جداً. لم يكن يستطيع تخيل شيء أسوأ من الدفن تحت الأنقاض. كانت الأختان كوزاكيفيتش رابطتي الجأش. وقد أعجب بهما بوست. وكان يلتقي بسوروكين في المقهى. لقد أخبرها أحد الأشخاص بأن بورلا رُحل من درانسي إلى سجن في فيلنوف – سان – جورج. (في الواقع رُحلت عائلة بورلا إلى أوسيفيتش).

كانت أولغا ما تزال تعامل بوست بقسوة بسبب الممثلة الجزائرية، وكان ذلك مرهقاً، أما فيما يتعلق بواندا، فقد تعرضت لفضيحة في ذلك الصباح بفندق شابلين:

قالت واندا لبوست، قل لسارتر إن كامو كان في سرير واندا هذا الصباح، وقالت وهي نصف نائمة، «كنا نائمين مثل ملاكين صغيرين» حين أيقظهما طرق على بابها وصوت المدير يقول «سيد سارتر، كنت أحاول إيقافك طوال ساعة، سيد سارتر يردونك على الهاتف». يبدو أن كامو قفز من السرير، واحتاج إلى ساعة على الأقل ليسترد وعيه.

كتب بوست، في محاولة لكسب المال، قصص حب تحت اسم مستعار، إذ كانت روايته حول الحرب تتقدم ببطء. وقد تطلع بلهفة إلى عرض ما كتبه على بوفوار. لم تدم علاقة واندا بكامو. (وقع في حب ممثلة إسبانية – فرنسية في الحادية والعشرين من العمر تدعى ماريا كاساريز، التي صحبها معه إلى المهرجان الذي تلا). ومع ذلك، أوذي سارتر. وشكل ذلك نقطة انعطاف في علاقته بواندا. قال سارتر فيما بعد مضيفاً أنه قد تعب أيضاً من نوبات غضب واندا المرضية: «لقد أحدثت واندا فجوة لا يمكن تجنبها حين غدت خطية لكامو. كان يعرف بأنه كان يستفزها أحياناً. ومع ذلك، يجد المر مضجراً.

سرعان ما ذهب سارتر وواندا كل في طريقه، لكن سارتر سيدعم واندا حتى النهاية، يمضي معها وقتاً مرتين في الأسبوع، يأخذها في إجازة تدوم أسبوعين أو ثلاثة كل سنة. وسيكتب من أجلها، في المجمل، ست مسرحيات، مخصصاً لها أدواراً تلائمها. وسيشتري لها في عام ١٩٦٥ شقة.

اتخذت واندا الكثير من العشاق، لكنها لم تكف عن الشعور بالغيرة من نساء سارتر. والمرأة التي كرهتها أكثر من أية امرأة أخرى، كانت سيمون دوبوفوار.

غدا الطعام والفحم والغاز أكثر ندرة. أُجبرت المطاعم والمقاهي على إغلاق محالها طوال ثلاثة أيام في الأسبوع بسبب نقص الطاقة الكهربائية. وكان طيران الحلفاء يقصف المعامل الفرنسية والمراكز الصناعية والمرافئ ومحطات السكك الحديدية - أي شيء يعود بالفائدة على الألمان. وكان العلم النازي ما يزال فوق مجلس الشيوخ. الألمان لم ينسحبوا بعد، لكن الحرية كانت في الجو. فقد كان الإنكليز والأمريكيون يتقدمون نحو باريس.

في مساء الجمعة ٢٥ آب عام ١٩٤٤، كان سارتر، بصفته عضواً في جماعة كتاب المقاومة، في الكوميدي فرانسيز. وقد أقام هو وآخرون متراساً لحماية المسرح من التخريب الألماني. وكان بوست وأولغا وواندا وبوفوار وسوروكين - في الغرفة التي تشارك فيها بوست مع أولغا في فندق شابلين. كان بوست قد أقام في الغرفة نوعاً من المدفئة كان وقودها الصحف القديمة. كان تحدياً الطبخ على هذه البدعة. وكان العشاء يتألف من البطاطا فقط. وبينما هم يأكلون أعلن الراديو وصول الجنرال ديغول إلى باريس في أصيل ذلك اليوم وتحدث من دار البلدية.

سمعت المجموعة الهتافات والصياحات الصادرة من الشارع، فنزلوا إليه. حشد من الناس تجمعوا عند تقاطع فافان أمام الدوم. قُرعت أجراس الكنائس، أشعل البعض مشعلة وسط الشارع ورقصوا حولها يغنون ويضحكون. عندئذٍ صاح صوت محذراً «الدبابات قادمة!».

أُخمدت المشعلة وفر الناس ناشدين السلامة. وأطفأت أنوار المنازل المجاورة. مرت سيارات مصفحة ممتلئة برجال الـس س. وجرى إطلاق الرصاص. وانطلقت سيارات الصليب الأحمر

في اليوم التالي ارتفع العلم الفرنسي ذي الألـوان الثلاثة فوق برج إيفل. مشى ديغول نحو قصر الإليزيه ترافقه القوات الفرنسية والأمريكية. راقب سارتر المشهد من شرفة فندق دولوفر. ذهبت بوفوار وأولغا إلى قوس النصر حيث انضمتا إلى الحشود.

ومع ذلك كانت أيام الغبطة هذه أياماً مرعبة أيضاً. فقبل انسحاب الألمـان جرى قتال عنيف في الشوارع. سجل سارتر وبوفوار ملاحظاتهما وضموها إلى انطباعاتهما من أجل سلسلة من المقالات التي سيكتبونها في صحيفة «المعركة» تحت اسم سارتر.

في بوليفار سان - جيرمان، كان ثمة رجل عجوز لم يقو على الركض فأرداه الجنود الألمان قتيلاً. في غضون ذلك كان الفرنسيون ينتقمون من أولئك الذين تعاونوا مع الألمان. في أسفل بوليفار سان - ميشيل، كان ثمة امرأة في منتصف عمرها حليقة شعر الرأس ترتجف وتهز رأسها وهي تقول «لا، لا، لا!». وقد اسمئز سارتر من هذه «السادية القروسطية». هل اعتقد الناس بأن من الوطنية في شيء أن يجري الانتقام من امرأة يُعتقد أنها نامت مع ألماني؟

تحررت باريس، لكن الحرب استمرت. في أيلول قصفت طائرات

الحلفاء أجزاء واسعة من الهافر، فقُتل الآلاف. وأطلق الألمان صواريخ بعيدة المدى على مدينة لندن. كتبت بوفوار: «كان العالم مدمراً. ليس ثمة ورقة عشب في أي مرج. ولكن مهما بدا لي الأمر، فإن كل شيء سيعود كما كان».

-٧-

الشــهرة

تشرين الثاني ١٩٤٤ - كانون الثاني ١٩٤٧

«اذهب وقابل كامو. يريد أن يرسلك إلى أمريكا ممثلاً لصحيفة كومبا».

كان سارتر يسير في فناء فندق شابلين، عندما ناداه بوست ليخبره بالنبأ. لقد تكفلت وزارة خارجية الولايات المتحدة بدعوة ثمانية من صحافيي المقاومة الفرنسية لقضاء شهرين في الولايات المتحدة، يقومون خلالها بكتابة تقارير عن الجهد الحربي الأمريكي. قال سارتر: «سأسارع إلى هناك!». لم يسبق أن رأته بوفوار بهذه الحالة من الابتهاج.

كان سارتر منذ طفولته، يتخيل الكثير حول أمريكا، وقد جعله ولعه بقراءة قصص المغامرات يدرك أنه لكي يكون بطلاً مخلصاً، ينبغي عليه الذهاب لتلك القارة. وقد أخبر بوفوار وهو في سن متأخرة قائلاً: «في باريس لا تشاهدين دائماً هندياً أحمر يقفز وعلى رأسه ريشات وفي يده قوس. وهكذا بدأت أحلم بالذهاب إلى أمريكا حيث سأحارب الأجلاف وأخرج منتصراً. كنت أحلم بذلك على الدوام».

في مرحلة الشباب، تأثر سارتر وبوفوار بـالأدب الأمريكي - خصوصاً أعمال هيمنغواي، دوس باسوس، شتاينبك، فوكنر. ومن خلال هذه القراءة افتتنا بالبلد نفسه. كتبت بوفوار: أمريكا... كانت المستقبل السائر قدماً. كانت فياضة، واسعة الآفاق». أمريكا الجاز والبلوز وناطحات السحاب والأفلام والأسماء الساحرة مثل ممفيس ونيو أورليانز وشيكاغو. لن يستطيعا الانتظار طويلاً للذهاب إليها.

حطت طائرة دي سي ٨ العسكرية في مطار لاغارديا في ساعة متأخرة من مساء السبت ١٤ كانون الثاني عام ١٩٤٥، كانت أول رحلة لسارتر بالطائرة. استغرقت الرحلة يومين وتضمنت ثلاثة توقفات.

نزل الصحفيون الفرنسيون - ستة رجال وامرأتان - من الطائرة متعبين شعثين. نقلهم مضيفون من مكتب المعلومات الحربية في سيارتي ليموزين، سائرين بهم من خلال أضواء النيون المتلألئة. وقد دهش سارتر وهو يرى محلات الحلاقة مفتوحة في تلك الساعة من الليل. وقد أخبر بوفوار: «تستطيعين قص شعرك وغسله، أو يمكن أن يحلق المرء ذقنه في الحادية عشرة ليلاً». ترجلوا أمام فندق البلازا الواقع في الشارع الخامس تجاه الحديقة المركزية. قادهم البواب من خلال الباب الدوار. في بهو الفندق كان ثمة حشد من الناس، نساء ورجال في ملابس السهرة. لقد دخل الأوربيون المرهقون إلى كون آخر.

في اليوم التالي، بعد إفطار أمريكي مترف، خرج سارتر مع بعض من زملائه من الفندق. كان يوم أحد بارداً جداً، وكان ثمة عدد قليل من الناس هنا وهناك. كتب يقول: «كنت أبحث عن نيويورك، ولم أستطع إيجادها». بدت الشوارع الطويلة المستقيمة متشابهة. وكتب معلقاً: « نيويورك هي من أجل أناس بعيدي البصر، أناس يمكنهم التركيز على اللامتناهي».

في يوم الاثنين، رافق المضيفون زوارهم إلى أماكن التسوق. لقد وصل سارتر إلى أمريكا مرتدياً معطفاً رثاً، ومن الآن فصاعداً سيتجول في نيويورك مرتدياً لباساً أنيقاً متقن الصنع.

أدرك الفرنسيون الآن مدى التقشف الذي سيعانونه حين عودتهم إلى الوطن. تتذكر هنرييت نيزان فتقول: «مع كؤوس كبيرة من الويسكي بدا أنهم يمحون أربع سنوات من الحرمان. كانت أمريكا بالنسبة لهم أرض الرخاء. نواد ليلية، فتيات جميلات». كانت هنرييت قد فرت إلى الولايات المتحدة مع طفلَيْ نيزان عام ١٩٤٠، بعد أن قُتل نيزان في الحرب. وقد راقبت العديد من الصحفيين الفرنسيين الزائرين الذين رافقوا سارتر، وسرعان ما أقامت علاقة مع واحد منهم.

كان سارتر يمثل صحيفة الفيغارو اليمينية، ويمثل أيضاً صحيفة كومبا اليسارية. وقد شعر بالتوتر وسط هؤلاء الصحفيين المتمرسين. كان ممتناً لأمريكا لأنها تكفلت نفقات الرحلة، لكنه أصر على ألا يبعده ذلك عن الموضوعية. وقد ارتاع من التعميمات الساذجة إذ «كيف يمكن لأحد أن يتحدث حول ١٣٥ مليون أمريكي؟ يحتاج المرء إلى قضاء عشر سنوات هنا، ونحن هنا لفترة ستة أسابيع». في المجمل، سيكتب ٣٢ مقالة أثناء وجوده في الولايات المتحدة.

التزم أولاً بالملاحظات البسيطة عن البلد. السجائر مقننة، والبترول لا يسد الحاجة. ولكن هناك الكثير من الطعام. الفواكه والخضار وفيرة. ويستهلك النيويوركيون الكثير من اللحم. أضواء الشوارع مدهشة. وفي الليل يشعر المرء بالحر تحت غطاء خفيف. ترى ألا يعرف الأمريكان شيئاً حول اللحف؟

أدرك سارتر الطريقة المثلى لفهم أمريكا. لكنه لا يتحدث

الإنكليزية. كيف يمكنه أن يصاحب فتاة أمريكية؟ كان قد مضى على وجوده وزملائه في نيويورك عدة أيام حين دُعوا إلى إجراء مقابلة باللغة الفرنسية. رحبت بهم امرأة حيوية تدعى دولوريس فانيتي تعمل في قسم البث الإذاعي باللغة الفرنسية. كانت ضئيلة الجسم، أقصر من سارتر، ذات بشرة سمراء ذهبية وابتسامة متألقة. تتذكر فانيتي فتقول: «اصطف ثمانية صحفيين فرنسيين في استديو التسجيل، وفي نهاية الصف كان ثمة رجل ضئيل الجسم. كان يسقط غليونه ثم يلتقطه ثانية، وحين بدأ يتحدث لم أتذكر ما الذي قلناه، ولكن مهما كان الحديث فقد سألني عما إذا كان بالإمكان أن نلتقي ثانية».

كان سارتر محظوظاً. فقد نشأت فانيتي في فرنسا، وكان تعمل قبل الحرب ممثلة في مسرح في مونتبارناس. اعتقد سارتر أنها خلاسية. كان والدها إيطالياً وأمها إثيوبية. وكانت متزوجة من طبيب أمريكي ثري، لكن زواجهما تعثر. وقد أمضت سنوات الحرب في نيويورك، واتخذت الكثير من الأصدقاء الفرنسيين الذين هاجروا إلى أمريكا بضمنهم كلود ليفي – شتراوس، فرناند ليجيه، مارسيل دو شامب، أندريه بريتون وزوجته جاكلين لامبا. وقد نشر بريتون بعضاً من قصائد فانيتي في مجلته السوريالية.

شرع سارتر بجذبها نحوه. وقد أخبرت فانيتي كاتبة سيرته آني كوهين – سولال: «كان في حالة من الجيشان الدائم. إنه يروي جميع أنواع القصص ليسليك وليجرك إلى حياته. كان دائم البحث عن الأمور التي يمكن أن تفرحك، يحيد عن طريقه من أجلك، ويعطي الكثير مما لديه».

بعد أسبوع في نيويورك، أُخذ الصحفيون الفرنسيون في رحلة مدتها ستة أسابيع عبر البلاد في طائرة عسكرية. ارتحلوا شمالاً وجنوباً،

شرقاً وغرباً. حدقوا إلى الجسور والسدود. زاروا معسكرات الجيش التدريبية ومصانع الأسلحة ومدارس المشاة. حضروا حفلات موسيقية، وشهدوا مناظرات جامعية. وحضروا العديد من حفلات الكوكتيل. وكان الحدث الأكثر أهمية بالنسبة إليهم زيارتهم لاستديوهات السينما في هوليوود. حتى إنهم تلقوا دعوة لقضاء أمسية في البيت الأبيض مع الرئيس روزفلت. كتب سارتر: « ما يصدم المرء قبل كل شيء هو جاذبية وجهه الطويل، القاسي والناعم في وقت واحد، التماع عينيه اللتين تنمان عن ذكاء. إنه يحب فرنسا، ففي شبابه تجول على دراجته في طرقها». بعد أقل من شهر توفي روزفلت.

دهش سارتر من ضخامة البلد، من التفاوت الكبير بين الغنى والفقر، من مراعاة القوانين والأعراف الاجتماعية، ومن مستوى التعصب ضد السود. كتب يقول: «في أرض الحرية والمساواة هذه يعيش ١٣مليوناً من المنبوذين. ينتظرون أمام طاولتك، يمسحون حذاءيك، يشغلون مصعدك، يحملون حقائبك، لكن لا علاقة تربطهم بك ولا بهم».

في بداية آذار، حين رحل الصحفيون الآخرون إلى الوطن، عاد سارتر إلى نيويورك ثانية. كانت فانيتي مترجمته، ساعدته في الاطلاع على الصحف، وأخذته إلى الأمكنة المفضلة.. احتسيا الفودكا في غرفة الشاي الروسية، أصغيا إلى موسيقا الجاز في البارات، زارا حي هارلم. سيقول سارتر فيما بعد: «أعطتني دولوريس أمريكا».

كان جو الحرب ما يزال مخيماً، وكان البريد الذي يرسل عبر الأطلنطي بطيئاً جداً. وبالكاد سمعت بوفوار شيئاً عن سارتر في غضون غيابه. ولتطلع على ما يفعل، كانت تقرأ التقارير التي يرسلها بالتلغراف لصحيفتي كومبا وفيغارو. كذلك سمعت القليل عن كامو، الذي أجرى معه سارتر حواراً موجزاً عن طريق الهاتف.

في نهاية شباط، ذهبت بوفوار إلى البرتغال في رحلة استغرقت خمسة أسابيع. فقد تزوجت أختها بوبيت بصديقها ليونيل دو روليه. كان روليه يعمل في معهد فرنسي في ليشبونة، وقد دعا بوفوار لإلقاء بعض المحاضرات هناك. كتبت عدة مقالات عن إسبانيا والبرتغال. وقد نُشرت في صحيفة كومبا.

لم تكن بوفوار قد رأت أختها منذ خمس سنوات. وقد فوجئت بوبيت بثياب بوفوار الرثة. كانت البرتغال غنية مقارنة مع فرنسا. ثمة وفرة في الطعام والبضائع المتنوعة. وستكتب بوفوار في مذكراتها: «لم يسبق لي أن عشت في حياتي مثل تلك الملذات. وقد دفعوا لي لقاء محاضراتي مبلغاً جيداً. وفي أصيل أحد الأيام اشتريت الكثير من الملابس». عادت بوفوار إلى باريس محملة بالهدايا للأصدقاء. كان ذلك في بداية نيسان، ولسوء حظ بوفوار كان سارتر بعيداً عن الوطن.

أخبر سارتر بوفوار بأنه سيبقى مدة شهرين إضافيين، حتى نهاية أيار. وكان بوست بعيداً في الجبهة يعاني البرد القارص مع الجنود الأمريكان ليغطي الحرب من أجل صحيفة كومبا. وقد التمست بوفوار السلوان بين ذراعي ميشيل فيتولد، وهو ممثل روسي المولد بعمر بوست، كان يلعب دور غارسين في مسرحية «لا مخرج». لقد تجولا على دراجتيهما حول منطقة Auvergne. وإضافة إلى أمور أخرى، تحدثا حول مسرحية «أفواه عديمة الجدوى» التي كتبتها بوفوار، والتي سيقوم فيتولد بإخراجها في نهاية تلك السنة.

في ذلك الربيع، عاد رينيه «ماهو» إلى باريس. كان قد أمضى معظم سنوات الحرب في المغرب يدرِّس في ثانوية بفاس. وقد وقع في غرام واحدة من تلميذاته. وعلى الرغم من أنه لم يكن ينوي الطلاق من زوجته، كانت الفتاة على وشك الانضمام إليه في باريس. ابتهج

«ماهو» برؤية بوفوار كما ابتهجت برؤيته ثانية. تجولا في الغابات خارج باريس، ولأول مرة ذهبا إلى الفراش. وبعد عدة أشهر، حين صدرت رواية بوفوار «دماء الآخرين»، أهدته نسخة منها: «إلى لاما الغالي جداً في ذكرى ربيع عام ١٩٤٥، بسرية بالغة. س. دو بوفوار».

في السابع من أيار استسلم الألمان. أمضى بوست في داشو عدة ساعات خلف الجنود الأمريكيين، وأرسل تقارير مرعبة إلى صحيفة كومبا. لم يكن ثمة أحد من أصدقائه المبعدين وسط الناجين الذين رُحلوا من المعسكرات إلى باريس. كتبت بوفوار: «إنني خجلى من كوني حية، ومن كوني مذعورة من الموت كما في السابق».

كانت بوفوار قد بدأت بكتابة روايتها الثالثة «كل الرجال أموات». وتدور حول رجل شرب إكسير الخلود. انتشى في البداية، ثم شعر، هو الذي لا يموت، بالانفعال أكثر من كل من حوله. لم يعد يشاركهم آمالهم وأوهامهم، ووجد نفسه يحسد الرجال الحقيقيين، الذين يتحملون العيش ووطأة الموت جاثمة فوقهم. كانت بوفوار تدرك بصفتها فيلسوفة أن الموت يعطي معنى للحياة. وكانت بحاجة إلى أن تقنع نفسها بهذا على الصعيد العاطفي.

في نهاية أيار عام ١٩٤٥ عاد سارتر إلى باريس حاملاً معه قصصاً عن أمريكا، وحقيبة أخرى مليئة بالطعام والملابس بضمنها بزة أنيقة لبوفوار. كان قد سمع أخبار أمه حين كان في الخارج، لكنها الآن أخبرته بموت زوجها جوزيف مانسي في منتصف كانون الثاني، بعد مغادرة سارتر بوقت قصير. كانت آن - ماري تدرك ما الذي تعنيه رحلة إلى أمريكا بالنسبة لابنها، و لم ترد له أن يشعر بأنه مجبر على القدوم مبكراً إلى الوطن.

لقد كره سارتر أن يصبح في الأربعين من عمره في شهر حزيران. استقال من عمله في التدريس مصمماً على كسب عيشه من الكتابة منذ ذلك الوقت فصاعداً. لكنه كان مكتئباً. انهارت علاقته بفانيتي بسبب بوفوار. فقد صرحت فانيتي قائلة إنها لا تستطيع تقبل امرأة أخرى في حياة سارتر. وقبل أن يفترقا طلبت منه بألا يكتب لها.

بعد سنوات علقت فانيتي قائلة إن سارتر عاد إلى فرنسا وهو في حالة من «الاضطراب والتردد وعدم الاستقرار» وإن ثلاثتهم - هي وسارتر وبوفوار - كانوا في حالة سيئة جداً.ومما زاد الطين بلة بالنسبة لبوفوار هو أن بوست ذهب إلى أمريكا في حزيران وأقام علاقة جنسية قصيرة الأمد مع فانيتي. وبدأ يخبر بوفوار بأنه وقع أيضاً في حب فانيتي. لكنه أدرك خطأه. بدت بوفوار مدمرة.

في تموز لم يعد سارتر قادراً على المقاومة، فكتب إلى فانيتي. أجابته برسالة حنونة. وفي بداية آب أسقط الأمريكيون قنبلتين نوويتين على هيروشيما وناغازاكي. استسلمت اليابان. أخيراً انتهت الحرب. ولم يعد العالم، بالنسبة لبوفوار، مرعباً.

قال سارتر في شيخوخته: «قسمت الحرب حياتي إلى قسمين. بدأت حين كنت في الرابعة والثلاثين، وانتهت حين كنت في الأربعين. وكان ذلك في الواقع تحولاً من الشباب إلى النضج». لم يكن سارتر معروفاً قبل الحرب. وبعد الحرب أصبح مشهوراً. حدث ذلك على نحو مفاجئ تقريباً. كتبت بوفوار: «كنا منذهلين من الضجة التي أحدثناها. عدتي كانت هزيلة، لكن سارتر قُذف بقوة إلى ميدان الشهرة، وقد ارتبط اسمي باسمه».

كان اسمهما في كل مكان. غدت «الوجودية» كلمة شائعة.

أصبحت مسرحية «لا مخرج» حديث الموسم المسرحي. وفي أيلول وتشرين الأول عام ١٩٤٥ ظهرت رواية بوفوار «دماء الآخرين». كما ظهرت في ذات الوقت روايتا سارتر الأوليان من ثلاثيته هما «سن الرشد» و«وقف التنفيذ». وفي نهاية تشرين الأول جرى افتتاح مسرحية بوفوار «أفواه عديمة الجدوى» على مسرح فيوكولومبييه. وقد لعبت أولغا الدور النسائي الأول. وظهرت في أكشاك البيع مجلة « الأزمنة الحديثة» (سميت باسم فيلم شارلي شابلن الأزمنة الحديثة). التي يرأس تحريرها جان - بول سارتر، وتتضمن هيئة التحرير اسم سيمون دو بوفوار. كان هدف الصحيفة: التعليق على ما يجري في الأزمنة الحديثة.

في ٢٩ تشرين الأول ألقى سارتر محاضرة في Club Maintenant بعنوان «هل الوجودية إنسانية؟». توقع سارتر جمهوراً محدوداً. كانت ليلة خريفية دافئة.أخذ سارتر المترو إلى هناك. وحين وصل إلى نقطة قريبة من المدخل، فوجئ بحشد كبير ينتظر في الخارج. وقد أنفق سارتر خمس عشرة دقيقة حتى استطاع الوصول إلى المنصة.

تحدث سارتر بنشاط وتواضع وكأنه وسط تلاميذه. أشار في كلمته إلى أنه على الرغم من أن كلمة وجودية أصبحت دارجة، إلا أنه ليس ثمة أحد، تقريباً، يعرف معناها. ومن الغريب أنها حُمِّلت دلالات الانحطاط. فقد سمع عن سيدة تعاني إرهاقاً عصبياً لأنها أطلقت كلمة بذيئة، ثم أعلنت بقصد الاعتذار: «لابد أني أصبحت وجودية». الحقيقة أن الوجودية لم تكن فلسفة متشائمة أو سلبية. كان مبدؤها هو هذا: نظراً لأن الإله غير موجود، فإن الإنسان يصنع نفسه. ليس ثمة أسبقية للطبيعة الإنسانية أو للجوهر. نحن لم نولد جبناء ولا كسالى، نحن نختار أن نكون كذلك. الإنسان مسؤول عما يكونه... نحن

وحيدون من دون مبررات. هذا ما عنيته حين قلت الإنسان محكوم بأن يكون حراً. وإن كان ثمة العديد من الناس يكرهون هذه الفلسفة، فذلك يعود إلى أنهم يفضلون خلق الأعذار لأنفسهم، بأن يقولوا إن الظروف كانت ضدهم: سيقول واحد منهم: «أنا لم أحصل على حب عظيم أو علاقة عظيمة لأني لم أقابل الرجل المناسب أو المرأة المناسبة. إن لم أكتب كتباً جيدة فذلك لأني كنت أفتقر إلى وقت فراغ». طبقاً لسارتر فإن أمثال هؤلاء الناس يكذبون على أنفسهم حول حريتهم وهذا «معتقد سيّء».

الوجودية لا تدور حول الإمكانات والأهداف، بل تدور حول خطط عملية. لم يكن ثمة عبقري ما لم يكن قد أظهر ذلك في أعماله أو أعمالها. وينطبق ذات الشيء على الحب. «ليس ثمة حب ما عدا ذلك الذي شُيد، ليس ثمة إمكانية للحب ما عدا ذلك الذي أُثبت من خلال علاقة محبة». إن شعار الوجودية هو «الوجود يسبق الجوهر».

كانت الصالة مكتظة وحارة. وفي ذلك التدافع وتلك الحماسة، تكسرت الكراسي، وأصيب البعض بالإغماء. سخر أحد الصحفيين قائلاً «وضع لا مخرج منه». وسيخلد عازف ترومبيت شاب، مختص بعزف موسيقا الجاز يدعى بوريس فيان، تلك الأمسية في روايته الأولى « زبد الأيام العابرة ».

بعد تلك الأمسية التي لا تنسى، لم يمض أسبوع واحد من دون بعض القيل والقال حول الثنائي الوجودي في الصحف الشعبية. لم يعد سارتر وبوفوار يستطيعان السير في الشارع من دون أن يلحق بهما المصورون والناس الذين يطلبون توقيعهما. وحين كانا يذهبان إلى المقهى أو المطعم يحدق الآخرون إليهما ويتهامسون.

ما إن رُفع منع التجول حتى انتشرت أندية الجاز وأماكن الرقص في سان - جيرمان. وطبقاً للصحف الشعبية، كانت هذه الأماكن مليئة بالشبان الهائمين على وجوههم، الذين سُمُّوا «وجوديين»، والذين يمضون أيامهم ولياليهم في مقاهي الوجوديين، ويصغون إلى الموسيقا الوجودية. أحياناً كانت مجموعة من الطائشين والمكتئبين تلجأ إلى الانتحار الوجودي.

ليس مصادفة أن الوجودية أصابت وتراً حساساً، وتر ما بعد الحرب. فقد اختبر قراء سارتر الهولوكست والقنبلة الذرية. إنهم بعد اكتشافهم التاريخ، بوجهه الأكثر وحشية، فقدوا الأمل في التقدم الخالد. ما كان منعشاً هو أن الوجودية اعترفت بالوضع الإنساني المرعب والسخيف، وأصرت في ذات الوقت على حرية الفرد واختياره.

إن كتاب «الوجود والعدم»، الذي جرى تجاهله عام ١٩٤٣، أصبح الآن كتاباً دارجاً، خصوصاً وسط الشباب الذين أعجبوا بسارتر إعجاباً بلغ حد العبادة. أما الشيوعون فقد وصفوا سارتر بالعدمي الذي يتخبط في العدم. ورأى المحافظون في سارتر ملحداً فاسداً.

اشتهرت بوفوار بسبب سارتر في المقام الأول، لكنها قوَّت كثيراً تأثر الناس به. هذه المرأة الجميلة اللافتة للنظر - التي جاءت في المرتبة الثانية بين الناجحين الذين نالوا شهادة الأستاذية في السنة التي احتل فيها سارتر المرتبة الأولى، هذه المرأة كتبت كتباً في المقاهي جنباً إلى جنب مع سارتر، وصورت روايتها علاقاتهما الفضائحية - كانت المكون الجوهري لقامة سارتر الإيقونية. وقد وصفتها صحيفة «سبت المساء» الشعبية المثيرة للعواطف بـ «السارترية الكبيرة» أو «سيدة سارتر المبجلة».

غدا سارتر وبوفوار ثنائياً شهيراً، ومع ذلك لم تكن علاقتهما أبداً أكثر تقلقلاً مما هي عليه الآن. وبعد ثلاثة عقود أخبرت بوفوار سارتر، ناظرة إلى الوراء إلى العديد من النساء في حياة سارتر، أخبرته أن دولوريس فانيتي كانت الأصعب بالنسبة إليها على التقبل: «تعلقتَ بها بشدة. علاوة على ذلك فقد كانت المرأة الوحيدة التي أرعبتني لأنها عدائية».

أهدى سارتر مقدمة العدد الأول من مجلة «الأزمنة الحديثة» التي كانت أشبه بإعلان مبادئ «الأدب الملتزم» إلى فانيتي. وقد تساءل القراء، ترى من هي هذه الدولوريس التي تصدر اسمها أعلى الصفحة الأولى من المجلة الجديدة. وكانت بوفوار قد أملت أن يرافقها سارتر في عطلة عيد الميلاد إلى ميغيف للتزحلق على الثلج، وبدلاً من ذلك أخذ القطار في ١٢ كانون الأول إلى مرسيليا ومن هناك ركب سفينة حمولة عسكرية متوجهة إلى نيويورك، لقضاء شهرين مع فانيتي.

اعترفت بوفوار في رسائلها إلى سارتر أنه من الصعب عليها أن تفكر ملياً بفكرة أن يكونا بعيدين عن بعضهما: «خصوصاً، حين أستيقظ في الصباحات تجعلني هذه الفكرة أعاني الكرب». لكنها فعلت ما بوسعها لتبدو هادئة ومرحة. كانت منشغلة بـ الأزمنة الحديثة»، وبإكمال روايتها «كل الرجال أموات» وبتهيئة محاضرة سارتر «هل الوجودية إنسانية» للنشر. «أنا سعيدة جداً بحياتي معك» أعلنت ذلك بشجاعة «أريدك أن تمضي وقتاً ممتعاً هناك».

أخبرته بأنها كانت تلتقي بأصدقاء، وأنها أمضت أمسية رائعة مع كامو:

ما أذهلني هو أنه كان يود أن يكون محباً جداً، وأن من اللازم أن تكون علاقتنا حميمة، ونتحدث بسهولة. تناولنا طعام العشاء وشربنا

النبيذ، ثم أخذنا زجاجة شمبانيا إلى لوازين وشربنا حتى الثالثة صباحاً. تحدث كثيراً عن نفسه - حياته الخاصة وحياته الأدبية - بطريقة أثرت فيَّ وجعلتني أرغب في كتابة أشياء جيدة - جعلتني أتعطش أكثر للحياة. إن سارت الأمور على مايرام، فسنذهب لقضاء أسبوعين في شباط لممارسة الرياضات الشتوية - في الواقع بدا أنه أحب الفكرة.

تسرب، من خلال الانفعال العاطفي والتظاهر بالشجاعة، في رسائل بوفوار الشعور بالوحدة. كانت غرفتها في لوازين باردة جداً، فالفندق لم يكن مُدفأً. وقد شعرت بتوعك في صحتها بعد الليلة الأولى مع بيانكا بنينفيلد، التي عادت إلى باريس مع زوجها، بعد أن أمضيا الحرب مختبئين. أخبرت بوفوار سارتر أن بنينفيلد غدت امرأة أخرى. فبعد انهيار الثلاثي، تعرضت لانهيار عصبي. وعلى الرغم من مرور خمس سنوات لم تتحسن حالتها:

إنها تعاني نوبات شديدة ومروعة من الإنهاك العصبي، وأعتقد بأنه خطؤنا. إنها هزة ارتدادية، ليست مباشرة جداً، لكنها عميقة، على المسألة التي جرت بيننا وبينها. إنها الشخص الوحيد الذي آذيناه فعلاً... إنها تبكي في كل الأوقات - فقد بكت ثلاث مرات أثناء العشاء، وتبكي في بيتها حين تقرأ كتاباً، أوحين تذهب إلى المطبخ لتناول الطعام... أحياناً تبدو مجنونة تماماً - كابتة مشاعرها، قلقة، ولكن مع لحظات من الرقة المكظومة والمناشدات الخرساء التي تمزق نياط القلب. من الهام أن نراها كثيراً، وسأحاول ذلك لأني أعاني الندم. أصف ذلك على نحو سيِّء، لكنني أعرف أنك ستكون قلقاً بشأنها ومتعاطفاً معها.

في أواخر الأربعينيات وصل المحلل النفسي جاك لاكان، الذي يعالج بنينفيلد، إلى ذات الاستنتاج. فسارتر وبوفوار، من وجهة نظره، كانا قد أقاما علاقة شبه أبوية مع بنينفيلد، وجاء رد فعل بنينفيلد المجروح،

جزئياً، لأنهما حطما المحرمات المتعلقة بزنى المحارم، حين ناما معها. ناتالي سوروكين، التي استأجرت غرفة في لوازيين أيضاً، كانت حبلى، وعلى وشك الذهاب إلى كاليفورنيا للانضمام إلى صديقها، الأمريكي الوسيم الذي يطمح إلى أن يغدو كاتب سيناريو أفلام. وفي السنة الأخيرة تسلت سوروكين بإغواء غيس Gis. لم تستطع الانتظار قبل الذهاب إلى أرض الوفرة.

كانت بوفوار وبوست لا يزالان عشيقين، ولكن على نحو غير منتظم. وكان بوست بعيداً نوعاً ما عنها، ولم تعد تربطهما علاقة حميمة. وفي إحدى الأمسيات اعترف بأنه إن بدا غير مبال بعض الشيء فذلك لأنه لا يريد أن يشعر أنه يأخذ مكاناً في حياة من يلوح لسارتر بأنه كبير جداً.

في عيد الميلاد، ذهبت بوفوار إلى ميغيف مع بوست وأولغا وواندا. لم تمارس الأختان كوزاكيفيتش التزحلق إلا فيما ندر، فقد اكتفتا بالاضطجاع في التيراس للتمتع بحمام شمسي. وتنطلق بوفوار وبوست معاً يمارسان التزحلق، ويتناولان الغداء، ويشربان النبيذ، ثم يعودان عند غروب الشمس.

أخبرت بوفوار سارتر أنها كانت «تطفح رقة وحناناً» لأجله. لقد ظلت تفكر به وهو يتزحلق بجانبها على ذات المنحدرات كما في الماضي. هذه الذكريات لها تأثير محزن عليها. «يروق لي التفكير بالعودة معاً في يوم ما، فقط نحن الاثنان مع سعادتنا». كانت تأمل أن يستطيعا الذهاب بعيداً طوال عدة أشهر، إلى مكان يستطيعان فيه الكتابة. كان لديها حلم بالسفر طويلاً معه.، إنها تحن إلى العمل بجانبه في مقهى فلور.

رد سارتر قائلاً: «أشعر، مثلك، بأنه ينبغي علينا إجراء تغيير في حياتنا. فقط والدتي وواندا يمنعاني من الذهاب معك لنعمل في أي مكان طوال ستة شهور من السنة. لكن بين ذلك وبين مقهى فلور اليومي، ثمة مواقع وسط».

بعد ثلاثة أسابيع في ميغيف، عادت بوفوار إلى باريس، عادت مسمرة وموفورة الصحة، وكتبت إلى سارتر. وفي نهاية كانون الثاني أخذت القطار إلى مرسيليا ومن هناك ركبت الطائرة – أول ركوب لها في الطائرة – متوجهة إلى تونس. كانت تلقت دعوة من «Alliance Française» لإلقاء محاضرات في تونس والجزائر. لكنها كانت قلقة. لم تسمع كلمة واحدة من سارتر، وكانت تتوقع رسالة تنتظرها في تونس:

حاول أن تدخر وقتاً طويلاً تخصصه لي في بداية آذار – أو أن أكون وحدي معك، إما في لابوزيه أو في أي مكان آخر. إني قلقة دائماً، إني أستمتع حتى قبل الرحلات – لا أرضى بأن تفرقنا الحياة. حبي الغالي، حبيبي الصغير، افعل أي شيء تراه الأفضل – ضع في ذهنك شدة حبي لك. أقبلك بشغف – سأكتب لك من تونس.

بعد أسبوعين كانت على حافة الصحراء، وعلى وشك الرحيل إلى جنوب الجزائر. كانت قد رأت العديد من الأمور الشيقة، وكان الحضور الذي جاء ليستمع إليها كبيراً جداً. أخبرت سارتر قائلة: «نجاح كاسح للوجودية – تدافع الناس لدخول قاعة المحاضرات!». لكنها لم تسمع شيئاً منه. لاشيء طوال شهرين، لا رسالة منذ أن ارتحل إلى أمريكا. علمتها خبرة ١٥عاماً بأنه كان «أعجوبة لا تشوبها شائبة». وأدركت أنه لابد أن هناك عقبة. «فقط كلمة سريعة، عزيزي الصغير، ياحبي. لاتنسني، لاتنسَ كم أحبك بشغف. أقبلك بكل قوتي – ودائما، دائماً».

حين عادت بوفوار إلى باريس، كان سارتر مايزال في الخارج. وكان بوست في إيطاليا مع مجموعة من الصحفيين.وأولغا مع والديها في ليغل. وسوروكين ارتحلت إلى أمريكا. وكامو على وشك الذهاب إلى نيويورك. عملت بوفوار و«اكتأبت قليلاً». حاولت أن تكتب في بونت - رويال، لكن البراميل التي تستخدم كطاولات لا تساعد على العمل الجدي. وهناك، إلى جانب البار، قدمها رايموند كونو إلى بوريس فيان (صاحب رواية «زبد الأيام العابرة». التي صورت جان - سول بارتر (الذي يمثل جان - بول سارتر) ودوشيس دو بوفوار (التي تمثل سيمون دو بوفوار)، والتي يعتقد كونو بأنها عمل لامع. وقد أخبرت بوفوار فيان بأنهم يرغبون في نشر مقتطفات من روايته في مجلة «الأزمنة الحديثة». وسرعان ما دعيت إلى حفلة أنس وسمر في منزل فيان:

حين وصلت إلى هناك، كان كل شخص قد شرب قليلاً من الشراب. كانت زوجة فيان ميشيل بشعرها الأشقر الحريري الذي ينسدل على كتفيها، تبتسم بغبطة... شربتُ أيضاً بثبات أثناء استماعنا إلى أسطوانات أمريكية.

كان الوقت فجراً حين غادرت بوفوار الحفلة. ذهبت هي وجان - بيرتراند بونتاليس (تلميذ سارتر سابقاً، والمحلل النفساني لاحقاً) إلى مقهى في سان - جيرمان لتصحو من الثمالة. أخبرته عن فانيتي وبكت كثيراً.

كل شخص حول سارتر كان يعلم إلى أية درجة كان متيماً. هنرييت نيزان التي تركت نيويورك وعادت إلى باريس مع طفليها، قابلت والدة سارتر، السيدة مانسي. وقد سألتها السيدة مانسي بصراحة قائلة: «أود أن أعرف ما إذا كانت دولوريس فانيتي زوجة جيدة لبول؟».

استغرقت رحلة سارتر إلى نيويورك على السفينة ليبرتي ثمانية عشر يوماً. كان الجو عاصفاً والبحر هائجاً. لم يصب بدوار البحر. وقد داعب بوفوار بقوله: «بالتأكيد إنه موضوع إرادة». لكنه لم يقو على الكتابة: «يستولي عليك انطباع بأن الريح والتأرجح يفرغان رأسك». ولم يستطع القراءة. «لا أعني فقط قراءة مارلو، ولكن حتى الروايات البوليسية التي جلبتها معي». كان يمشي على سطح السفينة محدّقاً إلى البحر، متبادلاً الحديث مع المسافرين، محاولاً الحفاظ على توازنه. وفي إحدى الأمسيات ألقى محاضرة حول الوجودية. «ينبغي أن أكون شهيراً بحق، عزيزتي بيفر، فعلى الرغم من أنني الوحيد الذي تميزه الخرق الرثة في حقائبي، إلا أن جميع من في السفينة يعرفني».

كان في الأمسيات يثمل مع أصحابه على متن السفينة، ويحاول إغواء زوجة القنصل البرازيلي. (كانت في الخامسة والثلاثين، جميلة، تشبه راقصة مصرية مدللة. في الواقع حمقاء، ولعوب على نحو رديء). وقد انتهى بها الأمر إلى أن تؤثر قبطان السفينة، منافسه الأوسم... شعر سارتر بالإذلال. «لم أستطع التوقف عن رؤية نفسي كحشرة. في الواقع، إن جو البحر يحول الشخص إلى شخص مخبول تقريباً».

ولكي يستطيع تغطية نفقات الرحلة، اتفق سارتر مع مكتب العلاقات الثقافية الفرنسية في نيويورك، على تقديم بعض المحاضرات في الأدب الفرنسي، لقد غدا شهيراً منذ إقامته الأخيرة المؤقتة، وكان الأمريكيون يتوقون إلى معرفة الموضة الفكرية الأوربية الجديدة، الوجودية. لم تكن كتب سارتر قد نشرت بعد باللغة الإنكليزية، لكن ظهر البعض من كتاباته في المجلات الأمريكية، وقريباً ستقدم مسرحيته «لا مخرج» في مسرح في نيويورك. كانت قاعات المحاضرات تمتلئ عن آخرها في أي مكان حل به – جامعة هارفارد وبرينستون ويال وأماكن أخرى.

وقد ضخمت الصحافة صورة له مثيرة للاهتمام. إذ نشرت التايم صورة له أظهرته جميلاً على غير حقيقته - إنها الصورة المفضلة لدى فانيتي - مع تعليق عليها: «الفيلسوف سارتر. الضعيف أمام النساء». إذا كان «كتاب الوجودية المقدس» هو كتاب الوجود والعدم، فإن مادته توضح أن «حواري سارتر الأبرز» هو الكاتبة سيمون دو بوفوار، التي تعيش في ذات الفندق وذات الطابق الذي يعيش فيه المعلم.

بعد أن تحدث سارتر في الـ كارنيغي هول، نشرت الـ نيو يوركر هذا التقرير:

السيد سارتر إنسان ضئيل الجسم متغضن الوجه، يضع على عينيه نظارتين بعدستين واسعتين. وحين نزل من على منصة المحاضرات، لف حول رقبته وشاحاً ثم أخبرنا على الفور بأنه معجب بنيويورك من دون تحفظات. «لا يوجد هنا مطاعم خاصة بالزبن المثقفين الدائمين. لهذا من السهل تجنب المنازعات. الفنادق أيضاً تتبع عادة جيدة جداً، وهي أنها تتخلص من النزلاء بعد إقامة مؤقتة مدتها ثلاثة أو خمسة أيام. أنا أفضل ثلاثة. وإذا اتخذ أحد ما الحيطة وغادر الفندق من دون ترك عنوان جديد، فإنه لمن المستحيل على أي شخص مهتم بالأدب أن يجده. وهكذا لا يتعرض للضجر. يمكن للمرء أن يكون حراً في أن يتنزه وحده في الشوارع، على الأقل يريح نفسه من ضرورة الحديث. أي، اتخذ أحدهم الحيطة بألا يتعلم التحدث بالإنكليزية. لقد صنت نفسي جيداً من هذا، على الرغم من أني تعلمت. وجدت أن هناك تعبيرين موجزين هامين من أجل المحادثة بالإنكليزية طوال أمسية: «ويسكي مع الصودا؟» و«لم لا؟» وبتكرارهما، من المستحيل أن ترتكب خطأً».

دفعت بازار هاربر لبوفوار أجراً كبيراً لتكتب عن سارتر. وقد أعطت لمقالتها القصيرة، التي ترجمها مالكوم كولي، عنواناً جذاباً:

«جان - بول سارتر: حميمي تماماً». هل اعتزمت بوفوار على خلق أسطورة، لم تكن لتستطع أن تصنعها أفضل. لقد أعلنت أن سارتر كان «نمطاً جديداً من الشخصيات في الحياة والرسائل».

كان يكره الريف، وينفر من الحشرات والنباتات التي تتكاثر بسرعة. على الأغلب، يتحمل استواء البحر، وامتداد الصحراء، أو البرودة المعدنية لقمم جبال الألب، لكنه يشعر أنه في وطنه فقط في المدن. لقد أكد سارتر نفسه كـ «وعي وحرية خالصة».

منذ البداية، كان سارتر قد قرر أن يكون إنساناً حراً. تجنب كل شيء يمكن أن يثقل كاهله أو يربطه بمكان واحد، لم يتزوج أبداً. لم يمتلك ممتلكات، لم يملك أكثر من سرير، طاولة، لوحة، تذكار، كتاب. مع ذلك دائماً ما كان ينفق ماله بالسرعة التي جناه بها، وأحياناً أسرع... ميزة واحدة أثرت في جميع زملائه وهي كرمه اللامحدود. إنه يعطي من دون حساب، يعطي ماله ووقته ونفسه. كان على استعداد دائم للاهتمام بالآخرين، لكنه لم يطلب شيئاً مقابل ذلك، إنه لا يحتاج أحداً.

كانت فانيتي تغار من بوفوار، ونادراً ما كان سارتر يذكرها. وقد صرحت فانيتي، أثناء رحلته الثانية تلك أنها واقعة في الحب. كانت تسعى إلى الطلاق من زوجها آملة أن تتزوج سارتر. في غضون ذلك، كانت تفزع من المصورين الجوالين المستخدمين لالتقاط بينة على الزنى.

كان سارتر يقيم في فندق وسط المدينة. وفي عطل نهاية الأسبوع كانا يذهبان، إما إلى شقة فانيتي في الضاحية العليا بعيداً عن أنظار البوابين، وإما إلى كونيتيكت للبقاء مع صديقتها لامبا الرسامة الموهوبة التي انفصلت عن أندريه بريتون وتعيش الآن مع النحات الأمريكي دافيد هير.

أنهض من النوم في التاسعة تقريباً، لم أنجح أبداً، رغم كل الجهود، لأكون جاهزاً قبل الحادية عشرة (اغتسال، حلاقة، فطور). أقوم ببعض الزيارات المقررة سلفاً، أتناول الغداء مع دولوريس أو مع بعض الأشخاص الذين يودون رؤيتي. بعد الغداء أمشي وحدي حول نيويورك، التي أعرفها كما أعرف باريس، حتى السادسة. ألتقي دولوريس ثانية هنا أوهناك، ونبقى معاً في مكانها، أو في بار هادئ. حتى الثانية صباحاً. أحتسي الكثير من الشراب، ولكن من دون مشاكل.

كانت رسائله حافلة بمزيج من المغازي. «إن حب دولوريس لي يفزعني. إنها فاتنة من دون ريب، و لم يُجن أحدنا بالآخر. لكن مستقبل الأمر مقيت جداً... إلى اللقاء عزيزي، حبيبتي بيفر، إلى اللقاء، معك أكون في أفضل حالة، وأحبك كثيراً. إلى اللقاء يا صغيرتي. سأكون سعيداً حين أكون معك ثانية».

في نهاية شباط، كتب سارتر أنه كان مشغولاً جداً بإلقاء المحاضرات وكتابة المقالات. وسيخبرها المزيد حين يعود:

سأخبرك أيضاً عن دولوريس، المخلوق الضعيف والرائع، إنها الأفضل بعدك. حالياً تعاني ألم الرحيل، وأنا لا أستعذب المرح كل يوم... شغفها يفزعني، وهي تستخدمه لغير مصلحتها، لكنها تُظهر إخلاصاً وبراءة طفل حين تكون سعيدة... ما أشد لهفتي للعودة إلى الوطن، نصف ميت أنا من الشغف وإلقاء المحاضرات.

أجَّل سارتر عودته مدة أسبوعين - مدعياً أنه سيلقي محاضرات في تورونتو وأوتاوا ومونتريال ستدر عليه ربحاً. لم يخبر بوفوار بأن جامعة كولومبيا عرضت عليه عقداً مدته سنتين، وأنه درس الاقتراح بجدية. و لم يخبرها بأنه عرض على فانيتي الزواج.

وبما أن فانيتي لم تحصل على الطلاق بعد، اتفقا على أن يعود سارتر إلى باريس، وأن يمضيا ثلاثة أشهر أو أربعة معاً في وقت لاحق من السنة. بعد ذلك، سوف يقرران. وفي آذار عام ١٩٤٦، عاد سارتر إلى الوطن، هذه المرة بالطائرة.

كتبت بوفوار في مذكراتها: «يبدو أنني أعمل بنصف طاقتي». «إنه لمن المزعج وجود عوائق في رأس أحدهم». كان الصداع لايفارقها، وتعذبها الأحلام. كان حديث سارتر كله حول فانيتي. وقد أخبرها بأنه كان منسجماً معها تمام الانسجام. وكانت بوفوار تعاني الذعر، ففي حفلات الأنس والسمر تراها تبكي بعد احتساء كمية قليلة من الكحول.

في أحد الأيام - كانت وسارتر على وشك الذهاب لتناول الغداء مع أصدقاء لهما. سألته فجأة: «قل لي بصدق، من يعني لك أكثر، دولوريس أم أنا؟». أجابها سارتر: «دولوريس تعني الكثير بالنسبة لي، لكن إنه أنت التي معي». اعتقدت بوفوار أنه يعني احترامه لاتفاقيتهما، و لم تعد تسأل أكثر من ذلك. وقد استطاعت بشق الأنفس أن تتمالك نفسها أثناء الغداء متذرعة بعظام السمك التي تجعلها غير قادرة على ازدراد الطعام. انتبهت إلى أن سارتر يراقبها باضطراب. في ذلك الأصيل، حين كانا وحدهما ثانية، أخبرها بأنه يعتقد أن من الواضح أنهما معاً، إن ذلك لا يحتاج إلى تفسير.

بدا لبوفوار أن العديد من مظاهر ماضيهما ينبغي أن تنحل خيوطها. كانا يتمتعان بشهرة واسعة لا تمكنهما من العمل بهدوء في المقاهي. وحين عاد سارتر من أمريكا، قرأ الفصول الأخيرة من روايتها «كل الرجال أموات» في قبو ميفيستو لموسيقا الجاز الجديدة وسط الضوضاء ودخان السجائر. لكن هذا كان على وشك التغير. فقبل شهور وافق

سارتر على أن يتشارك في شقة مع والدته التي وجدت شقة في الطابق الرابع في شارع ٤٢ دو بونابرت. وفي أيار ١٩٤٦ انتقل إليها.

بعد ١٥ سنة من العيش في فنادق بسيطة ورخيصة أصبح سارتر فجأة يعيش عيشة بورجوازي في شقة واسعة أثثت حجرة الجلوس فيها بأثاث يعود طرازه إلى عهد لويس السادس عشر الذي طالما كرهه سارتر. كانت الشقة مريحة جداً. وقد استمتع سارتر بالاقتراب من البيانو ثانية.

كانت آن - ماري مانسي منتشية. وقد أخبرت أصدقاءها قائلة بفخر: «هذا زواجي الثالث». ومن الآن فصاعداً، أصبحت هي التي تشتري لابنها ربطات العنق والقمصان. وكانت تنتشي بهجة حين يتناول معها أحياناً طعام الغداء أو العشاء. لم تكن بوفوار ومدام مانسي تستشعران المحبة والمودة تجاه بعضهما. بعد أن انتقل سارتر إلى مسكنه الجديد، سمع أخباراً مقلقة. بدأت أولغا التمارين من أجل عرض جديد لمسرحية «الذباب»، لكنها كانت تشعر بالضعف أحياناً. وقد أظهرت أشعة إيكس إصابتها بالسل. كانت رئتاها مصابتين، وهي لم تزل بعد في التاسعة والعشرين، وتواجه موتاً محتملاً.

أُرسلت إلى مشفى بوجون في كليشي في الضاحية الشمالية من باريس، حيث عولجت وأجريت لها عمليات معقدة. لم يكن لدى بوست الوقت لكي يستمتع بنجاح روايته «الحرف الأخيرة» Le Dernier Des Métiers. وهي مبنية على الرسائل التي كتبها لبوفوار أثناء الحرب. كان يذهب كل يوم لزيارة أولغا وكانت بوفوار غالباً ما تذهب معه. في تلك الأيام السوداء، كان الاثنان عوناً لبعضهما.

بعد عودة سارتر من أمريكا تلقى رسالة من جان كو، التلميذ البالغ ٢١

عاماً، الذي يحضر لاختبار فحص الدخول إلى الإيكول نورمال، يسأله إن كان من الممكن أن يستخدمه سكرتيراً له. التقى الاثنان. أعجب سارتر بحماسة الشاب، وابتسامته التهكمية، وبروح الفكاهة لديه، وبلكنته الجنوبية. وافق سارتر على استخدامه مدة ثلاث ساعات كل صباح.

بعد موت سارتر رسم جان كو صورة محبة لرئيسه الكريم والجدير بالثقة.

عمل كو سكرتيراً لسارتر طوال ١١سنة وكان يحضر إلى شقة سارتر في تمام العاشرة صباحاً. يقرع الجرس، فتستقبله مدام مانسي «الجميلة والطويلة والأنيقة، بصوتها الموسيقي الصافي». أحياناً تستقبله الخادمة يوجين. في هذه الحالة يجد سارتر وأمه جالسين إلى البيانو يعزفان ثنائياً - عادة لـ شوبرت أو شوبان - كان وصول كو يقاطع هذا المشهد. يطبق سارتر غطاء البيانو ويصيح « إلى العمل».

في معظم الحالات يستعرض كو البريد ريثما يخرج سارتر من غرفته. حين يكون سارتر نائماً في الشقة، يفتح كو باب المكتب، فتصدمه رائحة النوم والتبغ الكريهة. وحين يكون نائماً في منزل عشيقته يأتي سارتر إلى الشقة في الوقت الذي يأتي فيه كو. كتب كو: في تلك الصباحات كان سارتر يسارع إلى العمل، يمضي إلى طاولته حتى من دون أن يخلع سترته أو يفك ربطة عنقه.

كان كو مذهولاً من قدرة سارتر على العمل، فهو «يعمل كالبغل» على حد قول كو. وكان يدخن طوال الوقت مثل قطار، سواء الغليون أو السجائر، ويشرب الشاي من ترموس إلى جانبه. كان يكتب بيده. ونادراً ما يشطب شيئاً إن لم يرض عما كتبه يفضل أن يبدأ من جديد على صفحة بيضاء. إنه لا يحب المسودات المشوشة.

كان عمله يتمثل أحياناً بدفع أذى العالم الخارجي عن سارتر، إذ يقول له: «كو، لا وقت لدي لأكتب تلك الرسالة» أو «لأرى ذلك الأحمق» أو «أن أتجادل مع ذلك المأفون» أو «أن أتحمل هزات مفاجئة». كان على كو أن ينقل الرسالة بدقة.

كانت مهمة كو الأخرى هي تنظيم موارد سارتر المالية. صحيح أن سارتر كان دقيقاً في عمله، لكنه كان مبذراً. لم يرَ كو مثيلاً لذلك التبذير. «سخاء؟» لا أدري. لم يكن سارتر «يهب المال، بل كان ينثره». ذهل كو، مثله مثل جميع أصدقاء سارتر، حين كان يراه يخرج من الشقة وفي جيوبه رزم من الأوراق المالية – تقدر بألفي دولار. لم يكن سارتر ليدع الآخرين يدفعون ثمن الوجبات، ويترك بقشيشاً كبيراً للنُدل. كانت مؤسسة غاليمار تدفع لسارتر حصة شهرية، بدل أن تدفع له مقابل كل كتاب. ففي بداية كل شهر، كان ثمة شيك موقع بانتظاره. ومنذ أن هجرت بوفوار التدريس أصبحت تعتمد مالياً على سارتر. ثم كان هناك راتب كو، ومخصصات لواندا. أحياناً يطلب منه بوست وأولغا «قرضاً» نادراً ما كانا يردانه. وثمة أصدقاء آخرون كانوا يطلبون المساعدة – لتسديد فواتير طبية أو لتغطية نفقات رحلة أو لعمل طارئ. ولم يكن سارتر ليتردد أبداً. يوقع شيكاً أو يعطي نقداً. وفي نهاية الشهر ينفد منه المال. عندئذٍ يخرج من مكتبه ويتحدث مع كو:

كو، ليس لدي نقود. هل هناك شيء منه، ولو مصادفة؟».

«صفر».

«تباً! أمتاكد أنت؟ هل قمت بتجميع شيء»؟

«نعم. لا شيء يمكن جمعه من أي مكان».

«آه حسن، سيّء جداً. سأستدين من يوجين». (أي من الخادمة).

في الواحدة من بعد الظهر يذهب سارتر لتناول الغداء، إما مع بوفوار أو مع صديقة أخرى. ويعود في الرابعة والنصف من بعد الظهر، حين تأتي بوفوار للعمل أمام طاولة البريدج الصغيرة والبعيدة عن مكتب سارتر. تبدأ بوفوار العمل فور وصولها. أحياناً يجلس سارتر إلى البيانو ليتمرن مدة ساعة على بريلود لباخ أو سوناتا لبيتهوفن، ثم يعود للعمل. كانا يعملان حتى الثامنة مساءً، ثم يذهبان إلى المقهى ليعيدا خلق جو البيت.

في صيف ١٩٤٦ ذهب سارتر وبوفوار إلى سويسرا وإيطاليا. كانت بوفوار تنهي روايتها التاريخية «كل الرجال أموات». بينما كان سارتر يكتب مسرحيتين «المنتصرون» - أهداها لفانيتي، وخصص الدور الأول فيها لواندا - وتدور حول المقاومين أثناء الحرب. و«البغي الفاضلة» استوحاها من قضية سكوتسبورو الشهيرة في ألاباما. وتدور حول تسعة من الشبان الزنوج اتُّهموا زوراً باغتصاب مومستين من البيض. وتصور العنصرية في جنوب أمريكا. وقد سبب العنوان فضيحة (أُجبر سارتر على تقديمها تحت عنوان الفاضلة ب). وقد أثارت المسرحية صرخات احتجاج «ضد - الأمركة» وإذ دهش سارتر من الاتهامات الموجهة إليه، قال معلقاً «أنا لست ضد الأمريكان. حتى إني لا أعرف ما تعنيه الكلمة... ما فعلته هو أني كرست عددين من «الأزمنة الحديثة» للولايات المتحدة. إن واجب الكاتب هو شجب الجور والظلم في أي مكان، خصوصاً عندما يحب البلد الذي يدع الظلم يحدث».

في أمسيات روما، كان سارتر وبوفوار يتناولان العشاء مع أصدقائهما الإيطاليين، بضمنهم الكتاب إيليو فيتوريني وكارلو ليفي وايغنازيو سيلون. كان معظم المثقفين الايطاليين، الذين عاشوا التجربة الفاشية أثناء الحرب، متعاطفين مع الشيوعيين. أما في فرنسا فقد كان الحزب الشيوعي، المناصر للستالينية، يهاجم الكتاب المستقلين من

الجناح اليساري، مثل سارتر. لكن الوضع في إيطاليا كان مختلفاً. إذ كان الحزب الشيوعي الإيطالي يعد هؤلاء كأصدقاء جوالين. وهذا ما جعل الحياة أكثر استساغة بالنسبة للمثقفين. ولطالما شعر سارتر وبوفوار بالراحة في إيطاليا.

أمضى سارتر ثلاثة أسابيع مع واندا، وذهبت بوفوار وحدها للتجوال في دوليت. نامت في النزل والأكواخ الجبلية. وكالعادة، ساعدها المشي المجهد على استرداد صفائها الداخلي. فبالنسبة إليها كان ذلك شكلاً من أشكال التأمل.

في الخريف، رافقت بوفوار سارتر إلى روما. كتبت تقول: «لم يسبق لي أن رأيت روما في تشرين الأول». مكثا في فندق مينيرفا القديم في وسط المدينة، وأمضيا أياماً يكتبان بسلام.

ربما بدت «الأزمنة الحديثة» غير زاهية بغلافها الأبيض البسيط، وأحرفها المطبوعة بالأسود والأحمر، لكنها، مثل رئيس تحريرها، لم تكن أبداً تقليدية. لقد شرع سارتر بتحطيم الفصل بين ما دعي «الأدب الجاد» والصحافة. فبجانب المقالات السياسية والأدب وعلم الاجتماع والتحليل النفسي، كان ثمة عمود هازل يكتبه بوريس فيان، وقطع أدبية تتعلق بالسير الذاتية للناس من جميع المراتب الاجتماعية (مومس، لص، وهلم جرا)، ومقالات في موسيقا الجاز والأدب والأفلام الأمريكية. وسرعان ما حققت «الأزمنة الحديثة» سمعة في أوربا كلها، لكونها جريئة ومحفزة. بالنسبة لبوفوار، كانت خطة التحرير الجماعية هذه، شكلاً رفيعاً من أشكال الصداقة، كما كانت الطريقة المفضلة بالنسبة لها ولسارتر للتواصل مع معاصريهما، وللمشاركة في المناقشات المعاصرة. كتبت بوفوار في مذكراتها: «أقرأ مقالة تغضبني، فأقول في نفسي على الفور، ينبغي أن أرد عليها، بهذه الطريقة أتت مقالاتي التي كتبتها في «الأزمنة الحديثة»».

في يوم الأحد من كل أسبوعين تجتمع هيئة التحرير في الساعة الخامسة والنصف في مكتب سارتر بشارع بونابرت. يتناقشون بحرارة، يضحكون، يشربون كميات كبيرة من الخمر. كان سارتر يبدو لهم وكأنه يتنفس أفكاراً. وعادة ما ينفض الاجتماع في الواحدة صباحاً، حين لا يزال سارتر وبوفوار ممتلئين طاقة.

لم يكن اهتمام سارتر كبيراً بـالإدارة العملَية للمجلة. لذا كان موريس ميرلو - بونتي يضطلع يوماً بيوم بالإدارة. وكانت سيمون دو بوفوار عضوة فعالة في الفريق. تقدم الأفكار، تقرأ أكداساً من العروض المقدمة، وتستخدم قلم التحرير بحذق. كانت تبذل جهداً في عملها بالمجلة، إضافة إلى كتاباتها الخاصة بها، وكانت تستسيغ ذلك.

* * *

في صيف عام ١٩٤٦ تساءلت بوفوار عما ستكتب لاحقاً. أرادت أن تكتب حول نفسها، وقد شجعها سارتر على ذلك حين سألها ذات مرة: ما الذي يعنيه لك كونك امرأة؟ أجابته مع شيء من نفاد الصبر، إن ذلك لا يعني الكثير بالنسبة لها. فهي مثل أصدقائها الذكور، ولحسن الحظ تتمتع بامتيازات، و لم تشعر أبداً بأنها أدنى بسبب أنوثتها. ومع ذلك أصر سارتر قائلاً: «إنك لم تتربَّيْ بالطريقة التي تربى بها الولد، ينبغي أن تنظري في الأمر من زاوية أوسع».

كانت بوفوار على قناعة بأنها ستتخلص من السؤال بسرعة. ذهبت إلى المكتبة الوطنية وبحثت في كل شيء وجدته يتعلق بوضع النساء وخرافات الأنوثة. «كان ذلك كشفاً مفاجئاً. كان هذا العالم خاصاً بالرجال. لقد غذت طفولتي خرافات لفقها الرجال و لم تكن ردة فعلي عليها بذات الطريقة التي كانت لتحدث لو كنت ولداً.

شرعت بوفوار بكتابة ما اعتقدت بأن ما ستكتبه لن يتعدى مقالة طويلة. لكن ما أنجزته غدا كتاباً سميكاً، شكل حدثاً تاريخياً في القرن العشرين، وقد دعته «الجنس الآخر». حسدت بوفوار سارتر وبوست حين ذهبا إلى الولايات المتحدة، وأصابتها رعدة حين علمت أن فيليب سوبول، الكاتب السوريالي الفرنسي والصحافي الذي يعيش في الولايات المتحدة، نظم لها سلسلة من المحاضرات في الجامعات الأمريكية. وكان عليها الذهاب إلى هناك في كانون الثاني عام ١٩٤٧.

كان عليها المكوث في أمريكا طوال أربعة شهور. وقد شعرت بشيء من التوتر إزاء هذا الوقت الطويل، إذ ستدع حياتها خلفها. ومما يزيد الطين بلة أن فانيتي ستكون في باريس مع سارتر أثناء فترة غيابها.

وقد تساءلت عما إذا كان بمقدورها أن تغرق نفسها في الحياة الأمريكية كما فعل سارتر وبوست؟ وبخلاف سارتر، فهي متمكنة من اللغة الإنكليزية، وإن كانت لكنتها ثقيلة. وفي حين تعهد مكتب المعلومات الحربي، ثم فانيتي، برعاية سارتر، كانت بوفوار وحدها.

مرت الأسابيع الأخيرة وهي في حالة من التشوش، كان وقتاً صاخباً. فقد فرقت الحرب الباردة المثقفين الفرنسيين، شقت الصداقات. كان ثمة مجادلات حول الشيوعية السوفيتية مقابل الإمبريالية الأمريكية، والقمع السياسي السوفييتي مقابل القنبلة الذرية الأمريكية.

لقد توترت العلاقات بين سارتر وكامو بسبب السياسة. عندئذ كتبت بوفوار في تشرين الأول عام ١٩٤٦: «انفجر قادم جديد عنيف في مجموعتنا». كان آرثر كويستلر وزوجته في زيارة لباريس لعدة أسابيع. وكانت رواية كويستلر «ظلام في الظهيرة»، التي تضمنت نظرة مرعبة على روسيا الستالينية، رائجة جداً في فرنسا. وكان

كويستلر وكامو وثيقَيْ الصلة ببعضهما، ويتشاركان في أنهما مناهضان شرسان للشيوعية. وغالباً ما كان سارتر وبوفوار يخرجان معهما. كان كويستلر وكامو يدينان سارتر لتعاطفه مع الاتحاد السوفييتي، ويعدانه مدافعاً عن الستالينية. كانا يشربان كميات كبيرة من الخمر، وتكتسب مجادلاتهم صفة العنف.

استسلمت بوفوار لإغواءات كويستلر العدوانية، وأمضت معه ليلة واحدة. وستكتب عن ذلك الحدث في روايتها «الماندرين». في الرواية: آن دوبرويل على وشك الذهاب إلى أمريكا، إنها تشعر بالتوتر والقلق والوحدة. تمثل ليلتها الوحيدة مع المتعالي والسادي «سكرياسين» استغاثة من الجنس المنفر.

في إحدى الأمسيات تشاجر كامو مع ميرلو - بونتي، متهماً إياه بأنه يبرر استعراض المحاكمات في موسكو. أيد سارتر ميرلو - بونتي، فغادر كامو غاضباً مغلقاً خلفه الباب بعنف. لحقه سارتر وبوست، لكنه رفض العودة. كانت هذه أول مشاجرة كبيرة تجري بينهما، ولن تكون الأخيرة.

قبل ذهاب بوفوار إلى أمريكا، زارت أولغا لتودعها. كانت أولغا خاضعة للمعالجة بأشعة الشمس في مصح ليسين في جبال الألب السويسرية. وُضع سريرها على الشرفة لتستنشق هواء الثلج البارد. كانت هي وبوست قد تزوجا منذ عدة شهور. فقد كان من الأسهل على بوست زيارة أولغا في المصح السويسري المحافظ، إن كانا متزوجين. بعد أربع وعشرين ساعة في ذلك المبنى الأبيض المشؤوم المليء بالموت واليأس، أحست بوفوار بأنها محبطة. وقد استعادت شيئاً من الراحة بعدما أخذت القطار عائدة إلى باريس.

* * *

كان شتاءً قاسياً، عواصف عنيفة أجبرت بعض الطائرات على العودة إلى مطاراتها. وفي مساء ٢٤ كانون الثاني عام ١٩٤٧، ذهبت بوفوار يرافقها سارتر إلى مطار أورلي. كانت متوترة. قبّلها سارتر وغادر. عندئذٍ أعلن بلاغ رسمي عن تأجيل الرحلة إلى المساء التالي بسبب سوء الأحوال الجوية. عادت بوفوار إلى باريس وأمضت أمسيتها مع سارتر وبوست، يخامرها إحساس بأنها طافية بين عالمين.

بعد أربع وعشرين ساعة جلست بوفوار أخيراً في مقعدها في الطائرة. فتحت دفتر يومياتها وكتبت: «شيء ما على وشك الحدوث. تستطيع أن تحصي الدقائق في حياتك حين يحدث شيء».

كانت الرحلة طويلة، مع توقفات في جزر الآزور ونيوفاوندلاند. وكانت بوفوار قلقة، فإقلاعات الطائرة وهبوطها شكلت تجربة قاسية بالنسبة إليها. كتبت لسارتر من مطار نيوفاوندلاند: «هل تذكر تلك القاعة بجدرانها الزرقاء الشاحبة حيث كنت أكتب لك؟... أجد آثارك في كل مكان، وتلك طريقة أخرى للإحساس بارتباطنا القوي.. أشعر بأني لن أنفصل عنك للحظة - لاشيء يستطيع أن يفرقنا».

أحست بوفوار أثناء محاولة هبوط الطائرة في نيويورك بالرعب والغثيان. كانت الطائرة تنحدر. نظرت من خلال النافذة الدائرية الصغيرة، فاكتشفت المنازل والشوارع. تمتمت المرأة التي بجانبها قائلة إن المحرك كان يصدر ضجة غريبة. انعطفت الطائرة متكئة على جناح واحد. حدثت بوفوار نفسها: «لا أريد أن أموت. ليس الآن. لا أريد أن تنطفئ الأنوار». عندئذٍ شعرت بارتطام الدواليب وهي تلامس مدرج الطائرات.

-٨-

وبانسيا آفينو، جاز، وزازو الذهبية

كانون الثاني ١٩٤٧ - صيف ١٩٥٠

استقبلت بوفوار في المطار امرأة من مكتب الخدمات الثقافية الفرنسية، وتناولت الاثنتان الغداء معاً. بعد ذلك أودعت بوفوار حقيبتها في غرفتها بالفندق، واندفعت وحدها قاصدة ليل مانهاتن - مشت في شارع برودواي إلى ساحة التيمز. كانت الشوارع مزدحمة بالناس. لكنها شعرت وكأنها طيف. لاشيء يبدو حقيقياً تماماً. كانت ضائعة وسط هذا الحشد. في رحلاتها السابقة - إلى روما ومدريد وإفريقيا الشمالية - ظلت تعتقد أن باريس هي قلب العالم. الآن لم تعد تعتقد ذلك. كان هذا عالماً آخر.

طوال الأيام القليلة التي تلت أذهلها كل شيء: الصمت في حركة المرور (لا وجود لأبواق السيارات)، لباس البوابين الموحد، موظفو المصعد (من الصعب استقبال الزيارات السرية)، النساء في الكعب العالي، لطف جميع الغرباء، سرعة الخدمة في المطعم (يمكنك أن تأكل أي شيء وفي أي مكان بسرعة كبيرة - أحب ذلك). حاولت بوفوار خرق المظهر الخارجي لهذه الثقافة الغريبة بادعاءات صغيرة ساخرة: «لا

أحب طعم الويسكي، أحب فقط هذه العيدان التي تحرك بها الشراب. ومع ذلك، شربت الويسكي حتى الثالثة صباحاً، لأن الويسكي واحد من مفاتيح أمريكا».

لقد عرفت المفتاح الأفضل: عشيق أمريكي. كان سارتر قد وجد نفسه مع شخص يحسد عليه. فلماذا يبدو لها الأمر صعباً؟

إن أردت أن أحل شيفرة نيويورك، ينبغي أن أقابل النيويوركيين. هناك أسماء في دفتر العناوين، لكن ليس ثمة أشخاص لأواجههم. ينبغي أن أتحدث عبر الهاتف، باللغة الإنكليزية، إلى الناس الذين أجهلهم ويجهلونني. أنزل إلى ردهة الفندق كما لو أني ذاهبة إلى امتحان شفهي.

تجولت وحدها في مانهاتن وبروكلين، واستمتعت برؤية ما رآه سارتر من قبل. «إنه أنت الذي أراه في كل مكان في نيويورك، وأنت أيضاً الذي أحب...»

كانت فانيتي على وشك الرحيل إلى باريس لملاقاة سارتر، فقررت بوفوار أن تقابلها. وافقت فانيتي، على مضض، على مقابلتها. تحدثت المرأتان حتى الثالثة صباحاً. كانتا متوترتين، وشربتا كمية كبيرة من الويسكي. أخبرت بوفوار سارتر: «أحببتها كثيراً، وكنت سعيدة جداً لأنني تفهمت مشاعرك - التي أقدرها، وأجلك لامتلاكها». وبعد يوم أو يومين دعيت إلى حفلة كوكتيل في منزل فانيتي. «تأثرت كثيراً بدخولي إلى تلك الشقة التي عشتَ فيها كثيراً... كانت فانيتي جذابة وفاتنة - كنت أود أن أعرف ما الذي يجول في خاطرها» بالتأكيد كانت فانيتي لطيفة، حتى إنها أتاحت لبوفوار فرصة كتابة بعض المقالات لصحف أمريكية لتأمين دخل إضافي لها.

جرى اللقاء الأخير بينهما حين كانت فانيتي تتأهب للذهاب إلى

المطار، وهي متخوفة من الطيران الطويل. وقد كتبت بوفوار: «في الحقيقة وجدتها لطيفة وأنيسة إلى أبعد حد».

أحبت بوفوار، على نحو خاص، الكاتب الأمريكي الزنجي ريتشارد رايت وزوجته إيلين. وغدت شقتهما في شارع تشارلز بقرية غرينويش، بمنزلة بيتها الخاص.

وكانت ابنتهما جوليا، البالغة خمس سنوات، «رائعة بكل معنى الكلمة». (أصبحتُ صديقتها على الرغم من أنني لا أحب الأطفال). وقد عرَّفها رايت على مجموعة من أصدقائه - مثقفين ينتمون إلى الجناح اليساري، وكلهم يهود، تقريباً، ومناهضون للشيوعية - وقد دعيت بوفوار إلى بيوتهم. ولدهشتها لاحظت أن كل واحد منهم لديه آلة كاتبة وفونوغراف ومجموعة أسطوانات تتضمن موسيقا الجاز.

لقد وجدت نفسها مشدودة إلى برنارد وولف بوجهه القلق وروحه الكريمة. كان وولف سكرتيراً لتروتسكي في المكسيك، وشارك صديقه ميتس ميزرو في وضع كتاب الثقافة الزنجية (Really the blues). سألت بوفوار وولف عن مكان يمكن أن تسمع فيه موسيقا جاز جيدة. فأخذها إلى حفلة موسيقية لـ لويس آرمسترونغ في كارنيغي هول. وكان هذا حدث نادر، ولم يكن من السهل الحصول على بطاقات دخول إليها. وقد تأثرت بوفوار بما عدته مثالاً على اللطف الأمريكي تجاه الغرباء.

أبرزت صحيفة (نيويوركر) زيارتها هذه، إذ نشرت الصحيفة حواراً معها جاء فيه: مدموزيل دو بوفوار هي أجمل وجودية يمكن أن تراها حتى الآن، إنها أيضاً ممتلئة حماسة ولطيفة ومتواضعة...».

في منتصف شباط غادرت بوفوار نيويورك لتبدأ جولة محاضرات.

كتبت تقول: «أحسست ألماً في قلبي وكأنني أغادر شخصاً استثنائياً. لم أكن أعتقد بأني سأعشق مدينة أخرى مثل باريس».

وصلت إلى شيكاغو التي ستمكث فيها ٣٦ ساعة. كان الجو بارداً جداً، الشوارع مغطاة بالثلج، والريح جارحة. كم تشعر برغبة في أن ترى المدينة وحدها. وكان الأصدقاء في نيويورك قد زودوها بعنوان كاتب. كان نيلسون ألغرين في الثامنة والثلاثين، أصغر بسنة واحدة من بوفوار. وقد نُبهت إلى أنه شخص مزاجي وصعب.

استجمعت بوفوار شجاعتها واتصلت به. أجابها صوت رجل. تحدثت بلكنة فرنسية ثقيلة. أنهى الرجل المكالمة. اتصلت ثانية وتحدثت بصوت أعلى. فقال «خطأ في الرقم». وبعد ثلاث محاولات أحست بالارتباك وغدا لونها قرمزياً، وطلبت من عامل السنترال المساعدة. أخبره عامل السنترال قائلاً: «هناك شخص يود التحدث إليك». أنصت هذه المرة بانتباه إلى الصوت الذي سيصفه لاحقاً «بالأجش والصياح». ولحسن حظ بوفوار بدا ألغرين أكثر وداً مما توقعت.

في تلك الأمسية رأت بوفوار، الجالسة في بار الفندق، رجلاً أشقر طويلاً يضع على عينيه نظارتين ويرتدي صدرية من الجلد. دخل من الباب وتطلع إليها من الأعلى إلى الأسفل بدهشة. أخبرته بوفوار بأنها تعبت من الفنادق الفخمة والمطاعم الأنيقة، فهل له أن يريها شيكاغو الحقيقية؟

أخذها ألغرين إلى نادي التعري - ستربتيز - وإلى بار زنجي، وإلى حانة «الغانغستر» حيث الموسيقا تصدح من صندوق الأسطوانات، وحيث تجد مجموعة من المشردين والمحتالين ومدمني المخدرات والعاهرات المستندات إلى نضد البار. قال ألغرين إنه يشعر بأنه في البيت في أماكن مثل هذه. كان هؤلاء الناس أصدقاءه.

بين لكنته، لكنة الغرب الأوسط الأمريكي، وبين لكنتها الفرنسية الثقيلة، وجدا مصاعب في فهم أحدهما الآخر. في البداية ألحت عليه بالأسئلة، وأجابها بإيجاز. لكن في نهاية الأمسية راح يقص عليها شيئاً من سيرة حياته. قال إنه ولد في ديترويت بطرف شيكاغو. كانت والدته يهودية ووالده سويدياً، لكنه لم يشعر بأنه ينتمي إلى أي طرف. أثناء الأزمة الاقتصادية التي عصفت بالولايات المتحدة، وبعد تخرجه في كلية الصحافة بجامعة إلينوي، قصد الجنوب في قطارات الشحن، وخدم طوال أربعة أشهر في سجن تكساس لأنه سرق آلة كاتبة. وبعد عودته إلى شيكاغو ارتبط بمجموعة من الكتاب الشيوعيين. كانت تلك أفضل فترة في حياته. أثناء الحرب خدم في الجيش بفرنسا. إنه لا يتحدث الفرنسية، لكنه يحبها. وفي طريقه إلى أوربا ومنها، توقف في نيويورك. وباستثناء ذلك فهو نادراً ما غادر شيكاغو.

اتفقا على أن يلتقيا في اليوم التالي. كان على بوفوار أن تلبي دعوة للغداء مع بعض الشخصيات من أليانس فرانسيز. بعد انتهاء الغداء طلبت من القنصل الفرنسي أن يوصلها إلى المنطقة التي يسكن فيها ألغرين. قادها القنصل إلى المنطقة البولونية. كان ثمة مستودعات متهدمة، وأراضٍ خالية، وصفوف من البيوت الخشبية القذرة لها باحات خلفية وسخةٌ. وفي ويست وبانسيا آفينو خطت بسرعة وسط الثلج، ملوحة بيدها للقنصل. قرعت الباب. كان المكان أشبه بزريبة.

كانت النار تطقطق في موقد كبير بالمطبخ، وكانت الأرض مغطاة بالصحف. قال ألغرين: «كنت أحاول أن أنظف قليلاً». أرشدها إلى غرفة أخرى. كان ثمة كرسي أصغر وكتب وصحف وآلة كاتبة وفونوغراف. وكان على السرير بطانية مكسيكية زاهية الألوان. تمنت بوفوار أن يندسا تحتها ويمضيا فترة الأصيل.

بدلاً من ذلك، أخذها ليريها المنطقة المجاورة. انزلقت فوق بقعة من الجليد، فأمسك بذراعيها. وبعد أن أحست بأذنيها وقد تجمدتا من البرد، دخلا إلى حانة وتناولا شراباً كحولياً قوياً ليحظيا بالدفء.

لم يكن بمقدور بوفوار التخلص من دعـوة للعشاء مع القنصل الفرنسي، وهذا ما أغاظها. وجد لها ألغرين سيارة أجرة وقبلها مودعاً. رغب في أن تعود بعد عدة أسابيع. «إن لم تستطيعي فسآتي إلى باريس في يوم ما وأفتش عنك».

في صباح اليوم التالي كانت بوفوار على متن قطار قاصدة لوس أنجلوس، وفي ذاكرتها ابتسامة ألغرين الصبيانية. قبل أن تغادر الفندق لم تر الطرد الذي تركه لها ألغرين بجانب الطاولة. كانت قد أخبرته بأنها خائفة من رؤيته ثانية: أوليس الفراق مؤلماً جداً؟ احتوى الطرد نسخاً من كتبه مع حاشية رقيقة، قال فيها: كان يأمل أن يراها ثانية، حتى وإن كان الفراق مؤلماً.

بعد قضاء يومين وليلتين في القطار وصلت بوفوار إلى لوس أنجلوس مع الثامنة صباحاً. كانت ناتالي سوروكين، التي كانت حبلى حين رأتها بوفوار تغادر باريس قبل سنتين، تعيش الآن مع زوجها إيفان موفات في ويستوود بلوس أنجلوس.

كانت سوروكين في المحطة (شعرها ووجهها رائعان، لكنها بدت أضخم من ذي قبل)، فرافقتها بوفوار إلى شقتها حيث كان موفات بانتظارهما ليتناول معهما الفطور. وكانت الابنة الصغيرة في رعاية مربية أطفال. كان موفات، الذي يطمح أن يصبح كاتب سيناريو ناجحاً، قد أحب رواية بوفوار «كل الرجال أموات»، واقترح على صديقه المنتج جورج ستيفنز إنتاج فيلم مبني على الرواية « خلال

السنوات التي تلت أنتج الرجلان أفلاماً كلاسيكية هامة مثل: مكان تحت الشمس، شرقي عدن، العملاق). كان ثمة حديث عن كلود رينز وغريتا غاربو ليلعبا الدورين الأساسيين. وقد أخبرت بوفوار سارتر قائلة: «هذا يعني أنني سأكسب ٣٠ ألف دولار على الأقل. ألا يجعلك ذلك المبلغ تشعر بالدوار؟ سنعيش سنة كاملة في أمريكا، أنت وأنا».

بعد عدة أيام أعار موفات سيارته إلى المرأتين. ذهبتا إلى سان فرانسيسكو ثم إلى لون باين على حافة صحراء نيفادا، حيث ظهر موفات وجورج سيتفنز فجأة في سيارة سيتفنز الكبيرة من دون موعد مسبق. ساروا معاً وتوقفوا في طريقهم لاحتساء الويسكي. وستكتب بوفوار حول ذلك اللقاء العجيب في الصحراء في كتابها «أمريكا يوماً بعد يوم».

عادوا إلى لوس أنجلوس لبعض الوقت، ثم أوصل موفات المرأتين، مع أول ظهور لضوء الفجر، إلى محطة باصات غريهاوند. من هناك شرعت المرأتان في جولة استمرت ثلاثة أسابيع - في الباص إلى سانتافي، وهيوستن، وناتشي، ونيو أورليانز. وبالطائرة إلى فلوريدا. ثم في الباص ثانية إلى نيويورك. وأثناء هذه الجولة ألقت بوفوار محاضراتها.

بعد أن غادرت بوفوار لوس أنجلوس كتبت لموفات تخبره أنها كانت قريبة منه إلى حد كبير، وكم شعرت بالحزن لفراقهما. وقد رد قائلاً: «أثناء وجودك هنا أصحبت أكثر ولعاً بك، وأكثر انجذاباً إليك». لقد تمنى لو استطاعا قضاء «ليلة بكاملها يعانق أحدهما الآخر».

لم يستطع إيفان موفات، الذي يصغر بوفوار بعشر سنوات، أن يتمالك نفسه. فقد فتنته بـ«حماستها ووجهها الحيوي وعينيها الزرقاوين الرائعتين وابتسامتها وضحكتها المحببة».

كان برنامج محاضراتها شاقاً، لكن بوفوار التي لا تتعب، كانت ممتنة لإتاحة الفرصة أمامها لتتحدث إلى المثقفين الأمريكيين. وقد نشرت (الديلي برنستونيان) تقريراً جاء فيه:

البارحة بعد الظهر، اكتسحت سيمون دوبوفوار، الأنيقة والجذابة وسفيرة الوجودية إلى الولايات المتحدة، لغوبي برينستون، إذ قصفتهم بكلمات بالفرنسية السريعة حول مسؤولية الكاتب. لقد أعلنت أمام جمهورها قائلة: «في فرنسا اليوم، لم يعد من الجائز على الكاتب أن يقف متفرجاً، وأن يعزل نفسه في برجه العاجي».

وأشارت بوفوار إلى أن محاكم ما بعد الحرب لم ترحم المثقفين الفرنسيين الذين تعاونوا مع العدو. في حين تساهلت نسبياً مع أنواع التعاون الأخرى - استغلاليو الحروب على سبيل المثال. لقد أصبح مفهوماً في فرنسا أن على المثقف مسؤولية جدية. وبصفتهما هي وسارتر وجوديين يؤمنان بأنه ينبغي على الكتاب أن يكونوا «ملتزمين». فالكلمات أفعال، وعلى الكُتاب أن يتحيَّزوا.

نقلت بوفوار، أثناء جولتها، رسالتها إلى جمهور الجامعات، والتقت العديد من الناس الذين تراودهم الأسئلة. وخلال حفلات الكوكتيل تحدثت مع طلاب الجامعات والخريجين منهم. وحين كانت تجد نفسها وحيدة تجلس في المطاعم والبارات، أو تسترخي في سريرها تقرأ الأدب الأمريكي وتسجل ملاحظاتها. ويعكس كتابها «أمريكا يوماً بعد يوم» مغزى حيوياً لأنواع المحادثات التي جرت، كما يعكس ردود أفعالها الخاصة.و حين ترجم إلى اللغة الإنكليزية عام ١٩٥٣ استاء معظم النقاد (بضمنهم ماري مكارثي المحبة للثقافة الفرنسية) مما رأوه تعميماً سطحياً وشعوراً بالتفوق الفرنسي. وفي السنوات الحديثة رحب بعض النقاد الأمريكيين بالكتاب وثمنوه عالياً.

كذلك سجلت بوفوار ملاحظات من أجل المقالة التي كانت تكتبها حول النساء. وقد ثبت لها أن اختبار ثقافة مختلفة هو أمر لا يقدر بثمن. كانت تلاحظ أموراً بعيني أجنبية، وترى العلاقة بين الأجناس من خلال منظور جديد. ولدهشتها استنتجت أن النساء في الولايات المتحدة أقل حرية:

تخيلتُ أن النساء هنا سيفاجئنني باستقلاليتهن. «امرأة أمريكية»، «امرأة حرة» – بدت الكلمات مترادفة، في البداية أدهشتني ملابسهن الأنثوية الفاضحة ذات الطابع الجنسي. وقد قرأت في المجلات النسائية هنا مقالات طويلة حول فن صيد زوج أو التقاط رجل. وتيقنت أن فتيات الكليات ليس لديهن اهتمام يذكر بأي شيء سوى الرجال، وأن المرأة العزباء تتمتع باحترام أقل هنا من أوربا... والعلاقات بين الجنسين هي علاقات صراع. شيء واحد بدا لي على الفور واضحاً حين قدمت إلى أمريكا هو أن الرجال والنساء لا يحبون بعضهم بعضاً... ويعود السبب في هذا، جزئياً، إلى أن الرجال ينزعون نحو الإيجاز، وعلى الرغم من كل شيء فإن الحد الأدنى من المحادثة ضروري من أجل الصداقة. إضافة إلى ذلك ثمة عدم ثقة، ونقص في السخاء، وحقد جنسي المنشأ.

في منتصف نيسان عادت بوفوار إلى نيويورك، وأقامت في فندق بريغوت القديم الذي يقع قرب ساحة واشنطن. وبالكاد أمضت ليلة وحيدة، فإضافة إلى عائلة رايت، التقت ببرنارد وولف، واستمتعت بموسيقا الجاز وبمناقشات جادة. أخذها وولف إلى حفلة ماريجوانا. دخنت عدة سجائر، لكنها لم تشعر بشيء على الإطلاق. ومع ذلك، وجدت نفسها في الساعة الرابعة صباحاً تقبل وولف بشغف أمام فندقها.

كانت بوفوار متخوفة من عودتها إلى باريس. فقد كانت رسائل سارتر منذرة بالسوء حول مشاعره تجاه فانيتي. كان على بوفوار أن تغادر في العاشر من أيار، لذا رجته أن يرتب لها عوداً محموداً. فقد رغبت أن تذهب معه مدة أسبوعين – إلى أي مكان. «كل ما أطلبه هو أن أحظى بك لنفسي مدة أسبوعين».

في يوم الاثنين ٢٨ نيسان تلقت رسالة ودية غير عادية. «يا حلوتي الصغيرة، يا قلبي، أريدك أن تعلمي بأني ممتلىء فرحاً برؤيتك ثانية». لقد حجز من أجل عودتها غرفتها الوردية في فندق لويزيانا، وسيكون في انتظارها في محطة باصات المطار. «سنعود معاً وكأننا افترقنا قبل ليلة. سعيد أنا لأني سأكون معك، يا صغيرتي».

كتبت بوفوار «أشعر بالسعادة تغمرني. فخلال عشرة أيام سأكون هناك، سألمسك وأتحدث إليك – أنا نشوى. تخيل، إنك التجربة الأكثر إدهاشاً في حياتي، التجربة الأقوى والأعمق والأصدق».

في يوم السبت ٣ أيار، ذهبت بوفوار لتناول الإفطار، وحين عادت وجدت برقية من سارتر قال فيها: كان الوضع صعباً مع فانيتي. هل تستطيع بوفوار تأجيل عودتها مدة أسبوع؟

لم ترد بوفوار على البرقية حتى الثلاثاء ٨ أيار «غدوت محطمة حين اطلعت على مضمون برقيتك». أخبرته بأنها عانت «انهياراً بغيضاً» وبكت طوال اليوم، «ألم لم أستطع التخلص منه».

لم أحتمل فكرة العودة أبكر مما أردت، وذلك ما جعلني أشعر بالمرض حين لم أستطع تبديل مقعدي. ولكني تذللت يوم الاثنين لكل شخص ونجحت في مسعاي. سأكون في محطة الإنفاليد نحو العاشرة والنصف من يوم الأحد ١٨ أيار. أردت في الواقع أن أشعر بالهدوء

التام، وأن أتحرر من هذه المشاكل في باريس، على الأقل خلال الأيام الأولى. أتوسل إليك يا حِبي أن تبذل ما بوسعك لنكون معاً لمدة طويلة، ولا شيء سيفسد سعادتي بالعودة إليك.

أخبرت سارتر بأنها ستقصد شيكاغو للمكوث فيها عدة أيام. «الشخص الذي أحببته هناك توسل إلي أن أمكث شهرين». إن الأمر الذي لم تخبر سارتر عنه هو أنها حين استلمت برقية سارتر، كانت تحاول التغلب على توقها الشديد لأن تطوقها ذراعان محبتان. في البداية فكرت ببرنارد وولف. استجمعت شجاعتها وهتفت له، وألمحت قائلة إنه قد يكون باستطاعتهما القيام برحلة قصيرة إلى مكان ما. اعتذر قائلاً إن زوجته ستكتشف الأمر. حين أعادت سماعة الهاتف كان العرق يتصبب منها.

ذرعت غرفتها متوترة، ثم رفعت سماعة الهاتف ثانية، وهتفت لـ نيلسون ألغرين: «يمكنني أن آتي وأمضي ثلاثة أيام أو أربعة في شيكاغو هذا الأسبوع، ما رأيك؟». بدا سعيداً جداً وقال إنه سيستقبلها في المطار.

وصلت إلى شيكاغو في صباح العاشر من أيار. لم يكن ألغرين في المطار. وبعد انتظار مشحون بالتوتر ظهر أمامها ألغرين بقامته الطويلة وقال: هالو، ثم جلس بجانبها. وكما أشارت بوفوار نفسها إلى أن اجتماع آن دو برويل بـ لويس بروغان في رواية «المندرين» بُني على واقعة حقيقية:

ابتسمتُ له وقلت «هل سنبقى هنا طيلة الصباح؟».

قال: «لا. هل تودين الذهاب إلى حديقة الحيوان؟».

«إلى حديقة الحيوان. وما الذي سوف نفعله هناك؟»

«سنراقب الحيوانات وسيراقبوننا».

«لم آت إلى هنا لأعرض نفسي على حيواناتك». انتصبتُ واقفة وقلت:

«لم لا نذهب إلى مكان هادئ ونحتسي شيئاً من القهوة ونأكل ساندويتشاً، وسينظر أحدنا إلى الآخر؟»

نهض أيضاً وقال: «تلك فكرة!»

لقد رغبت بوفوار، يائسة، أن يقترح عليها العودة إلى منزله. لكنه لم يفعل، وظل صامتاً وهما في التاكسي. قلقت بوفوار من إمكان قضاء أربعة أيام مع هذا الغريب. قالت: «ينبغي أن نتوقف في الفندق أولاً لإيداع حقيبتي هناك». إنها لم تكن ترغب، عندما اتصلت به من نيويورك، في أن تبدو كأنها ترمي بنفسها عليه، لذا طلبت منه أن يحجز لها غرفة في الفندق. بالطبع أملت أن يتجاهل طلبها.

رشقها ألغرين بابتسامة ارتباك وقال: إنه لمن العسير إيجاد غرفة في شيكاغو. أخذها إلى كافيتيريا بشعة. بعد ذلك ذهبا إلى مباراة بيسبول، ثم أخذها للعب البولينغ. انقضى النهار. وفي مستهل المساء أصرت بوفوار، المتعبة و(البردانة) والمحبطة، على ألغرين ليجد لها غرفة في فندق. ساعدها في إيجاد غرفة في فندق ألكسندريا في شمال شيكاغو. اعتقدت واثقة بأنه سيجد عذراً ليصعد معها إلى الغرفة. لكنه تركها في ردهة الفندق وغادر. استلقت على السرير، وهي تصغي إلى صوت خطواته في الممر.

* * *

في تلك الليلة تناولا العشاء في مطعم صغير، ثم ذهبا إلى بار. في البار التقى ألغرين بعض الأصدقاء المعوزين وتحدثوا معه باضطراب، لكن بوفوار لم تفهم كلمة واحدة مما قالوه. كانت على وشك التخلي عن كل أمل حين جذبها ألغرين نحوه، وهما في سيارة الأجرة، وقبلها.

شعرت آن دو برويل أن جسدها بُعث من الموت. وفي بار موسيقا الجاز، ارتشفت الويسكي، غير قادرة على التركيز على الموسيقا، مثقلة «بجسدها الجديد، الطليق والمشتعل». وأخيراً ها هي ذي تحت البطانية المكسيكية مع بروغان:

فجأة لم يعد مُحْرَجاً ولا خجولاً. حولتني رغبته، أنا التي كنت منذ مدة طويلة من دون تجربة، من دون شكل، امتلكت ثانية ثديين وبطن وغريزة جنسية ولحم. كنت مغذية مثل الخبز، وذات عبير مثل الأرض. كان خارقاً أنني لم أفكر بحساب وقتي أو متعتي، عرفت شيئاً واحداً وهو أننا، قبل أن نخلد إلى النوم، استطعت سماع سقسقة الفجر.

كانت بوفوار وألغرين يدعوان دائماً العاشر من أيار عيدهما السنوي. في اليوم التالي وضع ألغرين خاتماً مكسيكياً رخيصاً في إصبع بوفوار. فأخبرته بأنها ستلبسه حتى يوم وفاتها.

باستثناء مقالة الـ (نيويوركر)، لم يكن ألغرين يعرف شيئاً عن بوفوار وسارتر أو تلك الوجودية التي انتشرت حول العالم. بالنسبة لبوفوار، كان منعشاً أن تكون مع رجل رغب فيها أولاً وقبل كل شيء كامرأة. تقول آن دوبرويل متأملة «أنا التي أساءل نفسي دائماً، على نحو مثير للشك حول المشاعر التي أزرعها في نفوس الآخرين، لم أتسائل ما الذي أحبه لويس فيَّ. كنت على يقين من أن ذلك كان نفسي أنا. لم يكن يعرف بلدي ولغتي وأصدقائي وهمومي. لقد عرف فقط صوتي وعينيَّ وجلدي».

كان على بوفوار أن تعود إلى نيويورك، لكنها لم تكن تريد فراق ألغرين، لذا غادر شيكاغو معها. لم يكن قد سافر بالطائرة من قبل، وكان يخاف الارتفاعات. أمضيا أياماً وليالي في فندق بريفورت حافلة بالعواطف والشهوات. أرته الأماكن التي تفضلها في نيويورك. وكان فاتناً بالنسبة لها أن ترى المدينة من خلال عينيْ رجل من شيكاغو.

أخبرها ألغرين قائلاً: «إنه لمن الممتع أننا انسجمنا بصورة جيدة. لم أكن قادراً على الانسجام مع أحد». كان ثمة لحظات قصيرة يغدو فيها متجهماً وكئيباً، وكانت بوفوار تسأل نفسها عما إذا اقترفت خطأً. لكنها استطاعت أن تدرك أن المزاجية كانت فعلاً وقائياً. أحبت أن تعتقد بأنها الوحيدة التي فهمته.

في الطائرة العائدة إلى فرنسا، فتحت بوفوار رواية ألغرين «Never Come Morning» وقرأت الإهداء الذي كتبه لها. أسندت جبهتها على زجاج النافذة، ورنت إلى البحر الأزرق تحتها وبكت. «كان البكاء حلواً لأنه كان حباً».

كانت عودتها مؤلمة. كان الوقت ربيعاً، الشمس مشرقة وزنابق الوادي وباقات الهليون معروضة في شوارع باريس، لكن السيارات قديمة ومعروضات الواجهات شاحبة، وكان فندق لويزيانا قذراً، وكان سارتر بارداً.

كانت فانيتي ما تزال في باريس، ويبدو أن لا نية لديها بمغادرتها. أصغى سارتر إلى قصص بوفوار حول أمريكا، لكن لم يُدلِ بالكثير، وتجنب أسئلتها. بدا أن فانيتي تضغط عليه لكي يتزوجها، وهو لم يكن على قناعة بذلك. كان عاشقاً، لكنه لم يكن مستعداً لأن يتخلى عن حياته من أجلها، ولم تكن فانيتي راغبة في القبول بأي شيء أقل. «

فقر، قلق، لاشك في ذلك: كنت في الوطن» هكذا قالت دو برويل في نفسها في رواية «المندرين».

بعد ثلاثة أيام من البكاء ومعاناة الأسى، شعرت بوفوار أنها بحاجة إلى هواء - هواء الريف. حزمت حقيبتها، وحملت كومة من الكتب ودفاتر اليوميات، وأخذت القطار إلى سان - لامبرت. قرية هادئة في سهل شيفرو جنوب غرب باريس. استقرت في نزل أسفل رابية. وقرب الأحراج كان ثمة أطلال دير بنيديكتي. في هذا الدير حصل الكاتب المسرحي جان راسين على تعليم رائع من راهبات ذلك الدير، وكتب حول تجواله وحيداً في الغابة هناك. كانت المنطقة تتنفس روح المعتزل الدينية. وقد اعتادت بوفوار في حداثتها الكاثوليكية الذهاب إلى المعتزل كل عام - لتصلي، لتُسبّح، لتتأمل، ولتسجل دفقات روحها. وبعد ثلاثين عاماً أدركت أنها بحاجة إلى أن تستعيد صفاءها.

وعد سارتر أن يقسم وقته طوال أسبوعين بين سان - لامبرت وباريس. وحين يكون في الريف كانت فانيتي تتصل به من باريس وتبكي وتهدد. وبعد مرور الأسبوعين عاد سارتر إلى فانيتي، وبقيت بوفوار في القرية طوال الشهرين التاليين - مع زيارات لباريس من أجل اجتماعات «الأزمنة الحديثة»، ورؤية الأصدقاء.

في الريف، محاطة بالأبقار وغناء الطير ورائحة الأزهار، عملت في كتاب «أمريكا يوماً بعد يوم». وأمضى بوست وأولغا بعض الوقت عندها (خرجت أولغا من المصح بعد أن طرأ تحسن كبير على صحتها). وكان سارتر يأتي كل أسبوع ويسيران معاً في الغابة وعلى طول الممرات التي كان يسلكها راسين، وكانت تحاول معرفة ما يدور في رأس سارتر.

كانت تلعن «المحيط الأطلسي البغيض» الذي حال بينها وبين الرجل

الذي أحبته. كتبت إلى ألغرين: «أبكي لأنني لا أبكي بين ذراعيك. وهذا ليس بمعقول على الإطلاق. لأنه لا ينبغي عليّ أن أبكي بين ذراعيك».

اعترفت لألغرين بأنها تبكي كثيراً، لكنها نادراً ما كانت تذكر سارتر أو فانيتي. وهناك الكثير من الأمور التي لم تُطلع ألغرين عليها. وعندما كانت تتحدث عن حياتها، تتحدث بطريقة نزوية وساخرة، وهي الطريقة التي درج عليها ألغرين. في أحد الأصائل أقبل بعض الأصدقاء لزيارتها في الريف، فكتبت لألغرين بلغتها الإنكليزية ذات الخصوصية، وكان ثمة عاصفة درامية جميلة:

تغلغلت العاصفة في أعصابي، وشربت الكثير... وحين غادر الأصدقاء أصبحت أنا العاصفة، وقد ضجر مني سارتر المسكين، أنا التي تتحدث حول الحياة والموت، وحول كل شيء بطريقة مجنونة... أنت ترى أنه ليس سهلاً عليّ أن أعيش على الرغم من أنني أكون دائماً سعيدة - ربما يعود السبب في ذلك إلى أنني أريد الكثير لكي أكون سعيدة، أرغب في العيش، وأكره فكرة الموت في يوم ما. علاوة على ذلك، أنا جشعة على نحوٍ بغيض، أريد من الحياة كل شيء، أريد أن أكون امرأة وأن أكون رجلاً لكي أحظى بالكثير من الأصدقاء، ولأحظى بالتوحد. لأعمل كثيراً وأكتب كتباً جيدة، وأسافر وأمتّع نفسي، لأكون أنانية وغير أنانية... أنت ترى، إنه لمن الصعب الحصول على كل ما أريد. وحين لا أنجح أغدو مجنونة من الغضب.

كانت عواصفها العاطفية تدوم أكثر مما اعترفت به لألغرين. في ذلك الصيف، ثمة لحظات يكون فيها قلق بوفوار «أشبه بالانحراف العقلي». ولأول مرة في حياتها تعاطت المخدرات لتجابه الاكتئاب. فيما مضى تعاطى سارتر الـ بنزيدرين، وهو المنبه الذي يتناوله الطيارون ليظلوا في حالة صحو أثناء الطيران، فأعطاها شيئاً منه... ساعدتها

تلك الحبوب على العمل، على الرغم من تخوفها من أن تجعل قلقها أسوأ.

في تموز، ودع سارتر أخيراً فانيتي التي سافرت على متن سفينة أبحرت من الهافر. وقد حذرته بأنها لن تعود إلا إذا كان الوضع ملائماً لها. وطوال أشهر ظل سارتر مهموماً. وتذكرت بوفوار الأيام السود حين لاحقته السرطانات.

في أيلول عام ١٩٤٧ عادت بوفوارإلى شيكاغو لقضاء أسبوعين. أخذها ألغرين في جولة بالمدينة - أخذها إلى السجن الريفي، وشاهدت الكرسي الكهربائي، ثم مركز الشرطة، ومشفى الأمراض العقلية - وسجلت ملاحظاتها من أجل كتابها «أمريكا يوماً بعد يوم».

دعت بوفوار مسكن ألغرين المتواضع بـ«جحر ماعز وبانسيا». لم يكن فيه حمام كانا يغتسلان في مغسلة المطبخ. كان ألغرين يغتسل مرتين في الأسبوع في صالة الرجال الرياضية.

أراد لها أن تبقى في شيكاغو وأن تتزوجه. حاولت أن تشرح له أن باريس حياتها، وأنها ستضيع في شيكاغو وتُجتث جذورها، إنها لا تستطيع قبول ما رأته من « وحشة قاسية في أمريكا». لم يقبل ألغرين مبرراتها. وتساءلت بوفوار إن لم تستطع إعطاءه حياتها فلن تستحق حبه.

* * *

في الوقت الذي عادت فيه بوفوار إلى باريس، في نهاية أيلول، كانت قد ظهرت امرأة جديدة في حياة سارتر. كان سارتر قد ذهب إلى مهرجان السينما في «كان» بصفته كاتب سيناريو فيلم «The

Chips Are Dwon». وقد التُقطت له صوره وهو يقرأ في المتنزَّه الأنيق لاكروازيت. وفي أحد الأيام تقدمت منه صحفية أمريكية انفعالية في الرابعة والعشرين من عمرها. وشرحت له قائلة إن جزءاً من عملها كان جمع التفاصيل من أجل نعوات المستقبل. «وهذه فرصة». أخبرته ذلك بابتسامة عريضة. «يمكنك أن تؤثر فيما يقوله الناس عنك قبل أن تموت!». أعطاها سارتر رقم هاتفه في شارع بونابرت.

كان على بوفوار أن تتنفس الصعداء، فقد انتهى أخيراً من تسلط فانيتي عليه. لم يعد مخلصاً لها، ومرة ثانية أصبحت بوفوار على ثقة من وفاء سارتر لها – هي التي كان يبثها شكواه من متطلبات نسائه.

وجدت الصحفية سالي سوينغ، الموجودة في باريس، نفسها مدرجة في جدول أعمال سارتر في أمسياته وصباحاته. تتذكر سوينغ: « كان سارتر يعامل النساء كخزانة بأدراج. أنتِ في الدرج الأعلى، هي في الدرج الأسفل. كرهت ذلك. جعلني ذلك مجنونة».

لكنها كانت مجنونة به وقد قالت: عندما يقلد الناس، كان يجعلها تتدحرج على الأرض من الضحك. كان يريد أن يحللها نفسياً. (حتماً لا!). عزفا ثنائيات – هو على البيانو، وهي على الكمان. (قالت له كُفَّ عن العزف مثل ألماني لعين). مثَّلا أدواراً. اعتقدت بأنه عاشق رائع (بعد عقود، قرأت سوينغ رسائل سارتر إلى بوفوار قال فيما قاله إنه وجدها متطلبة جنسياً).

أهدت بوفوار كتابها «أمريكا يوماً بعد يوم». إلى إيلين وريتشارد رايت، وسلمته إلى الناشرين في كانون الثاني عام ١٩٤٨. ثم انغمست في مقالتها عن النساء، التي عدتها الآن كتاباً. وقد اندفعت في العمل بنشاط أكبر من المعتاد لأنها خططت مع ألغرين للسفر معاً مدة أربعة

أشهر، من أيار إلى أيلول. كتبت له إنه نظراً لأنهما يودان وضع الخطة، فإنها وجدت حلاً. «سنقسم الأيام إلى قسمين، ستخطط أنت للأمسيات، وسأستجيب لخططك بإذعان، وسوف أخطط للأيام، وستتبعني بذات الطريقة. ما رأيك في ذلك؟».

افتتحت مسرحية سارتر الجديدة «الأيدي القذرة» في ٢ نيسان بمسرح أنطوان. وكان قد أصر على أن تلعب واندا الدور النسائي الرئيسي، على الرغم من أن المخرج لم يكن يعتقد بأنها قادرة على ذلك. وكانت الأسابيع التي سبقت ظهور العرض مشحونة بالقلق. لكن واندا أدت دورها، وسط دهشة الجميع، مثل نجمة. بيعت التذاكر كلها، وصرح النقاد بأن مسرحية «الأيدي القذرة» هي واحدة من أهم المسرحيات التي ظهرت في فرنسا منذ مدة طويلة. وحققت واندا نصراً شخصياً، كتبت بوفوار إلى ألغرين «كان ذلك جيداً، نظراً لأن كل شيء عُمل من أجلها».

في حين كان سارتر يكتب المجلد الثالث من ثلاثيته ويخطط لكتب المستقبل، كان منشغلاً أيضاً بالسياسة. وقد غدا واحداً من قياديي حركة جديدة دعيت «التجمع الديموقراطي الثوري»، (RDR). كانت الفكرة من وراء تشكيل هذه الحركة هي أن على الأوربيين ألا يسمحوا لأنفسهم أن يكونوا بيادق في الحرب الباردة، وألا يشعروا بالدونية بين القوتين العظميين، الولايات المتحدة والاتحاد االسوفييتي. الأوربيون يريدون السلام، وينبغي عليهم أن يُسمعوا صوتهم.

في ذلك الصيف، عندما حاصر السوفييت برلين وبدا العالم مرة أخرى على حافة الحرب اكتسبت الـ (RDR) زخماً شعبياً كبيراً. قال سارتر «نعتقد بأن الإنسان هو الذي يصنع التاريخ، وتلك الحرب منافية للعقل ولا مبرر لها».

كان سارتر وبوفوار قد وضعا خططاً محكمة. فابتداءً من أيار إلى أيلول ١٩٤٨، ستأتي فانيتي لتقيم مع سارتر في باريس. (حذر سالي سوينغ من أنه لن يكون بمقدوره رؤيتها في تلك الفترة). وأثناء هذا الوقت، ستسافر بوفوار مع ألغرين - على طول الميسيسيبي إلى نيو أورليانز ثم إلى يوكاتان وغواتيمالا والمكسيك.

عندئذ. وقبل أن تغادر كل من المرأتين قارتهما مرة ثانية، حدث انحراف في الخطط، إذ كتبت فانيتي قائلة إنها قررت ألا ترى سارتر تحت هذه الظروف. حين ووجه سارتر بالرفض، رمى نفسه بين ذراعي امرأة أمريكية أخرى، سالي سوينغ. أما بوفوار، التي واجهت خياراً جديداً وهو البقاء مع سارتر بدلاً من ألغرين، فقد بدأت تساورها الشكوك. علاوة على ذلك فإن قضاء أربعة أشهر بعيدة عن سارتر أمر غير مستحب بالنسبة إليها. وبعد مناقشة الموضوع مع سارتر قررت تقصير مدة رحلتها إلى شهرين. لم تجرؤ على إعلام ألغرين. سوف تعلمه بالأمر فيما بعد.

كان ثمة موضوع آخر دقيق سوف تناقشه مع ألغرين، موضوع جعلها خجلة. فقد أخبرته: «أنا خائفة من أن تسخر مني». ففي زيارتها السابقة مارسا الجنس من دون تدابير وقائية. فقد أخبرته حينئذ بألا يقلق. (إن حبلتُ بطفل، فسأقصد جراحاً يتدبر أمري). لكن في هذه الرحلة سيكون الوضع سيئاً إن حصل شيء. فما الذي يمكن فعله باعتقاده؟ هل لدى الأمريكان طريقة متطورة لمنع الحمل؟ لم ترد أن تقلل من متعته بأية طريقة. رد عليها ألغرين بقوله إنه سيستخدم الطريقتين التقليديتين - السحب أو استخدام واقيات ذكرية.

لكن بوفوار أرادته أن يكون «حراً بقدر ما يستطيع»، فاقترحت خطة أخرى. في طريقها إلى شيكاغو توقفت في نيويورك، حيث

حجز لها ستيفاغيراسي موعداً مع طبيب نسائي وضع لها حجاباً مانعاً للحمل.

كانت الرحلة في مجرى الميسيسيبي أشبه بالنعيم. مارسا الجنس، واحتسيا الويسكي على متن السفينة. التقط ألغرين صوراً بكامرته الجديدة، وترجمت بوفوار واحدة من قصصه القصيرة لنشرها في «الأزمنة الحديثة».

في مكسيكو سيتي أراح بوفوار استلام رسالة من سارتر. لم يبد فيها أنه يتوق إلى فانيتي. كان ساخطاً بسبب الأحداث في فلسطين (اعتقد أن الجيوش العربية كسبت الحرب في الشرق الأوسط، وخاف من إمكان القضاء على حلم اليهود بإنشاء وطن لهم)، وغاضباً بسبب اهتمام الصحافة الفرنسية بالإقامة المؤقتة للأميرة إليزابيث في باريس. كانت سالي سوينغ واحدة من الصحفيين الذين غطوا الزيارة الملكية البريطانية. كان قد رأى الكثير منها وعانى الكثير - دعاها «الصغيرة» - لكن متطلباتها الجنسية قتلته، على حد تعبيره.

كان الوقت يمر، ولم تقل بوفوار بعد شيئاً لألغرين حول تاريخ عودتها. أخيراً وأثناء رحلة طويلة بالباص بين مكسيكو سيتي وموريليا، أعلنت بسماجة بأنه ينبغي عليها أن تتركه أبكر بشهرين مما خططا له. أبدى ألغرين بعض الملاحظات الوقحة، ولم تدرك بوفوار في البداية إلى أي حد شعر أنها خانته. وحين وجدت نفسها تستكشف شوارع موريليا القديمة وساحاتها من دونه، كانت ما تزال غير مدركة لما حدث.

بمرور الوقت أدركت ما حدث ولكن على نحو متأخر. فقد رأت فيما تبقى من الرحلة الكثير من وجوم ألغرين وحرده. أخبرها أنه لا يستطيع أن يحبها بشروطها، فراحت تبكي. أرادت أن تتحدث عن

الأمور بصراحة وصدق، فلم يصبر على هوسها بالحديث. وفي نهاية الرحلة تقريباً، أثناء تناولها الغداء في نيويورك أخبرته أنها ستغادر في اليوم التالي إن أرادها أن تفعل ذلك. انفجر قائلاً بأنها لم تفهم شيئاً: «أنا، على استعداد لأتزوج بك في هذه اللحظة».

كانت رحلة العودة أشبه بكابوس. استعانت بوفوار بالحبوب المنومة ولكن من دون جدوى. لم تكن متأكدة من أنها سترى ألغرين ثانية. هل تراها حطمت بحماقتها، الشغف الأعظم الذي لم تحصل على مثيل له أبداً؟

في ١٩ تموز، كتبت لألغرين تعلمه أنها ستغادر باريس مع سارتر إلى شمال إفريقيا في رحلة تستغرق شهرين. تأمل أن يكتب لها. وحاولت مرة ثانية أن تفسر له لماذا لم تستطع أن تمنحه حياتها كلها:

لا أستطيع أن أحبك وأريدك وأشتاق إليك أكثر مما أفعل. ربما أنت تعرف ذلك. لكن ما ينبغي أن تعرفه أيضاً، ولو أن ذلك سيبدو غروراً إن قلته، هو أن سارتر بحاجة إليّ. في الواقع، إنه وحيد جداً، معذب في أعماقه، مفعم بالقلق، وأنا صديقته الوحيدة الحقيقية، الوحيدة التي تفهمه، تساعده، تعمل معه، تمنحه بعض السلام والتوازن. وطوال عشرين عاماً تقريباً فعل كل شيء من أجلي، ساعدني لأجد نفسي، ضحى بالكثير من أجلي... لا أستطيع أن أهجره. أستطيع أن أتركه مدة، طالت أم قصرت، لكني لا أستطيع أن أرهن حياتي كلها لأي شخص آخر. أكره التحدث حول ذلك ثانية. أدرك أنني في خطر من أن أفقدك، أدرك ما الذي يعنيه فقدك بالنسبة إلي.

في اليوم التالي، ٢٠ تموز، أرسلت بوفوار برقية لألغرين جاء فيها: تغيرت الخطة. هل من الممكن أن تعود إلى شيكاغو مدة شهر؟

كان لبرقيته وقع القنبلة على بوفوار «لا، لدي عمل كثير».

لمَ غيرت بوفوار خططها مرة ثانية؟ في ٢٠ تموز، اتصلت فانيتي بسارَتر من نيويورك. كانت تنشج عبر الهاتف، وقالت إنها لم تعد تحتمل البعد عنه، فهل يوافق على قضاء شهر معها في جنوب فرنسا؟ قال سارتر نعم.

لقد قطعت بوفوار رحلتها مع ألغرين لتكون مع سارتر، والآن يتركها سارتر معزولة محرومة. أحس سارتر بالذنب واقترح أن يدفع لها أجور السفر إلى شيكاغو. ولكن في حين كسبت دولوريس هذه الجولة، خسرتها بوفوار مع ألغرين:

في يوم الجمعة ٢٣ تموز، اليوم الذي كان يفترض أن تذهب فيه مع سارتر إلى الجزائر، كتبت بوفوار إلى ألغرين مختلقة قصة:

آمل ألا تكون غاضباً من برقيتي يا حبي، سأخبرك بما حدث. حين قررت العودة إلى باريس في منتصف تموز، فذلك لأن سارتر احتاجني من أجل العمل في سيناريو فيلم مبني على مسرحيته الأخيرة. وقد سبق أن أخبرتك بأني أريد أن أساعده حين يطلب مني ذلك، إضافة إلى ذلك هي واحدة من الوسائل لتأمين عيشي، إذ إن إيراد كتبي لا يكفي لاستمر... ولكن، على حين غرة، غيَّر المنتجون رأيهم، كان ثمة مجادلات ومنازعات، و لم يُنجز السيناريو حتى الآن. ينبغي على سارتر أن يبقى هنا ليناقش العمل قبل البدء به، إن تقرر أن يبدأ العمل به. لذا فقد أسف لأنه طلب مني العودة، واقترح علي العودة إلى شيكاغو إن كنت أود ذلك، على أن يساعدني بالمال من أجل الرحلة.

لم تذكر فانيتي. في رسائلها لألغرين لم تذكرها أبداً. وما كان يدعو للدهشة هو أنها، بعد ١٥ سنة، في «قوة الظرف»، نطقت بالحقيقة.

وحين قرأ ألغرين حول المرأة التي دعتها بوفوار «M»، وعرف حجم الكذبة التي كذبتها عليه، لم يعد يتحدث إليها ثانية.

بعد أن أمضى سارتر شهراً مع فانيتي في جنوب فرنسا، ذهب مع بوفوار إلى الجزائر في زيارة استغرقت ستة أسابيع. وقد انضم إليهما بوست لبعض الوقت. سبحا في المحيط، طافا بالريف، وعملا أمام مروحة أوفي ظل الأشجار.

حظيت بوفوار بحياة المقهى في باريس، وحظي ألغرين بالوحدة في شيكاغو. حظيت بوفوار بسارتر، و لم يحظ ألغرين بأية واحدة. كتب يقول: إنه بحاجة إلى امرأة تخصه وحده، و لم يعتقد بأنه سيحب أخرى كما أحب بوفوار، ولكن «ليس ثمة أذرع دافئة حين تكون في الجانب الآخر من المحيط». كان يأمل أن يتزوج ثانية في يوم ما.

غدت رسائل ألغرين أكثر دفئاً. وأرسل لبوفوار طروداً بريدية تحتوي تبغاً وكتباً وشوكولاته وويسكي من الصنف الممتاز، خبأه في حقيبة طحين. ووافق على المجيء إلى باريس في أيار التالي.

عاشت بوفوار في الفنادق طوال ١٨عاماً حتى عافت ذلك، إذ كانت التدفئة فيها سيئة. وكان فندق لوازين رطباً وعفناً. وكانت غرفتها بحاجة إلى طلاء. وفي تشرين الأول عام ١٩٤٨ انتقلت إلى شقة صغيرة في شارع دولا بوشيري، وهو شارع عتيق وضيق قرب السين في الحي اللاتيني. كانت المنطقة فقيرة يقطنها العرب في تلك الأيام. وحين يحل الأصيل يتناهى إلى سماع بوفوار موسيقا عربية تنبعث من مقهى عبر الشارع، مقهى الأصدقاء. كان ثمة عراكات دائمة في الشارع. وقد أحبت بوفوار مكانها الخاص هذا، على الرغم من رثاثته ورشح سقفه حينما تمطر.

وضعت بوفوار ستائر حمراً على النوافذ، واشترت كرسيين أبيضين. وبدت الغرفة دافئة ومريحة مع قنديلين برونزيين أخضرين صممهما جياكوميتي، ولوحة تكعيبية بالألوان المائية، أهداها لبوفوار فرناند ليجيه، وبعض لوحات فان كوخ وبيكاسو، وكتباً كثيرة. ومن الآن فصاعداً ستعمل في منزلها في الصباحات. وفي الأمسيات كانت تأكل أحياناً في المنزل «أطبخ وجبات لذيذة. وقد طبخت لتوي خضاراً مع لحم الخنزير البارد. لكني لا أعرف استخدام فتاحة العلب بصورة جيدة، وقد سبق أن كسرت اثنتين».

حين شغر الاستديو الأسفل، انتقل بوست وأولغا إليه. وبدت الأمور ممتازة إلى أن احتاجت أولغا إلى أشعة إكس ثانية، واكتشفت أن في رئتها ثقباً، فعادت إلى مصح ليغل نصف مجنونة ومحبطة.

بعد أن دخل ألغرين حياة بوفوار، توقفت عن النوم مع بوست. في البداية تألم وركبته الغيرة. لم يكن قد رأى بوفوار في حالة حب عنيف من قبل. لكن علاقتهما بقيت ودية. وسيظلان صديقين قريبين. وقد أهدته كتاب «الجنس الآخر».

«الأنثى لا تولد امرأة، بل تصبح امرأة». غدت هذه الجملة التي وردت في كتاب «الجنس الآخر» شهيرة جداً. لم تكن بوفوار تؤمن، بصفتها وجودية، بـ «الطبيعة الإنسانية». وكانت حجتها في ذلك هي أن «الأنوثة» منتج اجتماعي. والبيولوجيا لم تعط جواباً عن السؤال الهام: هل المرأة هي الآخر ولماذا؟

كانت نظريتها المركزية هي أنه في كل الثقافات، حتى في تلك التي دعيت بالثقافات الأمومية، نُظر إلى الرجل بصفته «الأساس»، وإلى المرأة بصفتها «الآخر». درست بوفوار معطيات الفيزيولوجيا والتحليل

النفسي والتاريخ والنظرية الماركسية فلم تجد سبباً مقنعاً لهذا. وقد استنتجت أن «الآخرية» هي مقولة متجذرة في التفكير الإنساني. ليس ثمّة فئة تستطيع أن تنصب نفسها فئةً «وحيدة» من دون أن تضع فئة غيرها في مرتبة «أخرى».

كانت تعمل ساعات طوالاً في هذا الكتاب مصممة على إنهائه قبل زيارة ألغرين إلى باريس في أيار عام ١٩٤٩. كان بحثها واسعاً، ومع ذلك أنجزته في سنتين فقط. كان هذا الكتاب بالنسبة إليها أسهل كتابة من رواية. تستلزم الرواية كتابة متقنة وطاقة عاطفية كبيرة. وتطلّب كتاب «الجنس الآخر» بحثاً وذهناً واضحاً وقدرات تنظيمية. ومن أجل ذلك كانت بوفوار مدربة جيداً.

نظراً لأن إطارها وجودي، فقد كان معيارها الحرية. كانت مقدمتها المنطقية هي أن الهدف النهائي لأي موضوع إنساني مسؤول ينبغي أن يكون «الاستقلالية». لكن ذلك كان معقداً. فإذا كانت المرأة غير حرة، فإن ذلك يعود إلى سببين. إن نقص حرية المرأة يمكن أن يكون مفروضاً، وفي أية حالة يشكلٍ ذلك ظلماً. أو يمكن أن يكون اختياراً، وفي أية حالة يمثل ذلك خطأً أخلاقياً. وفي كلتا الحالتين يعد ذلك شراً مطلقاً.

مَثَلُها مثل سارتر، حاولت بوفوار أن تبرهن على أن الحرية تتطلب شجاعة أخلاقية. إذ إنه من السهل أن يتخلى المرء عن حريته ويغدو «شيئاً». وكما أوضحت بوفوار فإن هناك امتيازات بالنسبة إلى المرأة في أن تستفيد من تملق الرجال، ومن العيش من خلال الرجال، في أن تكون حظية للرجال. «إنها طريق سهل، فيه تتجنب الواحدة جهد الانغماس في عملية تحقيق الوجود الحقيقي».

ثمة فصول عديدة في كتاب «الجنس الآخر»: (المرأة النرجسية)،

(المرأة العاشقة)، (المرأة المتصوفة)، توضح الطرق المتنوعة التي تختارها المرأة لتتجنب حريتها. ولكن إن وقع «الجنس الآخر» في تناقض فإن سبب ذلك، كما تُظهر بوفوار، هو أن الحرية ذاتها محفوفة بالعقبات التي لا تُذَلَّل بالنسبة إلى النساء. فالمجتمع ليس جاهزاً بعد لتقبل حرية المرأة.

إن من أفضل فصول هذا الكتاب هو فصل «المرأة المستقلة»، الذي تتحدث فيه بوفوار سراً حول نفسها. إنها تلخص المشكلة المركزية هكذا:

إن الامتياز الذي يتمتع به الرجل هو أن ميله الطبيعي لأن يكون إنساناً مستقلاً لا يتعارض مع مصيره كذكر... إن نجاحاته الاجتماعية والروحية تمنحانه هيبة رجولية. إنه ليس منقسماً على ذاته. في حين يفرض على المرأة لكي تحقق أنوثتها أن تجعل من نفسها شيئاً وفريسة، أي أنه ينبغي عليها إنكار حقوقها كفرد يتمتع باستقلاليته.

بكلمات أخرى، سواء كانت المرأة فرداً مستقلاً أم شيئاً غير حر، لا يمكنها أن تفوز. فالمرأة المستقلة، كما صورتها بوفوار، تعاني عقدة النقص حين يتعلق الأمر بـ «الأنوثة». إنها تستطيع أن تدرك أن ذكاءها واستقلالها يرعبان الرجال. وهي تعرف أنها إذا أدارت حياتها الجنسية بحرية تامة، سينظر إليها بمهانة كامرأة «سهلة». وفوق ذلك لا يغيب عن ذهنها أبداً معيار المجتمع المزدوج حين يتعلق الأمر بالشيخوخة.

عرفت بوفوار الكثير من النساء اللواتي عشن من خلال الرجال، اللواتي فرضن عبء وجودهن على الرجال. وهي نفسها عرفت الإغراء، وعرفت أيضاً ثمن الاستقلال. يعرض كتاب «الجنس الآخر» على نحو مؤثر المرأة المستقلة التي حُكم عليها أن تشعر بأنها منقسمة على نفسها.

كان سارتر ينظر إلى ميشيل فيان بصفتها زوجة صديقه بوريس. وقد شكل بوريس وزوجته ثنائياً بوهيمياً وعلى الموضة. ولكن مع بداية عام ١٩٤٩، كان ثمة شائعات تدور حول زواجهما الذي بدأ يتقوض.

في أيار أقام الزوجان واحدة من حفلاتهما الشهيرة. في تلك الحفلة راقب سارتر ميشيل وهي ترقص بثوب أحمر قصير وبكعبين عاليين. كانت صغيرة الجسم بساقين جميلتين وعينين زرقاوين وابتسامة دافئة وشعر أشقر طويل. وفي ساعة متأخرة من تلك الليلة خاطبها سارتر قائلاً: «إنكِ في حركة دائمة. توقفي عن الرقص للحظة وتعالي وتحدثي إلي». ابتسمت ميشيل وجلست على حافة الكنبة بجانبه. كانت ممكيجة بتكلف كما لو أنها ممثلة. قالت «لكني ضجرة. ليس لدي شيء لأقوله».

كان وراء مظهرها الانبساطي قلقٌ موجع. كان صوتها عذباً وصافياً، لكنها نادراً ما تتكلم إلا إذا تكلم معها أحد. منذ الحرب غدا بوريس فيان شهيراً كروائي وعازف ترومبيت لموسيقا الجاز. كما كان معروفاً من خلال العمود الهزلي الذي يكتبه في «الأزمنة الحديثة». وبالمقارنة معه، كانت ميشيل تشعر بأنها حمقاء. لم تكن كاتبة، حتى إنها لم تحصل على البكالوريا.

كان بوريس وميشيل في العشرين حين التقيا في كابريتون في صيف عام ١٩٤٠، الصيف الذي سقطت فيه باريس بيد الألمان، وغرق فيه شقيق ميشيل ذو السنوات العشر في نهر. وقد لامت والدته ميشيل التي افترضت أنها كانت تراقبه. وقد شكل لها هذا صدمة نفسية لم تتخلص منها أبداً.

حين شاركت الولايات المتحدة في الحرب، وكان الجاز ممنوعاً في

فرنسا المحتلة، أصبح بوريس وميشيل جزءاً من حركة الـ «زازو» - لفيف من الشبان الذين قاوموا الألمان واتخذوا لباساً استفزازياً واستمعوا في الخفاء إلى موسيقا الجاز الأمريكية، ورقصوا السوينغ في تجمعات تحت الأرض. وقد أحبت ميشيل اللغة الإنكليزية وكل شيء له علاقة بعالم الأنجلو - ساكسون - الروايات البوليسية الإنكليزية والأفلام الأمريكية والجاز الأمريكي. وساعدت بوريس في ترجمة أغاني الجاز المفضلة لديه. وبوصفهما من أتباع حركة «الزازو» ارتدى بوريس ياقات عالية وربطات عنق صغيرة، وبيضت ميشيل شعرها بالبروكسيد الأشقر، وانتعلت أحذية بكعوب عالية جداً.

تزوجا في تموز عام ١٩٤١. كان الاثنان عذراوين. استخدم بوريس واقياً ذكرياً، لكنه ثقب، وغدت ميشيل حبلى من تلك الليلة. لم يكن بوريس مستعداً ليغدو أباً. وفي نيسان عام ١٩٤٢ ولدت ميشيل طفلهما باتريك. كانت شهرة بوريس، بوصفه عازف ترومبيت، تتسع. وبعد التحرير، حين بدأت أقبية الرقص بالانتشار في سان - جيرمان - دي - بري، أصبح هو وجولييت غريكو نجمين في نادي تابو الشهير، وراح سرب من الفتيات الجميلات يتجمع حول بوريس فيان.

وحين تذمرت ميشيل من علاقات بوريس الغرامية، رد عليها بحدة قائلاً، ينبغي عليها أن تتخذ عشيقاً لتتعلم شيئاً حول الجنس. قالت إنها لا ترغب في النوم مع أحد فهي تحبه. وفي واحدة من حفلاتهما دفعها بوريس نحو عازف كلارينيت لا يتجاوز عمره الستة عشر عاماً، هو أندريه ريويليوتي. خلال صيف عام ١٩٤٦، كان بوريس منشغلاً بكتابة روايته الثانية، فدعا ريويليوتي ليمضي الإجازة معهما، في تلك الإجازة مارس ريويليوتي الجنس مع ميشيل فوق الكثيبات الرملية.

في نيسان عام ١٩٤٨، ولدت ميشيل طفلتهما كارول. فتدهور

زواجهما أكثر. والتفتت ميشيل أكثر فأكثر إلى ريوبليوتي. كان صغيراً جداً ليقدم لها ما تحتاجه، لكنه كان شاباً محباً وصادقاً.

في أيار عام ١٩٤٩، بعد الحفلة التي تحدثت فيها مع سارتر حين جلست بجانبه على الكنبة، هتف لها جان - بول سارتر المفكر الأشهر في فرنسا، وطلب منها أن تخرج معه. وفي ليلتهما الأولى معاً تحدثا طوال ثلاث ساعات في بار بونت - رويال. وطوال الشهر الذي تلا اجتمع سارتر معها كل يوم تقريباً. لم يلمسها سارتر. تحدثا فقط. كانت ميشيل في غاية التأثر. وبدا سارتر لطيفاً جداً ومتجاوباً مع مشاعرها.

* * *

في أيار عام ١٩٤٩ قدم ألغرين إلى باريس. وبدت بوفوار في غاية الرقة والسعادة. تتذكر ميشيل فتقول: «كانت غالباً ما تسأل ألغرين: هل أنتَ على ما يرام؟ ما الذي تحبه؟»، «كان كل منهما يحدق إلى عيني الآخر، ويمسك بيد الآخر، وكأنهما عاشقان شابان».

كان ألغرين متوتراً من لقاء سارتر، ولكن حين وضع سارتر ذراعه على ظهر ألغرين وقاده إلى البار، شعر بالارتياح. وقد أحب أولغا وميشيل اللتين رغبتا في التحدث معه بالإنكليزية. أصغت أولغا إلى قصصه بدهشة. ولعبت ميشيل دور المترجمة في المجموعة. وقد دعاها ألغرين بـ «زازو الذهبية».

صدر المجلد الأول من كتاب بوفوار «الجنس الآخر» في حزيران عام ١٩٤٩، واتسعت سمعة بوفوار الفضائحية. حتى عنوان الكتاب صدم الناس. فبحديثها الصريح حول جسد الأنثى ونشاطها الجنسي، خرقت بوفوار المحرمات. وقد عُدت أكثر فحشاً من الكاتبتين جورج صاند وكوليت اللتين سبقتاها.

هوجمت بوفوار بشدة. وصفت بأنني «غير مكتفية، باردة جنسياً، أعبد القضيب، شبقة، سحاقية، أجهضت نفسي مئات المرات، كنت كل شيء، حتى إنني أم من دون زواج»

تلقت مئات الرسائل. وقال البعض عنها: إن مشكلتها هي عدم إيمانها بالإله. اقترح البعض معالجة برودها الجنسي. واقترح آخرون، بتعابير جارحة، أن تهدئ شهواتها الشفوية. وأدرج الفاتيكان كتابها في اللائحة السوداء. وأخبر الكاتب الكاثوليكي المحافظ فرانسوا موریاك هيئة تحرير «الأزمنة الحديثة» قائلاً: «إن مهبل المستخدمة لديكم لم يعد سراً مخفياً عني». حتى كامو اعتقد أن الكتاب بالغ السخف. (كامو إنسان البحر الأبيض المتوسط، المتسم بالكبرياء الإسباني المصقول، أدانني لأني جعلت من الذكور الفرنسيين أضحوكة). إن حقيقة أن بوفوار ناقشت موضوع الإجهاض صدم الآخرين. ومنذ أن كتب سارتر وبوفوار حول الإجهاض في رواياتهما، دفع الناس إلى القدوم إلى مكتب «الأزمنة الحديثة» ليطالبوا بعناوين الأطباء والعيادات الطبية. مما حدا بالسكرتير إلى وضع إعلان هذا نصه: إننا نقوم به (الإجهاض) في مقرنا وبأنفسنا.

وصل ألغرين إلى باريس في ذروة الأحـداث. وتوقفت بوفوار وسارتر، تقريباً، عن الذهاب إلى المقهى، فالناس يضايقونهما. ولكنها كثيراً ما خرجت مع ألغرين. وحين كانا يقصدان مكاناً عاماً، كان الناس يشيرون إليها ويضحكون ضحكات ماكرة. كانت سعيدة لأن ألغرين لا يفهم ما يقولون، وأحست بارتياح كبير حين غادر الاثنان في رحلة إلى إيطاليا والجزائر والمغرب وتونس. وفي طريق عودتهما من شمال إفريقيا، مكثا بضعة أيام عند بوست وأولغا في بيتهما الصغير في مرتفعات البروفانس. وقد أمتعهما ألغرين بقصصه الغريبة التي تبرهن بمعظمها على بطولة ألغرين. وقد دعاه بوست بـ «ألغرين الشكس».

في منتصف أيلول، رافقت بوفوار ألغرين إلى مطار أورلي وقلبها يكاد ينفجر. أخبرها ألغرين: «إنه لم يسبق له أن ذاق مثل تلك السعادة وأحب بهذه القوة». وخلال توقف في طريق عودته سمع أن روايته «الرجل ذو الذراع الذهبية» قد فازت بجائزة الكتاب الوطني.

في حين كانت بوفوار مع ألغرين، سافر سارتر مع فانيتي إلى أمريكا الوسطى في رحلة دامت ثلاثة أشهر. وقبل أن يغادر أخبر ميشيل فيان قائلاً: «سأجري بعض الترتيب في حياتي». وحين عاد في تشرين الأول، بدأ بإغواء ميشيل بصورة جدية.

تتذكر ميشيل فتقول: «لم أتكلم أبداً. كنت أفتقر إلى الثقة. كنت صامتة، أضحك باستمرار، ضائعة. علمني سارتر كيف أتكلم. أخبرني أن أفكاري جيدة. كان يقول إنه ينبغي على الناس أن يفكروا ويتحدثوا. وجدته متحمساً جداً. لم أكترث بوسامته. أحببت شفتيه. إنهما تشبهان شفتي بريجيت باردو. الشفة العليا بحجم الشفة السفلى، مثل شفتي والدته... كنت حينما أراه قادماً تتسارع ضربات قلبي. كنت أقول في نفسي، هي ذي البهجة، هي ذي التسلية».

في إحدى أمسيات أواخر كانون الأول، وأثناء عودتهما من نادٍ ليلي في سيارة أجرة، قبَّلها سارتر. الآن وقعت ميشيل فعلياً في الحب. وبعد ذلك بوقت قصير أخذها سارتر إلى منزله حيث مارسا الجنس. كان الوقت أصيلاً، ووالدته خارج المنزل.

في اليوم التالي غادر سارتر لقضاء عيد رأس السنة في لابوازيه. وكانت بوفوار تعمل مع بوست في ترجمة رواية ألغرين «Never Come Morning». كانت مدام موريل الشهيرة بحسن الضيافة سعيدة إذ سمحت لهما بالعمل طيلة اليوم في منزلها.

كان سارتر مستغرقاً في كتابة مقالة حول جان جينيه، الإنسان الذي رأى فيه سارتر بطلاً وجودياً، فمنذ بداياته المستهجنة (نغولة، معونة اجتماعية، جنوح، لواطة)، اختار جينيه الكتابة، وأنجز شيئاً إيجابياً بعيداً عما فعله الآخرون به. كان ثمة هاجس سارتري: فكرة الإبداع الذاتي في مواجهة الذل والعار.

كان سارتر يكتب باستمرار رسائل لميشيل «فاتنته الصغيرة». لم يستطع التوقف عن التفكير بذلك الأصيل الرائع - لباسها، شعرها وفمها، ابتسامتها الغامضة. كان يود أن يجعلها سعيدة. يريد لها ألا تشعر أبداً أنها وحيدة. وقد قال: كان جديداً بالنسبة لي أن أشعر بالحاجة إلى شخص آخر. كان شيئاً جسدياً، كأنما التقط مرضاً. اشتاق إليها في جسده.

بحلول شباط، لاحظت ميشيل أنها حبلى. مع سارتر، كما كان الحال مع بوريس، غدت حبلى من الليلة الأولى التي نامت فيها معه. لم يستطع سارتر تصديق ذلك في البداية. فقد مارس نهجه المعتاد لمنع الحمل وهو العزل (إفراغ المني خارج المهبل، أو إيقاف الجماع قبل الإنزال).

سألها سارتر عمّا إذا كانت تريد الاحتفاظ بالطفل. كانت ميشيل تعرف أنه يكره الأطفال. ورأت زواجها يتحطم بسبب الحمل. وعندها طفلان. وكان ذلك كافياً، كما أخبرت سارتر. وقد عنى ذلك أنها تريد إسقاط الجنين. قال سارتر إنه سيطلب من بوفوار عناوين أطباء. صُدمت ميشيل وقالت: «لا تقلِ شيئاً لـ بيفر الآن». سأستشير شقيقي طالب الطب وأطلب منه العون.

كان سارتر على وشك السفر ثانية. سيغادر هو وبوفوار في بداية

آذار لقضاء شهرين في جنوب الصحراء الكبرى بإفريقيا. توسلت إليه ميشيل أن يؤجل سفره عدة أيام بعد إجراء عملية الإجهاض، فرفض قائلاً: إنه لا يستطيع أن يسبب الكآبة لبوفوار. لقد خذلها في الصيف السابق، (لم يذكر التفاصيل) «لا... لا أستطيع أن أخذلها ثانية».

رحل سارتر وأجرى شقيق ميشيل عملية الإجهاض. مرضت بعدها ميشيل، وظلت محمومة طوال أيام. كتب لها سارتر رسائل رقيقة لكنها لم ترد على رسائله، أو ربما ردت مرة أو مرتين.

قبل ذلك بوقت قصير كانت ميشيل قد قطعت علاقتها بأندريه ريويليوتي، مبررة ذلك بدعوى أنها واقعة في غرام سارتر. غدا ريويليوتي مهزوماً. الآن عادت ميشيل إليه. لم تقل له إنها نامت مع سارتر، و لم تقل لسارتر إنها نامت مع ريويليوتي. «كان سراً كاملاً» كما قالت ميشيل. «عشت حياة مزدوجة. عشت في عالمين مختلفين».

بوفوار هي التي أرادت رؤية الصحراء، وهي التي أمنت الحجوز. لقد أمضت مع سارتر أربعة أيام عبر الصحراء في شاحنة. كانا ينهضان كل يوم في الخامسة صباحاً حين تلوح الشمس الحمراء في الجبال. في ليلة مقمرة أخذا ليشاهدا زعيم الطوارق في خيمته بالصحراء. كان رجال الطوارق طوالاً بوجوه فخورة، يغطونها كلها بخماراتهم، باستثناء أعينهم السود. في غاو ومالي أصيب سارتر بحمى. ركبا طائرة إلى بوبو - ديولاسو. وهناك بللت عاصفة نهارية سريريهما بالماء. في تلك الليلة عادا إلى غرفتهما مجهدين متعبين. كتبت بوفوار: «لم يستطع سارتر إغلاق عينيه طوال الليل. كان سريره ما يزال رطباً، وقد أصابه التنقل عبر الطريق بالصمم. وفوق كل ذلك كان مذعوراً من الصراصير. لقد أمضى الليل كله وهو يقرأ».

قصدا مكاناً فيه دائرة للرسائل. غدا سارتر قلقاً لأن ميشيل لم تكتب له، وغدت بوفوار قلقة أيضاً حيال صمت ألغرين: «بالتأكيد ضاع نثرك البارع في الصحراء الكبرى».

في بداية أيار سافر سارتر بالطائرة من كازابلانكا عائداً إلى باريس. في حين ذهبت بوفوار في رحلة عاطفية إلى فاس، حيث كانت قد أمضت مع ألغرين أياماً طافحة بالسعادة.

كانت فانيتي قد حصلت على وثيقة الطلاق، وتعيش في كان، وترغب في الزواج بسارتر. لكن سارتر كان واقعاً في غرام ميشيل. وقد قال لبوفوار متذمراً إن فانيتي متطلبة جداً، دائماً تريد المزيد منه – المزيد من المال، المزيد من الوقت. لكنه شعر بالذنب تجاهها، ووافق على قضاء بضعة أسابيع معها في حزيران وتموز. كانت ميشيل قلقة: «اعتقدت أنك انفصلت عنها السنة الماضية!». أجابها سارتر قائلاً: «ينبغي أن تنجزي الأمور بالتدريج».

انفصل سارتر عن فانيتي خلال صيف عام ١٩٥٠. كانت بوفوار في الخارج، لكن بوست كان شاهداً. لم يكن ثمة مشاهد دراماتيكية، وبدا سارتر آسفاً لذلك. ذات مرة بكت فانيتي على كتف بوست. وبدت متفاجئة من سارتر لأنه لم يعد يحبها، لكنها لم تظهر مرارة. ظلت تقول إن سارتر تغير. غدا متطرفاً تجاه عمله. لاشيء يسره أكثر.

وقَّع بوست عقداً لكتابة دليل سياحي عن إسبانيا« إسبانيا يوماً بعد يوم» في ذات السلسلة التي كتبت فيها بوفوار كتاباً عن أمريكا. كان بحاجة إلى سيارة، وفانيتي تملك سيارة، وهي تشعر أنها بحاجة إلى إجازة ودودة. وهكذا رحل الاثنان لقضاء شهرين في التنقل حول إسبانيا. وقد أمل بوست بألا تثقب أذنيه بالحديث عن سارتر.

ارتكبت بوفوار، بعد عودتها في كانون الثاني، غلطة شنيعة. كانت قد كتبت لألغرين تلتمس أمراً. وأخبرته أنها خائفة من رده الذي إما أن يجعلها سعيدة جداً أو حزينة جداً. لقد ذكرته بأنه قال لها، حين كانا في تونس، إنه ينبغي عليها العودة إلى وبانسيا آفينو، لكن ليس على وجه السرعة القصوى. لذا فضلت أن تسأله عمّا إذا كان بإمكانها أن تأتي لزيارته في شيكاغو في حزيران، لأن سارتر سيسافر في الصيف مدة ثلاثة أشهر وطلب منها أن تسافر حين يكون غائباً. فالأفضل ألا تنتظر حتى يعود.

وافق ألغرين، الأمر الذي أسعد بوفوار. ولكن على مدى الأشهر التي تلت أصبحت رسائل ألغرين أقل تواتراً. وقبل أن يحين موعد رحيلها بوقت قصير، نشبت الحرب الكورية، وغدا العالم كله على شفير الحرب. ففكرت في إلغاء رحلتها. لكن سارتر أقنعها بالسفر.

وصلت إلى شيكاغو. لكن بدا لها ألغرين غير ودود. مارس معها الجنس، ولكن من دون حنان. في الليلة الثانية، سألته إن كان ثمة مشكلة، أجابها قائلاً: لا شيء، لكن شيئاً كان قد مات. لقد تعب من مجيئها لمجرد أنها تريد الرحيل ثانية. وقد انتظرها بلا مبالاة، و لم يشعر بالكثير حين رآها ثانية. وزوجته السابقة ترغب في العودة إليه. وعلى الرغم من أنه كان ضجراً من النساء، إلا أنه يفكر بالزواج بها ثانية.

حاولا في الليلة الثالثة ممارسة الجنس، لكن ألغرين لم يستطع. ذعرت بوفوار، وكتبت لسارتر: «كان شيئاً مثيراً للشفقة، وقد أرعبني. أمضيت جزءاً كبيراً من الليل أتأمل همي، وحين استيقظ ألغرين حاولت التحدث معه، لكنه كره أن يفسر شيئاً - وما لبث أن خرج». لم يحاولا ثانية.

كانت الحرارة في وبانسيا آفينو خانقة، وحضور ألغرين الكئيب

مقيتاً. فرت بوفوار من البيت، لكن شوارع شيكاغو كانت حارة جداً، واعتقدت بأنها ستذوب في القطران. وكانت الصحف طافحة بلغة طنانة معادية للشيوعية. وحين قصدت بوفوار مزينة الشعر، سألتها الفتاة التي غسلت شعرها بلهجة فيها الكثير من الإدانة: «لم أنتم كلكم شيوعيون في فرنسا؟».

في بداية شهر آب انتقلت بوفوار مع ألغرين إلى ميلر على ضفة بحيرة ميتشيغان حيث استأجر ألغرين كوخاً. وقد نام الاثنان فيه في غرفتين منفصلتين. قاومت بوفوار بيأس. ترى ما الذي تفعله هناك؟ هل يتوجب عليها اختبار الهوى ثانية؟ تناولت الكوريدران، وهو مزيج منبه من الأمفيتامين والأسبرين، لكي تستطيع العمل في روايتها الجديدة التي ستدعوها «المندرين».

مر الصيف. سبحا في البحيرة. وفي أحد الأصائل كادت بوفوار أن تغرق. وقد أحيا هذا الحادث الدراماتيكي، لوقت وجيز، شغفهما القديم. في الأمسيات تمشيا على طول الشاطئ، وتساءلا عمّا إذا كان العالم سينتهي بحرب نووية. حاولت بوفوار تهدئة نفسها بالتفكير بسارتر. كتبت له تقول: «إن جدة حياتي وسعادتي وغرامي هي معك، يا رفيقي الصغير منذ عشرين عاماً». أما فيما يتعلق بفانيتي وجشعها، فقد كانت سعيدة لأن سارتر استطاع أن يكون حازماً.

كانت تحصي الساعات قبل عودتها. وقد أخبرت سارتر: «سترى كم ستكون رائعة تلك الحياة التي سنعيشها من الآن فصاعداً حالما نعود معاً». وبينما كانت تكتب رسالتها حجب الفجر البرتقالي القمر. كانت على ثقة بأنهما، هي وسارتر، على وشك أن يبدأا شيخوخة سعيدة.

-٩-

عينان زرقاوان كريستاليتان

كانون الثاني ١٩٥١ - كانون الأول ١٩٥٤

في الحقيقة، لقد تغير سارتر. كان يعمل دائماً بنشاط كبير، لكن الآن، بمساعدة الكوريدران، حول نفسه إلى آلة عمل. ذهبت الأمسيات التي كان يتمتع فيها بمشاهدة الأفلام مع بوفوار، ذهبت تجوالاتهما معاً عبر باريس. لم يبق لديه وقت لها.

كانت حبوب الكوريدران المنشطة واسعة الاستخدام في خمسينيات القرن العشرين. ولكن في حين يأخذ منها الصحفيون حبة أو نصف حبة ليستمروا في نشاطهم، كان سارتر يأخذ أربعاً منها. كان معظم الناس يبتلعون الحبات بالماء، أما سارتر فكان يقضمها قضماً. كان طعمها سيئاً، مراً جداً. إضافة إلى الكوريدران كان يدخن بنهم، ويشرب كميات كبيرة من القهوة والشاي. وفي المساء كان يحتسي نصف زجاجة من الويسكي، ثم يتناول أربع أو خمس حبات منومة حتى يفقد الوعي.

لقد شعر باطراد أن الكتابة عبث في عالم يتضور فيه الأطفال جوعاً،

في عالم ترى الظلم فيه في كل مكان. لم يعد يقرأ الروايات التي تستمتع بوفوار بقراءتها، و لم يعد يهتم مطلقاً بالجمل المرهفة الأنيقة. كان مقتنعاً بالمواضيع السياسية، وليس الأدبية.

كان يأخذ الكوريدران ليدفع عن نفسه القلق بخصوص الخروج عن الصدد فيما يفعله، وتحت تأثير الحبوب، كان يكتب بحرارة مرتفعة جداً، بدلاً من الكتابة في كرب. وطوال ساعات، ومن دون انقطاع، كان ينتج الصفحة تلو الصفحة، محتفظاً بقلمه بصعوبة بين أصابعه، متفوقاً بإحساسه بقوته.

كان قد وضع جانباً، على نحو مؤقت، الكتاب الفلسفي الضخم الذي دعاه «فلسفة الأخلاق». وغدت مقالته عن جينيه، التي بدأت كمقدمة، كتاباً ضخماً، شيئاً بين الفلسفة والأدب، صورة تذكارية دفعت القراء للتعجب والضيق (من يستطيع ابتلاع شيء كهذا؟) هكذا تساءل جان كوكتو. كان بدأ كتاباً حول إيطاليا، البلد الذي أحبه بشغف. كانت نيته، كما جرت العادة، هي التحدث عن كل شيء (التاريخ، السياسة، المشكلات الاجتماعية، الكنيسة، الفن، العمارة، السياحة). وكان مستمتعاً بالكتابة، لكنه شعر بالذنب، فالسياسة كانت تنادي، لقد هيمن عليه المشروع إلى درجة الانغماس، وباستمرار كان يضعه على الرف. إن كتابته حول المدن المفضلة لديه - فينيسيا، كابري، روما، نابولي - التي نشرت بعد وفاته، تظهر حسية سارتر وشاعريته. لقد ملأ صفحات تصف رشاش الماء الذي تحدثه الغندولات.

في بداية عام ١٩٥١، وضع جانباً العديد من المشاريع ليكتب مسرحية. وقد لاحظ سكرتيره جان كو أنه لا يستمتع بكتابة المسرحيات مثلما يستمتع بكتابة أشياء أخرى، وفي كل مرة يباشر كتابة واحدة أخرى يسبب صدمة في الحاشية السارترية. إذن لماذا يفعل ذلك؟ في البداية

كتب دوراً من أجل أولغا، وفي هذه الأيام من أجل واندا. «الآخرون يمنحون الحلي، وهو يمنح المسرحيات»، على حد تعبير كو.

أحبت أولغا المسرح، وأظهرت موهبة كبيرة. كانت دائمة التورط مع شاب، لكنها ظلت جزءاً من عائلة سارتر، جزءاً من حضنة النساء، بضمنهن والدة سارتر، التي تحتاج إلى دعمها وحمايتها. كان يراها بانتظام. وحين يكون بعيداً، يكتب لها رسائل ودودة ومرحة. وكانت تعتمد عليه من الناحية المالية اعتماداً كلياً.

برهنت مسرحية «الشيطان والرب الصالح» على أنها كابوس. عمل فيها سارتر وباله مشغول بها، لم يصل إلى حدودها النهائية، واستمر في إضافة مشاهد. وبدأت التمارين، وسارتر لم يكملها بعد. وقد احتدم غضب سيمون بيريو، مديرة مسرح أنطوان، فهي تريد من سارتر أن يقص مقاطع منها لا أن يضيف إليها إضافات. رفض سارتر الانصياع. وقد نقلت الصحافة الانفعالات والصرخات والغضب التي سادت إبان التمارين. وحين رفعت الستارة، في ليلة الافتتاح الأولى في ٧حزيران عام ١٩٥١، كان قد سبق المسرحية التي جرى إيجازها إلى أربع ساعات، حديث موسم باريس المسرحي. وقد لعبت واندا، تحت اسمها المستعار، ماري أوليفييه، جنباً إلى جنب مع بيير براسور وماريا كاساريه الشهيرين في عالم التمثيل في فرنسا. وقد أسبغ على الثلاثة الثناء. كانت المسرحية نصراً.

كان على العائلة أن تكون لبقة حيال نجاح واندا. وقد عانت شقيقتها أولغا، التي عُدت أفضل من أختها بكثير، الخزي. كانت تتوق، بعد إصابتها بالسل وخضوعها للمعالجة، أن تستعيد نشاطها المسرحي، فقد حصلت على أدوار صغيرة أدتها بنجاح. لكنها أرادت أيضاً أن تلعب دور إليكترا في التقديم الجديد لمسرحية «الذباب»، و لم ترد أن ترى أحداً

غيرها يلعب الدور الذي كتبه سارتر من أجلها. نصحها طبيبها بصراحة ألا تلعب ذلك الدور المتطلب في الوقت الراهن. لكن أولغا أصرت. وقبل افتتاح المسرحية بوقت قصير أعلن في الصحافة أن المخرج رايموند هيرمانتييه لم يعتقد أن أولغا جاهزة لأداء الدور، لكن سارتر طلب منه الاحتفاظ بها.

في الواقع، لم تكن أولغا قد استعادت قواها بعد. لم تعد هناك تلك الجذوة القديمة. أعاقها تنفسها، و لم يزل صوتها ضعيفاً. انتقدها النقاد بشدة. كانت مدمرة. ووسط غم العائلة، أقسمت ألا تعود إلى المسرح ثانية. وقد احتفظت بكلمتها، ولازمها الإحساس بالفشل طوال ما تبقى من حياتها.

راح بوريس فيان يخبر الناس هنا وهناك أن سارتر سرق زوجته. وهو الآن يطلب الطلاق. كانت ميشيل مذعورة. فهي لا تريد أن تُزج في فضيحة. وإذا أعلنت ارتكابها الزنى، فسيفوز برعاية الطفلين.

حين كانت تخرج مع سارتر كانت تقنّع نفسها بوساطة النظارات الشمسية والقبعات. وحين يسافران معاً يأخذان غرفتين منفصلتين. تتذكر ميشيل فتقول: «كان ذلك أشبه برواية بوليسية. مسألة تتسم بالقذارة». في كابري، ذعرت حين برز أمامهما مصور وبدأ يتكتك بكاميرته. وفي روما لاحقهما تحرٍّ خاص: «نبحث عن السيد سارتر التي ترافقه مدام فيان». فنقده سارتر مبلغاً كبيراً لكي يدعهما وشأنهما.

أخبر سارتر ميشيل بألا تقلق، فسيعتني بها وبالطفلين. واستأجر لها محامياً ليمثلها. استمرت لعبة القطة والفأر إلى أن أنجز الطلاق في أيلول عام ١٩٥٢، بإعلان بوريس طرفاً مذنباً.

أحست بوفوار بالوحشة، فقد كان سارتر بعيداً جداً عنها. كان يقرأ

بنهم. وكان معظم ما يقرؤه يدور حول الماركسية، دافعاً تفكيره إلى الحدود التي يرغبها. وقد دعا ذلك « تكسير عظام في رأسي». وكان يطلب من بوفوار أن تقرأ هذا أو ذاك الكتاب. لكن كان لدى بوفوار الكثير لتقرأه، فقد كانت غير معنية بالسياسة. لم تكن لديها أوهام بأنها تستطيع تغيير العالم بتلك الطريقة.

كانت قد اعترضتها صعوبات جمة في «المندرين». فقد كان سارتر قد أشار إلى وجود ضعف في المسودة الأولى، ولم تكن واثقة من أنها تستطيع إصلاحها. بدا لها أنه من الصعب أن تعيد تجميع الخيوط، وتساءلت هل يتوجب عليها التخلي عنها والبدء بشيء آخر. لم يساعد موقف سارتر من الرواية.

في أيلول عام ١٩٥١، سافرت إلى شيكاغو. فقد قررت هي وألغرين أن يريا بعضهما على قاعدة مختلفة. أمضيا شهراً في الكوخ بجانب بحيرة ميتشيغان، وحين آن موعد رحيلها قالت لألغرين إنه لمن الجيد أنهما احتفظا بصداقتهما، فرد ألغرين قائلاً: «إنها ليست صداقة». لم أستطع أن أقدم لك أبداً أقل من الحب». نشجت بوفوار وهي في طريقها إلى نيويورك. ومن هناك كتبت له: «أشعر بأني بين ذراعيك، عزلاء على نحو مطلق، ولمرة واحدة أتوسل إليك أن تحتفظ بي في قلبك أو تخرجني منه، ولكن لا تدعني أتشبث بحب أكتشف فجأة أنه غير موجود». رد عليها ألغرين برسالة غاضبة يخبرها فيها أن ذلك الحب قد انتهى.

جمعت بوفوار مبلغاً من المال من كتابها «الجنس الآخر»، فاشترت فونوغرافاً وأجهزة استماع ساعدها بوريس فيان في اختيارها. وقد أمضت مع سارتر العديد من الليالي يستمعان إلى موسيقا الجاز وإلى الموسيقا الكلاسيكية المعاصرة – موسيقا شونبرغ وفيبرن وبارتوك. وفي

تشرين الثاني اشترت سيارة. كتبت لألغرين تقول: «لا تستطيع المرأة العيش من دون شغف. ولما كان الحب محظوراً، قررت أن أقدم لقلبي الدنيء شيئاً ليس خنزيرياً جداً مثل رجل، فقدمت لنفسي سيارة سوداء جميلة».

رأت بوفوار أن التفكير بانتهاء حياة الحب لا يحتمل. فسارتر استقر مع ميشيل. وأقام بوست (من دون أن تدري أولغا) علاقة حارة جداً مع الكاتبة مارغريت دورا. وكل ما يتوجب على بوفوار هو أن تحلم، وهي مستلقية في «سريرها العذري»، بسيارتها اللامعة الجميلة.

كانت على قناعة، وهي في الرابعة والأربعين، أنها باتت «مبعدة في أرض الظلال». إنه إحساس بالبتر. كيف تستطيع قبول فكرة أنها لن تستريح ثانية بين ذراعي رجل؟ وقد قالت في نفسها إنه ينبغي عليها أن تحظى بذلك من أجل الكرامة: «أمقت فكرة النساء المتقدمات في السن، فالأجساد الهرمة تتشبث بالحب».

في كتاب «الجنس الآخر» كانت قد وصفت، بلغة قوية، مأزق هرم النساء. المأساة، كما رأتها، هي أن النساء يفقدن الاشتهاء الجنسي قبل أن يفقدن رغبتهن الجنسية بوقت طويل. فما إن يصلن إلى نضجهن الجنسي الكامل حتى يلاحظن العلامات الأولى للهرم في المرآة. «قبل التشوه النهائي للجسد بوقت طويل، ينتاب المرأة الرعب من هرمها».

في كانون الثاني عام ١٩٥٢، توفيت الضاربة على الآلة الكاتبة التي تعمل لدى بوفوار، وهي في مثل سنها، توفيت متأثرة بسرطان الثدي. وسرعان ما لاحظت بوفوار كتلة في واحد من ثدييها، فانتابها الرعب. اعتقد طبيبها بأن لا شيء يدعو للخوف، لكن يتوجب عليها العودة إلى العيادة في غضون ستة أسابيع. في منتصف آذار غدت الكتلة أكبر،

وصارت تشعر بطعنات من الألم في ثديها الأيمن. جس الطبيب الكتلة بأصابعه ثم قال إنه يحتاج إلى أخذ خزعة. إذا ثبت أن هناك ورماً خبيثاً، فهل توافق على استئصال ثديها؟

كررتُ لسارتر، في صوت مخنوق، ما قاله الطبيب. وأظهرتْ طريقته في مواساتي كم كانت الغيوم مكفهرة في أفقنا: إذا اتجهت الأمور نحو الأسوأ، أستطيع أن أحصي ١٢ سنة أو أكثر من الحياة، ١٢ سنة من آنئذٍ ستتخلص منا جميعاً قنبلة نووية.

في المساء، قبل العملية، حلقت الممرضة إبطها. «في حال اضطروا إلى استئصال كل شيء». وبعد خروج بوفوار من غرفة العمليات، تناهى إلى سمعها صوت يقول كل شيء على ما يرام. أحست بوفوار بأنها طافية، تهدهدها هذه المرة، الملائكة.

اشتد صراع الحرب الباردة. كان الأمريكان يقصفون كوريا الشمالية، ويضغطون على الحكومة الفرنسية لكي تستمر في حربها في الهند الصينية. كان سارتر مقتنعاً أن المعتدين الرئيسيين في العالم هم الأمريكان. وأن الاتحاد السوفييتي يريد السلام بصدق. علاوة على ذلك، توصل إلى نتيجة مفادها أن الحزب الشيوعي الفرنسي كان الحزب الوحيد الذي يهتم اهتماماً حقيقياً بالعمال. وفي روما، في أيار عام ١٩٥٢، سمع أخباراً مفادها أن الحكومة الفرنسية قمعت بوحشية مظاهرة قام بها الشيوعيون في باريس، واعتقلت زعيم الحزب الشيوعي جاك دوكلو بعد أن لفقوا تهماً ضده. كاد سارتر يفقد السيطرة على نفسه غضباً. وسيعزي إلى هذا الحدث الهام «تحوله» إلى الشيوعية. قال فيما بعد «حين عدت مسرعاً إلى باريس، توجب علي أن أكتب أو كنت سأختنق».

لم يسبق أن رأته بوفوار في مثل ذلك المزاج من الإلحاح. «في غضون أسبوعين، أمضى خمس ليالٍ من دون أن ينام، وفي الليالي الأخرى نام أربع أو خمس ساعات». وفي الوقت الذي كان فيه معظم المفكرين الغربيين ينأون بأنفسهم عن الستالينية، كتب سارتر بروح عالية « الشيوعيون والسلام». مدافعاً عن الحزب الشيوعي الفرنسي. وفي غضون السنوات الأربع التي تلت أصبح يعرف بـ «الزميل الجوال» – وهو واحد من المتعاطفين مع الحزب الشيوعي من دون أن ينتسب إلى الحزب. وقد رأى سارتر أن على العمال أن ينتسبوا إلى الحزب الذي يدافع عن مصالحهم، لكن المفكرين بحاجة إلى الاحتفاظ باستقلالهم.

في ربيع عام ١٩٥٢، وجدت بوفوار نفسها تتطلع بشوق أكبر إلى أصائل أيام الأحد، حين يجتمع أشخاص «الأزمنة الحديثة» في مكتب سارتر في شارع بونابرت. ونتيجة لحماسة سارتر في جعل المجلة ذات طابع سياسي أكبر، دعا بعض الشباب الماركسيين للانضمام إلى هيئة التحرير – رجال مثله كانوا قريبين من الحزب من دون أن يكونوا أعضاء بعد. وقد اقترح سكرتيره جان كو صديقه كلود لانزمان.

أحبت بوفوار على الفور لانزمان، واستمتعت بمداخلاته في الاجتماعات. كتبت تقول: «إنه يقول أشياء أكثر تطرفاً في صوت متعالٍ جداً. وذكرتني الطريقة التي يعمل بها عقله بسارتر. كان يسخر ببساطة، ويفعم هذه الجلسات بالحياة».

لم يكن عقله وحده الذي وجدته بوفوار جذاباً، فقد كان لانزمان وسيماً في السابعة والعشرين، مع شعر أسود وعينين زرقاوين كريستاليتين. وقد شعرت بوفوار بحزن التواق إلى شيء. وحين باح لها كو بأن لانزمان وجدها جميلة، اعتقدت بأنه يسخر. بعد ذلك لاحظت لانزمان يتطلع إليها أثناء الاجتماعات.

في نهاية تموز، أقامت أولغا وبوست حفلة سمر في شقتهما. كان أعضاء الجماعة سيتفرقون في الصيف. فقد كُلف بوست وجان كو بوضع دليل سياحي عن البرازيل، وهما على وشك السفر إلى ريو، وسارتر وبوفوار سيسافران إلى إيطاليا لقضاء شهرين. وسيقوم كلود لانزمان بزيارته الأولى لإسرائيل.

في تلك الليلة احتسوا كميات كبيرة من الويسكي. وحدق لانزمان بثمالة إلى بوفوار. وللمرة الأولى قصدت التحدث إليه. في الصباح التالي رن جرس الهاتف في شقتها: «هل أستطيع دعوتك لمشاهدة فيلم!». أحست بوفوار بإثارة مفاجئة تسري في جسدها، وسألت «أي فيلم؟» أجاب لانزمان بصوت رقيق «أي فيلم تريدينه».

ماطلت بوفوار، فهناك الكثير لتفعله قبل مغادرتها باريس. ألح عليها لانزمان، فوافقت على مشاركته الشراب في أصيل اليوم التالي. ولدهشتها انفجرت بالبكاء وهي تضع من يدها سماعة الهاتف.

تحدثا حتى حل المساء، واتفقا على تناول العشاء في اليوم التالي. كان لانزمان جذاباً غزلاً. استنكرت بوفوار قائلة إنها أكبر منه بـ ١٧ عاماً. أجابها لانزمان قائلاً إنه لا يفكر فيها كامرأة هرمة. في الليلة الثالثة بقي في شقتها. وتكرر ذلك في الليلة التي تلت. وحين انطلقت بوفوار بسيارتها الصغيرة، لوح لها لانزمان من ممر المشاة. بوفوار التي اشتهرت بين أفراد العائلة بمهارتها في معرفة الطرقات، تاهت في الضواحي.فقد كانت سعيدة بقيادة سيارتها من دون انحراف، « لتتذكر وتحلم ».

بعد يومين، كان عقلها ما يزال في السحاب حين التقطت من الطريق فتاتين إنكليزيتين مسافرتين (بالمجان). كانت السماء تمطر والطريق زلقاً، ولم تكد تقول للفتاتين إن عليها أن تكون حذرة، حتى انزلقت السيارة خارجة عن الطريق، مقتلعة الصُوة (معلم على

حافة الطريق يبين المسافة إلى مدينة ما) من حفرتها. لقد أنقذت الصُوة حيواتهن. وبعد أن أوصلت بوفوار الفتاتين إلى غايتهما، توقفت أمام محطة بنزين، ثم تابعت طريقها ومحفظتها فوق سقف السيارة. وحين اكتشفت أن محفظتها ليست بجانبها على المقعد، عادت مذعورة باتجاه المحطة. أدركها راكب دراجة حاملاً محفظتها. حدثت بوفوار نفسها: «لقد فقدت عقلي».

أخذ سارتر القطار إلى ميلانو، والتقيا في مقهى ديل لاسكالا في ساحة شهيرة. لم يسبق لسارتر أن كان معها وحده في سيارة، وقد قلقت بوفوار من إمكان نفاد صبره بسبب قيادتها الخرقاء. لكنه كان متطرفاً على نحو آخر. ففي الطرقات المفتوحة كان يحثها بتهور قائلاً: «تجاوزيه، أسرعي، تجاوزيه».

كان صيفاً حاراً على غير العادة. أرادت بوفوار زيارة المتاحف، ومعارض الرسم، والكنائس. وكل ما أراده سارتر هو أن يعمل. أجريا تسوية. في الصباحات يرتادان المعالم الأثرية، وبعد الغداء يعودان إلى غرفتيهما، حيث الحرارة خانقة. وفي حين يحظى كل شخص بقيلولة، كانا ينغمسان في عملهما. كان سارتر يعمل بحماسة في كتابه «الشيوعيون والسلام». وبوفوار تتصارع مع رواية «المندرين».

في البداية، قلقت بوفوار من قرب سارتر من الشيوعيين. ترى ألا يؤدي ذلك إلى تنازلات؟ لقد اعتقدت هي وسارتر أن على المفكرين مسؤولية قول الحقيقة، وهذا يعني الحفاظ على استقلالهم. كان لـ لانزمان والأعضاء الجدد في «الأزمنة الحديثة» وجهة نظر مختلفة، فقد كانوا سعداء عندما تكلم سارتر جهاراً في صالح الحزب. كتبت بوفوار. تقول: «وُضعت في موقف تحديت فيه ردود أفعالي العفوية، بكلمات أخرى، ميولي القديمة».

إذا كان سارتر قد حث بوفوار على التقرب من الحزب الشيوعي الفرنسي (الأكثر ستالينية من جميع أحزاب أوربا الغربية)، فهو لم يستطع فعل ذلك مع الأصدقاء الآخرين. فميرلو - بونتي، الذي كان ذات مرة إلى يسار سارتر، يدينه الآن لأنه «بولشفيكي متطرف». وبعد مشاجرة بينهما استقال ميرلو - بونتي من «الأزمنة الحديثة»، المجلة التي منحها روحه طيلة سنوات. وقد دافعت بوفوار عن سارتر في مقالة دعتها «ميرلو - بونتي والسارترية المزيفة».

كان حديث باريس في ذلك الصيف، المشاحنة العلنية بين سارتر وكامو. فقد ندد كامو في كتابه «المتمرد» بالاستبداد الستاليني، وهاجم سارتر على نحو خفي لتعاطفه معه. وكما رأى كامو فإن «المتمرد» لديه عقل مستقل، في حين إن «الثوري» هو شخص تسلطي يعقلن القتل دائماً. وقد حاول كامو أن يبرهن على أن العنف هو دائماً غير مبرر حتى إذا كان وسيلة لغاية.

جرت نقاشات حامية في اجتماعات هيئة تحرير «الأزمنة الحديثة» حول كتاب كامو. لم يحبه أحد، من منهم سينتقده؟ أخيراً تصدى لهذا الأمر فرانسيس جانسون، وهو واحد من الشباب الماركسيين الذين انضموا حديثاً إلى الفريق، الذي كتب مقالة نقدية قاسية جداً أكثر مما أراد سارتر أن تكون. لكنه مررها من دون أي تغيير.

شعر كامو بالخيانة، فرد على المقالة برسالة مفتوحة من ١٧ صفحة وجهها إلى السيد المدير وليس إلى جانسون.

رد سارتر بهجاء نقدي من عشرين صفحة بدأه بهذه الجملة «عزيزي كامو، لم تكن صداقتنا سهلة، لكني سأفقدها».

إن جمعك بين التصور الكئيب والهشاشة، أعاق الناس عن إخبارك

بالحقائق الصريحة. النتيجة هي أنك أصبحت ضحية الغرور الباهت، الذي يخفي مشكلاتك الباطنية... عاجلاً أم آجلاً، سيخبرك أحدهم بهذا. وربما من الأفضل أن أكون أنا.

كانت رسالة كامو رصينة، أما رسالة سارتر فقد كانت موجعة. يتذكر روبرت غاليمار فيقول: كان انقطاع العلاقات بينهما، بالنسبة لكامو، أشبه بنهاية قصة حب. وقد انحازت بوفوار إلى جانب سارتر. وستكتب في مذكراتها: «شخصياً، لم يُؤثر فيَّ انقطاع العلاقات بينهما، فكامو الذي كان عزيزاً عليَّ لم يعد له وجود بالنسبة إليَّ».

لم يتحدث معه سارتر ولا بوفوار ثانية.

تلقى كلود لانزمان خمس رسائل عاطفية من بوفوار الموجودة في إيطاليا، قبل أن يتمكن من كتابة رد مطول عليها. كتب لها قائلاً إنه إذا لم يكن واقعاً في حبها بعد، فقد جعلته رسائلها يقع في حبها. إنه يعمل الآن من أجل «فرنسا الأحد». ثم إنه حين شرع في الكتابة لها وصل والده وأصر أن يذهبا معاً لصيد السمك في مكان ما خارج باريس. كان ذلك مضجراً و لم يستطع اصطياد شيء.

في الخريف، حين التقيا ثانية فسر لها «جنونه» بها. كان قد حجز في السفينة، وسيغادر إلى إسرائيل في نهاية آب. وحالما يصل سيحاول أن يكتب لها كل مساء. وحين أخبرها بأنه سيعيد قراءة جميع كتبها، ردت قائلة إنها تود أن تسعده تماماً كما كانت. وقد أراد منها أن تعلم أنه أحبها تماماً كما كانت. وسيحبها دائماً حتى إن كتبت من الآن فصاعداً كتباً رديئة. ولكنه في الحقيقية، كان أحب كتبها أيضاً.

كتبت بوفوار أنه حين عاد لانزمان إلى باريس، بعد أسبوعين من عودتها، «التقى جسدانا ثانية بفرح». وبما أنه أصبح مفلساً بعد

الرحلات التي قام بها، اقترحت عليه بوفوار أن يسكن معها. وسيعيشان معاً طوال السنوات السبع التي تلت.

في البداية، أفقدت إثارة هذا «الولد الجديد» تحت سقفها، تركيز بوفوار الشهير. أخبرت ألغرين قائلة: «كنت دائخة قليلاً طوال شهر». في الصباحات كانا يعملان جنباً إلى جنب، وفي الأصائل تعمل بوفوار في شقة سارتر. وقد احتاج لانزمان إلى أكثر من شهر ليتكيف مع وضعه الجديد.

لقد فتنته إسرائيل، وشجعه سارتر وبوفوار على كتابة كتاب يتضمن تقريراً مع ذكريات شخصية. ماذا عنى له أنه نشأ بصفته يهودياً في بلد احتله النازيون؟ كيف كانت مشاعره وملاحظاته حين جال في إسرائيل؟ تحمس لانزمان للفكرة.

كانت شقة بوفوار صغيرة جداً، ومع لانزمان الذي يعمل فيها أيضاً، تكدست رزم من الكتب في كل مكان. كانا يأكلان وجباتهما كلها خارج الشقة، عادة في مقهى لابوشيري.

* * *

كان كلود لانزمان يمثل طرازاً من «الشاب الغاضب». كان متصلباً وعنيداً، لكنه يميل في ذات الوقت إلى تبني وجهات نظر الذين يعجبونه. كان يبكي حين يكون حزيناً، ويتعرض لنوبات من الإقياء حين يكون ساخطاً. كتبت بوفوار تقول: «كنا، أنا وسارتر ومعظم أصدقائي متشددين في أمور السلوك، نسيطر على ردود أفعالنا، وقليلاً ما نفصح عن عواطفنا. وقد كانت عفوية لانزمان غريبة عني. ومع ذلك بدا قريباً مني على الرغم من تجاوزاته».

حدد لانزمان نفسه، أولاً، وقبل كل شيء، بصفته يهودياً. لا شيء بالنسبة إليه كان أكثر أهمية من ذلك، إذ كان يشعر بالفخر بصفته يهودياً، وتثير غضبه فكرة اللاسامية التي كانت سبباً في إخضاع شعبه طيلة قرون. وقد قال لبوفوار إنه «يريد أن يقتل طوال الوقت». وأحياناً كان يستيقظ وهو يصرخ بتأثير كابوس جثم على صدره. على الرغم من تشجيع بوفوار، تخلى لانزمان في النهاية عن كتابه «كان يفتقر إلى المنظور الضروري ليكتب حول نفسه. بدأ بصورة جيدة، عندئذٍ واجه عقبات في داخله».

لقد عزا لانزمان جنونه، من دون شك، إلى ماضيه الصعب. كان الأكبر بين ثلاثة أطفال. وحين بلغ الثانية عشرة انفصل والداه عن بعضهما. وقد شهد الأطفال مشاهد من العنف العائلي. غادرت والدته بوليت باريس، متخلية عن أطفالها الثلاثة لوالدهم، الذي كان يعيش حينئذٍ في بريود، وهي بلدة صغيرة في ماسيف سنترال. وحين بلغ كلود الرابعة عشرة نشبت الحرب. وأثناء الحرب لم يعرف الأطفال ما إذا كانت والدتهم حية أو ميتة.

كان كلود وجاك، مثل والدهما، شابين نشيطين في حركة المقاومة. وبعد التحرير، ذهب الشقيقان إلى باريس، في حين بقيت إيفلين، شقيقتهما الصغرى، مع والدها وزوجته في بريود. انتسب كلود إلى ثانوية لويس الكبير، حيث تهيأ لاجتياز فحص القبول في الإيكول نورمال، وأنشأ صداقة مع جان كو وجيل دولوز. أما شقيقه جاك فقد درس الفن.

يقول كلود إنه اكتشف في باريس بعد الحرب حجم تواطؤ الفرنسيين في عملية الإبادة الجماعية لليهود. وهذا ما أدخله في صراع مع انفعالات قوية. إذ كيف يستطيع البقاء مع هؤلاء الناس؟ وحين كان في المدرسة

العليا عام ١٩٤٣، أثار اهتمامه كتاب سارتر «الوجود والعدم». وفي عام ١٩٤٦، تأثر بعمق بكتاب سارتر الجديد «صورة اللاسامية». إن سارتر، هذا الإنسان الذي لم يكن يهودياً، فهم اليهود من الداخل، كذلك تضمن كتابه تحليلاً لامعاً وشجباً لـ اللاسامية. ويقول لانزمان اليوم إنه «بسبب هذا الكتاب بقي في فرنسا».

في عُطَلِ نهاية الأسابيع، كان كلود وجاك يمضيان وقتاً لا بأس به في شقة صغيرة متخمة بأثاث قديم وكتب نادرة ولوحات من الفن السوريالي، حيث تعيش والدتهما بوليت مع زوجها الثاني، الشاعر اليوغوسلافي اليهودي موني دو بولي. كانت والدتهما تقدم لهما الطعام وتجلس بجانبهما تمطرهما بالأسئلة.

خلال الحرب كانت عائلة بولي تختبئ - تقيم في أقبية الأصدقاء وعلياتهم، وكانت تغير سكنها باستمرار. وكثيراً ما كان بولي وزوجته يرويان قصة تعرضهما للموت. ففي أحد الأيام، في حزيران عام ١٩٤٣، غامرا بالخروج لتناول الغداء مع صديقهما المقرب الشاعر ماكس جاكوب. في الطريق مر بهما ضابطان في الغستابو ونظرا إلى بوليت ذات الأنف السامي الواضح. جرى اعتقالهما. وبعد استجواب طويل، أخذ الضابطان بولي لفحص عضوه. في الواقع، كان بولي مختوناً، لكن لم يكن لديهما تصور مسبق لحالة المختون، فأفرجا عنه. أُنقذ الزوجان بأعجوبة. لكن ماكس جاكوب لم يكن محظوظاً جداً، فقد توفي بعد سنة في درانسي.

في أمسيات أيام السبت كان الزوجان يعقدان ندوة في شقتهما في شارع ألكسندر - كابانيل، يشارك فيها رسامون وكتاب ومفكرون بضمنهم جان كوكتو ولويس آراغون وبول إيلوار. كانوا يحتسون الشراب ويتحدثون في هذا المكان الحميمي المفعم بالدخان.

ظل الطعام نادراً في سنوات بعد الحرب، لكن بوليت المضيافة كانت تُعد باستمرار شيئاً من الطعام. وكان كلود وجاك لانزمان يترددان دائماً على الشقة بصحبة رفاقهما. يتذكر أوليفييه تود فيقول: «كنا شباناً نرجسيين جداً. كنا نؤمن بأن من يعرف شخصاً مهماً، فهو مهم أيضاً».

قدِمت إيفلين شقيقة جاك وكلود البالغة من العمر ١٦ عاماً لتعيش في شقَة بولي، في علية صغيرة تحت السقف. فقد حدث أن زار كلود بريود مع صديقه الفيلسوف جيل دولوز، وكان كلود يعبد دولوز. وسرعان ما غدا دولوز إله إيفلين الجديد، فانتقلت إلى باريس لتكون قريبة منه. عشق الاثنان بعضهما لفترة وجيزة. وحين نبذها جيل، لم تعد قادرة على الأكل، وبدأت تهيم في الطرقات. وبعد شهور عدة منحت والدتها وزوجها الشاب الوسيم ريزفاني بعض المال وتوسلا إليه أن يأخذها إلى مكان ما ويبهجها.

في التقليد اليهودي القديم، كانت عائلة بولي وسيطة زواج. وكما وصفها ريزفاني، فقد وضعته هو وإيفلين تحت الضغط. فعلى الرغم من أنهما لم يقعا في حب بعضهما، وجدا نفسيهما متزوجين. كانت إيفلين في الثامنة عشرة وريزفاني في التاسعة عشرة.

كان كلود لانزمان وأصدقاؤه يضعون مخططات متهورة لجمع المال. وقد ذكرت بوفوار في مذكراتها أن طالباً في ثانوية لويس الكبير في العشرين من عمره، هو كلود لانزمان، «استأجر رداء كاهن وراح يدق أبواب الناس الأغنياء لجمع المال». وكتب ريزفاني أن كلود أخذ القطار إلى دوفيل ووقف أمام باب الكازينو آملاً بسحب النقود من الرابحين السكارى، وأنه اعتاد أن يسخر حول الزواج بـ «امرأة عجوز غنية». وقد اعترف جاك لانزمان بأن أطفال لانزمان الثلاثة اعتادوا السرقة من موني دو بولي، الذي كان في الأصل كريماً جداً معهم. يتذكر جاك

فيقول: إن كلود كتب إلى كوكتو، متظاهراً أنه يعاني مرضاً في رئته وطلب منه المال من أجل المعالجة. فكتب له كوكتو رداً يزكّي فيه طبيباً ووعد بدفع الفاتورة. لم يكسب كلود شيئاً.

ابتكر جان كو فكرة أن يكتب لبعض الكتاب الشهيرين يسألهم أن يتخذوه سكرتيراً. بعث بـ ١٢ رسالة. ولدهشة أصدقائه لم يجبه على طلبه سوى شخص واحد. ففي ربيع عام ١٩٤٦ حين وصل جنون الوجودية الجديدة إلى قمته، وحين أصبح جان - بول سارتر شهيراً كنجم سينمائي، غدا جان كو البالغ من العمر ٢١ عاماً سكرتيره.

كان على لانزمان أن يكتفي بعمل أكثر تواضعاً، وهو تكليفه بإعادة صياغة كتابة ما يرد إلى صحيفة «فرنسا الأحد» المحافظة. وكان يتقاضى أجراً جيداً، مع إتاحة الفرصة أمامه للكتابة فيها. لكن لانزمان ضجر من هذا العمل، وشعر بأنه لا يحرز أي تقدم.

كان قد مضى على جان كو وهو يعمل لدى سارتر ست سنوات، قبل أن يتيح فرصة لصديقه لانزمان بدعوته للعمل في هيئة تحرير «الأزمنة الحديثة». وبعد عدة أسابيع، وفي مزاج رائق، تراهن الصديقان: أي واحد منهما سيكون قادراً على إغواء سيمون دو بوفوار؟ بعد ذلك قال جان كو لصديقه أوليفييه تود: «إن لانزمان كسب الرهان. وكان ذلك أفضل بالنسبة لي».

إذا كانت علاقته مع سيمون دو بوفوار قد بدأت كرهان انتهازي، فهؤلاء الذين عرفوه وافقوا على أن لانزمان سرعان ما تورط في لعبته. فشقيقه جاك وزوجته المستقبلية جوديث مارج، لم يكن لديهما أي شك بأن كلود أحب سيمون. تقول جوديث: «ربما لم يكن عاشقاً، لاأستطيع قول ذلك. ولكني أعرف أنه أحب بيفر، فقد كان متعلقاً بها إلى أبعد حد».

كان لانزمان قد دخل وهو في السابعة والعشرين عالماً جديداً. فجان - بول سارتر وسيمون دو بوفوار - كانا شهيرين عالمياً، مع هفة فضيحة حولهما. ففي أي مكان كانا يسيران - في مقهى أو مطعم، كان الناس يعرفونهما. يقول لانزمان: « تخيل وقع ذلك عليَّ، أن أقابل سارتر بعد الحرب، وأن اكتشفه أثناء الحرب. لقد كان نجماً يشع حياة وذكاءً.. كان يجعل الأفكار تبدو سهلة، و لم يكن أبداً تجريدياً».

اعترف لانزمان بأن ثمة مخاطر بالنسبة لشماسي سارتر من الشباب. «كانت كلمة سارتر أشبه بكلمة المبشر... اعتاد تقويض حجج الآخرين. وقد أحدث ذلك خمولاً في أحكام الآخرين... يكفي أنه قال «إنه ابن زنى، أو إنه كلب. إننا لسنا بحاجة لبذل الجهد للنظر أبعد من ذلك».

لم يشعر لانزمان أن بوفوار لديها ذات التأثير الساحق. على العكس تماماً، فقد فتحت له آفاقاً جديدة. كانت في الرابعة والأربعين، في ريعان الحياة، ممتلئة حيوية. معها اكتشف متعة السفر، منطلقَيْن في سيارة وبحوزتهما خرائط وأدلة سياحية، مكتشفين أماكن جديدة. كان دهشاً من شهوتها للعا لم. و لم يسبق له أن رأى أحداً يعمل بكد مثلها، و لم يعرف أحداً مثلها لديه المقدرة على البحث عن السعادة. حين تقول إنها ستفعل شيئاً، تفعله من دون تردد.«كانت الشخص الأكثر تمرداً يمكن تخيله».

أحبت بوفوار لانزمان بعمق - ومع ذلك لم تقلص حريته. فمنذ البداية أصرت عليه أن يخرج أيضاً مع نساء أخريات، وقد فعل، يقول لانزمان: «يمكنك أن تخبرها بكل شيء. فهي لا تطلق أبداً أحكاماً أخلاقية. وتتمثل ردة فعلها في إجبار نفسها على الفهم، وفي أن تضع نفسها محل الشخص الآخر». كذلك صُدم حين اكتشف سرعة تأثرها. يتذكر فيقول: «رأيتها تنشج في العديد من المرات. فجأة تجتاحها

عاصفة من الانفعال تكاد تختنق بتأثيرها». قبل لانزمان تعليلها للأمور المرتكز على عدم قدرتها على التوصل إلى تفاهم مع الفكرة الأخلاقية.

اعتاد لانزمان استجواب والدته للناس. ومع ذلك أدهشه سارتر وبوفوار بسياسة «قل كل شيء». وقد توقعت بوفوار منه أن يفعل ذات الشيء. لم يكن لانزمان دائماً في مزاج يسمح له بذلك. ومن حين إلى آخر كان يرد عليها بنزق «هذا مستحيل !». كان يفضل قول ما عنده في وقته، ربما بعد ساعات، بعد كأس من النبيذ أو الويسكي.

في عطلة عيد الفصح عام ١٩٥٣ ذهبا إلى سان - توبيز مع سارتر وميشيل. نزلت بوفوار ولانزمان في فندق دوليولي مع سارتر، وأقامت ميشيل مع طفليها في منزل قريب. (كان بوريس فيان قد استأجر المنزل مدة عشر سنوات، وسمح لميشيل بالإقامة فيه مع الطفلين). في المساء لم تكن ميشيل قادرة على ترك الطفلين، لذا كان الرجلان يتناولان العشاء مع بوفوار بالتناوب. لم يكن ثمة سيَّاح في البلدة في ذلك الأسبوع. وكان ثمة فقط مطعمان متجاوران لبعضهما في المرفأ:

كانت بوفوار تتحدث دائماً بصوت عالٍ، وحين تتناول العشاء مع سارتر في مطعم X. كنتُ الزبون الوحيد في مطعم Y.، وكنت أسمع بوفوار تقص عليه كل شيء - لأنهما اعتادا أن يخبرا بعضهما بكل شيء، كانت تلك قاعدتهما. كنت أسمع بوفوار وهي تخبر سارتر حول كل شيء حدث لنا أثناء النهار، أين تمشينا، ما الذي قلته لها، ما الكتاب الذي كنت أقرؤه... وحين أقابلها ثانية، بعد العشاء، تخبرني بكل شيء قاله سارتر، كما سمعته تماماً، وحين يأتي دوري، حين أتناول معها العشاء، يجلس سارتر وحده في الزاوية، في مطعمه يقرأ كتاباً أو صحيفة.

بعد العشاء يلتقي الثلاثة في أيولي لاحتساء الشراب قرب الموقد، وقبل منتصف الليل بقليل يختفي سارتر ليتلفن إلى ميشيل وواندا. كل يوم، وأينما كان، حتى إن كان متعباً، يتلفن سارتر لنسائه نحو منتصف الليل. أحياناً يلتقط لانزمان شيئاً من المحادثة. يتذكر فيقول: «كان الكلام نفسه تقريباً، يكرره لكل واحدة - محبوبتي الصغيرة - لكن رنته تختلف قليلاً في حالة كل واحدة».

كانت النساء غيورات، كما يقول لانزمان، وكان سارتر يجعل كل واحدة تتجاهل الأخرى. «إذا أراد أحد الكذب، فينبغي عليه أن يكذب بإتقان... الشخص بحاجة إلى شريك في الذنب. وكانت بوفوار شريكة في الذنب. وقد وجدت نفسي أحياناً شريكاً في الذنب - أيضاً».

غدت بوفوار عاشقة ثانية، فقد أعاد لانزمان الهيام إلى حياتها، بكل أفراحه وهمومه. لم تكن تعتقد أن يشتهيها رجل ثانية. (أخبرت ألغرين قائلة إنها وجدت في نزلامان نوعاً من ابن زان بمحرم أكثر منه عشيق... إنه بحاجة إلى حنان أمومي أكثر من حاجته إلى أي شيء آخر). لقد تمتعت برفيق ذكي ومهيج وحيوي. ذهبا معاً لمشاهدة الأفلام. ناقشا الكتب. قرأا أعمال بعضهما. وارتادا باستمرار أماكن جديدة - في رحلاتهما، وفي عطلهما وأمسياتهما. «حين يكون الوقت ضيقاً، نرضي نفسينا بالذهاب لتناول العشاء في الريف قرب باريس، نستنشق بسعادة عبير النباتات الخضراء، نحس تنفس المدينة ونحن عائدين إليها».

كانت في البداية قلقة، فألغرين لم يكن قادراً على الحب بشروطها. ترى هل يقدر لانزمان على ذلك؟ وسرعان ما أدركت أن سارتر هو المعادل الإضافي لـ لانزمان. كانت قلقة أيضاً حول علاقتها بسارتر. ترى هل سينفصلان؟ «بالطبع سنظل دائماً صديقين حميمين، ولكن هل سينفصل قدر أحدنا عن قدر الآخر؟».

اتفقت بوفوار مع سارتر على صيغة جديدة. فهي لم ترد أن تتخلى عن إجازة الشهرين التي تمضيها كل عام مع سارتر، لكنها لم ترد ترك لانزمان خلال تلك المدة الطويلة. فوافق سارتر على أن ينضم إليهما مدة أسبوعين من ذلك الوقت. وسيسافر سارتر مدة خمسة أسابيع مع ميشيل أولاً (٣ أسابيع) ثم مع واندا (أسبوعان)، وستسافر بوفوار خارج الحدود مع لانزمان.

في شباط عام ١٩٥٣ عاد جاك لانزمان ذو الشعر الأحمر، الشقيق الأوسط ذو السادسة والعشرين من العمر، عاد بعد سنتين أمضاهما في أمريكا الجنوبية. خلال هاتين السنتين لم يتصل بعائلته أبداً.

ومن المطار اتخذ طريقه إلى شقة والدته. وهناك سمع أخباراً أدهشته. فكلود يعيش مع سيمون دو بوفوار، وإيفلين، التي طلّقها ريزفاني، في جولة في الأقاليم، تمثل في مسرحية لـ تشيخوف، باسم إيفلين راي. «انتظرْ حتى تراها»، هذا ما قاله له موني.

بالكاد ميز جاك أخته، لم ير أحداً تغير على نحو دراماتيكي مثلها. كانت في مراهقتها نحيلة عجفاء بأنف بارز (مثل والدتها)، وعينين زرقاوين كريستاليتين (مثل والدها وشقيقيها). في الوقت الذي تزوجت فيه، حين كانت في الثامنة عشرة، غدت جميلة بوجه أبيض صارم. الآن، وهي في الثالثة والعشرين، تحولت إلى دمية باربي. تمتلك جسد فتاة إعلان، بألبسة ضيقة وكعبين عاليين. تحول شعرها إلى أشقر فاتح. وتباهت بأنف صغير متعالٍ «على الموضة».

كانت المشكلة – التي فكرت فيها إيفلين أيضاً – هي ظهورها الجديد الذي لا يتناسب مع شخصيتها. امرأة حادة الذكاء، ملتزمة سياسياً، عاطفياً، معذبة. لقد جعلت من نفسها رمزاً للجنس. كان

سارتر قد سمع الكثير حول شقيقة كلود لانزمان المثيرة جنسياً، وطلب مقابلتها. فرتب كلود عشاءً. ويتذكر أنه قال لبوفوار «سنذهب الآن، وسيقود ذلك بالتأكيد إلى علاقة».

كان ذلك في ربيع عام ١٩٥٣، وكانت مسرحية سارتر «لا مخرج » تقدم على مسرح دو لاثينيه، حيث تلعب إيفلين دور إيستيل الشابة النرجسية المغوية. وقد كتب ناقد من اللوموند مطرياً أداءها: « لم نعد نتصور إيستيل أخرى غير إيفلين راي... نموذج الأنوثة الخالدة». وبعد المسرحية خرج الأربعة لتناول العشاء، كانت إيفلين متألقة، وسارتر مسحوراً.

تستعيد بوفوار الماضي وتقول: «قال لي سارتر: هل تعتقدين أن بإمكاني أن أرسل لها بعض الزهور؟... كان يود أن يحظى بعلاقة أخرى. قلت نعم، قم بذلك، يمكنك فقط أن تحاول... إنه لم يفقد الرغبة في إقامة علاقة جديدة أبداً».

ادعى سيرج ريزفاني في مذكراته أن كلود لانزمان كان أشبه (بقواد) لأخته. ويقول جاك لانزمان: «نعم، خدم كلود بانتظام (كمدير ماخور) من أجل إيفلين». وقال العديد من الناس، أبرزهم بيانكا بنينفيلد ونلسون ألغرين، ذات الشيء حول دور بوفوار، هذا يعني أنها كانت تنصب أفخاخاً لصديقاتها من أجل سارتر، وهي تعرف ما الذي سيحدث.

كانت إيفلين أيضاً واحدة من نساء سارتر الهشات. فحين كانت في السادسة هجرت والدتها العائلة. وأثناء مراهقتها كان أخواها بعيدَيْن – في مدرسة كليرمون – فيراند، ثم بعدئذ في باريس. عاشت وحيدة مع والدها اليهودي، ثم مع زوج أمها الكاثوليكي في الريف قرب بريود.

وقد اعتقد والدها أنها قد تكون بأمان أكثر إذا تحولت إلى الكاثوليكية. لكنه لم يتوقع منها أن تعانق الإله بذلك الشغف، وأن تغدو متعلقة بالمسيح المنتظر، تحلم أن تصبح راهبة تهدي زنوج إفريقيا إلى المسيحية. لقد ظلت دائماً أقرب إلى الصوفية. الحب بالنسبة إليها، يعني العبادة.

كانت علاقة الحب بينها وبين جيل دولوز فاجعة. غدت بعد أن نبذها جيل نحيلة جداً وبكّاءة، وخشيت عائلتها من أن تموت بسبب ذلك. لم يسعدها زواجها من سيرج ريزفاني أيضاً. ومثل شقيقيها اندفعت بتأثير من طموحها، وفي ذات الوقت عذبها الشعور بالنقص. وذات يوم اقترح عليها ريزفاني أن تحترف التمثيل، أثارتها الفكرة، فانتسبت إلى دورات في التمثيل بإشراف المعلم الشهير رينيه سيمون، الذي صرح لها قائلاً إن أنفها السامي سيعيقها في انطلاقتها، وطلب منها أن «تقومه». يتذكر ريزفاني إيفلين واقفة أمام المرآة ليلة بعد ليلة تلعن مظهرها وتبكي.

بدأت إيفلين بتغيير هيئتها، مكتسبة إيماءات مغوية. مرتدية كمي مرفقين طويلين وقفازين أسودين، مدخنة بمسك سجائر طويل. لم يكن بوسع ريزفاني إلا أن يفكر بأنها ستلعب دور امرأة مغوية.

انتهى زواجهما عام ١٩٥٠. ولعدة أشهر لم ير أحدهما الآخر. وحين التقيا ثانية في دو ماغوت، بالكاد استطاع ريزفاني تبين المرأة المبتسمة القادمة نحوه، بأنفها الصغير المرفوع. كان فزعاً من شكلها، واعتقد أنها قد «ابتذلت» جمالها.

في حزيران عام ١٩٥٣ التقت بوفوار وسارتر، برفقة عشيقيهما، في فينيسيا. ونزل كل زوج في فندق مختلف. وفي يوم السبت ٢٠ حزيران أمضت بوفوار ولانزمان الصباح يتمشيان على شاطئ الليدو، وبعد ذلك انتقلا إلى بيازا روما للقاء سارتر وميشيل من أجل الغداء.

ولدى وصولهما سمعا نبأ إعدام إيثيل وجوليوس روزنبرغ بالكرسي الكهربائي بعد إدانتهما بنقل أسرار القنبلة الذرية إلى السوفييت.

اكتسى وجه سارتر بالصلابة، وألغى الغداء. ثم عاد مباشرة إلى الفندق وهتف لصحيفة ليبيراسيون ووعد بتسليمها مقالة نحو منتصف الليل. في المساء اجتمع الأربعة في مقهى فلوريان في بيازا سان ماركو. ناول سارتر مقالته إلى بوفوار ولانزمان. قرأ الاثنان المقالة وعبرا عن عدم إعجابهما بها.

أمضى سارتر الليل بكامله وهو يعيد كتابة المقالة، ثم نقلها في الصباح عبر الهاتف إلى الصحيفة. لم يسبق أن رأته بهذا الغضب والتوتر. لقد كتب قائلاً: «كثير جداً على الولايات المتحدة زعامة العالم الحر. عالمكم الحر ليس عالمنا».

في اليوم التالي كتبت بوفوار إلى ألغرين من غرفتها في فندق لونا. فقد كان ألغرين فعالاً في لجنة «إنقاذ آل روزنبرغ»، وكانت على ثقة من أنه سيشعر مثلما تشعر. كتبت تقول: «حتى أناس الجناح اليميني متفقون على هذه النقطة: هذه هي الغلطة الكبرى التي اقترفتها الولايات المتحدة في الحرب الباردة ». لقد تأثرت برسالتي إيثيل وجوليوس اللذين كتباها لبعضهما من زنزانتهما في السجن. وقد نشرت غاليمار تينك الرسالتين مترجمتين للفرنسية وسيتحول إيرادها المالي إلى ولدي روزنبرغ الصغيرين.

كتب ألغرين رداً على رسالتها. كان في واحد من أمزجته الكئيبة. وقد قال في رسالته إن إيثيل وجوليوس قضيا في سبيل أكذوبة. ليس الاتحاد السوفييتي ديمقراطية عمال، ولا يؤمن بهذا إلا أناس من الدرجة الثانية. وإنه لم يتأثر برسالتي روزنبرغ، ولا بالتغطية التلفزيونية، فهو

ما يزال يرى تلك «المرأة الصغيرة البدينة الحمقاء وهي تسير في ثيابها الخضراء إلى الكرسي الكهربائي». لقد قرأ تعليقات سارتر في الصحفية، وهو يعتقد أن سارتر على خطأ. الولايات المتحدة ليست بلداً فاشياً، على الرغم من أن الإعدام هو فعل فاشي. إنه ما يزال يؤمن بأن هناك أملاً بالولايات المتحدة أكثر من الاتحاد السوفييتي. لا ينبغي على سارتر أن يتبرأ من الولايات المتحدة بهذه السرعة.

وجدت بوفوار فيما قاله ألغرين بخصوص آل روزنبرغ مثيراً للاهتمام. وقد ردت قائلة: كانت حقيقة أن الزعيم الستاليني بيريا قد اعتقل في الاتحاد السوفييتي بتهمة التجسس. إنه عمل غريب. وقد افترضت أن ألغرين كان على صواب: «إنه لمن الصعب أن تثق كثيراً بالاتحاد السوفييتي». كانت بوفوار توفيقية مع الرجال الذين أحبتهم.

من فينيسيا انطلقت بوفوار مع لانزمان إلى تريستا، حيث اكتشفا، لدهشتهما أنه ليس من الصعب الحصول على فيزا لدخول يوغوسلافيا تيتو. كتبت بوفوار: «كنا على درجة كبيرة من الإثارة». راكما في السيارة مواد تموينية، وكمية إضافية من البنزين، وجازفا بالدخول إلى البلد الشيوعي. كان لانزمان قد زار ألمانيا الشرقية، ولكن كانت هذه أول تجربة لبوفوار وراء الستار الحديدي. وجدا يوغوسلافيا فقيرة - محطمة، ولكنهما تأثرا بروح التضامن بين الناس.

بعد ذلك أمضت بوفوار عدة أسابيع في أمستردام مع سارتر، وكانت تتطلع للقاء لانزمان في بازل حين سمعت أنه تعرض لحادث سيارة وهو الآن في مشفى كايور في جنوب فرنسا. انطلقت على الفور بسيارتها، وأخذ سارتر القطار إلى باريس. كان سينضم إليهما خلال أسبوع. بعد عدة أيام كتبت بوفوار لسارتر من مشفى كايور، بأن لانزمان عانى ألماً مبرحاً، لكنه الآن أفضل حالاً، وسيعود ماشياً على قدميه.

كان سارتر قد بدأ علاقة جنسية عاصفة مع إيفلين. ترى هل هي إعادة لـ اللعبة الشبيهة بزنى المحارم بين بوفوار وبوست والأختين كوزاكيفيتش؟. كانت إيفلين واحدة من النساء اللواتي تعلق بهن سارتر تعلقاً شديداً. وقد أخبرت بوفوار جون غيراسي عام ١٩٧٣ قائلة: «كان غيوراً بإفراط... فحين لا يتلقى رسائل منها، يتحول إلى إنسان نكد... يغدو كئيباً يائساً. ويقول كلود لانزمان: «حين لا يرى إيفلين، يبدو معذباً كمراهق. وحين لايسمع منها شيئاً في اليوم، يترك طاولته عشر مرات على الأقل ليهتف لها».

كانت إيفلين طويلة مثل والدة سارتر. وقد اعترف سارتر لبوفوار أن ذلك جعله يخجل من ذاته وسط الناس: «اعتقدت بأن الآخرين ينظرون إليّ كمخلوق مضحك لأني عشيق مثل تلك الفتاة الطويلة... لكن، حسياً، كنت أحب ذلك كثيراً».

وكانت إيفلين على علم بأنها ليست المرأة الوحيدة في حياة سارتر. لكنه أكد لها أنه لم يعد ينام مع أية واحدة من نسائه. ومع ذلك أصر على أنه من الأفضل ألا تعرف ميشيل شيئاً عن علاقتهما، فهي غيورة جداً، وهو لا يريد أن يسبب لها الألم.

لقد أحبت إيفلين أن تعلن للعالم أجمع أن سارتر عشيقها. وكان من الموجع بالنسبة لها ألا تستطيع الخروج معه جهاراً، أو تسافر معه في العطل، أو أن تتحدث حول علاقتهما إلا للأصدقاء المقربين. وبمرور الوقت ستغدو أكثر امتعاضاً.

لم يكن لدى ميشيل فكرة حول إيفلين. وكان سارتر يوهمها بأنه منشغل كثيراً بعمله، مع أنه ما زال يمارس معها الجنس، وما زالت رسائله إليها طافحة بالشغف: «أقبل كل مكان في جسدك. أعبدك.

حبيبتي أشتاق إليك». وحين علمت ميشيل بأمر علاقتهما، بعد ثلاثين عاماً لم تصدق أذنيها.

غدت إيفلين - إلى جانب واندا وميشيل - (حظية) سارتر. وقد أنفق عليها بسخاء، فحين تقابلا أول مرة، كانت إيفلين تعيش في فندق في مونتمارتر. فاستأجر لها شقة بغرفتي نوم في شارع جاكوب. الذي يبعد مسافة خمس دقائق عن مسكنه في شارع بونابرت. وانتقل جاك لانزمان، الذي أفلس بعد رحلاته إلى أمريكا الجنوبية، ليعيش مع أخته. وقد كتب في مذكراته: «كنت أعيش دائماً في مستوى لا يتناسب مع مواردي المالية. ولحسن الحظ كانت إيفلين هناك لتسدد ديوني». كانت إيفلين وكلود يمدان جاك من مال سارتر وبوفوار، بطريقة غير مباشرة. أحياناً تكون الهبة أكثر مباشرة. وحين سافرت عشيقة جاك إلى سويسرا لإجراء عملية إجهاض، دفع سارتر التكاليف.

كان جاك لانزمان يضع كتاباً حول تجربته في أمريكا الجنوبية. وقد تبين لبوفوار أنه يتمتع بموهبة، وساعدته بكل وسيلة استطاعتها. أعطته مالاً بانتظام، ونشرت مقتطفات من كتابه في «الأزمنة الحديثة». وحين أنهى الكتاب، كانت هي التي نقحت المخطوطة بمهارة وحذق. وقد نشر الكتاب (Le Rat d'Amerique) عام ١٩٥٥، ورشح إلى جائزة غونكور.

في تلك الأثناء كان سارتر قد انهى كتابة مسرحيته الرابعة (kean) من أجل واندا، وهي تكييف لميلودراما بقلم ألكسندر دوماس، وقد نجحت نجاحاً مدوياً. ووعد سارتر إيفلين أن يكتب أيضاً مسرحية من أجلها.

كانت بوفوار قلقة بشأن سارتر. فقد كان يبذل جهداً كبيراً في العمل

طوال السنة، وكان يعاني ارتفاع ضغط الدم. وقد أوصاه طبيبه أن يرتاح في الريف، لكن سارتر تجاهله وراح يعمل كعادته بسرعة مسعورة. لم يمارس التمارين الرياضية. أحياناً يتبع حمية. وقد قال: (حاولت طيلة حياتي أن أخفف وزني لكي أترك انطباعاً بأني رجل قصير ونحيل بدلاً من سمين وقصير. إضافة إلى أن السمنة هي، كما اعتقدت، استسلاماً وتسليماً) لكن سارتر تمتع بالأكل. كان طعامه المفضل - الملفوف ولحم الخنزير وجميع أنواع النقانق المشبعة بالدهون. كان يكره الخضار والفواكه. لكنه أحب الكاتوات والشوكولاته وأطباق التحلية الغنية بالسكر. لكنه لم يمس أبداً سرطانات البحر أو أي نوع من أنواع المحار.

كان الأسوأ هو تناوله حبوب الكوريدران. فقد بدأ يقضم منها عشرين حبة في اليوم. كانت بوفوار ولانزمان يرددان على مسامعه «أنت مجنون، أنت تقتل نفسك». كان لا يبالي بتحذيرهما بقوله إنه يريد أن يقدح الشمس في عقله.

في نهاية أيار عام ١٩٥٤، غادر باريس قاصداً الاتحاد السوفييتي حيث سيمضي ثلاثة أسابيع هناك، كانت أول رحلة قام بها إليه، استجابة لدعوة من اتحاد الكتاب السوفييت. وقبل السفر أمضى عدة ليال في كتابة مقدمة لكتاب كارتييه - بريسون المتضمن صوراً فوتوغرافية عن الصين. وفي طريقه إلى الاتحاد السوفييتي، توقف في برلين للمشاركة في اجتماع حركة السلام. وقد كتب وهو في الطائرة الخطاب الذي سيلقيه.

في الاتحاد السوفييتي ألقى محاضرات، وحضر اجتماعات الموظفين الرسميين، وتحدث عبر الراديو، وقام بجولات ارتاد خلالها المعالم في البلد. كان ثمة عدد لا يحصى من الاستقبالات والمآدب التي تخللها استهلاك مدهش للفودكا الثقيلة. وفي نهاية إحدى المآدب قدم له

الكاتب سيمونوف قرناً كبيراً مملوءاً بالنبيذ وتحداه بمودة قائلاً: ينبغي أن تأخذه معك فارغاً أو ملآنَ»

كتبت بوفوار إلى سارتر في مستهل حزيران تقول «لا رسائل منك». لقد أظهرت الصحف الفرنسية صوراً له في الساحة الحمراء وفي مصارف موسكو. كانت بوفوار قد قرأت كتباً حول الاتحاد السوفييتي، لكنها فضلت أن تتلقى رسالة. إيفلين التي كانت في المشفى، تلقت وروداً من سارتر، لكنها عانت بحدة فقدها لرسائله، وبذلت بوفوار جهداً لتواسيها. كذلك أعطت واندا وميشيل مالاً.

بعد زيارة قصيرة إلى لندن، عادت بوفوار ولانزمان إلى شقتهما ليجدا رسالة قصيرة من بوست تحت الباب: «تعالا لرؤيتي فوراً». نزلا مسرعين إلى شقة بوست وأولغا. لقد هتف سكرتير سارتر جان كو إلى بوست يخبره أن سارتر في مشفى بموسكو يعاني ارتفاع ضغط الدم. ذعرت بوفوار، وهرعت الجماعة كلها لرؤية جان كو، الذي أكد لهم أن ليس هناك شيء خطير. لكن بوفوار ظلت متوترة. قرروا الذهاب إلى السفارة السوفييتية وطلبوا من الملحق الثقافي أن يصلهما بموسكو.

أخبروهم في السفارة أنهم يستطيعون أن يطلبوا الاتحاد السوفييتي بأنفسهم.كل ما عليهم فعله هو رفع السماعة وطلب موسكو. كتبت بوفوار: إن صورة الستار الحديدي مازالت مزروعة في عقولنا، لذا كنا نجد بعض الصعوبة في تصديقهم. عدنا إلى شارع دو لابوشيري، وطلبنا موسكو، ثم المشفى، ثم سارتر، وبعد ثلاث دقائق سمعت صوته: «كيف حالك؟»، «أنا في أفضل حال، شكراً» قلت «كيف يمكن أن تكون في أفضل حالٍ وأنت في المشفى؟»، «كيف عرفتِ بأنني في المشفى؟» بدا مندهشاً. شرحت له ما كان. فاعترف بأنه أصيب بنوبة شديدة من نوبات ارتفاع ضغط الدم، لكنه تعافى منها وسيعود إلى باريس.

أمضى سارتر في المشفى عشرة أيام، ثم عاد إلى باريس متعباً مرهقاً. وخلال الأشهر التي تلت أصابه اكتئاب مع خمول، وكان على مقربة من انهيار عصبي.

بعد سنوات سيعترف بأنه كان مريضاً جداً لكي يفكر بوضوح حين أصر في مقالة «الحرية» على أن هناك في الاتحاد السوفييتي حرية في التعبير. لقد كان ذلك التصريح غير صحيح على نحو واضح، فحتى إيليا أهرنبورغ الكاتب السوفييتي الذي كان المسؤول عن دعوة سارتر لموسكو، عنفه على هذا التقرير الوردي.

وسيعترف سارتر في عام ١٩٧٥ بأنه كذب بعد زيارته الأولى للاتحاد السوفييتي: في الواقع، إن كلمة «كذب» ربما تكون قوية جداً: فقد كتبتُ مقالة – أكملها كو لأني كنت مريضاً – قلت فيها كلاماً ودياً حول الاتحاد السوفييتي لم أكن أؤمن به. وقد فعلت ذلك لاعتقادي بأنه ليس من التهذيب أن أرمي قاذورات على من استضافني، حين أعود إلى الوطن، ولأني لم أكن أعرف تماماً أين أقف في علاقتي مع الاتحاد السوفييتي ومع أفكاري الخاصة.

لم يدل سارتر، لغاية الاجتياح السوفييتي لهنغاريا عام ١٩٥٦، بأية تصريحات علنية انتقد فيها الاتحاد السوفييتي.

ذهب سارتر بصحبة ميشيل إلى روما للنقاهة. نام كثيراً. وكتب إلى بوفوار يقول إنه لم يكن قادراً على صقل فكرتين معاً. وفي نهاية آب، حين ذهب مع بوفوار في رحلة إلى ألمانيا والنمسا، صُدمت بوفوار ببلادته:

في الليلة الأولى في غرفته بالفندق بستراسبورغ، جلس وقتاً طويلاً على كرسيه. يداه على ركبتيه، مُنحن إلى الوراء. عيناه بلا تعبير. قال لي

ونحن نتناول العشاء في المطعم «الأدب هراء». جعله الإعياء يرى كل شيء من خلال أسوأ منظور ممكن: الكتابة بالنسبة إليه كانت جهداً لا طائل فيه.

في روما شرع سارتر في كتابة سيرته الذاتية «كلمات». إنه إذا كان قد شعر برغبة شديدة في النظر إلى ماضي طفولته، فذلك لكي يستكشف ما يراه الآن «عُصابه». لقد أظهر، مطبقاً منهجه الذي دعاه «التحليل النفسي الوجودي» على نفسه، أنه استخدم حريته ليتمرد على أسرته التي أرادت أن تحبسه في عالم القطن الحشوي لأوهام البورجوازية. وكما رأى سارتر، فقد رفض الدِّين، لكن جذوره «تشربت عصائره»، وما فعله هو أنه استبدل شكلاً من العمى بآخر.

استبدل بالدين الأدب. وطوال خمسين عاماً، تقريباً، كانت حقيقته الكلمات. كان على قناعة بأن الكتابة ستمنحه الخلاص والمجد. حسن، كان قد تغير. في كتاب «كلمات» وصف نفسه بالرجل الذي «استيقظ معافى من الجنون الحلو المر، الذي لا يستطيع الهرب منه، الذي لا يستطيع تذكر سبله من دون أن يضحك، الذي لم يعد لديه أية فكرة عما يفعله في حياته».

لم يكن هناك أدنى شك في أن عادة تناول الكوريدان كانت تخفي إحباطاً مزمناً. كان شيئاً لم تساعد علاقة الحب على أن تخلصه منه. وكانت بوفوار واحدة من القلائل التي أدركت كم كان هشاً وراء مظهره العام. كان سارتر يسائل نفسه وحوافزه: كان قلقاً حول مكانه في الأجيال القادمة، ويتألم حول لا فعالية أعماله.

وبمساعدة كميات من الكوريدران، سعى سارتر في أغلب الأحيان إلى المحافظة على مهابة أوهامه، فطوال الخمسينيات والستينيات،

شرع، المرة بعد الأخرى، في كتابة كل شيء حول الفاعل. ففي كتابه عن جينيه، ثم بعد ذلك عن فلوبير - أعلن أنه قادر على إدراك أي شخص بكليته أو بكليتها. بالنسبة لسارتر كان الكل أو لاشيء. إذا لم تستطع كتابتُه تغييرَ العالم، فهي ليست جديرة بالاهتمام.

في الواقع، لم يكن قد تعافى من جنونه الحلو المر، وكان يعرف ذلك. كان يتناول، بسخرية، الأوجاع الاستثنائية بـ «الكلمات». إن السرد الذي عبر فيه عن تحرره العميق من أوهام الأدب، سيغدو عمله الحرفي الأكثر جمالاً. إنه الكتاب الذي سيمنحه جائزة نوبل.

كانت بوفوار قد أعادت كتابة «المندرين». لم يسبق لها أن عملت بذلك الجهد في أي كتاب آخر. فقد بدأته في عام ١٩٤٩، وأنهت النسخة الأولية عام ١٩٥١. وبعد أربع سنوات من الكتابة وإعادة الكتابة، بلغت مخطوطته ١٢٠٠ صفحة، كانت بوفوار مرهقة حين سلمته إلى الناشر في أيار عام ١٩٥٤.

قلقت بوفوار طوال أسابيع قبل نشره في تشرين الأول عام ١٩٥٤. كانت قد كتبت حول سارتر وكامو وكويستلر بتمويهات روائية ضئيلة جداً. وقد رسمت النزاعات السياسية القديمة والمعروفة. كانت آن دوبرويل بعلاقتها مع كاتب شيكاغو لويس بروغان، مبنية على علاقتها مع نيلسون ألغرين، الذي أهدته بوفوار الكتاب، لم تكشف أبداً الكثير عن حياتها الخاصة، أوهامها الضائعة، هشاشتها. ترى مالذي سيفعله القراء به؟ كانت على يقين من أن الشيوعيين والمعارضين للشيوعيين سيكرهونه بشراسة متساوية.

ولدهشتها، كان معظم النقد إيجابياً. بيع منه في الشهر الأول أربعين ألف نسخة. وقد علمت بوفوار أن الكتاب سينافس على نحو جدي لنيل جائزة غونكور، جائزة الرواية الأكثر احتراماً في فرنسا.

قبل يومين من إعلان لجنة التحكيم، توضعت ثلة من الصحفيين في مقهى بشارع بوفوار. وفي يوم الأحد ٥ كانون الأول، استطاعت بوفوار ومعها لانزمان الهروب من شقتهما عبر باب خلفي تجنباً لثلة الصحفيين، وأخذا سيارة أجرة إلى شقة أحد أصدقائهما. في الصباح التالي استمعا بقلق إلى المذياع. جاءت الأنباء في منتصف اليوم. بوفوار كانت الفائزة بالجائزة.

لم تذهب لتناول الغداء مع المحكمين، و لم تذهب إلى حفلة الكوكتيل التي أقامتها مؤسسة غاليمار. بدلاً من ذلك ذهبت هي ولانزمان إلى شقة ميشيل فيان لتناول الغداء والاحتفال مع سارتر وأولغا وبوست. أهداها سارتر كتاباً حول الأخوين غونكور اللذين أسسا جائزة غونكور عام ١٩٠٣.

وقفت بوفوار أمام المصورين لأخذ عدة صور صحفية. صُورت مع والدتها فرانسواز بوفوار في شقتها، وعلى درج المبنى الخارجي. وقد أسعدها أن تكون والدتها فخورة بها لمرة واحدة من دون تحفظ. ووافقت بوفوار على إجراء مقابلة واحدة أجرتها معها صحيفة هيومانيتيه ديمانش الشيوعية. كانت تود أن تلفت الانتباه إلى أن الكتاب لم يكن ضد الشيوعية.

كانت بوفوار، من قبل، شهيرة عالمياً. كانت معروفة جيداً على جانبي الأطلنطي كرفيقة لجان - بول سارتر الشهير. وكان كتابها «الجنس الآخر» قد نشر في الولايات المتحدة قبل بضع سنوات. لكنها الآن أظهرت أنها لم تكن مجرد ممارية لامعة. لقد كانت أيضاً كاتبة روائية من الطراز الأول.

كتبت إلى نيلسون ألغرين: «كل امرئ أطري قصة الحب الأمريكية»، وأملت أن يستطيع القدوم إلى باريس لرؤية أصدقائه. إنهم يفتقدونه.

-١٠-

منفيان في الوطن

آب ١٩٥٥ - شباط ١٩٦٢

سئمت بوفوار من الاستديو الصغير في شارع دو لا بوشيري الذي يرشح سقفه كلما أمطرت السماء. كان جو الشارع قد تغير منذ اندلاع الأعمال الحربية في الجزائر في تشرين الثاني الماضي.

لم يعد هناك مشاجرات بالسكاكين. وحين تتطلع بوفوار إلى المقهى العربي عبر الطريق، ترى رجالاً بملابس أنيقة يجلسون وأمامهم كؤوس الحليب. فالمناطق العربية في باريس يهيمن عليها الآن المناضلون الإسلاميون الذين يمنعون المشروبات الكحولية.

اشترت بوفوار بمال جائزة غونكور استديو في شارع شولشر، وهو شارع ضيق محاذٍ لمقبرة مونتبارناس. كان في قلب مونتبارناس يبعد قليلاً عن شارع بونابرت، ومع ذلك فهو هادئ. أخبرت ألغرين قائلة «ليس هناك أحد في الجانب الآخر من الشارع باستثناء الأموات». وقد انتقلت بوفوار مع لانزمان إلى مسكنهما الجديد في منتصف آب عام ١٩٥٥.

كان الاستديو على مستوى الشارع. سقفه عال جداً، وله سلم لولبي في الزاوية يفضي إلى غرفة نوم صغيرة وحمام. ثمة نافذة كبيرة تواجه الجهة الشمالية الغربية تسمح بدخول الشمس ورؤية السماء. كان مكاناً متواضعاً. وضعت بوفوار طاولتها في الزاوية قرب النافذة. واشترت ديوانين أصفرين، وكنبتين بلون الأرجوان. رتبت كتبها ولوحاتها وأقنعتها وهدايا السفر ومصباحَيْ جياكوميتي. كانت مقتنعة بأنها امتلكت واحداً من ألطف المنازل في باريس.

كانت تعشق التحديق إلى سماء المساء وهي تصطبغ باللون الأرجواني الفاتح والذهبي فوق المقبرة. وقد تعلقت باللحظة التي تقع في الخامسة صباحاً تقريباً، إذ تتنفس في الفجر ثم تعود إلى دفء السرير.

لم يكن لديها وقت لشراء ثلاجة، قبل أن تغادر مع سارتر إلى الصين في بداية أيلول. وكما جرت العادة، أخذت معها عدداً كثيراً من المطبوعات حول البلد الذي سيزورانه. أمضيا شهراً في بكين - مدينة كبيرة هادئة يغلب عليها الطابع الريفي - ثم قاما بجولة حول البلد. تأثرا كثيراً بالانتصارات التي حققتها حكومة ماو الشيوعية في معالجة سوء التغذية والأوبئة ووفيات الأطفال، كما تأثرا بعمق بالناس الذين يعملون بأيد عارية - إذ لا وجود للآلات - لبناء المنازل والمدارس والسدود. لكنّ الرحلة كانت مضجرة فلم يسبق لهما أن ووجها بمثل تلك الثقافة الأجنبية المتطرفة. فظروف المعيشة قاسية، والمحادثات مربكة دائماً. وباستثناء اثنين أو ثلاثة من الاختصاصيين في الأدب الفرنسي، لا أحد هناك يعرفهما.

في طريق عودتهما، توقفا في موسكو حيث غاصا في أسبوع مليء بالنشاطات، زيارة معالم، أحاديث، مقابلات. وقد أدركت بوفوار لم انتهت رحلة سارتر في المشفى قبل عام. وحين اقترب موعد عودتهما إلى باريس وُجّهت إليهما دعوة لحضور مؤتمر النقاد:

طلب سيمونوف من سارتر أن يشارك في واحدة من جلسات المؤتمر، وقبل الجلسة سنتناول الغداء معه ومع بعض الأصدقاء من جورجيا. قال سارتر: «رائع، لكني لن أشرب». اتفقا على ذلك. كان ثمة أربع زجاجات مختلفة من الفودكا على طاولة الغداء، وعشر زجاجات من النبيذ. كما قال سيمونوف لسارتر: «اختبر فقط هذه الأنواع من الفودكا، وراح يملأ بعناد كأسينا المرة بعد الأخرى... كان رأسي يشتعل، وقد أعجبت بسارتر إلى أبعد حد إذ استطاع أن يسيطر على نفسه ويتحدث بتعقل حول دور الناقد.

في يومهما الأخير في موسكو، كان سارتر لايزال قوياً. أما بوفوار التي استنفدت قواها، فقد أمضت اليوم في السرير تقرأ رواية حول الثورة الروسية، وتستمتع بعزلتها.

في خريف عام ١٩٥٥ كانت الحرب الجزائرية مشتعلة. وكان سارتر وبوفوار متكدرين من المد الكبير للتعصب والعنصرية الذي أغرق الصحف الفرنسية منذ اندلاع حركة المقاومة الجزائرية في تشرين الثاني الماضي. كانت الدلائل واضحة بما فيه الكفاية على أن الحقبة الاستعمارية قد شارفت على الانتهاء - فقد كانت المغرب وتونس على وشك نيل استقلالهما عن فرنسا. وقد حان الوقت للجزائر أن تستقل. لكن أغلبية الفرنسيين لم يروا الأمور بهذا المنظار.

إن هزيمة الجيش الفرنسي في ديان بيان فو في أيار عام ١٩٥٤ جعل فرنسا تنسحب أخيراً من الهند الصينية. لكن الخزي الذي لحق فرنسا في الهند الصينية جعل الحكومة الفرنسية أكثر تصميماً على عدم منح الجزائر استقلالها.

أعلنت «الأزمنة الحديثة» دعمها لاستقلال الجزائر، الأمر الذي استاء

منه بمرارة معظم رجال الأرياف. وخلال السنوات السبع التالية، حين غدت الحرب الجزائرية أكثر بشاعة، أدين سارتر وبوفوار بوصفهما «ضد الفرنسيين». في المقاهي والمطاعم كان حديث المناهضين للعرب المنبعث من الطاولات المجاورة يجعلهما ينكمشان خوفاً. وفي دار السينما كان عليهما مشاهدة الشريط الإخباري الذي يمجد العمليات العسكرية الفرنسية في الجزائر. لقد شعرا أنهما منفيان في وطنهما.

بعد عودة سارتر من الصين، كتب سيناريو فيلم «ساحرات سالم» المبني على مسرحية «البوتقة» لآرثر ميلر، وقصتها رمزية تدور حول مناهضة الشيوعية في الولايات المتحدة. (لعب الدورين الرئيسيين إيف مونتان وسيمون سينيوريه). وبدأ بمشروع جديد، مشروع كان قد فكر فيه طيلة سنوات، حول غوستاف فلوبير. كانت تربطه بفلوبير علاقة حب - كره كإنسان وككاتب. فحين كان مراهقاً، قرأ وأعاد قراءة رواية «مدام بوفاري»، وقد حفظ مقاطع كاملة منها عن ظهر قلب. وأثارت فضوله الطريقة التي صور فيها فلوبير شخصيات سلبية إلى حد ما، ومع ذلك يتعاطف المرء معها. أثناء الحرب قرأ سارتر مراسلات فلوبير وفتن بها. إن تصور فلوبير عن الأدب، مع بحثه الموجع والمتواصل من أجل «الكلمة الحق»، وبرفضه أي نوع من الارتباط السياسي، كان على النقيض تماماً من تصور سارتر. إذن، لماذا فلوبير؟«ينبغي أن تصدم العقول بما يتحداك» على حد قول سارتر. لقد أحب سارتر أن ينغمس في عالم شخص آخر، محولاً ذلك العالم، مؤقتاً، إلى عالمه الخاص. كان ذلك شكلاً من السفر خارج ذاته.

كان هدفه، هو أن يستخدم الوجودية والماركسية والمناهج الفرويدية ليفسر ما دعاه سارتر «عصاب» فلوبير. وكان قد كتب دراسة مشابهة حول بودلير، ودراسة أخرى حول جينيه، ولكن طوال سنوات غدا

فلوبير هاجسه الذي استحوذ على كامل اهتمامه. كان ثمة وفرة في المصادر حول فلوبير (المرسلات وحدها تصل إلى ١٥ مجلداً ضخماً)، وكان سارتر مقتنعاً أنه إذا درس البينات بعناية كافية فسيصل إلى فهم تام للرجل. كان يعارض المعتقد الأساسي للتحليل النفسي - ذلك أن اللاوعي يجعلنا في النهاية فوق معرفة البشر. «كانت خطتي الأساسية في دراستي عن فلوبير، هي أن أُظهر أنه في العمق يمكن فهم كل كائن إنساني إذا استخدمت المناهج المناسبة، وإذا توفرت الوثائق الضرورية».

قررت بوفوار أن تضع كتاباً حول الصين. لقد استنزفها كتاب «المندرين» عاطفياً وروحياً، لذا لم ترد، بصدق، كتابة رواية أخرى. وسيتضمن كتابها عن الصين «المسيرة الطويلة» مقداراً كبيراً من البحث، لكن العمل الشاق لم يكن يرهبها أبداً. فقد رأت أنها فرصة لتعرف أكثر عن الصين، وفي ذات الوقت، سيشكل الكتاب تحدياً لهؤلاء المتحاملين على الشيوعية من قرائها الغربيين. ينبغي عليها أن تعمل بسرعة. في ذلك العام كانت تنفق في العمل عشر ساعات في اليوم:

كنت أعمل في البيت صباحاً، وعند سارتر خلال فترة بعد الظهر. أحياناً كنت أجلس إلى طاولة الكتابة طوال أربع ساعات متواصلة من دون أن أرفع رأسي. كان سارتر يقلق، أحياناً، من احمرار وجهي: كنت أشعر بأني على وشك الإصابة باحتقان، فأتهاوى على ديوانه لأعود إلى حالتي الطبيعية.

لم تكن تتحدث الصينية، ولم تمكث طويلاً فيها، ولم يكن هناك شخص من تلك المنطقة ليفسر لها بعض الأمور. كانت واعية جداً لهذه المحدودية. وقد أدهشها الترحيب الذي لقيه الكتاب، إذ كتب الاختصاصي بشؤون الصين كلود روي في الـليبراسيون أنه قرأ الكتاب بمتعة لم تفتر: «إنه لمن المنعش والمغبط أن تسافر برفقة كاتبة ذكية

وحساسة ويقظة... لقد رأت سيمون دو بوفوار ما رآه كل شخص، لكنها أدركت بعمق عدة أمور لم يصل إلى إدراكها أحد».

نُشرت رواية «المندرين» في الولايات المتحدة في أيار عام ١٩٥٦. إن إهداء الكتاب إلى نيلسون ألغرين لم يترك أمام القراء الأمريكان مجالاً للشك في أن شخصية لويس بورغان في الرواية تمثل كاتب شيكاغو نيلسون ألغرين. لم يكن ألغرين ليقلق بشأن كتاب بوفوار «أمريكا يوماً بعد يوم» الذي نشر في الولايات المتحدة قبل ثلاث سنوات - إذ كان من الممكن تمييزه بسهولة بصفته «NA». في الواقع، كان الكتاب قد أشبع غروره. لكن أظهرته هذه الرواية، إذا جاز التعبير، في منامته.

لم يكن من الممكن تجاهل أنه في حين كانت بوفوار تُحلق بنجاح، كان ألغرين، في جميع الأوقات، في وضع متدن. كان قد اعتقد بأنه سيكسب ثروة حين اشترت هوليود حقوق فيلم «الرجل ذو الذراع الذهبية»، لكن اتضح في النهاية أنه لم يكسب بنساً واحداً منه، وقد قامت الرقابة المعادية للشيوعية بحذف الكثير من الفيلم لدرجة أنه فقد قوته وحيويته. وقد دفعه اليأس إلى وضع كتاب آخر رفضه الناشرون. كان قد طلق زوجته للمرة الثانية، وبدد في المقامرة ما بقي لديه من مال. لم يكن هناك أي عمل يقوم به سوى أن يهرع إلى باريس ليمضي بعض الوقت، لكن وزارة الخارجية الأمريكية لم تكن تمنح جوازات سفر لأي شخص سبق أن انتسب إلى الحزب الشيوعي. وحين طُلب منه أن يقسم بأن لاعلاقة له بالحزب لجأ إلى الكذب. عندئذ أدرك، متأخراً جداً، بأنه يمكن أن يقاضى بتهمة الحنث باليمين.

إذا كانت رواية «المندرين» قد حظيت بالكثير من الاهتمام في الولايات المتحدة، فذلك بسبب قصة الحب الأمريكية التي تضمنتها،

وقد استاء ألغرين من ذلك فتشدق بالقول لمراسل صحفي: «ينبغي على الروائية الجيدة أن يكون لديها الكثير لتكتب حوله من دون أن تنبش حديقتها الخاصة. بالنسبة لي، كانت علاقتي ببوفوار علاقة روتينية فقط، وقد قامت بنسفها».

حين ظهر التعليق إلى جانب صورته الفوتوغرافية في مجلة «التايم»، شعر ألغرين بالارتباك من كلامه الفظ. حاول الاتصال بباريس عبر الهاتف ليشرح الأمر، لكنه أعاد السماعة حين رد عليه لانزمان، وبدلاً من ذلك كتب رسالة إلى بوفوار جاء فيها أنه لم يكن هو نفسه حين تفوَّه بكلام فظ، وأنه قال كلاماً للفت الأنظار، وقال أيضاً إنه قد تألم حين قرأ المقطع الذي أعلنت فيه آن دوبرويل أن حبها لبروغان مات.

ردت بوفوار قائلة إنها تفهمت ذلك، وسيُكتب لعلاقتهما الدوام. ومرة ثانية طفحت رسائل ألغرين بالحنين إلى الماضي. لقد افتقدها. وقد تبين له أن أسعد لحظات حياته قضاها مع ضفدعته الفرنسية الصغيرة. وفي أحد الأيام عاد ليرى الشارع القديم في شيكاغو: «استعدت معجزة وبانسيا التي حصلت هناك». إنه يتذكر دائماً اللحظات التي أمضياها في رحلاتهما، مثل أمسية روما حين عادا إلى سكناهما في عربة يجرها حصان تحت المطر.

في صباح باكر من أحد أيام شهر تموز عام ١٩٥٦ اجتمع سارتر وميشيل وبوفوار ولانزمان في الكوبول. كانوا على وشك السفر إلى اليونان ويوغوسلافيا. كانت بوفوار قد قايضت سيارتها بأخرى أوسع. واشترى سارتر لميشيل سيارة مستعملة حمراء ببابين. اتخذوا طريقهم من فينيسيا إلى بلغراد. كان سارتر يجهل قيادة السيارات، وهذا يعني أن ميشيل ستقود سيارتها من دون استراحة. وفي أحد الأمكنة، حين توقفت السيارتان للتزود بالبنزين، اقترح لانزمان مبادلة: قال لميشيل

«لاشك في أنك متعبة. سأقود قليلاً، إن أردتِ». جلس لانزمان وراء المقود، وانتقل سارتر إلى سيارة بوفوار.

كان لانزمان معجباً بـ ميشيل، وقد سبق أن عبر لها عن إعجابه. وفي مكان قريب من بلغراد حيث كان المنظر الطبيعي خلاباً، وضع ذراعه حول ميشيل وحاول تقبيلها. ابتسمت ودفعته بعيداً عنها. لم تكن تميل إلى لانزمان، فقد وجدته فارغاً ومتغطرساً على نحو لا يحتمل. وكانت غير غافلة عن سمعته كمطارد للنساء.

أمضى كل من الزوجين وقتهما منفصلين، لكنهما يجتمعان أثناء الغداء أو العشاء. وطبقاً لميشيل فإن «المثقفين» الثلاثة أكثروا في الحديث، أما هي فقالت القليل. كانت بوفوار لطيفة معها لكن ميشيل شعرت أن بوفوار، في الواقع، لا تحبها.

اكتسب كل من سارتر وبوفوار نمطاً جديداً في حياتهما حافظا عليه بقية حياتهما: في أيلول وتشرين الأول في روما، وبعد قضاء خمسة أسابيع مع معارفهما، يحين الوقت لينعزلا. كانا يتخذان غرفتين متجاورتين في فندق بمركز المدينة. وقد أحبا المدينة القديمة بساحاتها ونافوراتها الحجرية. وأحبا أكثر من كل شيء الليالي الرومانية. كانا يتجنبان مقاهي المثقفين - مثل مقهى روزاتي حيث يأتي الناس ليطلبوا التواقيع، أو الصحفيون لإجراء المقابلات. كانا يأكلان، عادة، في بيازا نافونا، ويمكثان حتى منتصف الليل في ساحة نافورة تريفي، يتحدثان وهما يحتسيان الشراب. كان أصدقاؤهما الإيطاليون - من كتاب وفنانين وعاملين في السينما والمسرح - يتعاطفون مع الشيوعيين، وكانت رؤيتهم في الأمسيات جزءاً من بهجة روما.

كانت بوفوار تدق باب غرفة سارتر في الثامنة صباحاً، يرتديان

ثيابهما وينزلان إلى الساحة لقراءة الصحف الفرنسية والإيطالية، وليتبادلا الأفكار. كان سارتر يطلب ثلاثة أكواب مضاعفة من القهوة. في العاشرة صباحاً يعودان إلى غرفتيهما ليعملا حتى الثانية. ثم يتناولان وجبة غداء خفيفة من دون مشروبات كحولية. بعد ذلك يتمشيان. وفي الخامسة مساءً يعودان إلى غرفتيهما ليعملا طوال أربع ساعات.

في ٢٤ تشرين الأول عام ١٩٥٦ تمشيا إلى كشك بيع الصحف في بيزا كولونا ليشتريا صحفهما. قرأا في الصحف أن الدبابات السوفيتية دخلت بودابست وقتلت المئات من الهنغاريين وجرحت الآلاف منهم. كانت هذه الأخبار، بالنسبة لسارتر، بمنزلة نكبة. إذ كيف استطاع الاتحاد السوفييتي أن يخلف وعده بعدم التدخل؟ لماذا لوث نفسه في أعين العالم بهذه الجريمة؟

في ذلك المساء تناولا العشاء مع أصدقاء من الشيوعيين في فيافينتو، حيث أدى عازف غيتار أغاني رومانية قديمة. بلغ تأثر سارتر وصديقه الفنان ريناتو غوتوزو حد البكاء وهما يستعرضان الأحداث، في محاولة لإدراك معنى ذلك كله. لم يستطع غوتوزو تحمل التفكير في الوحدة الموحشة التي سيواجهها إذا ترك الحزب. وخشي سارتر من انقطاع الروابط التي بناها مع الشيوعيين في السنوات الأخيرة. لقد خلق العديد من الأعداء بوقوفه إلى جانب الشيوعية، والآن يجازف بفقده بعضاً من حلفائه. كان يخيم على الجماعة جو من القلق والوجوم حين أقبلت صديقتهم الممثلة آنا مانياني وجلست إلى الطاولة وغنت أغاني حزينة بمرافقة عازف الغيتار، ثم اختفت في ظلام المساء، بينما استأنف الأصدقاء حوارهم المؤلم.

كان على سارتر أن يتخذ قراراً صعباً. فمنذ عام ١٩٥٢ كان الزميل الجوال الأشهر في أوربا. وفي «الشيوعيون والسلام» أعلن أن السياسة

السوفيتية الخارجية هي سياسة دفاعية، في حين كانت السياسة الأمريكية الخارجية سياسة عدوانية تماماً وتنحو إلى تدمير الاتحاد السوفييتي. وكان نشطاً جداً في حركة السلام، المنظمة العالمية التي كان مقر قيادتها في موسكو. لقد آمن بالسلام وبالاشتراكية وبالاتحاد السوفييتي. وهو يعرف، علاوة على ذلك، أنه إن أدان الاتحاد السوفييتي، فستوظف الدعاية الأمريكية هذه الإدانة لمصلحتها.

أعلن سارتر رأيه صراحة: «أدين العدوان الروسي تماماً ومن دون تحفظ». قال ذلك في مقالة أجرتها معه مجلة فرنسية محافظة. وأضاف بأنه قد قطع علاقته «بندم ولكن على نحو كامل» مع أصدقائه السوفييت الذين عجزوا عن التنديد أو لم يكونوا قادرين على التنديد بالمذبحة في هنغاريا. أما فيما يتعلق بالحزب الشيوعي الفرنسي، الذي حاول تسويغ الانقلاب السوفييتي الدموي، فإن عذره كان «حصيلة ثلاثين عاماً من الكذب والتحجر».

ثم أضاف قائلاً إن الولايات المتحدة لم تكن بريئة أيضاً، «إن مسؤولية الولايات المتحدة في الأحداث الجارية لا شك فيها... مشروع مارشال أولاً. لقد كان هدفها الذي جاهرت به هو إعاقة بناء الاشتراكية في البلدان التابعة لدولة عظمى».

انضمت بوفوار إلى سارتر في الاحتجاج على العدوان السوفييتي. كانت راضية عن موقف سارتر القوي. لا أحد عرف أفضل منها ما كلفه ذلك.

خلال هذه الأسابيع المضطربة، قطعت إيفلين راي علاقتها بسارتر بعد أن كانا عشيقين طوال ثلاث سنوات. فقد وجدت رجلاً آخر: كان محامياً قصير القامة، ذكياً وقبيحاً. وعلى أية حال لم تكن علاقتها

معه سرية. فقد تعبت من بقائها متوارية في الخلفية مع سارتر. لقد لعبت بوفوار وميشيل فيان دوراً علنياً في حياة سارتر، فلماذا لم تستطع إيفلين فعل ذلك.

أخبر سارتر إيفلين أنه لن يتركها أبداً، وأنه سيواصل التزامه بها مالياً. وسيلتقيان ثلاث مرات في الأسبوع، ووعدها أن يكتب مسرحية من أجلها في القريب العاجل.

في شتاء عام ١٩٥٦ بدأت بوفوار مشروعاً كانت قد فكرت به منذ سنوات، مذكرات عن طفولتها. في عام ١٩٤٦، اقترح عليها سارتر أن تكتشف أولاً ما الذي يعنيه أن تكون امرأة، وقد أدى ذلك إلى ظهور كتابها «الجنس الآخر». وكانت قد ذهبت إلى الولايات المتحدة وقابلت ألغرين، وكتبت حول رحلتها، ثم عانت سنوات مع رواية «المندرين». وبعد أن ذهبت إلى الصين كتبت حول ذلك. في تلك السنوات العشر كانت قد غدت الكاتبة الأكثر شهرة في العالم. الآن ستشرع في كتابة مذكراتها من موقع مختلف وممتاز. ستنظر إلى ماضي حياتها كقصة درامية ناجحة. وفوق كل شيء، كانت أكثر ثقة، بشأن علاقتها مع سارتر، مما كانت عليه في عام ١٩٤٦.

ففي عام ١٩٤٦ قلقت بوفوار بسبب شغف سارتر بفانيتي، إذ كانت ستحل محلها. ومنذ ذلك الحين مشى كل منهما في طريقه الخاص، ومع ذلك صمد الاثنان. في الواقع، أعادا خلق علاقتهما كثنائي. وقد استطاعت بوفوار النظر إلى الماضي وفق حياتهما معاً، مع إحساس مرضٍ بالإنجاز.

أنفقت بوفوار في كتابة «مذكرات ابنة مطيعة» ١٨ شهراً. لم يسبق لها أن استمتعت أكثر بأي شيء كتبته. تحدثت حول طفولتها مع أختها

بوبيت، وتأملت ملياً صداقاتها. قرأت يومياتها القديمة، وقصدت المكتبة الوطنية لتراجع صحف تلك الفترة، و أعادت قراءة الكتب التي تأثرت بها حين كانت شابة.

كان ثمة العديد من المناقشات مع سارتر. ما هو رأيه؟ هل تتجاسر أن تتحدث عن والديها بصراحة؟ عن التوترات في عائلتها؟ لقد توفي والدها، لكن والدتها ستتأذى. هل يمكنها الكتابة بصراحة حول زازا، صراعها مع والدتها، حبها لـ ميرلو - بونتي، موت زازا؟ اتفقا على أنه ينبغي استخدام أسماء مستعارة في بعض الحالات. فغدا ميرلو - بونتي «جان براديل»، وغدا رينيه ماهو «أندريه هيربو». ومع ذلك سيتعرف الرجال على ذواتهم، وبالطبع كل شخص عرفهم. كان المشروع محفوفاً بالصعوبات.

بدأت بوفوار السرد منذ ولادتها في كانون الثاني عام ١٩٠٨، وأنهته في عام ١٩٢٩، العام الذي قابلت فيه سارتر، العام الذي توفيت فيه زازا، العام الذي غير حياتها.

قبل مغادرة سارتر لقضاء عطلة الصيف بوقت قصير، استلم رسالة من فتاة فرنسية - جزائرية في التاسعة عشرة من عمرها. كانت آرليت إيلكايم طالبة في صف الفلسفة تطمح بدخول الإيكول نورمال الخاصة بالنساء في شيفريه قرب فرساي. أخبرت سارتر أنها قرأت «الغثيان» و«الوجود والعدم»، وهي مهتمة بالفينومينولوجيا. وتكتب الآن بحثاً في الظلم. هل بإمكانها القدوم ومناقشته معه.

طلب سارتر نسخة من البحث. وبعد أن تراسلا طوال أسابيع، بدا واضحاً لسارتر أن الفتاة تلتمس العون وراء دراستها. تقابلا في تشرين الثاني، حين عاد سارتر من روما.

عاشت إيلكايم في قسنطينة في الجزائر. قدمت إلى فرنسا في أيلول عام ١٩٥٤، قبل شهرين من اندلاع الحرب الجزائرية. كانت والدتها عربية، ووالدها يهودي سفاردي، يعمل موظفاً في الحكومة الفرنسية. كانت مشاعر إيلكايم مع الجزائريين والفرنسيين، ولم تكن متأكدة أبداً من شعورها حول العرب الجزائريين الذين يطالبون باستقلالهم.

حين كانت إيلكايم في الرابعة عشرة، انتحرت والدتها. فوضعت إيلكايم اللوم، جزئياً، على والدها، فقد كان متسلطاً وطاغية. في الواقع، لم تكن إيلكايم تعرف ما الذي ستفعله في فرنسا، باستثناء الابتعاد عن والدها وزوجته. لم يكن لديها أصدقاء، ولم تكن تدري ما الذي ستفعله بحياتها.

أدرجها سارتر في جدول أعماله. سيراها بعد ظهر أيام الآحاد مدة ساعتين. تتذكر إيلكايم فتقول: «كنت أعيش جو اللقاء طوال بقية الأسبوع».

كانا يجلسان أحدهما مقابل الآخر في مكتب سارتر - هي على كنبة من الجلد، وهو على كرسيه - ويطرح عليها أسئلة استطلاعية. كانت الجلسة أشبه بجلسة تحليل نفسي، باستثناء أنه كان يلعب دوراً حيوياً، ويدلي بتعليقات وملاحظات. وحين تصمت، ينتظر. كان يدعها تبكي حين تكون بحاجة إلى البكاء. وفي نهاية الجلسة يخبرها أنه مهتم بها، وسيتابعان محادثتهما في الأسبوع التالي.

تقول إيلكايم: «كان يفعل ذلك بمرح ودأب مع قليل من القسوة. كان يستنهضني، ويحاول أن يجعلني أتطلع إلى العالم واستمتع به. أدرك الآن أني حصلت منه على تربية متأخرة - حتى إنه توجب عليَّ أحياناً أن أكافح حتى لا أرى العالم بعينيه».

سرعان ما أصبحا عشيقين، لكن سارتر أنهى ذلك المظهر لعلاقتهما بعد شهرين أو ثلاثة. كان يرى في عينها الرقيقة عين ظبية. وقد أيقظت في نفسه المشاعر الأبوية أكثر من أي شيء آخر.

في تموز عام ١٩٥٧ أخفقت إيلكايم في امتحاناتها، وقررت ألا تقدمها ثانية. اعتقد سارتر أنه ربما كان لديها موهبة في الصحافة، فأرسلها إلى صديق له يعمل في نوفيل أوبزرفاتور، فلم توفق في ذلك. تقول إيلكايم: «كنت مثل فأرة صغيرة. لم أستطع أن آخذ نفسي على محمل الجد. كنت أستخف بنفسي أكثر فأكثر إذ كان لدي أشياء لأقولها ولكني لم أقو على قولها». وأصبحت إيلكايم تعتمد، مالياً، على سارتر.

بالنظر إلى الوراء، بعد أن أصبحت ابنته بالتبني، كانت إيلكايم تعتقد أنها طلبت الكثير من سارتر في تلك السنوات. فقد كانت سلبية ويائسة. وقد قالت إن سارتر كان مشغولاً بعمله، ودائماً في عجلة. كان يرعاها رعاية أبوية، لكن ليست أبوية كافية ليدرك أنها في حاجة لأن تخرج من فلكه. كانت تراه وحده فقط، إذ لم يقدمها إلى أعضاء العائلة. وكانت تراه في أوقات محددة. لم يكن ثمة عفوية في لقاءاتهما. ما الذي توقعته منه؟ في الواقع لم تكن تدري.

كان من المستحيل، بالنسبة لجان كو سكرتير سارتر، أن يكون غافلاً عن الأكاذيب التي يرويها سارتر لنسائه. إذ كان يهتف إلى اثنتين من صديقاته على التوالي، يروي للثانية قصة مختلفة تماماً عن تلك التي رواها للأولى. يتذكر كو مناسبة وضع فيها سارتر السماعة وتنهد:

«إنه صعب أحياناً».

قلت «بالتأكيد. أتعجَّبُ كيف تتدبر أمرك. إنه وضع صعب».

«نعم تلك هي الكلمة الصحيحة. هناك أوضاع أدعوها «عفنة». حاول أن تحلها، إنه لمن المستحيل الخروج منها سالماً».

«نعم، نعم، صحيح. ولكن ماذا عما في داخلك؟

«في بعض الحالات تجد نفسك مجبراً على اللجوء إلى مفتاح أخلاقي مؤقت».

أحدثت فكرة الأخلاق المؤقتة أثراً في نفس كو، وقال في نفسه إنها أشبه بفتح مظلة في عاصفة. وأضاف متأملاً: إن المعضلة في الموضوع السارتري هي أنه ليس وحيداً في العالم، وهو لا يخلق الوضع (المفهوم السارتري الهام) العفن. بالطبع هو حر في مواجهته بهذه الطريقة أو تلك، لكن الآخر يلتصق به ويوقعه في مستنقع. ماذا تفعل إن كنت سارتر ووجدت نفسك مضطهداً من الآخر؟ إنك تلجأ إلى مفتاح أخلاقي مؤقت!وبتلك الطريقة تتملص من الوضع، ويظل الصرح الأخلاقي الضخم الذي بنيته سليماً.

في صيف عام ١٩٥٧ تشاجر كو مع سارتر فافترقا ومضى كل منهما في سبيله. إن كو الذي كان يشكل طرفاً محافظاً بالنسبة له، أصبح، على نحو واضح، سياسياً رجعياً. لكن كو كسكرتير كان أساسياً لا غنى عنه. فقد كانت المطالب المترتبة على سارتر كثيرة جداً. فكل يوم يستلم دزينة من الرسائل تلتمس مساعدته. هل باستطاعته منح مال أو كتابة مقالة أو أن يكون عضواً في لجنة لمساعدة المناضلين والسجناء السياسيين واللاجئين؟ هلا يكتب مقدمة لكتاب أحد الأصدقاء أو يوقع بياناً أو يحضر جلسة أو يتحدث في اجتماع أو يقرأ مخطوطة؟

استبدل سارتر بكو شاباً آخر: كلود فو، وهو محام قريب من الشيوعيين. في عام ١٩٦١ سيتزوج فو المحامية المتطرفة جيزيل هاليمي

التي هُددت بالموت لدفاعها عن مناضلي (جبهة التحرير الوطنية). وقد كانت محاميته الشخصية في قضايا حقوق النشر والقرصنة المتعلقة به. وقد كتبت هاليمي في مذكراتها: «لم يكن سارتر يولي اهتماماً بهذه الأمور. لقد أغاظتها، لكنه رآها من التوافه. إن كل ما أراده هو الوقت، الوقت ليتابع عمله».

وصفت بوفوار، ناظرة إلى الماضي عام ١٩٥٨ بـ«العام الموجع». كان عام الأزمة بالنسبة لها ولسارتر.

في كانون الثاني أصبحت بوفوار في الخمسين، وذلك ما كرهته. وقد ذهبت مع لانزمان للتزحلق على الثلج مدة أسبوعين، لكن لانزمان كان مشغولاً بكتابة مقالة لـ «الأزمنة الحديثة»، لذا فإنه نادراً ما خرج إلى المنحدرات للتزحلق. فتزحلقت وحدها. قالت في سرها، وقد نفد صبرها من عدم خبرتها بهذه الرياضة، إنه العمر. كانت الحرب الجزائرية قد اشتدت. وكانت باريس تعج بالرجال الذين يتبخترون في الزي العسكري الفرنسي، فبدت ثانية مثل مدينة محتلة. كان من المستحيل عدم ملاحظة إزعاجات الشرطة للعرب في الشوارع. وقد نشرت «الأزمنة الحديثة» تقارير حول التعذيب البربري الذي مارسته الشرطة العسكرية الفرنسية على مقاتلي المقاومة العرب.

بدا سارتر وقد جن جنونه نتيجة حنقه من تلك السياسة. كان يعمل بنوع من اليأس، مستعيناً بكميات من الكوريدران لرفع روحه المعنوية، غير مهتم إلى حد كبير بإعادة قراءة ما كتبه، ضاناً بالوقت لتشذيبه وتهذيبه. وفي نهاية اليوم تزداد سرعته إلى درجة يخلط كلماته. وحين يحتسي الشراب، يجري الكحول مباشرة إلى رأسه. في تلك الأمسيات، حين يكونان معاً في شقة بوفوار، تحاول عبثاً أن تكبح جماحه.

كنت أقول: «ذلك كاف». ولكن ذلك غير كاف بالنسبة إليه. وعلى الرغم من إرادتي أناولَه الكأس الثانية، بعد ذلك يطلب الثالثة. قبل سنتين كانت تزداد حاجته إلى مقدار أكبر، لكنه الآن فقد السيطرة على حركاته، فقد القدرة على النطق بسرعة كبيرة، وكنت أقول ثانية «ذلك يكفي». ولمرة أو مرتين انتابني غضب مفاجئ، فحطمت الكأس على بلاط المطبخ.لكني أجد نفسي مرهقة جداً لا أقوى على التشاجر معه. كنت أعلم أنه بحاجة إلى شيء يساعده ويخفف عنه، بكلمات أخرى، هو بحاجة إلى شيء يدمره قليلاً.

كان سارتر وهو في هياجه المسعور، يضع جانباً أشياء ليعمل في شيء آخر. فقد وضع على الرف كتابه عن فلوبير، وسيرة حياته «كلمات»، وترك كتابه عن إيطاليا. إن مقالته الطويلة «البحث عن منهج» وضعت الوجودية في موضع صلة بالماركسية. وبعد أن أنهاها سارع إلى كتابة مقالة أطول وأكثر تعقيداً «نقد الفكر الديالكتيكي». هنا يؤكد سارتر أن الأفراد حصلوا في المجتمع الحديث على قدرة ضئيلة، وهم يستطيعون استعادة حريتهم فقط بوساطة عمل الجماعة الثورية.

في ربيع عام ١٩٥٨ وضع سارتر جانباً «النقد» ليكتب مسرحية. كانت واندا عاطلة عن العمل. ورجته إيفلين، منذ أن عرفها، أن يكتب لها دوراً في مسرحية. رغب سارتر في أن يكتب مسرحية حول جندي فرنسي كان في الجزائر وشارك في التعذيب، ثم عاد إلى الوطن كبطل ليواجه عائلته وأسئلتهم. وبما أنه يعرف أن الرقابة لا تسمح له بالكتابة حول حرب الجزائر، قرر أن ينقل موقع أحداث المسرحية إلى ألمانيا بعد الحرب، وأن يجعل البطل نازياً. ووعد سيمون بيريو، مديرة مسرح أنطوان، بأن يكون العمل جاهزاً في الوقت المحدد من أجل موسم خريف عام ١٩٥٨.

إن اشتداد الأزمة في الجزائر كان يهدد بانتقالها إلى فرنسا، التي كانت على حافة حرب أهلية. فاستدعى رئيس الجمهورية الرابعة، الجنرال دو غول بطل حرب المقاومة، ليعالج الأزمة. وفي الأول من حزيران تقلد دوغول منصب رئيس وزراء فرنسا، وطلب إعداد مسودة دستور جديد يمنحه سلطات واسعة حين سيغدو رئيساً للجمهورية في العام التالي، وسيعرض الدستور لتصويت الشعب في استفتاء عام في ٢٨ أيلول.

في منتصف حزيران ذهب سارتر وبوفوار إلى إيطاليا، أبكر من المعتاد، مقتنعاً أن دو غول كان على وشك أن يحكم فرنسا كديكتاتور. كان الجو خانقاً في روما. وقد فرَّغ شحنة غضبه على مسرحية «مذنب ألتونا» التي تدور حول التعذيب الذي يمارسه رجال الجيش. وقد وصل حنق سارتر وغضبه، بطريقة ما، إلى الدراما. وحين قرأتها بوفوار أحست بالرعب.

حاولت بوفوار كتابة المجلد الثاني من مذكراتها، لكنها لم تكن في حالة نفسية مناسبة. فلأول مرة، منذ ست سنوات، لا تمضي الصيف مع لانزمان. كان مسافراً في الصين وكوريا الشمالية مع فريق من الصحفيين. وقد شعرت أنه انجرف بعيداً عنها. وقد اتسمت صفحات يومياتها خلال تلك الأسابيع في روما بالقلق والهم: «سارتر يعمل في مسرحيته، وأنا أحاول أن أمتع نفسي بالتفكير في الماضي... ينبغي عليَّ أن أقتل الوقت بطريقة ما... لا أنام كثيراً... أنا متوترة جداً... بعد التوتر هناك الإحباط...لا يسعني الكتابة فأنا منقبضة الصدر... نمت نوماً سيئاً، واستيقظت أعاني مشاكل عصبية... كثيراً ما يستولي عليَّ الهم قبل أن أصحو... مرة أخرى تغرز الحياة أسنانها في قلبي».

كان كتاب «مذكرات ابنة مطيعة» في طريقه للنشر في تشرين الأول،

وكانت بوفوار متوترة: «أشعر بالتوتر والارتباك - تقريباً بالندم - حين أفكر بكل الأشخاص الذين ذكرتهم في الكتاب، والذين سيغضبون». كان المجلد الذي تكتبه حالياً ألطف. إلى أي حد استطاعت الحديث عن علاقتها بسارتر؟ لم تكن قادرة، بسبب أولغا، على الحديث حول علاقتها ببوست التي دامت تسع سنوات. ترى هل تستطيع الحديث عن الثلاثي مع أولغا، ؟ لم تكن لديها رغبة في مناقشة علاقة سارتر بواندا أثناء الحرب. وقد ساءلت نفسها: « لم تريد الحديث حول أمور كثيرة، وترغب في تغييب أمور أخرى؟

في منتصف آب، وصلت ميشيل إلى روما لتمضي شهراً مع سارتر. وعادت بوفوار إلى باريس وحدها. عادت إلى شقتها الفارغة.

كان سارتر قلقاً طوال الصيف من قلة رسائل ميشيل فيان. وكان قد كتب إلى «عزيزته الشبوط الصغير» (من التعبير الفرنسي - صامت مثل شبوط) واشتكى من صمتها، واستعطفها «اتصلي، ارفعي سماعة الهاتف»، وأضاف بالإنكليزية «ليكن لديك قلب». تقول ميشيل اليوم إنها تعرضت أيضاً لأزمة شخصية في ذلك الصيف. لقد قسمت حياتها طوال عشر سنوات بين رجلين، لم يكن أحد منهما يعرف أنها تنام مع الآخر. وقد مزقها ذلك وأمرضها. وإنها وصلت إلى روما وهي بأشد الحاجة إلى أحد يعتني بها. كان سارتر منشغلاً بمسرحيته إلى حد الهوس. بكت ميشيل كثيراً، إذ تعلم أن سارتر يكره البقاء معها أكثر من أي شيء آخر. تحدثت حول قتل نفسها. قابل سارتر ذلك ببرود. تقول ميشيل «إنها شعرت أن لا مستقبل لها، وقد لامت أندريه ريويليوتي وسارتر. كان أندريه متقلب الأهواء ويميل إلى التهويل، والروسية تصرخ بوجه زملائه الموسيقيين وتخبط بقبضتها الحائط. وكان سارتر غير مبال. أنا أعلم أنه لا يرغب في أن يكون معي بعد الآن، وأنه لا يحتاجني. فطوال

ذلك الصيف في روما كان يقول إنه ليس لديه الوقت للذهاب للغداء، ولا للمتاحف. طلب مني أن أذهب وحدي. كل ما كان يريده هو العمل».

كتبت ميشيل، من وراء ظهر سارتر، رسائل دراماتيكية لـ ريويليوتي تخبره فيها أنها تعتزم الانتحار. وفي أحد الأيـام، كانت مع سارتر في غرفتهما بالفندق - كان سارتر ينظف أسنانه - حين نقر أحدهم الباب، ردت ميشيل «ادخل!» كان أندريه ريويليوتي واقفاً هناك. كان في جولة بفينيستا يعزف مع صديقه عازف الكلارينيت سيدني بيشيت، حين استلم رسالة ميشيل فهرع إلى روما لرؤيتها.

في ذلك الأصيل، اكتشف سارتر الحقيقة. فطوال تسع سنوات - منذ بداية علاقتهما - لم تكن ميشيل مخلصة له. في ذلك المساء اختفت ميشيل مع ريويليوتي.

بقي سارتر وحده في روما حزيناً قلقاً. لم يكن هو نفسه مخلصاً طوال سنوات، لكن ذلك لم يمنعه من السخط بسبب أكاذيب ميشيل. بالطبع كان يعرف أنها كانت عشيقة ريويليوتي قبل أن يتودد إليها. ويعرف أيضاً أن ميشيل أمضت الكثير من الوقت مع ريويليوتي في بيته الريفي، وأنها كانت تساعده حين يطوف مع فرقته بالأقاليم، توقع العقود، وتنظم سير الرحلات، وتقوم بالحجز في الفنادق، وتقود السيارة في الليل حين يكون الموسيقيون متعبين.لكنه كان يصدق ميشيل عندما تقول إنها وريويليوتي مجرد صديقين لا غير. لم يعتقد أبداً أنهما واصلا عشقهما لبعض. كانت إيفلين تحثه دائماً ليصحو من غفلته. لكن إيفلين لديها سبب وجيه لتكره ميشيل. صحيح أن بوست نبه سارتر حول الأمر. لكن سارتر أعرض عن الاستماع، فبالنسبة إليه كانت ميشيل تجسيداً للبراءة.

بقي سارتر في روما بضعة أيام وهو يكافح ليكتب المقالة الثالثة لصحيفة الإكسبرس حول دوغـول والاستفتاء القادم، دعا الأولى «المدعي» والثانية «دستور العار». وفي مساء ١٤ أيلول أخذ القطار الليلي عائداً إلى باريس.

في صباح اليوم التالي كانت بوفوار تنتظره في محطة ليون. كان الجو ماطراً. وكان سارتر مرهقاً عاطفياً، كذلك كانت بوفوار. أمضيا اليوم يتحدثان.

كان سارتر على وشك أن يبدأ العمل في مقالته الثالثة، لكنه بدأ يعاني إصابة في الكبد. كتبت بوفوار: «في أصيل الأحد كان مرهقاً جداً ومحموماً، وبدا أنه من المستحيل أن يكتبها. لكنه عمل طوال ٢٨ساعة من دون انقطاع وبلا نوم وبلا استراحة تذكر».

انهار سارتر، وأمضت بوفوار الليلة بكاملها تعد مقالته للنشر. استطاعت بمشقة قراءة خطه، إضافة إلى تهجئته الشنيعة. كان عليها إعادة كتابة أجزاء منها، وقد أجرت تعديلات حصيفة في الصياغة. وأخيراً اعتقدت أن المقالة أصبحت «بالفعل جيدة». وقد دعا سارتر مقالته «الضفادع التي أرادت ملكاً».

عاد لانزمان من كوريا، لكنه انهمك في كتابة مقالة عن الصين، وانشغل بموضوع الاستفتاء القادم، لدرجة أن بوفوار بالكاد رأته. كتبت في يومياتها: «لا أعرف هل هو إنهاك أم غضب. لكن حالة التوتر الدائمة التي لازمتني وشعرت بها في الرقبة والعينين والأذنين والصدغين جعلت العمل صعباً».

كانت نتيجة الاستفتاء الذي جرى في ٢٨ أيلول باهرة «نعم». بكت بوفوار: «إنها هزيمة شنيعة... إن جحود ٨٠ بالمئة من الشعب الفرنسي

الذين وثقنا بهم وأردنا هم لفرنسا... إنه لشيء مفزع أن تكون ضد البلد بكامله، بلدك أنت».

كان سارتر متأثراً بعمق. كان يعاني دواراً، ويمشي بصعوبة، ويتعثر في كلامه. لكنه رفض رؤية طبيب قائلاً: إن لدي مسرحية ينبغي أن أكتبها.

حان الموعد الأخير لإنجاز المسرحية. وفي بداية تشرين الأول وخلال غداء مع سيمون بيريو، مديرة مسرح أنطوان حيث ستقدم المسرحية، وضع سارتر بقوة كأسه بعيداً مسافة بوصة عن الطاولة، فسقط الكأس وتحطم. صُدمت سيمون بيريو، وحاولت إقناعه ليدعها تضرب له موعداً مع طبيب. وكانت بوفوار ممتنة.

قال الطبيب إن بطين سارتر الأيسر متعب، وإنه يحتاج إلى راحة. استمر سارتر بالعمل.فذهبت بوفوار، من وراء ظهر سارتر، لرؤية الطبيب الذي أخبرها إن سارتر بالكاد نجا من نوبة قلبية: «أنه رجل عاطفي جداً، وقد أجهد نفسه ذهنياً، بل حتى عاطفياً... دعيه يعمل قليلاً إن أصر على ذلك، لكن لا ينبغي عليه أن يسابق الزمن. إن فعل ذلك، فلن أعطيه أكثر من ستة أشهر».

ذهبت بوفوار لرؤية سيمون بيريو التي وافقت على إرجاء تقديم مسرحية «مذنب ألتونا» حتى الخريف التالي. لم يكن لدى سارتر القوة ليغضب من تدخل بوفوار. فاستقبل أخبارها الجديدة بابتسامة لا مبالية. لكنه، منذ ذلك اليوم فصاعداً، بدأ يعمل ببطء أكثر.

في البداية حاول لانزمان إخفاء علاقته الجديدة، لكن بوفوار عرفت. وفي إحدى الليالي عاد في منتصف الليل إلى شقتها فوجدها جالسة على سريرها تبكي. ابتدرته قائلة «قل لي الحقيقة». أخبرها أنه واقع في حب امرأة في الخامسة والثلاثين، جميلة، غنية، أرستقراطية، لديها طفلان.

توفي زوجها في حادث طائرة، وهي تعيش في شقة فخمة مطلة على السين. يتذكر لانزمان فيقول: «اقترحت بوفوار، التي كانت دائماً بناءة ومتفهمة، قائلة: «حسن، سنتقاسمك»، ثلاثة أيام مع واحدة وثلاثة أيام مع الأخرى. لكن ذلك لم ينجح.فمعظم النساء لا يستطعن فعل ذلك. إنهن يردن أن يتغلبن ويدمرن».

انتهت العلاقة بعد ستة أشهر، حين اكشف لانزمان أن حبيبته الجديدة كذبت عليه بشأن عمرها (في الواقع كانت في الخامسة والأربعين). وبعد ذلك بدأ لانزمان وبوفوار في إعادة بناء علاقتهما التي تحولت إلى علاقة صداقة. وفي صيف عام ١٩٥٩ أمضيا عشرة أيام في مينتون على الشاطئ اللازوردي (côte d'azur). وقد شعر كل منهما بالراحة لبقائهما قريبين.

افتتحت مسرحية سارتر التاسعة «مذنب ألتونا» في ٢٣ أيلول عام ١٩٥٩. وقد برزت أثناء التدريبات، كما جرت العادة، شجارات وثورات غضب. مرة ثانية، كانت المسرحية طويلة جداً، وأبى سارتر أن يقتطع منها شيئاً. وكانت الأدوار الرئيسية تتطلب جهداً ومهارة. ورأى المخرج أن إيفلين وواندا غير قادرتين على أداء دوريهما على نحو مقنع. لكن سارتر أصر. لقد تيسر لواندا في الماضي الفرصة لتثبت جدارتها، لكن إيفلين كانت في التاسعة عشرة، وكان هذا أول دور كبير لها. إن كل شخص ينتمي إلى عالم المسرح عرف أنها كانت حظية سارتر، وتدين له بالدور. كانت تنوء تحت ضغط هائل.

كان الممثل اللامع سيرج ريجياني (الإيطالي المولد) يلعب دور الجندي النازي القاسي والعنيد، وهو في زي الـ ss (الشرطة النازية السرية). وقد نال الإعجاب والثناء. أما واندا وإيفلين فقد انتُقدتا نقداً لاذعاً مع شيء من الثناء.

جرى انتقاد سارتر بسبب المقاطع المملة في المسرحية. وارتأى بعض النقاد التغاضي عن التلميحات الواضحة إلى الحرب الجزائرية. لكن العديد من النقاد رأوا أنها مسرحية رائعة.

نظراً لأن سارتر لم يعد يرى ميشيل فيان، فقد كان يمضي وقتاً أكثر مع آرليت إيلكايم. في السابق كانا يلتقيان مدة ساعتين في أصائل أيام الآحاد. والآن أصبح يراها في أمسيتين من كل أسبوع. وفي العطلة السنوية التي كان يقضيها مع ميشيل صار يقضيها مع إيلكايم.

في أيلول عام ١٩٥٩، وبعد العرض الأول لمسرحية «مذنب ألتونا»، ذهب سارتر وإيلكايم إلى إيرلندا حيث مكثا مع مخرج السينما الأمريكي جون هيوستن في مزرعته الكبيرة قرب غالوي.

أراد هيوستن أن يناقش معه سيناريو فيلم «فرويد» كان سارتر يكتبه بناءً على طلبه. وقد لعبت إيلكايم دور المترجمة. فيما بعد كتب هيوستن:

كان سارتر أشبه ببرميل، قبيحاً، بل في منتهى القبح. وكان وجهه منتفخاً ومليئاً بالندوب الصغيرة، وأسنانه صفراء، وبعينه حول. كان يتحدث بلا توقف، لاشيء يمكن أن يقاطعه. تنتظره حتى يلتقط أنفاسه، لكنه لا يفعل. تتدفق الكلمات من فيه تدفق سيل جارف.

رأى سارتر، على نحو مماثل، أن هيوستن رجل يستحيل التحدث معه. وقد كتب إلى بوفوار رسالتين طويلتين حول الجنون الذي واجهه في ذلك المكان الذي يشبه الثكنات، والمحوط بالحقول الخضراء والبقر والخيول.

في إيرلندا بدأت إيلكايم تدرك لأول مرة أن الجميع ليسوا على ما يرام مع سارتر، حتى في ذلك الوقت الذي أعماها إعجابها به. وقد أخبرت

جون غيراسي عام ١٩٧٣ أن «الكوريدران كان مظهراً سلبياً جداً في علاقتنا. بيفر عرفته أفضل مني بكثير، وهي تفصح عما تفكر به. كنت الوحيدة المطالبة بالاستسلام. وبعد مدة، بدأت أمتلك أفكاري الخاصة بي... كان سارتر يتناول كميات كبيرة من الكوريدران. كان لسانه يسود، وكان ذلك ينفرني. لكنني لم أكن أحتج، بل ينتابني الذعر». كانت تصاب بالإحباط الذي تخفيه عن سارتر لأنه لا يستطيع التعامل مع تلك الحالة.

حاول سارتر في رسائله أن يطمئن بوفوار أنه غدا معتدلاً:

لا أشرب (سوى كأس من المارتيني، أحياناً كأسين). لا أشرب الويسكي (شربت فقط في الليلتين الأوليين)... سأعود يوم الثلاثاء. سأرافق آرليت إلى مسكنها ثم آتي إليك. لم أخبر أحداً عن وقت وصولي... تحياتي الحارة، أبعث لكِ قبلة كبيرة. تحدثت عن نفسي فقط، وذلك لأسليك. إلى يوم الثلاثاء.

في تلك الأيام، كان سارتر يعاني توتراً عصبياً شديداً لدرجة لم يستطع الجلوس ساكناً. كان يجرجر قدميه، ويحرك كوعيه باستمرار. وطوال سنوات لم يكن بمقدوره النوم من دون استخدام سدادتي أذنين، وتناول أربع أو خمس حبات منومة قوية.

في بداية أمسية الرابع من كانون الثاني عام ١٩٦٠، رن هاتف بوفوار. كان المتحدث لانزمان الذي هتف لها ليخبرها أن كامو توفي في حادث سيارة. كان كامو في السادسة والأربعين، أصغر من بوفوار بست سنوات. كانت مذعورة:

وضعتُ سماعة الهاتف، حنجرتي جافة، شفتاي ترتجفان. قلت في نفسي لن أشرع بالبكاء، فهو لم يعد يعني أي شيء بالنسبة لي. وقفت

هناك متكئة على حافة النافذة، أراقب المساء وهو يهبط على سان - جيرمان - دي - بري، عاجزة عن تهدئة نفسي أو أن استسلم للحزن. كان سارتر مشوشاً أيضاً، وقد أمضيا الليلة بكاملها مع بوست ونحن نتحدث عن كامو. وقبل أن أذهب للنوم ابتلعت حبوباً مهدئة... إذ ينبغي عليّ أن أنام. بقيتُ مستيقظة تماماً، نهضت من السرير وخرجت لأمشي في الليل.

كان كامو يحرر صحيفة «كومبا» أثناء فترة المقاومة. رقص في حفلات العائلة. أرسل سارتر وبوست إلى الولايات المتحدة. تخاصم سارتر وكامو حول الستالينية. مؤخراً ازدرته عشيرة سارتر بسبب تعاطفه مع الفرنسيين إبان الحرب الجزائرية. لكنهم افتقدوه كإنسان.

في إشادة مؤلمة بكامو، قلل سارتر من أهمية انقطاع علاقتهما «المشاجرة لا تعني شيئاً - حتى لو لم نعد نرى بعضنا ثانية... ذلك لم يمنعني من التفكير به».

يتذكر سارتر، وهو في السبعين، كامو بولع أكبر «هناك جانب فيه ينم عن شخصية جزائرية قاسية، عن شخصية، مشاغبة ومرحة جداً... كانت لغته لاذعة جداً - كذلك كانت لغتي - كنا نسرد قصصاً بذيئة، الواحد بعد الآخر، وكانت زوجته وسيمون دو بوفوار تتظاهران بالصدمة... ربما كان آخر صديق جيد لي».

وصل نيلسون ألغرين إلى باريس في شباط ١٩٦٠. وقد تركت له بوفوار، التي كانت في كوبا مع سارتر، مفتاح شقتها، وأوعزت إلى أولغا وبوست وميشيل بالاهتمام به.

صُدم ألغرين من التلف الذي لحق بجسد أولغا، لكنه استمتع بمغازلة ميشيل. وسيكتب عنها في مذكراته: «فقدت زازو الذهبية شيئاً من

تألقها. لكنها بقيت ميشيل التي تُعنى بالآخرين». كانت ميشيل قد انضمت ثانية إلى عائلة سارتر بعد محاولتها الانتحار. كانت يائسة من دون سارتر.

بعد عودة سارتر وبوفوار إلى باريس، تابع ألغرين الخروج مع ميشيل في بعض الأمسيات. تقول ميشيل: «نظمت دو بوفوار مواعيد لقاءاتنا. كنا نرقص في الليل وفي النهار، وكان ألغرين يحاول أن يشدني إليه شداً قوياً. وفي سيارة الأجرة أخذ يدي ووضعها بين فخذيه». وحين أخبرتْ سارتر بذلك في اليوم التالي، أثارته القصة وقام بمضاجعتها - كانت المرة الأولى بعد سنتين. بعدها عادت علاقتهما الجسدية إلى ما كانت عليه من قبل.

كانت ميشيل سعيدة إلى أبعد حد لاكتشاف أن سارتر مازال يشتهيها، لكنها لم تعد توهم نفسها بأنه سيمنحها مزيداً من الوقت. كانا يريان بعضهما مرة كل أسبوع ولمدة ساعتين. لقد أحبت ميشيل ريويليوتي - لكنها أحبت سارتر أكثر. كانت في الثانية والأربعين، واعتقدت أنها ستملأ فراغ حياتها إن أنجبت طفلاً من سارتر. تقول ميشيل إن سارتر لم يرفض ذلك. بالطبع هو لم يتطلع إلى ذلك، لكن يسعده أن يمنح أطفالاً مثلما يمنح أي شيء آخر.

وكما شاء القدر، فإن ميشيل، التي كانت تغدو حبلى بسهولة كبيرة حين لم تكن تريد ذلك، لم تعد قادرة على الحمل. استشارت طبيباً نسائياً، فا كتشف أن هناك انسداداً في قناتي فالوب (قناتان تنقلان البويضات من المبيض إلى الرحم). أجرى لها عملية، ولكن بلا جدوى. في الماضي غدت حبلى من سارتر ثلاث مرات، وقد أجرت ثلاثة إجهاضات. وقد ظهر أن الإجهاض الأخير جعلها عقيمة.

تعاطف سارتر وبوفوار كثيراً مع كوبا. وقد ذهب إليها مع بوفوار من أجل ما دعاه «شهر عسل الثورة». كان في كوبا جوّ احتفالي، الشوارع مزدحمة بالناس الذين يرقصون. وقد كُرم الكاتبان في كل مكان ذهبا إليه. وقد أمضيا ثلاثة أيام حول الجزيرة مع فيدل كاسترو.

وقد نُشرت صور فوتوغرافية تُظهر سارتر وبوفوار يقفان بجانب الشاب كاسترو. وفي اليوم الثالث جلسا وتحدثا مع الثوريَّيْنْ كاسترو وتشي غيفارا. كان الرجال الثلاثة يدخنون السيجارات الثخينة.

وبعد عودته إلى باريس كتب سارتر سلسلة من المقالات حول كوبا «إعصار فوق قصب السكر». في حين نذرت بوفوار وقتها لألغرين. فطوال ثماني سنوات لم يريا بعضهما. كانا في البداية متوترين، ولكن سرعان ما شعرا بالاسترخاء. كان ألغرين يرتدي ذات السروال المخملي والسترة القديمة. كتبت بوفوار في مذكراتها: «على الرغم من سنوات الانفصال، والصيفين العاصفين لعامي ١٩٥٠ - ١٩٥١، أحسسنا بأنا قريبان كما كنا عام ١٩٤٩».

أمضت بوفوار وألغرين أياماً ممتعة في شارع شولشر. كان ألغرين يستيقظ قبلها لتحضير عصير البرتقال لكليهما. وضع آلته الكاتبة الكهربائية على طاولة صغيرة كان لانزمان يستخدمها. عملا معاً في الصباح، وفي الأصائل كانت تواصل العمل عند سارتر. سافرا إلى مرسيليا وإسبانيا وإسطنبول واليونان وكريت. أحياناً كانا يمارسان الجنس. في شهر آب، سافرت بوفوار مع سارتر إلى البرازيل، تاركة ألغرين وحده في شقتها. مكث فيها عدة أسابيع أخرى. ومن مدينة ريو كتبت بوفوار رسائل رقيقة إلى ألغرين، إلى «الوحش الذي دمر قلبي، إلى حبي البعيد». لقد أحبته «أكثر من أي وقت مضى وللأبد». كتب ألغرين ثلاث رسائل قصيرة تبعها صمت. وحين عادت بوفوار إلى

باريس في تشرين الثاني، أملت أن تجد حزمة من الرسائل. لم يكن ثمة أية رسالة. وكان ترك على الطاولة الصغيرة بعض الصور التقطت لهما في إسطنبول، وكتاباً وبعض المجلات وقصيدة. لكنه كان قد ذهب. افتقدته.

لم تستمتع بوفوار برحلتها إلى البرازيل. فقد أقلقها صمت ألغرين. وكانت ترغب في أن تتمشى مع سارتر، فقط وحدهما. بدلاً من ذلك ألقى المحاضرات حول الاستعمار، والحرب الجزائرية. كان ثمة لقاءات لا تنتهي ومقابلات ومؤتمرات صحفية ومآدب عشاء. وأينما ذهبا كان سارتر يستقبل كبطل، خصوصاً من الشبابَ. لكنه كان يعاني مرض الزونا الذي سببه العمل الشاق والإحباط.

ثم سقطت بوفوار مريضة. ففي بلدة صغيرة على نهر الأمازون أصيبت بحمى. كانا يخشيان الموت في ذلك المكان، فاستقلا طائرة إلى ريسيف. في الوقت الذي وصلا فيه، كانت بوفوار نصف ميتة. أمضت أسبوعاً في مشفى إذ اشتبه بأنها مصابة بحمى تيفية. وبينما كانت مستلقية في سريرها يتصبب منها العرق، حاول سارتر إغواء كريستينا، وهي صحفية برازيلية عذراء في الخامسة والعشرين ذات شعر أحمر. وحين استردت بوفوار قوتها كتبت إلى ألغرين وهي نصف مبتهجة ونصف يائسة:

كانت الفتاة مؤمنة بالله، وحين عرفت أن سارتر لا يخشى النوم معها، اعتقدت بأنه الشيطان بعينه. تشاجرا. شعر سارتر أنه في الجحيم بهذه البلدة العدائية، معي في المشفى ومع الفتاة المذعورة ذات الشعر الأحمر. فصار يشرب الكحول، وفي الليل يبتلع حبوب الغاردينال لينام. كان حين يصحو لا يستطيع الوقوف على ساقيه، فكان يتكئ على الجدران ويمشي بتثاقل. وحين يأتي إلى المشفى يبدو مترنحاً.

شربت الفتاة أيضاً. وحين استرددتُ صحتي تماماً أمضينا ليلة مجنونة، حطمت الفتاة الكؤوس بيديها العاريتين ونزفت بغزارة وهي تردد أنها ستقتل نفسها، لأنها أحبت سارتر وكرهته. نمت معها في السرير ممسكة بيدها لأمنعها من القفز من النافذة... ستأتي إلى باريس. وقال سارتر ربما أتزوجها! ماذا عن الجزائرية؟ حسن، ذلك هو المستقبل.

لم يكن هناك رسائل من ألغرين، لكن كان ثمة الكثير من الرسائل المقلقة والمكالمات من باريس. فقبل أن يغادرا كان سارتر وبوفوار ضمن ١٢١ من المثقفين الفرنسيين الذين وقعوا على «بيان الـ ١٢١»، يطالبون فيه باستقلال الجزائر، وبالعفو عن جميع الجنود الفرنسيين الذين رفضوا حمل السلاح ضد الشعب الجزائري. ومن ضمن الأسماء الأخرى المعروفة كان هناك أندريه بريتون، مارغريت دورا، ميشيل ليريس، ألان روب غرييه، ناتالي سارو، سيمون سينوريه. ومن «الأزمنة الحديثة» بوست، لانزمان، بوالون، بوتاليس.

الشيء الآخر الذي حدث أثناء غيابهما كان محاكمة فرانسيس جينسون، وهو عضو في لجنة «الأزمنة الحديثة» عمل من أجل جبهة التحرير الوطنية الجزائرية. وأثناء المحاكمة قرأ محامي الدفاع رسالة من سارتر ورد فيها ما يلي: «إن طلب مني جينسون أن أحمل حقائب أو أن أمنح ملجأ للمناضلين الجزائريين، وإن استطعت فعل ذلك من دون أن ألحق بهم الخطر، فسأفعل ذلك من دون تردد». أحدثت الرسالة ضجة كبيرة، واتهم سارتر بالخيانة العظمى.

وقرب نهاية تشرين الأول، حين كانت بوفوار وسارتر على وشك العودة إلى الوطن، هتف لانزمان ليقول: نظراً للظروف الحالية ينبغي عليهما عدم الهبوط في باريس، فهناك تهديدات بقتل سارتر. وقد احتشد خمسة آلاف من المحاربين القدماء في الشانزيليزيه ينادون

بقتل سارتر! وقد سبق أن اتهم ثلاثون من الذين وقعوا على البيان. بعضهم طردوا من عملهم، وهُدد الجميع بالسجن مدة خمس سنوات. كان الجو مشحوناً بالتوتر، وهناك خطرٌ من احتمال اغتيال سارتر أو زجه في السجن حال عودته. كانت بوفوار في خطر أيضاً، فالجناح اليميني المتطرف يعرف أنه بتهديدها سينال من سارتر. وكانت قد جلبت لنفسها المتاعب بدفاعها الجريء، الذي نشر في «اللوموند» عن جميلة بوباشا، الجزائرية المسلمة وعضوة الجبهة الوطنية لتحرير الجزائر، التي عذبها الجنود الفرنسيون بوحشية، واغتصبوها بوساطة زجاجة مكسورة.

غير سارتر وبوفوار طائرتهما نزولاً عند رغبة أصدقائهما وإصرارهم، وهبطا في برشلونة. قابلهما بوست وبوالون، وانضم إليهم لانزمان خارج باريس. اتخذوا طرقات خلفية ودخلوا المدينة.

اتسمت الشهور التي تلت بإيقاعٍ غريب. كان سارتر وبوفوار يعيشان معاً، وبسبب التهديدات نادراً ما كانا يخرجان. تناولا النقانق والطعام المعلب. وقد كتبت الفتاة البرازيلية رسائل عاطفية، ومع ذلك قرر سارتر ألا يتزوجها. وظهر كتاب بوفوار «ريعان الحياة» في تشرين الثاني وقوبل بالاستحسان. وأقر النقاد بأن كتابة بوفوار الأكثر تشويقاً هي التي تدور حول حياتها.

دعي سارتر إلى مؤتمر صحفي في شقة بوفوار للاحتجاج على العقوبات التي فُرضت على ثلاثين شخصية كانت وقعت على البيان «إذا اتُّهم هؤلاء الأفراد باقتراف ذنب، فإننا في هذه الحالة كلنا متهمون. وإذا كان الأمر غير ذلك، فدعوهم يسحبون القضية».

في النهاية سُحبت الاتهامات. و لم تكن الحكومة تحضّر للضغط على

سارتر، فقد قال دوغول «إياكم وسجن فولتير[٢١]»، يقصد سارتر. و لم يُعاقب الآخرون.

لقد حماهم اسم سارتر من السجن، لكنه لم يستطع أن يحول دون فقد أصدقائه لأعمالهم. وقد ذكّرهم ذلك بالمكارثية الأمريكية. فهؤلاء الذين استخدمتهم الدولة - أساتذة، عاملون في الإذاعة والتلفزيون - كانوا قد وُضِعوا في القائمة السوداء وطردوا. وأوقف جان بولان عن العمل طوال ستة أشهر من دون رواتب.

أوشكت الحرب الجزائرية أن تنتهي. فقد تحدث دوغول حول الاستقلال. كانت ردة الفعل من جانب الجناح اليميني للقوميين الفرنسيين وحشية. ففي تموز عام ١٩٦١ ضُربت شقة سارتر في شارع بونابرت بالمتفجرات. لم تكن الأضرار فادحة جداً، لكنه نقل أمه إلى فندق في بوليفار راسبيل، وأقام هو في شقة بوفوار. وفي تشرين الأول تظاهر ثلاثون ألف جزائري احتجاجاً على فرض منع التجول على المسلمين في باريس ابتداءً من الثامنة والنصف مساءً. كانت مسيرة سلمية إلى أن تدخلت الشرطة الفرنسية التي انقضّت عليهم. أطلقت النار عليهم، ضربتهم بالهروات، قذفت بعضهم إلى نهر السين. قُتل على الأقل مئتان من الجزائريين. وقد أخفت الصحافة الرسمية تلك القسوة. لكن «الأزمنة الحديثة» كشفت حقيقة تلك الممارسات، وتلك الكراهية.

وفي حالة الغضب من الاستعمار وجرائمه شرع سارتر بكتابة مقدمة لكتاب فرانز فانون «معذبو الأرض». كان فانون قد قابل سارتر

٢١- فولتير ١٦٩٤ - ١٧٧٨، شاعر وكاتب مسرحي، وفيلسوف فرنسي يعد واحداً من أعظم رجال الفكر في القرن الثامن عشر. (المترجم)

في روما في الصيف الماضي، وعلى الرغم من أن فانون كان يعاني مرض سرطان الدم، تحدث مع سارتر بإلحاح محموم طيلة ثلاثة أيام وليال. كان فرانز فانون الطبيب النفساني الأسود من مواليد المارتينيك، وكانت تربطه علاقة وثيقة مع جبهة التحرير الوطنية الجزائرية. وقد طرح في كتابه فكرة أن العنف كان «قوة مطهرة» بالنسبة للعالم الثالث، قوة تعيد الاعتزاز واحترام الذات إلى الوطنيين الأصليين الذين استُعمروا.

اتفق سارتر معه على ذلك الرأي، فقد كتب في مقدمة الكتاب؛ لقد كان لزاماً على المضطهَدين أن يردوا على العنف، إنها الطريقة الوحيدة لينالوا بها حريتهم. وسيغدو كتاب فانون مع مقدمة سارتر «الكتاب الأحمر» بالنسبة لثوار العالم الثالث.

في كانون الثاني عام ١٩٦٢ دمرت قنبلة ثانية شقة سارتر في شارع بونابرت. لم يكن سارتر ولا أمه هناك. لكن أُتلفت محتويات الشقة، وضاع الكثير من مقالات سارتر ومحاضراته وبحوثه. بقيت والدة سارتر في الفندق، واستأجر سارتر استديو في الطابق العاشر من مبنى حديث في ٢٢٢ بوليفار راسبيل. لم يكن ثمة أثاث كامل في الشقة. كان هناك طاولة بيضاء من الفورمايكا يعمل عليها، والكتب مبعثرة على الأرض. وكل ما أُنقذ من شقة والدته كان كرسياً خشبياً ورثه عن جده. أخبر سارتر صديقته ليليان زيغل قائلاً: «هذا الكرسي هو الشيء الوحيد الذي يهمني، باستثناء كتبي بالطبع». تفحصت زيغل الكرسي بريبة، فقال سارتر: «أحبه لأنه غير مريح فإني لا أحب الكراسي التي تفسد».

في المرة الأولى التي أتت زيغل إلى الشقة راعها قبح المكان. كانت زيغل هي آخر امرأة يهودية جميلة عانت مشاكل، وقد خلصها منها بوساطة التحليل النفسي الوجودي (كان بارعاً في استجرار الناس إلى

التحدث). وقد كتبت تقول: «كان يكتشف أقل زعم وأصغر كذبة، كان يفسر الصموت، ويلاحظ تعابير الوجه، يدرس كل شيء بدقة. لا يقوم بتنازلات، يعود إلى عبارة سابقة تتطلب معلومات أوفر...كان يرغب في معرفة كل شيء أو لا شيء». كانت تأتي لتتكل بجدية على لقاءاتهما. كان لديها نزعة عملية، تستطيع قيادة سيارة، وترغب في مساعدة سارتر متى تستطيع. اشترت مقعدين خشبيين، واحد لسارتر وواحد لبوفوار - ورفوفاً للكتب وقناديل.

في حزيران عام ١٩٦٢، سافر سارتر وبوفوار إلى موسكو، في الوقت الذي نالت فيه الجزائر استقلالها. كانا يشعران بالخيبة من فرنسا ومن آلاف الضحايا التي سبَبَها التشبث بالاستعمار. كانا غاضبين من الحكومة الأمريكية التي ضربت حصاراً اقتصادياً على كوبا. وأثناء أزمة خليج الخنازير كتبت بوفوار إلى ألغرين تقول: «يبدو أن كينيدي القذر سائر نحو خلق اضطرابات جدية لدى كاسترو. أكره هذا الولد بابتسامته العريضة، وأكره زوجته ذات الابتسامة العريضة».

صعدت بوفوار وسارتر سلم الطائرة آملين بيأس أن يريا دلائل الحرية في الاتحاد السوفييتي.

-١١-

الليالي البيضاء، فودكا ودموع

حزيران ١٩٦٢ - تشرين الثاني ١٩٦٦

بعد تنديده الشديد بالاجتياح السوفييتي لهنغاريا عام ١٩٥٦، دُهش سارتر حين تلقى دعوة من اتحاد الكتاب السوفييت. ولكن تحت حكم نيكيتا خروتشوف، كان الاتحاد السوفييتي يجتاز فترة ما دُعي بفترة الانفراج. فقد أدان خروتشوف الانتهاكات والتطهيرات التي جرت في صفوف الحزب، في نظام ستالين. وقد نبه إلى أن الثقافة السوفييتية لن تستطيع البقاء إلى الأبد في سبات جليدي، وشرع في التخلص من السياسة الستالينية، للتحرر من الرقابة. لقد التمس الكاتب إيليا أهرنبورغ (الذي لم يكن عضواً في الحزب لكنه مقرب منه) من خروتشوف أن يتيح فرصة من أجل التبادل الثقافي بين الشرق والغرب. وكما أشار أهرنبورغ، فإن جان - بول سارتر - المثقف الأكثر شهرة في فرنسا، والمناضل الفعال من أجل السلام العالمي، والذي ينتمي إلى الجناح اليساري من دون أن يكون عضواً في الحزب الشيوعي - هو الرجل الذي ينبغي اكتسابه.

انطلق سارتر وبوفوار إلى موسكو في الأول من حزيران عام ١٩٦٢.

كانت لينا زونينا، الدليلة والمترجمة من اتحاد الكتاب السوفييت، في المطار لاستقبالهما، ولتغدو تحت تصرفهما خلال إقامتهما المؤقتة التي ستدوم ثلاثة أسابيع. كانت زونينا ناقدة أدبية ومترجمة، وهي مختلفة عن الروس الآخرين الذين سيقابلونهما، فهي تعرف أعمالهما جيداً، وتأمل أن تترجم بعضاً منها.

كان لدى سارتر وبوفوار انطباع بأن الاتحاد السوفييتي بدأ يخرج من عصور الظلام. فلأول مرة يستمع الروس إلى موسيقا الجاز، ويرقصون الروك أندرول، ويقرؤون مترجمات لكتاب أمثال فوكنر وهمنغواي وسارتر وكامو. وقد أجاز خروتشوف لصحفية «العالم الجديد» بنشر رواية «يوم واحد في حياة إيفان دنيتسوفيتش» للكاتب المجهول ألكسندر سولجينتسن، الذي أوشك على الموت في معسكر للأشغال الشاقة في سيبيريا. لم يسبق أن نُشر في الاتحاد السوفييتي كتاب يصور الحياة في غولاج gulag (شبكة من السجون السياسية ومعتقلات التعذيب)..

في هذه الزيارة تحرر سارتر من الولائم الرسمية التي فرضت عليه عام ١٩٥٤. كان هو وبوفوار يدعيان إلى منازل الناس حيث يستطيعان التحدث بحرية مع الكتاب والمثقفين. وأينما ذهبا كانت زونينا إلى جانبهما. وقد جرى التركيز على زيارتهما لمدينة لينينغراد (الآن بطرسبورغ)، المدينة التي وجداها ساحرة مثل روما. تمشيا مع الحشد بجانب نهر النيفا، ووقفا أمام قصر الشتاء، متأملين عنف الثورة الذي جرى في ذلك المكان الرائع – مشاهد طبعتها في ذهن كل منهما الصور والأفلام. وستكتب بوفوار حول سحر الليالي البيضاء في هذه المدينة.

على الرغم من جو الحرية النسبية، كان من السهل البقاء بمعزل عن الحياة اليومية في الاتحاد السوفييتي. ففندق بكين في موسكو، حيث

يقيم سارتر وبوفوار، كان عالماً قائماً بذاته، كان قصراً للأجانب. لم يرغبا في الأكل هناك، وطلبا من زونينا أن تأخذهما إلى المطاعم المحلية، وذلك يعني أن تصطف في الدور مع الموسكوفيين. وفي بعض الليالي أخذتهما إلى نادي الكتاب.

شعرا بالارتياح حين اكتشفا أن زونينا ليست ستالينية. كانت ذات مرة. كان اسمها الحقيقي «لينينا» يعكس التزام والديها بالثورة. وكانت تفضل اسم «لينا». كانت عائلتها، حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، معجبة بستالين. ثم حل التطهير اليهودي. ففي عام ١٩٤٩ اعتقل والدها الكاتب ألكسندر زونين بدعوى أنه «غير متحرر من الأحقاد القومية»، وأرسل إلى معسكر في كازاخستان، ولم يسمح لابنته زونينا بمتابعة دراستها الجامعية بحجة أنها «عدوة الشعب».

لقد استخدمها إيليا أهرنبورغ سكرتيرة له لأنها تجيد الكتابة باللغة الفرنسية. وكان وضع أهرنبورغ محفوفاً بالمخاطر. فقد كان يهودياً مثلها. ولأنه عاش نحو عشرين عاماً في باريس، فقد بنى علاقة قوية مع المثقفين الغربيين. كان محظوظاً إذ نجا طوال هذه المدة، وكان يدرك ذلك.

حين أطلق سراح والدها من المعسكر في عام ١٩٥٥ عادت زونينا إلى جامعة موسكو لتتابع، بعد تخرجها، دراساتها العليا في اللغة الفرنسية. وقد أتاح لها ذلك عملها الحالي - في قسم الهيئة الدولية، وهو القسم الأكثر اعتباراً في اتحاد الكتاب.

في الثامنة والثلاثين - تزوجت مرتين وتطلقت - عاشت زونينا مع والدتها وابنتها الصغيرة ماشا البالغة من العمر سنتين. وقد شقت زونينا طريقها في الحياة بصعوبة. فبعد ولادة ماشا أصيبت بداء السكري،

فكان عليها أن تتبع نظام حمية شديدة، وحقن نفسها بالأنسولين ثلاث مرات يومياً. إن حساسيتها من أنسولين الخنزير الذي ينتج في الاتحاد السوفييتي، جعلها تعتمد على أصدقاء لها في السفارة الفرنسية ليجلبوا لها الأنسولين من الغرب. كانت تضع في حقيبة يدها خبزاً لتأكل منه إذا تعرضت لنقص السكر. وفي أحد الأيام، في مطعم بموسكو، رآها سارتر وبوفوار وهي تنهار أمام أعينهما.

ستكتب بوفوار في مذكراتها: «ليس ثمة شيء فاتر بخصوص لينا. كان لديها إحساس عميق بالحقيقة والعدالة. لكنها لم تنغمس أبداً بالدوغماتية والتزمت. كانت مرحة وتهكمية، وأحياناً هزلية جداً... كان ثمة رباط بيننا من الصعب تحديده - تفاهم، تواصل فوري... كنا نشعر بمتعة كبيرة في التمشي معها هنا وهناك، أو الجلوس في شقتها نتحدث ونحتسي الفودكا».

بالمقابل، أُعجبت لينا بكتابات سارتر وبوفوار، وبالتزامهما السياسي، واستقلالهما كزوجين. لقد شعرت بالرهبة وهي تنتظرهما في المطار، لكنها ارتاحت بسرعة فائقة في صحبتهما، ووجدت نفسها تمزح وتضحك معهما. وستسرد عليهما شيئاً من سيرة حياتها.

* * *

بعد أسبوعين من عودتهما إلى باريس، سافر سارتر ثانية إلى موسكو، هذه المرة وحده. قصد موسكو ليشارك في مؤتمر السلام العالمي فيها، والذي يبدأ في ١٠ تموز وينتهي في ١٦ منه عام ١٩٦٢. ومرة ثانية كانت لينا زونينا مترجمته الرسمية. ونظراً لأن الجلسات تبدأ منذ الصباحات الباكرة، أقامت أيضاً في الفندق ذاته.

حالما عاد سارتر إلى باريس، كتب لها العديد من الرسائل العاطفية.

لم يسبق له أن تذكر رقم غرفة في فندق، لكنه لم ولن ينسى الرقم ٦٠٦ حتى شيخوخته. فطوال ست ليال، كانت غرفتها بمنزلة منزلهما المشترك. لقد عشقها. اشتاق إلى حضورها، إلى صوتها القاتم، إلى ثدييها وبشرتها الناعمة. اشتاق إلى شعرها الكثيف، وإلى كتفيها العاريين، إلى ابتسامتها.

كتب سارتر: كم كانت ابتسامتها رقيقة ورائعة في المطار. لقد صعد إلى الطائرة وبه إحساس مؤلم. وحين جلس في مقعده، مرهقاً موجعاً، راح يذرف الدموع. استغرقت الطائرة عشرين دقيقة لتصعد عبر السحب. عندئذ أشعل لفافته الأولى. لم يستطع النوم طوال ثلاث ساعات ونصف. لم تدعه لينا ينام، وحين بدأ يغفو قليلاً أيقظته هزة عنيفة، هزة الذكرى.

كان يدعوها «امرأتي». حين كان في موسكو شعر كأنهما زوجين. كانا يذهبان معاً إلى بيوت الأصدقاء، وينسحبان معاً. في جلسات المؤتمر كان يشعر بجسدها الجميل الثقيل إلى جانب جسده. ترى هل لاحظت أن شفاههما أو أعضاءهما كانت دائماً على وشك التلامس؟ لقد أحب اللحظة التي كانت تطلب فيها أن يشعل لفافتها لتتلامس أصابعهما.

كانت مشغولة جداً، تجري في كل مكان، وتنظم الكثير من الأمور. هل تتذكر ذلك الصباح حين ردت على الهاتف وفرشاة أسنانها في فمها؟ لقد أحس بالسعادة والحرية والسكون معها في موسكو.

اعتنت به وحمته. جعله ذلك يشعر بالأنوثة. كان يتوجب عليها أن تكون إلى جانبه لكي يكون مفهوماً. كلماته الفرنسية مارست الحب في الهواء مع كلماتها الروسية. وحين عاد إلى باريس لم يستطع الاعتياد على الحديث مع الآخرين من دون وسيط.

حبهما كان محرَّماً، هكذا أخبرها، مثل روميو وجولييت. يفصلهما عن بعض ثلاثة آلاف كيلومتر والستار الحديدي. وتعتمد وسيلتهما للقاء على سياسات الحرب الباردة. سوف لا يريان بعضهما طوال ستة أشهر، وسيكون الأمر صعباً. ترى هل تجد زونينا تلك الستة أشهر طويلة جداً؟ لقد أخبرته أنها هي التي كانت دائماً تنهي علاقاتها مع الرجال. ذلك ما جعله قلقاً.

أكد لها أنه لا ينبغي عليها أن تقاسي بسببه. يفضل أن تُقتلع عيناه من أن يسبب لها الألم. أمل أن يستطيع الاعتماد عليها، وأن يكون الخطر الوحيد على حبهما خارجياً. ينبغي عليهما أن يكونا قادرين على تبادل الائتمان والثقة.

وتجنباً للرقابة السوفييتية، كان سارتر وزونينا لا يتبادلان الرسائل عن طريق البريد. كانا ينتظران أحد الموثوقين الذي يتنقل بين باريس وموسكو لنقلها – على الأغلب إيليا أهرنبورغ أو صديق من السفارة الفرنسية في موسكو. كان يستغرق وصولها أحياناً عدة أسابيع. كان سارتر الذي يحب أن يكتب لزونينا كل يوم، يرسل رسائل يتجاوز عدد صفحاتها الأربعين صفحة أو أكثر. وكان يضع الرسائل في طرد صغير يتضمن مقالات أو مخطوطات، ترسلها ظاهرياً بوفوار، التي تعنون الطرد.

بدا سارتر على مر السنوات سريع التأثر بالسحر السلافي. لكن نينا كانت مختلفة جداً. فبخلاف الأختين كوزاكوفيتش وناتالي سوركين، لم تكن نينا «روسية بيضاء»، ولم تفر عائلتها من ثورة عام ١٩١٧. وكانت يهودية. كانت تمثل بالنسبة لسارتر عدة أشياء: السلافية، الثورة الشيوعية، مقاومة الاضطهاد السامي. وقد جعلته حياتها الشاقة يشعر بالذنب. كان يتبادر إلى ذهنه صعودها المتثاقل على السلالم حتى الطابق الخامس، ويشعر بالغم كلما دخل إلى مصعده.

اعترضت زونينا، وعدت سارتر عاشقاً بالوهم. فهي لا ترغب في أن ترمز إلى «روسيا الأم». ترغب في أن تكون عشيقته، وليست عشيقته السوفييتية.

أكد لها سارتر أن ليس ثمة وهم. إنها لاجئته. أرادها لكي يكون سعيداً، ولكي يشعر بذاته. هناك اثنان فقط يهمه أمرهما: بيفر وصغيرته لينتشكا.

* * *

ترى هل كانت زونينا عميلة الـ KGB (الشرطة السرية السوفييتية)، دُفعت للتقرب من سارتر وللوشاية به؟ كان هذا الإلماع يطفو هنا وهناك من وقت لآخر، وكان سارتر نفسه مطلعاً على الشائعة، وقد ضحك منها. ولكن ماذا كان يعني بالنسبة لسارتر أن يقع في حب ممثلة رسمية للحكومة السوفييتية؟

كانت منظمة اتحاد الكتاب كبيرة، وتضم نحو ستة آلاف عضو، وقد أسستها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي. كان الموظفون فيها ذوي المراتب العالية أعضاء في الحزب الشيوعي، ومعظمهم عملاء في الـ KGB. وكان المترجمون الذين يعملون في الهيئة الدولية يتمتعون بمزايا محددة، مثل السفر، ولو أنهم حين يسافرون إلى الغرب، يرغمون على ترك أفراد عائلتهم، فيما لو ساورتهم أية أفكار حول الارتداد. وكلما تحدثوا إلى الأجانب، يجري التحقيق معهم على نحو تفصيلي.

لم يكن جان - بول سارتر عالماً نووياً، وليس لديه أسرار تهم الروس. وتكمن أهميته كأداة دعاية. وقد أشارت زونينا، في أول تقرير لها، إلى أنه «ليس ثمة مبالغة في أهمية زيارته، فتأثيره على طبقة المثقفين الطليعيين كبير جداً في هذه المرحلة».

إن موقع زونينا سيكون مستحيلاً إن هي وقعت في حب مفكر غربي انتقد بشدة الاتحاد السوفييتي. لكنها لم تسمح بذلك. فخلال السنوات التي كانا فيها عاشقين (١٩٦٢ - ١٩٦٦)، كان سارتر متوافقاً مع الدعاية السوفييتية على نحو كامل تقريباً. ففي زيارته للاتحاد السوفييتي أوضح لكل شخص قابله أنه كان هناك لأنه رغب في تثمين الأمور الإيجابية. كان، مثلهم، ملتزماً بالسلام في العالم. وكان يتوق إلى تعزيز الروابط الثقافية بين الشرق والغرب. حتى إنه كتب في مقدمته لكتاب «الكلمات» الذي ترجمته لينا زونينا إلى اللغة الروسية: «إن الحدث الكبير في حياتنا كان ثورتكم».

كانت لينا زونينا أكثر انتقاداً للدولة السوفييتية من سارتر. فقد ظلت مخلصة لإيليا أهرنبورغ، الذي وقع التماسات أبقت على المسافة بينه وبين اتحاد الكتاب، وتجاسر على التعبير عن أفكاره الإيجابية حول شخصين كانا مذمومين في الدوائر الحزبية - باسترناك وسولجنتسن. وفي دائرة الأشخاص الذين تخالطهم زونينا، كان كل واحد منهم نقاداً للدولة - على الأقل في خلوات منازلهم.

في الواقع، كان أغلب المثقفين السوفييت مفكرين تحرريين، وقد شعروا بخيبة لأن سارتر، على الرغم من موقعه المؤثر، لم يفعل شيئاً يتحدى به الدولة السوفييتية. يقول جيلبير داغرون، الذي كان ملحقاً ثقافياً في السفارة الفرنسية في موسكو وصديقاً مقرباً من لينا زونينا: «لقد وجدوه ساذجاً بل غشاشاً. فقد رأى الأمور، لكنه لم يقل شيئاً». كان سارتر يخشى دائماً من الصحافة المحافظة التي ستستغل أي نقد يوجهه للاتحاد السوفييتي كدعاية للجانب الأمريكي. وقد تحدث داغرون مع سارتر مدة ساعة في غرفته بفندق بكين. وقد علق سارتر قائلاً: «إن أموراً محددة كانت مخزية»، وحثه

داغرون على الكتابة حولها، فقال سارتر: «لا أستطيع، إذ ستبجلني صحيفة الفيغارو».

هل كانت الـ KGB على علم بعلاقة زونينا الغرامية بسارتر؟ من المستحيل أنها لم تكن تعلم. فالضيوف الأجانب كانوا دائماً تحت المراقبة المشددة. وكما أشارت بوفوار في مذكراتها، كان هناك مراقبون في ممرات الفنادق السياحية.

وهل كانت السلطات قلقة إزاء العلاقة؟ لقد جذبت سارتر إلى الاتحاد السوفييتي أكثر مما لو لم تكن، مما جعل الاتحاد السوفييتي يبدو جيداً. فإن كان هدف السلطات السوفييتية هو أن تترك انطباعاً حسناً في نفس سارتر حول الحرية في الاتحاد السوفييتي وحول كرم الضيافة السوفييتية، فما كان باستطاعتهم أن يفعلوا أفضل. ومع سارتر أتى دور سيمون دو بوفوار، فقد كانت مذكراتها رائجة جداً في الغرب. وفي مؤتمر صحفي جرى في موسكو في حزيران عام ١٩٦٢، وعدت بنقل انطباعاتها الإيجابية حول الاتحاد السوفييتي في المجلد التالي.

لم يكن لدى زونينا وسارتر أوهام بأن السلطات لاتعرف شيئاً حول علاقتهما. ولم يكن لدى لينا شك في أنها ستسأل حول ذلك. كان عليها أن تتصرف وكأن سارتر لا يعلم بأن السلطات تعلم. وكان على سارتر أن يتصرف وكأنه لا يعلم أنهم يعلمون. بالنسبة لسارتر، الذي كانت تفتنه الأقنعة التي يرتديها البشر، والأدوار التي يلعبونها، فإن لعبة التجسس المعقدة هذه، ستكون خادعة.

إن حفنة من تقارير زونينا إلى اتحاد الكتاب كانت قد نشرت في الصحيفة الفرنسية «كومينتير». وكانت بمجملها غير مؤذية. فقد كتبت، على سبيل المثال، إن رحلة سارتر الأولى كانت صعبة التنظيم،

إذ كان عليهم أن يأخذوا بالحسبان نفاد صبره تجاه أية إشارة على ما كان يدعوه «دعاية». وقد أوضحت أن سارتر وبوفوار كانا قد رغبا في قضاء يوم في زيارة معالم روستوف مع الكاتب إيفيم دورروش، فلم تسمح السلطات بذلك. فأصر سارتر بغضب على العودة إلى موسكو. وفيما يتعلق بزيارات سارتر المستقبلية، التزمت زونينا بهذه النصيحة: «ينبغي أن يخطّط برنامجه بطريقة يحصل بها على انطباع بأنه سيتاح له مقابلة هؤلاء الأشخاص الذين يود فقط مقابلتهم... في اختصار، إنه يحتاج إلى أن يتولد لديه انطباع بأنه هو الذي قرر برنامجه». يستطيع المرء أن يتخيل سارتر يملي أوامره هذه على زونينا وعلى وجهه ابتسامة عريضة.

في حضور سارتر وبوفوار فقط، كانت لينا تعبر عن نفاد صبرها من رؤية سارتر الوردية للشيوعية. كان سارتر، بالنسبة لها، مفكراً غربياً مثالياً متخماً بالأوهام. وستقول لأصدقائها بعد مغادرته: «إنه لا يريد أن يفهم».

كان سارتر وبوفوار في روما في منتصف آب عام ١٩٦٢ حين سلم الكاتب الإيطالي كارلوليفي، الذي عاد لتوه من موسكو، سلم سارتر رسالة من زونينا. وقد أخبر سارتر زونينا فيما بعد أنه أخذ الرسالة متظاهراً باللامبالاة، ودسها في جيب سترته العليا، حيث مسدها بأصابعه بإثارة.

كتب إليها أن من المُطَمئن أن يعرف أنها أحبته، ولكن هل يمكنه التأكد من أنها بخير الآن؟ مر شهر كامل منذ أن كتبت تلك الرسالة. كان قلقاً من أنها ربما لم تكن مشتاقة إليه على نحو كافٍ، أو ربما مشتاقة إليه كثيراً. إنه لا يستطيع أن يتحمل إمكان إصرارها على أن حبهما كان صعباً جداً.

كان سارتر وبوفوار يقيمان في ضاحية من ضواحي روما، في منطقة حديثة تقع على تل. كانا يفضلان روما القديمة، لكنهما أرادا تجنب الحرارة والتلوث. وكانت بوفوار على وشك إنهاء المجلد الثالث من مذكراتها الذي كان سارتر يقرؤه في الأمسيات. وقد وجده جيداً - حتى إنه أجود من المجلد الثاني، الذي كان أيضاً أجود من الأول. كانت السياسة حجر عثرة أضجرت بوفوار بالقدر الذي أضجرته. ينبغي عليها إجراء بعض التعديلات. وقد قدَّرا أنه يحتاج إلى ستة أشهر أخرى ليجهز. لم تكترث بوفوار فهي تعشق كتابة مذكراتها. في الأمسيات كانا يتحدثان حتى وقت متأخر من الليل. وقد أحب سارتر الحديث حول زونينا. علل ذلك بقوله «بيفر هي الصدق. ذلك أنه من المريح بالنسبة لي أن تخبرني بأنك تحبينني». وقد صرحت أيضاً بأن زونينا هي الوحيدة بين نساء سارتر الجديرة باحترامه، وإن حدث لها شيء - لبوفوار - ينبغي عليه أن يتخلص من الأخريات ويضع نفسه بين ذراعي زونينا.

أخبر سارتر زونينا أنه تغير في الاتحاد السوفييتي. فقد غيرته. من خلالها استعاد حساسيته. من خلالها استعاد شبابه. لقد أعادت إليه ناره القديمة.

ترى هل كانت تأكل في نادي الكتاب في تلك الليلة؟ هل ترنو بعينيها إلى رجال آخرين؟ تذكّر أنها وعدت أن تخبره إن لم تعد مخلصة له. كان قلقاً من مرضها بداء السكري الذي ربما ازداد سوءاً. إنه لا يستطيع الانتظار حتى يراها. إنه يعشقها. سيخبرها في رسائله بالقدر الممكن حول حياته اليومية. إنه يرغب في أن تكون قادرة على تصور الأشخاص في حياته.

كتب سارتر، كان بوست أيضاً في روما في ذلك الصيف. إذ كانا

يعملان معاً في سيناريو فيلم فرويد الذي سيخرجه جون هيوستن. وقد انضمت إليه أولغا تواً. كانا شخصين جيدين، ومع ذلك حطم كل منهما قلب الآخر. لم تكن أولغا سعيدة، وهذا ما جعل بوست يشعر بالذنب. تبدو أولغا أكبر من سنها. لاشك أن ذلك ناجم عن أصابتها السابقة بالسل، وهوسها الدائم بتخفيف وزنها. لم تعد عيناها الشاحبتان تعكس أي انطباع في وجهها. شعرها الأشقر والكثيف أصبح أصحرَ جافاً من كثرة الصباغ والغسيل. منذ أن أصيبت بالسل عاشت مع بوست مثل أخت وأخ. في هذه الأيام كان بوست واقعاً في حب امرأة أخرى، أمريكية تعيش في باريس. خمنت أولغا ذلك لكنها لم تعرفها. إنها غيورة على نحو مرعب.

* * *

كان سارتر قد عاد إلى باريس، وهو يكتب الآن لزونينا من شقته في الطابق العاشر. كانت صورتها معلقة على الجدار أمام مقعده. لقد عاد للعمل في دراسته عن فلوبير، التي كان قد وضعها جانباً خلال سنوات سبع. أخبرها بأنه كان فزعاً منها. فتحت تأثير الكوريدران كان يكتب الصفحة تلو الأخرى معتقداً أنه عبقري. الآن تبدو له كأنها كتابة مجنون. لكنه يرغب في إنهاء هذا الكتاب، فما زال فلوبير يفتنه. أخبر زونينا أنه، ماعدا العمل، كان منشغلاً (بجولته الطبية) المعتادة. هكذا كان يشير إلى النساء في حياته. واندا في الرابعة والأربعين، وقد اعتزلت العالم. إنها تسرف في معاقرة الخمر بسبب التعاسة والحقد. كانت تمثل أدواراً في مسرحياته من دون أدنى نجاح. إنه لا يعتقد أنها تمثل على نحو سيِّئ - ولا جيد أيضاً - لكن لا أحد عداه يستخدمها. تكمن المشكلة في أنها تحب التمثيل لكنها لا تحب الجمهور، والجمهور يشعر بذلك. إنه يشاهدها لساعتين، ثلاث

مرات في الأسبوع. إنه يساعدها إلى حد ما لتتمكن من دفع فواتير الغاز والضرائب وما إليه. لكنها تكره الإيضاحات، فتصرخ في وجهه «اسكت، اسكت، دعني أتكلم!»

إيفلين أيضاً كانت ممثلة من دون ارتباطات. لقد كتب لها دوراً في مسرحية «مذنب ألتونا»، لكنها كانت سيئة الأداء، والنقاد قالوا ذلك. في النهاية، أدرك سارتر أنه لم يقدم لها خدمة. كانت إيفلين ذكية جداً، لكنها ليست مغرورة، وهي تبحث دائماً عن التأييد بانفعالات عنيفة لا تدوم طويلاً. وفي كل مرة هناك انفجار يتبعه طوفان من دموعها. وحين تركها آخر عشيق حاولت الانتحار. يراها سارتر ثلاث مرات في الأسبوع، ساعة ونصف في كل مرة.

كانت آرليت إيلكايم ذكية أيضاً، لكنها كسولة ودائماً مريضة. اتخذت عشيقاً، هو أندريه بيوج وهو كاتب طامح، ويعاشر امرأة أخرى، وهذا ما جعلها تعيسة.

لكن ميشيل فيان هي التي تقلقه في هذه الأيام. فلديها مصيبة كبيرة. فمنذ سنوات كانت تعيش مع عازف كلارينيت لموسيقا الجاز هو أندريه ريويليوتي. وفي ذلك الصيف، في نهاية تموز، كانا متوجهين بسيارته المكشوفة لقضاء عطلة. وكان أندريه يقود بسرعة كبيرة، فخرجت سيارته عن الطريق. قُذفت ميشيل على جانب الطريق المعشب ولم تصب بأذى. أما أندريه فقد علق في عجلة القيادة. وطوال ساعتين، قبل قدوم سيارة الإسعاف، كانت ميشيل تحضن رأسه محاولة إيقاف الدم المنبثق من فمه. وبعد يومين من السبات توفي.

أمضت ميشيل بقية الصيف وحدها في شقتها في باريس. كانت مصابة بالأرق، والآن تخاف الليالي أكثر من أي وقت. كانت هي

وأندريه يحبان بعضهما. وكانت مديرة أعمال فرقته الموسيقية. حياتها فارغة جداً الآن. سيحاول سارتر أن يراها أكثر في الأشهر القادمة.

أكد سارتر لزونينا أنه لم يعد لديه أي أثر من مشاعر الحب تجاه ميشيل. هما الآن صديقان قديمان لا غير. إنه يحترم كفاحها ضد الجنون. في هذه اللحظة يشعر بتعاطف عميق معها.

ردت زونينا برسالة نكدة. إذ بدا لها أن سارتر وبوفوار أمضيا وقتاً أنيساً في روما. ثم هذه القصص حول نساء سارتر أقلقت زونينا. فقد بدا لها أن سارتر لن يطول به الأمر لكي يجد واحدة جديدة.

أجابها سارتر، إنهما لم يمضيا وقتاً أنيساً في روما. فقد كان منشغلاً بالتفكير فيها، وليس هناك من سبب يجعلها تحسد أية واحدة منهن. أما فيما يتعلق بامرأة جديدة، فهذا لن يحصل. وإن حدث وأغوى واحدة أخرى، فهذا يعني أنه لم يعد يحبها. وذلك غير وارد على الإطلاق.

في كانون الأول عام ١٩٦٢ قصد سارتر وبوفوار موسكو لقضاء عيد الميلاد مع زونينا. كانت علاقة سارتر بلينا سرية على المستوى الرسمي، وكان حضور بوفوار كرفيقة سفر قد مكنه من أن يكون وحده مع لينا. وطوال السنوات الأربع التالية، سيقوم سارتر بتسع رحلات إلى الاتحاد السوفييتي مع بوفوار كمرافقة خدومة.

في هذا الوقت كانا يختبران الشتاء الروسي. وقبل مغادرتهما باريس ابتاعا لأنفسهما جزمات وقبعات فرو وكتباً وأدوية وألبسة صوفية وعطراً لزونينا، وخاتماً قدمه لها سارتر.

كانت موسكو متجمدة لكنها مشمسة. في الأمسيات كانت الأشجار في ساحات المدينة تتألق بأضواء عيد الميلاد. وفي ليلة الميلاد دُعيا إلى حفلة في بهو مسرح قرب ساحة مياسكوفسكي. كتبت بوفوار:

حين دخلنا، كان ثمة نساء بدينات وصلن للتو. أسرعن إلى غرفة الملابس، خلعن معاطفهن وجزماتهن وتنانيرهن الصوفية، ثم ظهرن من جديد رشيقات أنيقات في ملابس السهرة الخفيفة... وأثناء تناولنا العشاء، شاهدنا أزواج الراقصين وهم يرقصون رقصات حديثة، رقصوا على أنغام موسيقا الجاز... أعتقد أن السماح بارتداء ملابس حديثة أنيقة، والاستماع إلى الموسيقا الغربية، هي بادرة جيدة.

عادا إلى لينينغراد. في الصيف وجدت بوفوار تلك المدينة ساحرة. في هذا الوقت، في قلب الشتاء، وجدتها موحشة. فالشمس لا تشرق قبل العاشرة صباحاً. عندئذٍ تلقي ضوءاً خافتاً على الشوارعِ الرمادية قبل أن تختفي في الثالثة بعَد الظهر. وقد أمضت وقتاً طويلاً وحدها في غرفتها.

عندما عاد سارتر إلى باريس، كتب لزونينا: «لينينغراد، كما تعلمين، هي الذكرى الأغلى والأجمل في حياتي». لقد أحب ساعات الضوء الوجيزة بين الفجر والأصيل، وغرفتهما التي لم يغادراها تقريباً. لم يشعر بمثل تلك السعادة الغامرة منذ عشرينياته. وقد لاحظ أنها لم تبك في السيارة التي حملتهما إلى المطار كما فعل. لكنها بدت حزينة جداً.

كتبت بوفوار في «قوة الظرف»: «كان هناك نجاحٌ واحد أكيد في حياتي: علاقتي بسارتر. فطوال أكثر من ثلاثين عاماً، ذهبنا مرة واحدة إلى النوم ونحن مشتتو الشمل».

وفي خاتمة المجلد الثالث من مذكراتها، حاولت بوفوار أن تلخص حياتها، وأرادت أيضاً أن تبدد بعض «الأفكار الخاطئة الغبية». فسارتر لم يكتب كتبها، كما كان يروج بعض الأشخاص. وليس صحيحاً أن سارتر أقحم في رأسها جميع معتقداتها. إذا كانت قد اختارت سارتر -

وقد اختارته - فلأنه قادها على المسارات التي أرادت أن تسلكها. نعم، لقد ساعدها كثيراً، وهي أيضاً ساعدته.

كانت في مزاج جريء حين كتبت تلك الخاتمة في آذار عام ١٩٦٣. وكانت حزينة. فقد أصبحت في الخامسة والخمسين، وأحست أنها تجاوزت الحد.

كانت قد كتبت حول رحلتها مع سارتر إلى الاتحاد السوفييتي في صيف عام ١٩٦٢. وأشارت إلى علاقتهما بلينا زونينا. لم تقل - لأسباب واضحة - إنها حين كانت تحاول أن تصل إلى تفاهم مع تبتلها الذي فرضه تقدمها في السن، كان سارتر يغازل لينا الجميلة أمام عينيها. لكنها لم تخفِ الإحساس اللاذع بالخسران الذي شعرت به حين أمعنت النظر في مستقبلها:

حين كنت قادرة على النظر إلى وجهي من دون امتعاض، كنت لا أبالي به، فقد كان بمقدوره الاعتناء بنفسه. أخيراً توقفت العجلة. الآن أعاف هيئتي: الحاجبان المنزلقان نحو العينين، الانتفاخ تحت العينين، الامتلاء المفرط للوجنتين، وسيماء الحزن حول الفم الذي تحدثه التغضنات. نعم أزفت اللحظة لأقول: أبداً... أبداً لن أرتمي بعد اليوم، وقد أثملني الإرهاق، في رائحة التبن... أبداً لن أنزلق بين ثلوج الصباح المنعزلة. أبداً لن أحظى برجل...

الشيء الوحيد الجديد والهام الذي يمكن أن يحدث الآن هو، إما أن أرى سارتر ميتاً، أو أن أموت قبله. إن من المرعب ألا تكون هناك لتواسي شخصاً ما على الألم الذي سببته بفراقك له. إن من المرعب أن يكون مجبراً على هجرك ثم لا يتحدث معك ثانية... أحياناً أرغب في إنهاء ذلك كله بسرعة لكي أقلص رعب الانتظار.

أنهت بوفوار خاتمتها بذكر بعض اللحظات الأكثر روعة في حياتها: «كثبان El Oued، وبانسيا أفينو، بزوغات فجر البروفانس... كاسترو يتحدث إلى ٥٠٠ ألف كوبي... الليالي البيضاء في لينينغراد، أجراس التحرير، قمر برتقالي فوق piraeus، شمس حمراء تشرق في الصحراء، تورشيلو، روما، كل الأشياء التي تحدثت عنها، الأشياء الأخرى لم أتحدث عنها».

فكرت بالفتاة الصغيرة التي كانتها ذات مرة، والتي توقعت مستقبلها بقلبها الخافق. وفي الوقت ذاته، اكتشفت الحقيقة حول الوضع الإنساني - الجوع، الاضطهاد، العنف، الجور. لم يكن الموت والهاوية بعيدين عنها كثيراً.« لقد حفظت جميع العهود.ومع ذلك، عندما ألقي نظرة متشكلة إلى تلك الفتاة الشابة الساذجة، أدرك بذهول كم كنت مخدوعة».

إن خاتمتها المزخرفة المنمقة سيساء فهمها.فقد بدا أن قراءها شعروا، على نحو شخصي، أنهم كرسوا وقتاً في القراءة حول سعادة بوفوار ونجاحها. إنهم لم يروا أنها عنت شيئين اثنين: بياناً سياسياً، وتعليقاً على الفراغ الوجودي المؤلم. بالنسبة لهم، كان ذلك اعترافاً بالفشل الشخصي، بشيء لم يستطيعوا تحمله من كاتبة غدت، بالنسبة لهم، رمزاً حقيقياً على تحقيق الذات، ورمزاً للمرأة المستقلة.

أصبح سارتر في ذلك الوقت مديناً لمؤسسة غاليمار. كان قد بدأ بكتابة كتب لم يكملها، وكتب العديد من المقالات السياسية لم تدر عليه شيئاً. إنه بحاجة الآن إلى نشر كتاب على وجه السرعة. في ربيع عام ١٩٦٣ سحب من الدرج سيرة حياته «كلمات»، التي كتب معظمها في عام ١٩٥٤.

حين نظر إلى ما كتبه اعتقد أنه جيد تماماً، ورأى أنه ليس مهماً إذا هو لم يذهب أبعد من سن العاشرة. وكاستكشاف لسبب اعتناقه أسطورة قداسة الأدب، يمكن للسرد أن يتوقف عند ذلك الحد. طوال عدة أشهر عمل ثانية على الجمل التي كانت من قبل أكثر صقلاً بين جميع ما كتب. وقد أخبر بوفوار قائلاً: «وددت أن أكون أديباً متمرساً لكي أظهر خطأ أن أكون أديباً متمرساً». وقد أهدى الكتاب إلى «السيدة z».

هلل النقاد لكتاب «كلمات» الذي يمثل عودة سارتر إلى الأدب. أجمعوا على أنه الأكثر تأثيراً وجمالاً بين جميع ماكتب. ضحك سارتر في سره - لكنه كان راضياً.

في صيف عام ١٩٦٣ أمضى سارتر وبوفوار ستة أسابيع في الاتحاد السوفييتي، وسافرا مع زونينا إلى القرم وجورجيا وأرمينيا. كان الريف رائعاً، لكن نقص الطعام كان أسوأ من ذي قبل، وطوابير الشراء كانت أطول. وأثبت الانفتاح الثقافي خيبة أمل. كانت الدولة قد فتحت بتردد الأبواب السوفييتية للتأثيرات الغربية. وقد احتضن الشعب الروسي هذه التأثيرات بحماسة شديدة، لكن سرعان ما أُغلقت هذه الأبواب ثانية. كان وضع خروتشوف، وسط الستالينيين المتنافسين على السلطة، متقلقلاً، وهو الآن يدافع عن ستالين ويهاجم الفن التجريدي وموسيقا الجاز، وأي شيء قدم من الغرب. لم يعد متسامحاً إزاء نقد عهد ما بعد الثورة. وفي خطاب مطول ألقاه في ذلك الربيع، خص إيليا أهرنبورغ بنقد استثنائي.

في تلك الرحلة عرض سارتر على زونينا الزواج. وقد ناقش الفكرة مع بوفوار. اعتقد أن الزوال السريع للحرية السوفييتية، ستشكل خطراً على استمرار علاقتهما. وسوف تحظى زونينا برعاية صحية أفضل في فرنسا. وكلاهما كان يعلم أنه إذا تقدم سارتر بطلب الموافقة على خروج

زونينا وابنتها من الاتحاد السوفييتي، فإن الدولة السوفييتية ستوافق على ذلك. طلبت زونينا من سارتر أن يمنحها وقتاً لتفكر في الأمر. ولفتت انتباهه إلى أن من المؤلم بالنسبة لها اتخاذ مثل ذلك القرار. فإذا تركت الاتحاد السوفييتي فلن يسمح لها بالعودة إليه ثانية. لقد أحبت الثقافة الفرنسية، لكنها كانت حذرة إلى حد كبير من الغرب، وتكره بطش الرأسمالية. ولن يُسمح لها بأخذ أمها معها، فكيف يمكنها تركها خلفها؟ إضافة إلى أنها ستجد صعوبة في إيجاد عمل في فرنسا، ولا ترضى أن تكون واحدة من نساء سارتر اللواتي يعتمدن في معيشتهن عليه.

بعد إقامتهما المؤقتة الطويلة في الاتحاد السوفييتي، ذهب سارتر وبوفوار، كما جرت العادة، إلى روما. أقاما في فندق مينيرفا الواقع في مكان قديم بقلب المدينة.

كان سارتر يكتب مقالة حول مشاكل الثورات في العالم الثالث. كانا أحياناً يأخذان سيارة ويذهبان بعيداً لعدة أيام - إلى سيينا، فينيسيا أو فلورنسا.

وما إن عادا ذات مرة إلى روما بعد غياب قصير، حتى هرعا إلى مكتب البريد. أمل سارتر أن يجد رسالة من زونينا، فقد صمتت منذ أسابيع. قلق من أن تكون مريضة، أو ربما لم تعد تحبه. في تلك الليلة عذب نفسه. إذا كان عليه أن يختار بين التفسيرين، فأي تفسير سيختار؟

في أوائل تشرين الأول وصله أخيراً رسالة من موسكو. قرأها سارتر في بيازا ديلا مينيرفا، مقابل فندقهما. قالت له بوفوار: «يداك ترتجفان ». كان ذلك صحيحاً. كانت ساقاه ترتجفان أيضاً. كتبت زونينا لسارتر: «لايتوقف الأمر علينا تماماً. كلما قرأت أكثر في مذكرات بوفوار، ازداد إدراكي بأني لن أستطيع تغيير أي شيء. وهذا يقتل شيئاً في أعماقي. أنت

تعرف أني صديقة بوفوار، وأنا أحترمها وأحترم الصداقة التي تربطك بها... ولكنك أنت وبوفوار خلقتما شيئاً استثنائياً ورائعاً، وذلك يشكل خطراً على من يود الاقتراب منكما».

رد سارتر قائلاً إنه كان يفكر بقيلولاتهما على ساحل البحر الأسود، ممارستهما الجنس. هل أدركت زونينا أنه وبوفوار لم يقضيا ليلة واحدة معاً من دون الحديث عنها؟

في نهاية تشرين الأول. وقبل يوم واحد من عودتهما إلى باريس، هتف بوست ليقول لبوفوار إن أمها سقطت وكسرت عظم فخذها.

كان شهر تشرين الثاني عام ١٩٦٣ طويلاً ومؤلماً. تناوبت سيمون وبوبيت البقاء إلى جانب سرير والدتهما. كانت فرانسواز دو بوفوار في السابعة والسبعين، وقد عانت منذ سنوات التهاب المفاصل. والآن اكتشف طبيبها الجراح ورماً سرطانياً ضخماً. في الليلة التي تلت العملية الجراحية، مكثت بوبيت في المشفى، وذهبت سيمون إلى منزلها لتمضي الليلة مع سارتر في شارع شولشر:

كنا نستمع إلى بعض أعمال بارتوك. فجأة، في الحادية عشرة، انفجرت بالبكاء الذي تحول إلى حالة هستيرية... في هذا الوقت خرج يأسي عن سيطرتي: شخْصٌ ما كان يبكي في داخلي. تحدثت مع سارتر حول فم أمي كما رأيته في ذلك الصباح، وحول كل شيء رأيته فيه – الجشع، الرفض، الذل الرِقي، الأمل، الألم، الوحدة – في موتها وفي حياتها – التي لم ترغب في الاعتراف بوجودها. وضعت فم أمي على وجهي وعلى الرغم مني، نسخت حركته. كان شخصها ووجودها مكثفين هناك، وقد عصرت الشفقة قلبي.

في تلك الأسابيع أحست بوفوار أنها أقرب إلى أمها منذ زمن بعيد،

منذ طفولتها. كانت فرانسواز لطيفة، تراعي شعور الآخرين، حتى إنها كانت تعتذر من الممرضات لأنها تأخذ وقتهن. ومن حين إلى آخر، كانت ترى في وجه أمها ابتسامة المرأة الشابة العاشقة التي كانت تراها وهي في الخامسة. ادخرت فرانسواز كل قطرة من قطرات الحياة الأخيرة. وفي النهاية، حين كانت تنام معظم الوقت، أنَّتْ قائلة: «لكن ضاعت هذه الأيام».

كان سارتر هو الذي اقترح على بوفوار أن تكتب حول التجربة المأسوية التي مرت بها هي وأختها بوبيت حين كانتا خاضعتين لأمهما. وقد روعها الأمر، لكنه أغراها.

حين توفيت أمها في أوائل كانون الأول، استطاعت بوفوار أن تفكر بشيء آخر. وجدت أن الكتابة ستساعدها في حزنها. فكان كتاب «موت سهل جداً». وقد أهدته إلى أختها بوبيت.

نشر كتاب «كلمات» في كانون الثاني عام ١٩٦٤، ومرة ثانية امتلك سارتر مالاً في حسابه المصرفي. كان في التاسعة والخمسين. وذات يوم سأله ناشر أعماله روبرت غاليمار حول خططه بشأن ملكيته الأدبية. لم يكن سارتر قد فكر بالأمر أبداً:

«بعد موتي كل شيء إلى بيفر».

«هل تزوجت سيمون دو بوفوار؟».

«بالطبع لا، أنت تعرف ذلك».

«هل كتبت وصية؟».

«لا».

عندئذٍ سيؤول كل شيء إلى عائلتك، إلى آل شفايتزر».

لم يكن من المعقول بالنسبة لسارتر أن يحدد بوفوار وريثة ملكيته الأدبية ومنفذة الوصية. كانا في نفس السن تقريباً. وقد فكر في آرليت إيلكايم، فقد كانت أصغر أعضاء العائلة. وكانت تبدو في نظره أقل اكتراثاً بالمال من نسائه الأخريات. كما كانت مقتصدة جداً، وتحتج حين ينفق عليها مالاً. في هذه الأيام كان يعدها كابنة. وكانت، مثلها مثل النساء الأخريات، تغار من زونينا التي ستقوم بزيارة إلى باريس، لكنها كانت الوحيدة التي أثارت عاطفة سارتر. « إنها بالفعل ابنة الأب الذي تزوج ثانية». فقرر أن يتبناها قانونياً.

لم يكن ثمة رابطة قوية بين بوفوار وإيلكايم، التي تراها حسودة. وكانت تزدري إيلكايم بسبب اعتمادها على سارتر في معيشتها. (سألته ذات مرة «هل كنت ستوافق على أن تتكل على أحد حين كنت في العشرين؟. أجابها سارتر: لا أحد لام فان كوخ على اعتماده على أخيه، لأنه كان يرسم، لأن لديه أسباباً في قبول ذلك... ولكن الأشخاص الذين يستقرون في ذلك النوع من الحياة... ألا تجدين أن ذلك يفسد علاقتك مع أولئك الأشخاص؟ تعطيهم المال ليعيشوا من دون أية معاملة بالمثل).

كانت بوفوار تحاول دائماً أن ترى الأمور من وجهة نظر سارتر، وكانت تتقبل قراره. وقد رأت أنه قرر. لكنها قلقت حول النساء الأخريات. وقد أخبرت سارتر أنهن لن يتقبلن هذا. وأملت ألا يحطمهن.

في منتصف تشرين الأول عام ١٩٦٤ أشاعت الـ «فيغارو ليتيرير» نبأ ترشيح سارتر لنيل جائزة نوبل للآداب لذلك العام. وقد علق الصحفي قائلاً بسخرية إن ماضي سارتر السياسي والمثير للجدل لم يلعب دوراً ضده.

ناقش سارتر وبوفوار الأمر. كانت المجازفة واضحة. فإذا قبل

سارتر الجائزة سينظر إليه كمذعن للبورجوازية، الولد الفاسد، الذي وافق أخيراً على ما يفعله الآخـرون. كان المال الذي سيحصل عليه يساوي ثروة صغيرة. وهناك الكثير مما يستطيع فعله بـ ٢٥٠ ألف كرونر سويدي، سواء في قضايا عامة (فكر في اللجنة التي تعمل ضد سياسة التمييز العنصري في لندن) أو مساعدة تابعيه (أراد، على سبيل المثال، شراء شقة لواندا). قررا استشارة بعض الأشخاص من الشبان.

ابتهج أعضاء هيئة «الأزمنة الحديثة» لدى سماعهم الأخبار. وأجمعوا على ضرورة قبول الجائزة. لم تكن بوفوار مقتنعة بذلك مطلقاً. فقد سألت صديقتها الشابة التي كانت عضوة فعالة في الحزب الاشتراكي، فكان حكمها مختلفاً تماماً. فقد كتبت الشابة رسالة متقدة العاطفة إلى سارتر تخبره فيها أنها هي وأصدقاؤها المناضلون أجمعوا على أنه لن يكون هو سارتر الذي يعرفونه إذا قبل الجائزة. وذكرته بأن الجائزة منحت لبوريس باسترناك بهدف إرباك الاتحاد السوفييتي.

تأثر سارتر وبوفوار بردة الفعل هذه. فقد كان صحيحاً أنه في عام ١٩٥٨ مُنح باسترناك الجائزة على روايته «دكتور جيفاغو»، التي انتقدت بشدة روسيا بعد الثورة، والتي نشرت في الغرب ولاقت ترحيباً كبيراً. وقد اشمأزّ شيوعيو العالم من قرار لجنة تحكيم جائزة نوبل ذات الدوافع المضللة.

بعث سارتر برسالة ملتهبة إلى الأكاديمية السويدية ورد فيها أنه يعتذر على وقاحته لأنه يكتب لهم قبل حصول التصويت النهائي، ويؤكد للأكاديمية احترامه العميق لها، لكنه يرغب في أن يطلب من الأعضاء، لأسباب شخصية وموضوعية، ألا يدرجونه في عداد أولئك الذين سيقبلون الجائزة في حال منحت لهم. وأعلمهم أنه بموجب هذه الوثيقة سيرفض قبول الجائزة في حال منحت له.

في يوم الاثنين ١٩ تشرين الأول من عام ١٩٦٤، وعند الظهيرة: تقرر منح سارتر جائزة نوبل للآداب. في باريس انطلق الصحفيون مثل قطيع من كلاب الصيد في البحث عن سارتر. اكتشفه أحد الصحفيين وهو يتناول الغداء مع بوفوار في فندق الأورينتال. انفجر قائلاً: «نلت جائزة نوبل».

وضع سارتر سكينه وشوكته، وقال إنه سينتظر ليتأكد، ولكن إذا كان قد مُنح الجائزة فسوف يرفضها. لماذا؟ «ليس لدي شيء لأقوله. أحتفظ بتبريراتي من أجل الصحافة السويدية». وعاد سارتر ليكمل وجبته. في المساء نشرت الصحافة نبأ رفض سارتر.

طوال أيام ضج عالم الأدب. ترى هل ستتمسك الأكاديمية السويدية بقرارها على الرغم من رفضه. كان هذا مثالاً آخر على ما أحب سارتر أن يدعوه «معارضته الجمالية»؟ هل حرد لأن كامو منح الجائزة قبله بخمس سنوات؟ هل خشي أن تحسده دو بوفوار إن قبلها؟ أشار كثيرٌ من الصحفيين الجادين إلى أن سارتر كره دائماً النخبوية، وأنه ليس بين كتبه كتاب أظهر ذلك أكثر من كتاب «كلمات». إن آخر جملة عكست رغبته في أن «يكون إنساناً كاملاً، مصنوعاً من جميع الرجال، يساوهم جميعاً، ويساوه أي واحد منهم».

تشبثت اللجنة السويدية بقرارها. فقد أعلن سارتر رسمياً فائزاً بالجائزة في ٢٤ تشرين الأول عام ١٩٦٤. وفي الليلة التي سبقت ذهابه إلى شقة بوفوار هرباً من الصحافة، هتفت له والدته لتقول إن هناك حشداً من المراسلين أمام البناء الذي يقطن فيه. رن جماعة من الصحفيين بعناد جرس باب بوفوار. وفي الثانية صباحاً خرج سارتر أخيراً ليدلي بتصريح وجيز.

أوضح سارتر في بيان نشرته «اللوموند» جاء فيه: «ينبغي على الكاتب أن يرفض ليتحول رفضه إلى عُرف. كان سيسره أن يقبل الجائزة خلال الحرب الجزائرية، بعد أن وقع «بيان الـ ١٢١»، إذ سيكون ذلك فخراً لأولئك الذين يقاتلون من أجل الحرية. لكن لا أحد منحه إياها آنئذ. ويخشى من أن يفسر الجناح اليميني قبوله كإشارة إلى أن آثام ماضيه السياسي الخلافي قد غُفرت.

وأضاف يقول إنه على الرغم من أن هذا لم يكن قصد الأكاديمية السويدية على الإطلاق، بدا له أن جائزة نوبل شبه امتياز ادُخر من أجل كتاب الغرب أو من أجل المتمردين من الشرق: «من المؤسف أن الجائزة منحت لباسترناك قبل أن تمنح لـ شولوخوف، وأن العمل السوفييتي الوحيد الذي ينبغي أن يتوج هو العمل الذي لم ينشر – في الواقع مُنع – في بلده».

في تشرين الثاني كتب لزونينا يقول إنه لم يسمع منها شيئاً. إنه لا يريد حتى أن يعرف ما فكرت حول قراره. ويفترض، حتى الآن، أنها ستفهمه وتوافقه. لكنه كان الآن متردداً. ترى كيف ستكون ردة فعلها؟.

قدمت زونينا إلى باريس في كانون الأول عام ١٩٦٤. كان سارتر قلقاً بشأن زيارتها، إذ يغلب على شقته طابع التقشف. ترى هل ستجد الراحة هنا؟ خطط أن تنام على ديوانه الضيق، وهو إلى جانبها على سرير نقال. أصرت بوفوار على أن يستعيرا شقتها وتنتقل هي إلى شقته.

اعتقد سارتر أن زونينا ستتأثر بقراره بخصوص جائزة نوبل. لم تكن كذلك. أخبرته أنها تأسفت على تلك الإيماءات المجاملة التي أبداها تجاه الستالينيين. ففي الأسابيع الأخيرة أُجبر خروتشوف على التخلي

عن السلطة، وسيكون هناك تقييد أكثر للحريات في الاتحاد السوفييتي. كان وقتاً مظلماً بالنسبة للروسيين. وكان المثقفون السوفييت يرغبون بشدة في أن يعبر سارتر عن رأيه بحرية في الفرصة التي أتيحت له، لا أن يتملق الشيوعيين كما فعل. ثم لماذا زعم سارتر أن شولوخوف يستحق الجائزة أكثر من باسترناك؟ هل أدرك سارتر أن شولوخوف كان ستالينياً تابعاً. وفي روسيا، كان أصدقاؤها من المعارضين يضحكون منه.

في النهاية، قال سارتر إنه لا ينبغي عليهما مناقشة ما قيل في الاتحاد السوفييتي بعد الآن. الواقع هو أنه كان قلقاً أيضاً حول ردود الفعل في الغرب.

جرت محادثات أخرى متوترة. كان على سارتر أن يطلع زونينا على نيته في تبني إيلكايم. لم تكن زونينا ترتاب، على الرغم من تحفظاتها، بحب سارتر. فإذا كان قد فاز بجائزة نوبل، فقد فاز بها على كتابه «كلمات» الذي أهداها إياه، وقامت بترجمته إلى الروسية، وراج كثيراً في الاتحاد السوفييتي خلال الأشهر الماضية. وإذا كان قد رفض جائزة نوبل، فإنها تنظر إلى قراره كتعبير عن تضامنه مع وطنها روسيا، ومعها جزئياً.

مكثت زونينا في باريس مدة ثلاثة أسابيع، وذهب سارتر وبوفوار إلى المطار لتوديعها. وقد قلق الثلاثة من صعوبة عبورها الجمارك الروسية مع كل تلك الهدايا التي تحملها.

في اليوم التالي كتب لها سارتر «أحبك أكثر من أي وقت مضى». كان قد أمضى الليلة في شقة بوفوار، لكن مايزال مفعماً بذكرياته مع زونينا. تحدث مع بوفوار حتى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل. ثم صعد الدرج لينام، بينما نامت بوفوار في الأسفل. استيقظت بوفوار في

الثالثة صباحاً، ولاحظت ضوءاً يتسرب من تحت باب سارتر، صعدت الدرج لتناشده أن ينام. وجدته على الأرض، رأسه فوق رواية بوليسية والكؤوس بجانبه. كان يتمتم بوضوح «عزيزتي لينا»، ومن دون أن يفتح عينيه انزلق في السرير وراح في نوم عميق.

في ١٨ آذار عام ١٩٦٥، أصبحت آرليت إيلكايم، البالغة من العمر الثامنة والعشرين، ابنة سارتر قانونياً. وتدعى الآن، على الصعيد الرسمي، آرليت إيلكايم سارتر. وبعد موت سارتر ستغدو وريثته والقيّمة على ملكيته الأدبية. وبالتعاون مع غاليمار سترث الدخل المالي الذي تدرُّه مبيعات كتبه وترجماتها. وستغدو في يوم من الأيام امرأة ثرية.

تصدر هذا الخبر صحيفة «فرانس سوار» مع صورة كبيرة لسارتر مع «ابنته اليهودية - الجزائرية». صُدم القراء. سارتر أب؟ ألم يوضح في كتابه «كلمات» أن «ليس هناك آباء صالحون... إن ذلك ليس خطأ الرجال، لكنها الرابطة الأبوية الفاسدة». لم يكن بين أصدقاء سارتر ومعارفه، الذين أُخطروا سلفاً، من أحس الدهشة. أما واندا وميشيل وإيفلين فقد فقدن سيطرتهن على أنفسهن جراء الألم والغضب.

قبل عدة شهور، حين حاول سارتر أن يطرق الموضوع مع نسائه، وعدهن بأنه لن يتبنى آرليت إلا بعد موافقتهن. كما وعد ليليان زيغل بذلك. تتذكر زيغل سارتر حين سألها «هل غيرت رأيك؟« لم تغير رأيها، وكذلك الأخريات.

في الليلة التي عم فيها الخبر جميع أنحاء باريس، بدأت واندا بتحطيم أثاث شقتها. بكت إيفلين، أخبرته قائلة: «لم يكن لديك الحق في أن تفعل ذلك معي... أخبرتني أنك لن تفعل شيئاً يؤذيني. حسن. لقد آذيتني». كانت ميشيل قد هددت بقتل نفسها إن أقدم سارتر على فعل

ذلك. لم تنفذ تهديدها، لكنها شعرت أنها مخونة. ليليان زيغل، التي لم تكن عشيقة سارتر، وجدت نفسها غير قادرة على إكمال درس اليوغا الذي كانت تعطيه في ذلك المساء. ذهبت إلى البيت ونشجت. أخيراً، حين أصبحت قادرة على الكلام، هتفت لبوفوار:

«ليليان: ما الأمر؟ تكلمي. احتفظي بهدوء أعصابك».

« بيفر، لقد قال... قال إنه لن يفعل ذلك من دون موافقتي!».

« آه، أنت تعرفين. يريد أن يخبرك بنفسه...».

«بيفر، لكنه وعد».

«هيا، اهدئي، أنت تعرفين جيداً أن الوعد لا يعني شيئاً بالنسبة له».

« بيفر، لقد وعد».

«هل أنت وحدك؟».

«نعم».

«ليليان، الوقت متأخر، خذي حبة منومة. نستطيع الحديث معه حول الموضوع غداً.

«ليليان، هل تصغين لي؟».

«نعم».

«إذن، افعلي كما قلت، حاذري عزيزتي».

أخبر سارتر بوفوار وزونينا أن ردة فعل النساء الأخريات جعلته لامبالياً. وقال إنه رأى حسداً واهتماماً مادياً وراء نشيجهن وتذمرهن.

حين عاد سارتر وبوفوار إلى الاتحاد السوفييتي في تموز عام ١٩٦٥،

كانت زونينا وأصدقاؤها حانقين بسبب محاكمة برودسكي. فقد أدين جوزيف برودسكي، الشاعر اليهودي الشاب، وحكم عليه بالأشغال الشاقة في مزرعة نائية طيلة خمس سنوات، لاتهامه «بالتطفل الاجتماعي». وعلى الرغم من أنه كان يكسب معيشته من الترجمة، لم يكن ينتمي إلى اتحاد الكتاب، أو إلى منظمة حكومية، لذا فهو «طفيلي». وقد حث أهرنبورغ سارتر للتوسط في هذه القضية. فكتب سارتر إلى رئيس مجلس السوفييت الأعلى يلتمس منه العفو عن برودسكي. كانت رسالته دمثة جداً إلى حد التملق: «السيد الرئيس، إن جاز لي أن أراسلكم فذلك لأني صديق بلدكم العظيم... أعرف جيداً أن أعداء التعايش السلمي يدَّعون أن «قضية برودسكي هي استثناء يؤسف له».

بعد انقضاء الشهر مع زونينا، سافر سارتر مدة ثلاثة أسابيع مع آرليت، ثم مع وانـدا مدة أسبوعين. وذهبت بوفوار في عطلة مع صديقتها الجديدة سيلفي لوبون.

في ربيع عام ١٩٦٠ كتبت سيلفي البالغة ١٧ عاماً إلى بوفوار رسالة إعجاب. وبعد عدة شهور، قدمت لوبون لزيارة باريس، ودعتها بوفوار إلى غداء. كانت الفتاة ذكية جداً وتمتلك وجهاً جذاباً، لكنها كانت خجولة وعصبية وملولة. وكانت ترغب في دراسة الفلسفة في الإيكول نورمال. فشجعتها بوفوار. وحين افترقا، اشترت لها بوفوار حزمة من الصحف والمجلات وأخبرتها أن عليها أن تعرف شيئاً عن السياسة.

بعد ثلاث سنوات كانتا تتقابلان من وقت إلى آخر. وبعد موت والدة بوفوار توقفت علاقتهما. في ذلك الوقت عاشت لوبون في الإيكول نورمال، قسم النساء. وبرزت في دراساتها. وكانت هي وصديقاتها يقعن في مشاكل مع السلطات نتيجة سلوكهن المتحرر،

وكانت بوفوار تنظر بعين الرضا إلى أفعالهن. وقد أحبت المرأتان مناقشة الكتب والأفلام. ومع حلول عام ١٩٦٤ كانتا تريان بعضهما بانتظام.

كانت لوبون تتباهى وهي تسير مع كاتبة هي الأشهر في فرنسا. أما بالنسبة لبوفوار، فقد شعرت وهي برفقة فتاة في الحادية والعشرين أنها عادت شابة ثانية. وستكتب حول لوبون أروع الصفحات وأدفأها.

في شهر آب من صيف عام ١٩٦٥ ذهبت المرأتان إلى كورسيكا. فقد اجتازت لوبون فحص تخرجها بنجاح كبير، فكان لديهما سبب لتحتفلا. ودعت لوبون تلك الرحلة بـ «شهر العسل».

حين كان سارتر وبوفوار في روما، أزعجتهما مكالمات هاتفية وردت من باريس. فقد بدأت التمارين لتقديم جديد لمسرحية «مذنب ألتونا». فبعد ست سنوات على التقديم الأول، سيلعب الممثل ريجياني ثانية دور فرانتس، وستلعب إيفلين وواندا الدورين النسائيين الرئيسيين، وذلك نزولاً عند رغبة سارتر.

حسب المكالمات الهاتفية، كانت التمارين سيئة، بل سيئة جداً. وقد أُخبر سارتر أن واندا لم تعد تصلح أبداً لأداء الدور. إنها تمضي وقتها في غرفة الملابس، لا تحفظ أدوارها جيداً، ولا تتفاعل معها. فأصر سارتر «ستقدم المسرحية مع واندا وإلا فلا ».

هتفت إيفلين تهدده بأنها ستترك المسرحية إذا لم يفعل سارتر شيئاً مع واندا، فوعظها سارتر حول الوفاء والإخلاص للعائلة.

كان التقديم كارثة. انتقدت الصحافة بشدة إيفلين وواندا. تذمر ناقد بعد آخر من صوتيهما الخافتين ومن أدائهما الميكانيكي. وقالوا: بدا ريجياني وحده على المسرح. وقال أحد النقاد: لم أشاهد قط ممثلة عديمة الموهبة مثل واندا. ووصف إيفلين راي بأنها لوح رائع من الجليد».

في ١٢ تشرين الأول غادر سارتر، هلعاً من المشاهد العائلية التي تنتظره، نابولي وحده في قطار المساء قاصداً باريس. وعادت بوفوار وحدها في سيارتها. اتفقا على أن يلتقيا في السابعة من مساء الرابع عشر في منزلها.

وصل قطار سارتر إلى باريس في صباح الثالث عشر، وانطلق سارتر مباشرة إلى ما دعاه «واجباته الرسمية» أي رؤية نسائه، الواحدة بعد الأخرى. في تلك الليلة ذهب إلى فراشه منهكاً. وفي الرابع عشر نهض من نومه، قرأ بريده ثم اتجه إلى منزل والدته.

كان جالساً مع والدته إلى طاولة الغداء، حين هتف لانزمان ليقول: إن بوفوار تعرضت لحادث، وهي الآن في المشفى في جواني. في ذلك الأصيل غادر سارتر ولانزمان قاصدَيْنِ المشفى. وجدا بوفوار في غرفة خاصة وحولها الممرضات. لقد كُسرت أربعة من أضلاعها، وكان وجهها متورماً، وثمة خدوش فوق عينها اليسرى. أخبرتهما أنها اجتازت منعطفاً بسرعة كبيرة فواجهتها شاحنة ضخمة. وقد أنقذ السائق حياتها بانعطافه نحو اليسار. تهشمت مقدمة سيارتها. في البداية لم تدرك أنها متأذية. وحين سحبت من السيارة فكرت فقط في الوصول إلى باريس في السابعة مساءً. وصل رجال الإسعاف ومددوها على المحفة. عندئذٍ رأت أنها تنزف.

عاد لانزمان إلى باريس، وأمضى سارتر الليلة في فندق مجاور للمشفى. وفي اليوم التالي رافق بوفوار في سيارة الإسعاف إلى منزلها. كانت تتألم. ولم تكن قادرة على خلع ملابسها. ساعدها سارتر وأكد أنه سيبقى معها حتى تعاود السير ثانية.

ظلت في الفراش طيلة ثلاثة أسابيع. وتناوب على رعايتها لانزمان وسارتر ولوبون. عادت زونينا إلى باريس في منتصف تشرين الثاني عام

١٩٦٥، لتمكث فيها مدة ثلاثة أسابيع. لم يكن من السهل عليها أن تحصل على فيزا من الحكومة السوفييتية. فكان على سارتر أن يبعث رسائل إلى السلطات يؤكد فيها أن زونينا ستكون مترجمته، وأن «الأزمنة الحديثة» قد وجهت إليها الدعوة لزيارة باريس. نزلت زونينا في فندق في بوليفار راسبيل القريب من شقة سارتر. في ذلك الوقت لم يخبر سارتر النساء الأخريات بزيارتها.

في كانون الأول رافق سارتر وبوفوار زونينا إلى بلدة سان – رفائيل، وهي منتجع على الريفيرا، حيث تحدثت زونينا في مؤتمر. وقد أخبر سارتر النساء أنه كان مع بوفوار. ونقلت صحيفة «فرانس سوار» خبر وجود سارتر وبوفوار وصديقتهما الروسية في سان – رفائيل، كما ذكرت اسم السيدة زونينا. وحالما عاد سارتر إلى باريس هتفت له ميشيل: «علمت أنك كنت مع صديقتك الروسية».

«آه، مقالة فرانس سوار، كان ذلك خطأً».

«كيف يمكن أن يكون خطأ».

«زونينا تحدثت في سان – رفائيل، لكن كان ذلك في السنة الماضية... أنت تعرفين الصحف». وحين ذهب سارتر لرؤية إيلكايم في وقتهما المعتاد، وجد حاشية ملصقة على الباب كتب عليها «أنا لست هنا. لا حاجة لرن الجرس. فالكلب لن يتوقف عن النباح». مزق سارتر الحاشية ورمى الباب بنتفها، وذهب ليحتسي القهوة. وحين عاد وجد نتف الورق قد اختفت، وهكذا عرف أن إيلكايم كانت في الداخل. رن الجرس. وأخيراً فتحت الباب.

أصغت إليه طويلاً ببرود وهو يعتذر ويبرر. ثم ذهبت إلى الحمام، وسمعها تتقيأ.

ذكَّرها سارتر باتفاقيتهما. إنه سيتولى القيام بدوره الأبوي على أكمل وجه، وينبغي عليها ألا تخلطه بدور آخر. أخبرته إيلكايم أنها لاتحب أن يكذب عليها.

منذ الثاني من أيـار حتى السادس من حزيران عام ١٩٦٦ كان سارتر وبوفوار في الاتحاد السوفييتي. سألهما أهرنبورغ قائلاً «ما الذي تفعلانه هنا وسط كل هذا؟». إنه هو وزونينا وأصدقاؤهما لا يستطيعون التحدث ولو قليلاً حول محكمة كاتبين شابين وترحيلهما، وهما يولي دانييل وأندريه سنيافسكي اللذان نشرا أعمالاً في الغرب ضد السوفييت، تحت اسمين مستعارين، وقد حكم عليهما بقضاء سنوات في معسكرات الأشغال الشاقة. وبمبادرة من أهرنبورغ قدمت عريضة تلتمس إطلاق سراحهما. كانت زونينا واحدة من ٦٥ من أصل ستة آلاف عضو في اتحاد الكتاب السوفييت التي تجرأت على التوقيع على العريضة. كتبت بوفوار: «تطلب ذلك شجاعة كبيرة. إذ إن وضع اسم أحدهم في هذه العريضة يعني المجازفة بعدم حصوله على إذن بالخروج من الاتحاد السوفييتي ثانية، أو فقده عمله».

كان ذلك بداية حركة انشقاق. أصبح المثقفون يلجؤون إلى نشر الأدب الممنوع بأنفسهم حين أنشؤوا ما كان يعرف بـ «ساميزدات» أي دار نشر ذاتية (نظام نشر سري للأدب المحظور في الاتحاد السوفييتي السابق). كان زمناً كئيباً ومرعباً. سافر سارتر وبوفوار مع زونينا إلى يالطا وأوديسا، ثم أخذوا القطار إلى أوكرانيا. كانوا يصادفون باستمرار محظورات. لا يمكن للأجانب السفر إلى هنا، لا يسمح للأجانب السفر إلى هناك. كان ذلك سخيفاً ومحبطاً.

في عام ١٩٦٥ بعد سنة من رفض سارتر جائزة نوبل، منحت الأكاديمية السويدية الجائزة للكاتب السوفييتي شولوخوف. وحين

حاولت زونينا تنظيم لقاء بين سارتر وسولجنتسن في صيف عام ١٩٦٦، أخبرت أن سولجنتسن لايرغب في لقائه. كان سولجنتسن حانقاً على سارتر بسبب التعليق الذي قال إن شولوخوف يستحق الجائزة أكثر من باسترناك. ومما لاشك فيه أن هذا التعليق ترك أثراً على الأكاديمية السويدية.

كتب سارتر لزونينا حين عاد إلى باريس: «كانت رحلتنا سعيدة تماماً. على الرغم من أنه لم يكن هناك ابتهاج. صحتك، لحظات تعبك... جو موسكو الكئيب، العلاقة المؤقتة، وكل الأشياء الجادة - الأشياء المؤلمة - التي تبادلناها».

كانت زونينا، كالعادة، أكثر صراحة من سارتر. كانت غاضبة من الأحداث في الاتحاد السوفييتي. وقد استقالت من اتحاد الكتاب. شعرت بعدم الرضا، وفوق كل ذلك تعبة من سارتر لأنه لم يتفهم حياتها. إذ كيف يمكنه ذلك إذا هو لم يدرك تفاصيلها اليومية؟ لقد خيب ظنها. لقد أحبته لحريته، لكنها بدأت تدرك أنه لم يكن حراً. إنه لم يقل ما آمن به. إنه لم يفعل مارغب في فعله.

كان سارتر محطماً. وطوال أسبوع لم يستطع أن يعمل. فكتب لها رداً جاء فيه: «إن كل ماقلته كان صحيحاً بقسوته، وقد استطعت أن أتقبله». وأضاف قائلاً: إن ذلك لن يجد، فقد تقدم به السن. لقد غدا أقل حرية لما أصبح أكبر سناً. كان ثمة العديد من الواجبات المتراكمة. إن حريته الوحيدة هي لينا، والحب الذي خصها به.

نُبذت قصة بوفوار «سوء تفاهم في موسكو» أثناء حياتها، ونشرت بعد موتها. وتعكس هذه القصة مشاعرها في صيف عام ١٩٦٦، وهي تسافر عبر الاتحاد السوفييتي مع سارتر وزونينا. وقد رمز اسم أندريه إلى

شخصية سارتر، وماشا إلى شخصية زونينا. وماشا هو الاسم الحقيقي لابنة زونينا. في القصة ليست ماشا عشيقة أندريه، بل هي ابنته. ومع ذلك يتصرفان تصرُّف عشيقين.

بعد ثلاثة أشهر، في منتصف أيلول عام ١٩٦٦، قصد سارتر وبوفوار طوكيو. أمضيا ١٧ساعة طيران. بلد جديد، مغامرة جديدة.

كان لسارتر قراء كثر في اليابان، أكثر مما في أي بلد آخر. وفي عام ١٩٦٥ ترجم كتاب «الجنس الآخر» لبوفوار إلى اليابانية، وأصبح من أكثر الكتب مبيعاً. ومع ذلك لم يكن ثمة تحضير لاستقبالهما. في المطار، كان هناك أكثر من مئة صحفي، بهروا عيونهما بأضواء كاميراتهم. وحشد كبير معظمه من الشباب يهتفون باسميهما ويحاولون لمسهما أثناء مرورهما. قادتهما مترجمتهما توميكو أسابوكي إلى غرفة حيث أمطرتهم الصحافة بوابل من الأسئلة.

وطوال شهر تنقلا من مكان إلى آخر. ألقيا محاضرات، وقابلا مثقفين من الجناح اليساري.تحدث سارتر إلى جموع حاشدة محتجاً على الحرب الفيتنامية. وقامت بوفوار، كعادتها، بالبحث عن كتب حول اليابان. بينما فضل سارتر، في محاولته فهم الثقافة اليابانية، أن ينشئ علاقة حميمة مع شخص ما. وخلال وجودهما في اليابان غدت توميكو أسابوكي، الضئيلة والمجاملة والشغوفة، عشيقة سارتر. وقد علقت بوفوار بقولها: «في كل رحلة قمت بها أو ستقوم بها، يكون هناك امرأة تتحول لأجلك لتصبح تجسيداً للبلد».

في طريق عودتهما، توقفا في موسكو لرؤية زونينا، ولقضاء خمسة أيام فيها. كانت رحلة سارتر الحادية عشرة للاتحاد السوفييتي. لم يكن يرغب في أن يعرف، لكنه كان يعرف، وزونينا تعرف، أن علاقتهما قد انتهت.

-١٢-

نهايات مأسوية، بدايات جديدة

تشرين الثاني ١٩٦٦ - أيار ١٩٧١

خلق انتحارها هزة في صف الفرنسيين اليساريين. لقد قتلت إيفلين راي، سابقاً إيفلين لانزمان، نفسها في الثامن عشر من تشرين الثاني عام ١٩٦٦ - كانت في السادسة والثلاثين من عمرها. وقد نعتها صحيفة «نوفيل أوبزرفاتور» بهذه الكلمات: «جميع الذين عرفوها أحبوها. كانت تتفجر حيوية. وقد أحبت كل شيء».

لم يكن هناك من شيء غامض حول موت إيفلين. أخذت جرعة مفرطة من حبوب الباربيتورات المنومة، وحرصت على ألا يجدها أحد قبل أن تفعل الحبوب فعلها. تركت على طاولتها عدة رسائل وداعية - إلى شقيقها كلود وإلى سارتر وإلى آخرين - حاولت فيها أن تريحهم من تبكيت الضمير. «إني أعاني، وهذا ليس خطأ أحد. علاقتي مع نفسي ذهبت في الاتجاه الخاطئ».

لم تنجح إيفلين في احتراف التمثيل. وفي هذا الصدد يقول شقيقها كلود لانزمان: « لم يكن التمثيل في دمها، وكانت تخاف من الجمهور».

كان أفضل دور لها هو دور إيستيل في مسرحية سارتر «لا مفر»، وقد كانت ترتجف حين أعد التلفزيون الفرنسي المسرحية في تشرين الأول عام ١٩٦٥ لبثها تلفزيونياً. والشيء المأسوي، هو أن الدور الكبير الذي كتبه سارتر من أجلها - جوهانا في مسرحية مذنب ألتونا - ثبت أنه دور صعب جداً بالنسبة لها. وقد لسعها أحد النقاد بقوله: «كانت لوحاً رائعاً من الجليد». الخلاصة، إن المسرح جذب لها غماً وخزياً.

كذلك كانت حياة حبها كارثية. كانت جميلة تفتن الرجال، لكن الرجال الذين أحبتهم كانوا متزوجين، ولم يلتزموا بها. وكانت علاقتها بسارتر سرية. بالطبع كان سارتر مخلصاً لها بطريقة ما، وتابع رؤيتها ثلاث مرات في الأسبوع، ودعمها مالياً. لكنها عرفت أنها خيبت آماله كممثلة.

في الفترة الأخيرة ضغط عليها سارتر وشقيقها كلود لترك التمثيل، واتخاذ الصحافة مهنة لها. لكنها احتجت قائلة: «ذلك يعني أني رضيت بهزيمتي كممثلة». كانت القشة الأخيرة حين أفشلها جسدها. ففي آذار عام ١٩٦٦ حين كانت على وشك السفر في جولة مسرحية، أصيبت بذات الجنب. أمضت أسابيع في المشفى تعاني آلاماً مبرحة. وحين خرجت كانت واحدة من رئتيها سليمة، وكان أبسط جهد تبذله يجعلها تلهث.

منذ ذلك الحين فصاعداً، كانت دائماً تعبة ومحزونة، قلقة حول مهنتها ومذعورة من صحتها. وفي أواخر الخريف، أحست بأنها أقوى فذهبت إلى تونس لتشارك في فيلم وثائقي عن المرأة التونسية. عادت مرهقة، لكنها فخورة بالعمل الذي قامت به. وخلال وجودها في تونس استأنفت علاقتها مع عشيق سابق، هو مخرج تلفزيوني معروف خطط من أجل إعطائها دوراً رئيسياً في برنامج تلفزيوني. لكنها لم تكن

تحبه، إضافة إلى أنها كانت تعبة من التمثيل. وفي صباح أحد أيام تشرين الثاني، في ساعات الفجر الباردة، اختارت الموت.

تفاعل سارتر مع الأنباء بتشنجات بطنية حادة. وبعد ثلاثة أشهر أخبر زونينا قائلاً: «بالطبع هناك مذنب، ونحن جميعاً نشعر بالذنب. كان ذلك ثقيل الوطأة علينا. لم تكن الحياة سهلة بالنسبة لها. وأخيراً لم أكن سهلاً معها، على الرغم من المظاهر». وأضاف أنه منذ موتها لم يعد يسره أي شيء، لم يعد لديه رغبة في عمل شيء، باستثناء العمل ببطء وثبات في بحثه حول فلوبير.

كتبت بوفوار في كتاب «كل ما قيل وفعل»:

«في الحقيقة، إن جميع الميتات التي حدثت وسط الناس الذين عرفتهم خلال هذه السنوات الأخيرة، ثمة موت واحد أثر بي بعمق، إنه موت إيفلين. لكن ليس لدي رغبة في الحديث عنه». في الواقع، أحبت بوفوار الحديث عنه لكنها لم تستطع. فقد وعدت سارتر ألا تشير إلى ولعه الشديد بإيفلين، بسبب ميشيل. لقد ناقشت المسألة مع لانزمان. ترى هل يتعين عليها الحديث حول إيفلين من دون الحديث عن علاقتها بسارتر؟ قال لانزمان لا إذ ستزوّر حياة إيفلين على نحو كامل. ولكن حين نشر كتاب بوفوار « قوة الظرف»، آلم إيفلين كثيراً. فقد كانت عضوة قريبة من العائلة طوال سنوات، ومرة ثانية أُخرجت من الصورة العامة. لقد تحدثت بوفوار مطولاً حول كلود، لكنها نادراً ما ذكرتها. بدا أنه حُكم عليها بالبقاء بعيدة عن الأضواء.

حين قتلت إيفلين نفسها، كانت علاقتها الجنسية مع سارتر منتهية منذ عشر سنوات، ومع ذلك أصرت بوفوار على أن علاقة إيفلين مع

سارتر غير المرضية لعبت دوراً في انتحار إيفلين. وقد أخبرت جون غيراسي قائلة:

«لفهم إيفلين ينبغي أن نفهم كيف كانت علاقتها المعقدة مع سارتر، وربما كانت هذه العلاقة هي السبب الجوهري الذي أدى إلى انتحارها، على الرغم من أني لا أعتقد ذلك.سابقاً كان هناك ورطة بسبب ميشيل. لقد منح سارتر إيفلين الكثير – من وقته وطاقته وحضوره ورقته – في الحقيقة منحها الكثير... لكن بقي ذلك في حدود العلاقة السرية. الكل علم بالعلاقة، ومع ذلك ظلت غير معلنة... لم تحب إيفلين ذلك».

كان جاك لانزمان على قناعة من أن أصدقاء إيفلين استغلوها. كانت معروفة بجمالها، وبأنها عشيقة الرجال الشهيرين، وهذا ما جعلها أشبه بغنيمة. فبعد سارتر كان هناك الكثير من العشاق، «تشابكت أيديهم وأرادوها محتجبة».

كتب زوج إيفلين السابق سيرج ريزفاني، إنه على الرغم من أن موت إيفلين كان صدمة موجعة لعائلتها وأصدقائها، لم يرد أحد أن يرى المأساة الحقيقية وراء موتها. «اليوم أستطيع القول إن إيفلين كانت ضحية كراهية النساء العابثة التي ميزت، حتى عام ١٩٦٨، طبقة المثقفين اليساريين».

تعرض ريزفاني للكثير من الانتقادات بسبب تلك الجملة. إذ لم تعجب النقاد الذين ينتمون إلى طبقة المثقفين اليساريين على الإطلاق.

في بداية الستينيات أثار المجلد الثاني من مذكرات بوفوار اهتماماً جديداً ومحموماً بثنائي سارتر – بوفوار. فقد حظي مجلدا «ريعان الحياة» عام ١٩٦٠ و«قوة الظرف» عام ١٩٦٣ نجاحاً كبيراً. انتشرت صور بوفوار وسارتر في جميع المجلات. احتلت أسطورة سارتر – بوفوار مكانها اللائق.

كانت مذكرات بوفوار، قصة حياتها، انعكاساً لحياتها الحقيقية. جاءها رسائل، العديد من الرسائل. استساغ بعض القراء عملها، وسخط عليها البعض الآخر. رغب البعض في المزيد مما قالته، وتمنى البعض لو أنها أقلت. كان ثمة شكاوى حول التحريفات. والإساءات في عرض الوقائع. غضبت نساء سارتر الأخريات لأنهن تهمشن، وكأنهن بالكاد وجدن في حياة سارتر.

كان واضحاً بالنسبة لأي شخص عرف العشيرة السارترية أن بوفوار تحكمت بالصورة العامة. كانت تروي قصتها بطريقتها. لقد منحها فعل الكتابة قدرة كبيرة. فقد أكدت، علانية، موقعها في الصدارة وسط نساء سارتر. كان بمقدورها ترك واندا خارج القصة. كان بمقدورها أن تضع فيها تعليقاً مدمراً هنا وهناك حول أولغا ودولوريس أو أية واحدة أخرى سببت لها ذات مرة العذاب. وفوق كل ذلك، خلق أسلوب السرد وعرض وجهة النظر مفعول التحكم. كانت تنظر إلى ماضيها من موقع الظفر. يقول الراوي، في رواية سارتر «الغثيان»، متأملاً: «كل شيء يتغير حين تروي شيئاً حول الحياة. إنه تغير لا يلاحظه أحد: الدليل على ذلك هو أن الناس يتحدثون عن قصص حقيقية، وكأنما يمكن أن يكون هناك قصص حقيقية: تجري الأحداث بطريقة ونرويها نحن بإدراك مضاد. يتراءى لك أنك تبدأ من البداية: «كانت أمسية خريفية رائعة في عام ١٩٦٢...». وإنك في الواقع بدأت من النهاية».

كرهت واندا مذكرات بوفوار. كانت غيرى من الجلبة التي أثيرت حولها. وقد امتعضت من هذه الصورة المثالية لعلاقة سارتر - بوفوار. بالنسبة لها، كان الكتابان متخمين بالأكاذيب. وقلما أشارت بوفوار إلى دور واندا في حياة سارتر زمن الحرب. والأسوأ هو أن الكتابين

جعلا واندا تتساءل حول سارتر. فبحسب واندا، كان سارتر ينكر دائماً قربه من بوفوار.

كان لدى واندا، مَثَلُها مثل أختها، استعداد دائم للغضب العاصف، لكنها، بعد وفاة والدتها، عانت أعراض مرض البارانويا[٢٢]. كانت تظن أن كل واحد يخطط للإيقاع بها، فازداد بغضها عنفاً. و لم تساعد المخدرات في شفاء حالتها الذهنية. وطوال العقد الماضي كانت تنافس سارتر في تعاطي الأمفيتامين[٢٣] والباربيتورات[٢٤]. في تلك الأيام كانت تتعاطى الكوكائين أيضاً. كان ثمة ورطات بغيضة بسبب تعاطي المخدرات. فذات يوم وقعت في الشارع و لم تعرف أين تسكن. التقطتها الشرطة وأخذتها إلى المشفى. وبعد جهد جهيد استطاعوا الاتصال بسارتر.

وفي تلك الأيام كرهت واندا أختها أولغا، لكنها لم تكره أحداً مثلما كرهت بوفوار. فكلما صادفت صورة لبوفوار في الصحافة كانت تخربش فوقها بعنف. وكانت تغرز دبابيس في دمية الفودو[٢٥]، في محاولة لتعجيل موت بوفوار. وبعد ظهور «قوة الظرف» حصلت واندا على مسدس – مسدس نسائي، تستطيع أن تقتل به من مسافة قريبة – وأخبرت سارتر قائلة إن لديها نية في ارتكاب جريمة.

كانت سيلفي لوبون هي التي اتخذت الإجراء. إذ دخلت، مع

٢٢– البارانويا: جنون الارتياب أو الاضطهاد أو العظمة. المورد الحديث.

٢٣– أمفيتامين: عقار يستعمل منبهاً أو مفرجاً للاحتقان. المعجم المحيط.

٢٤– باربيتورات: عقار مسكن. المعجم المحيط.

٢٥– الفودو، Voodoo: ديانة تقوم على السحر الأسود والطقوس السحرية يمارسها السود في جزائر الهند الغربية وأمريكا. المعجم المحيط.

صديقتين لها من الإيكول نورمال، إلى شقة واندا، بعد أن هتفت لها إحداهن تخبرها أنها تود إجراء مقابلة معها لصالح مجلة إيل «Elle». حجزتها اثنتان منهن، بينما راحت لوبون تبحث عن المسدس وعن رسائل سارتر. أخيراً عثرت على المسدس، لكنها لم تعثر على الرسائل. ثم خرجن تاركات واندا مذعورة ومتألمة.

* * *

كان ألغرين هو الشخص الوحيد الذي نفَّس عن غضبه علانية بسبب مذكرات بوفوار. كان قد احتمل كتاب «أمريكا يوماً بعد يوم» ورواية «المندرين». لكنه الآن يصرح في إحدى المقابلات الصحفية قائلاً: «إن الإعلان عن علاقة حصلت بين اثنين هو تدمير لتلك العلاقة. انظر، إن الشيء الهام في العلاقة الجنسية هو أنها تدعك تغدو هي وتدعها تغدو أنت، ولكن حين تشارك العلاقة مع كل شخص يستطيع شراء الكتاب، فإنك تقلل من قيمتها. إنها تفقد معناها. اعتقد أن ذلك جيدٌ من أجل المتاجرة بالكتاب، لكنك تفقد الاهتمام بالطرف الآخر».

كان ذلك قبل أن يقرأ كتاب «قوة الظرف» الذي ظهرت ترجمته الإنكليزية في الولايات المتحدة في ربيع عام ١٩٦٥. وقبل نشر الكتاب، نُشرت مقتطفات منه في مجلة «هابر» من خلال مقالتين نشرتا في تشرين الثاني وكانون الأول تحت عنوان «مسألة الإخلاص». وقد اختار المحرر مقتطفات تهم القراء الأمريكيين، أي التي تتضمن وصفاً لعلاقتها بألغرين ولعلاقة سارتر بفانيتي. وفي ليلة شتائية في شيكاغو فتح ألغرين المجلة وقرأ عن رحلة سارتر إلى الولايات المتحدة بعد التحرير وحول علاقته بفانيتي، ثم قرأ عن رحلة بوفوار إلى الولايات المتحدة:

تعلقتُ بألغرين في نهاية فترة وجودي في الولايات المتحدة. وعلى

الرغم من أني تحدثت عن هذه العلاقة - على وجه التقريب - في «المندرين». أعود إليها، ليس حباً بنشر الأقاويل، ولكن لكي أتفحص عن كثب مسألة طرقتها ببساطة في مجلد «ريعان الحياة» وهو الثاني من مذكراتي، وهي: هل هناك إمكانية للتوفيق بين الإخلاص والحرية؟ وإذا كان ثمة إمكانية، فما هو الثمن؟

هناك العديد من الشركاء الذين توصلوا، نوعاً ما، إلى الاتفاق ذاته الذي جمع بيني وبين سارتر: الحفاظ على «نوع من الإخلاص»على الرغم من الانحرافات الكثيرة عن هذا المسلك الأساسي. «لقد كنت مخلصاً لك، سينارا! بطريقتي». إن مثل ذلك الالتزام له مخاطره... فإذا لم يسمح ولفَيْن لنفسيهما إلا بالعلاقات الجنسية العابرة، عندئذ لن يكون هناك مشكلة، لكن ذلك يعني أيضاً أن تلك الحرية التي أجازاها لنفسيهما ليست جديرة باسمها. كان لدينا أنا وسارتر طموحات أكثر، هي رغبتنا في اختبار «علاقات حب عارضة». ولكن هناك سؤال تجنبناه عمداً وهو: كيف سيشعر الشخص الثالث إزاء هذا التدبير؟

في مقالة كانون الثاني، المنشورة تحت عنوان «لقاء أمريكي» اكتشف ألغرين تفاصيل لم يكن يعرف عنها شيئاً:

«عندما تصلين إلى شيكاغو، فاذهبي لرؤية نيلسون ألغرين من أجلي»، طلب مني ذلك شاب مثقف حينما كنت في شيكاغو. وقد وصفت بأمانة لقائي الأول معه في كتابي «أمريكا يوماً بعد يوم»، ولكنني لم أشر إلى الانسجام الفوري الذي نشأ بيننا... هتفت له قبل أن أغادر إلى محطة القطار، كان عليهم أن يأخذوا مني الهاتف بالقوة... مرت أسابيع: طلب مني سارتر في واحدة من رسائله أن أرجئ مغادرتي لأن فانيتي ستمدد إقامتها في باريس عشرة أيام أخرى. فجأة جعلني ذلك أشعر بالحنين الذي أحسست به آن في روايتي «المندرين»: سأكف

عن كوني سائحة: أردت أن أتمشى مع الرجل الذي سيكون لي مؤقتاً. هتفت لألغرين...

حدثني الناس عنه كثيراً، قالوا إنه متقلب ومزاجي حتى إنه عُصابي. فرغبت في أن أكون الوحيدة التي تفهمه.

انتقد ألغرين مذكرات بوفوار في مجلة «رامبارتس»:

«عندما تصل إلى باريس، فاذهب لرؤية بوفوار»، طلب مني ذلك مثقف مزيف. قال الناس عنها إنها متكلفة، جدية، تعوزها روح الفكاهة، استبدادية بالنسبة لكاتبة جيدة. رغبت في أكون الوحيد الذي يعرف أنها كاتبة غير جيدة.

وانتقد الكتاب ثانية في مجلة «هاربر»، في مقالة تحت عنوان «قضية دو بوفوار». فيما يلي فقرات معها:

ليس ثمة مؤرخ لحياتنا منذ ثيودور درايزر جمع بين الشغف الشديد بالعدالة الإنسانية والبلادة الخانقة مثل السيدة بوفوار. ففي حين يلوم الكُتَّاب الآخرون القارئ بلطف، تلصق بوفوار أنفه بالسبورة وتنغزه بوساطة مسطرة طولها ١٢ إنشاً، وتحذره من أنه إذا لم يتصرف تصرف البالغ الراشد فستتأهب لمعاقبته حتى يفعل ذلك.

حين تكون بوفوار على حق فهي محقة تماماً، وحين تكون على خطأ فهي بالغة السخف. إن عالم بوفوار الذي وصفته بدقة كبيرة، هو رؤية ذهنية ليس غير، وليس ثمة أحد عاش خلف تلك المرآة. وهذا يفسر سبب افتقار شخصيات رواياتها للحياة، على الرغم من أنها أُخذت مباشرة من الحياة.

وبما أن السيدة بوفوار ليست من النوع الذي يخاطر بفقدان حريته،

شعرت أنها يمكن أن تؤمن بعدم إخلاص جان - بول سارتر. تلك خطوة ماكرة في هذا الصدد... «كان لدينا أنا وسارتر طموحات أكثر، هي رغبتنا في اختيار «علاقات حب عابرة»»...

إن أي شخص يستطيع اختبار الحب على نحو عابر لديه ذهنية مشوهة، إذ كيف يمكن أن يكون الحب عابراً؟ وعلى أي أساس؟... القوادون هم أكثر صدقاً من الفلاسفة. إنهم يسمون هذا مناورة لصيد الزُّبُن.

إن تصميم بوفوار على «كتابة بحوث أدبية قربانية يعرّي فيها الكاتب نفسه من دون مبررات». فإنها منذ أن وظفتها بهذه الجدية والمهارة، طالبت كل شخص الآن، من الناحية العملية، بالتضحية بنفسه، ما عداها.

في أيار عام ١٩٨١، بلغ نيلسون ألغرين الثانية والسبعين من عمره. كان قد انتقل إلى ساغ هاربور في لونغ آيلاند. وكان قد انتخب للتو عضواً في الأكاديمية الأمريكية للفنون والآداب، وقد قدم الصحفي و. ج. ويذرباي إلى بيته الريفي ليجري مقابلة معه. وخلال مجريات المقابلة سأله ويذرباي عن بوفوار. لم يكن هناك أي تواصل بين ألغرين وبوفوار منذ عشرين عاماً تقريباً، لكن السؤال جعله ينفعل، وأجاب بحدة قائلاً: «لقد زرت بيوت دعارة في الكثير من البلدان، كانت المرأة فيها تغلق باب غرفتها، سواء كان ذلك في كوريا أو الهند. لكن هذه المرأة فتحت الباب ودعت عامة الناس والصحافة... أنا لا أحقد عليها، لكنني أعتقد أن ذلك كان شيئاً مرعباً». لقد سبق أن استشار ألغرين طبيباً حول ثقل في صدره، لذا رأى ويذرباي أن من الأفضل تغيير الموضوع.

في الليلة التالية، كان مقرَّراً أن يقيم ألغرين حفلة في بيته احتفالاً

بجائزته الجديدة. لكن حين وصل الضيف الأول، وجده ممدداً على الأرض وقد فارق الحياة. مات إثر نوبة قلبية حادة.

نشرت الصحف الفرنسية نبأ موته. وقد هتفت بوبيت إلى سيمون لتقدم لها التعازي. استقبلت بوفوار النبأ ببرود. سألتها بوبيت: ألست آسفة؟ ألا تشعرين بشيء تجاهه؟ أجابتها بوفوار: لم يتوجب عليّ ذلك؟ ما الذي شعره تجاهي حينما كتب تلك الأمور المرعبة؟ لكنها لم تنزع من إصبعها خاتم ألغرين. لقد ظلّ في إصبعها حتى موتها.

كان سارتر يعاني ضيقاً، عاطفياً وسياسياً، وكان يحتسي كميات كبيرة من الكحول. وفي شباط عام ١٩٦٧، بعد ثلاثة أشهر من انتحار إيفلين، سافر مع بوفوار في رحلة إلى الشرق الأوسط - زار مصر أولاً ثم إسرائيل. وقد هيأت مجلة «الأزمنة الحديثة» مقالة حول الصراع العربي - الإسرائيلي، كتب كلود لانزمان القسم المتعلق بإسرائيل، وكتب علي السمان، وهو صحفي مصري شاب كان يدرس في فرنسا، القسم المتعلق بالعرب. تنقل الأربعة معاً هنا وهناك في مصر. شاهدوا المعالم الأثرية، وزاروا مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، وتحدثوا مع مثقفي الجناح اليساري. وقابلوا الرئيس جمال عبد الناصر.

في ليلتهم الأخيرة في القاهرة، دُعوا إلى عشاء وداعي سخي في قصر عربي يعود تاريخه إلى القرن السادس عشر، تخلله عرض ترفيهي تضمن الرقص الشرقي والمولوية. وبعد منتصف الليل بقليل أوت بوفوار إلى فراشها، بينما استمر الباقون في سهرهم. كان سارتر، طبقاً لكلود لانزمان، نصف ميت من السكر.

شرب الكثير من الكحول لأنه كان يرغب في إغواء امرأة كانت هناك. كان متوتراً جداً وعدوانياً. إذا سُئلت بوفوار عن السبب، فربما

ستقول: لأنه عاد تواً من غزة، وكان قد شاهد اللاجئين. هذا صحيح، ولكن ليس كل الصحة. كان هناك هذه المرأة، وكان عليه أن يفارقها. كان علي الصحفي المصري دليلنا، وكان لطيفاً جداً ومرحاً. وفي غرفة الفندق هذه الملأى بالميكروفونات قال سارتر: «أنت شاذ يا علي، أنت شاذ قذر». لم يدرك ماذا أصاب سارتر. ضحك في البداية ضحكاً مفتعلاً. قلت لسارتر: «كف عن ذلك، أنت مجنون». فشتمني وقال: «لانزمان أنت أيضاً شاذ».

وأخيراً قلت لعلي: «اسمع، سنحمله إلى السرير».

في صباح اليوم التالي كان ثمة مؤتمر صحفي. ذهبتُ إلى غرفة بوفوار لأوقظها وأخبرها أن سارتر لن يستطيع المشاركة في المؤتمر. كانت عيناه محتنقتان، لكنه شارك في المؤتمر.

بعد مصر، أمضى سارتر وبوفوار أسبوعين في إسرائيل، أما كلود لانزمان فقد غادر إلى باريس بعد ثلاثة أيام، وسافرت إيلكايم إلى تل أبيب. فقد اعتقد سارتر أن من الهام بالنسبة لابنته اليهودية أن ترى إسرائيل.

نشرت الصحافة الفرنسية مقالة حول الصراع العربي - الإسرائيلي في نهاية أيار. وقد كتب سارتر في مقدمته لها شارحاً كيف اختلف في الرأي مع أصدقائه في هذا الصراع. لقد عاشوا خلال الحرب العالمية الثانية، وراعهم العداء للسامية في أوربا. وخلال الحرب الجزائرية وقفوا إلى جانب المقاتلين من أجل الحرية والاستقلال. «كنا نعيش هذا الصراع كما لو أنه كان مأساتنا الشخصية».

بعد عدة أيام، في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧، هاجمت إسرائيل مصر. وفي نهاية حرب الأيام الستة، كما أصبحت تعرف، احتلت إسرائيل شبه جزيرة سيناء والقدس الشرقية ومرتفعات الجولان

وقطاع غزة والضفة الغربية. انقسم المثقفون الفرنسيون ثانية. ترى هل ما قامت به إسرائيل كان دفاعاً عن النفس كما ادعت، أم كانت البادئة بالعدوان؟ كان ذلك أشبه بقضية دريفوس، هذا ماكتبه سارتر لزونينا. لدى كل جانب آراء متطرفة، وهو نفسه يجازف بالمشاجرة مع أفضل أصدقائه.

كان موضوع الصراع العربي - الإسرائيلي واحداً من عدة موضوعات اختلف سارتر فيه مع بوفوار. كان كلاهما يعتقد أن من حق اليهود أن يكون لهم دولة، ومن حق الفلسطينيين أن يكون لهم دولة. لكن سارتر كان قلقاً من سياسات الدولة الإسرائيلية التي تحاول أن تجعل المفاوضات مع الفلسطينيين مستحيلة. وكانت بوفوار مقتنعة بأن الفلسطينيين لن يرضوا بأقل من تدمير إسرائيل. كانت أكثر تعاطفاً مع إسرائيل. كتبت تقول: «لم أكن متفقة تماماً مع أي واحد من أصدقائي، ومع بعضهم لم أكن في صراع كلي».

خلقت حرب الأيام الستة شقاقاً بين سارتر وكلود لانزمان. فكلود الذي تأثر ذات مرة بكتاب سارتر حول العداء للسامية، أصبح الآن يعد سارتر «ضد السامية». وعد سارتر لانزمان «إمبريالياً».

لكن لانزمان لم يتحمل المخاصمة مع سارتر، وكذلك بوست. فقد طرد سارتر مرة بوست من شقة بوفوار لأنه وقف إلى جانب كو في مجادلة.

غضب سارتر وبوفوار غضباً شديداً حين بدأت الولايات المتحدة تقصف فيتنام الشمالية بالقنابل في شباط عام ١٩٦٥. وبعد سنتين شاركا في «محكمة راسيل[٢٦]» التي أنشأها برتراند راسيل (كان في

٢٦- محكمة راسيل: أنشأها برتراند راسل رداً على الجرائم التي ارتكبت خلال حرب فيتنام. وتألفت هيئة المحكمة آنذاك من ٢٥ شخصية بارزة، العديد منها حائز على جائزة نوبل، وجوائز أخرى في المجالين الإنساني والاجتماعي. (المترجم)

الرابعة والتسعين من عمره) لإثارة الرأي العام العالمي ضد الفظاعات التي ترتكبها الولايات المتحدة في فيتنام.

في أيار عام ١٩٦٧، انعقدت المحكمة في ستوكهولم: استمرت المناقشات طوال عشرة أيام وفي تشرين الثاني، اجتمع المشاركون ثانية، بضمنهم جون غيراسي، ابن ستيفا وفرناندو، الذي كان في فيتنام لجمع البينات - وجيزيل هاليمي، محامية سارتر وبوفوار.

كانت أعمال النهار منهكة، لكن الأمسيات كانت أنيسة. فقد قابل سارتر وبوفوار أصدقاءهما القدماء من حول العالم. في بعض الأمسيات كان لانزمان يحل محل سارتر. وكان بوست يبعث تقاريره إلى «نوفيل أوبزرفاتور». وقد قدمت سيلفي لوبون في نهاية الأسبوع، واستأجرت مع بوفوار سيارة لاكتشاف المنطقة. وشاركت آرليت إيلكايم في المؤتمر بصفة سكرتيرة سارتر. أحب سارتر وبوفوار فلاديمير ديديجيه، المثقف والمناضل اليوغوسلافي، الذي رأس بعض الجلسات. وقد شاركتهما إيلكايم في محبتهما له، وأقامت علاقة معه.

كانت سيلفي لوبون تدرّس الفلسفة في روان، في ذات المدرسة التي درّست فيها بوفوار. وكانت حين تنتهي دروسها تأخذ أول قطار عائدة إلى باريس. في روان عاشت في الفندق ذاته الذي عاشت فيه بوفوار طوال سنتين. وكانت تحتسي قهوتها الصباحية في المكان نفسه الذي كانت ترتاده بوفوار. وقد كتبت بوفوار تقول: «كل هذا منحني إحساساً بأني متقمصة».

صدمت لوبون أصدقاءها بمشابهتها لبوفوار. كتبت جيزيل هاليمي: «سيلفي تعبر عن نفسها بطريقة بوفوار، وتبدو كأنها صدى لأفكارها، تربط شعرها مثلها، وتتصرف بالطريقة التي تتصرف بها بوفوار».

كتبت بوفوار في كتاب «كل ماقيل وفعل»، حول علاقتها بسيلفي بالطريقة التي وصفت بها علاقتها بلانزمان:

كنت مخطئة في عام ١٩٦٢ حين ظننت أن لاشيء مهم سيحدث لي، بمعزل عن النكبات. الآن مُنحتُ ثانية قدراً هاماً من الحظ... لاأحد يستطيع مثلي تقدير ما اكتسبته منها... لقد امتزجتْ بحياتي كما امتزجتُ بحياتها... قرأنا الكتب ذاتها، شاهدنا العروض الفنية معاً، وتجولنا معاً في السيارة. كان ثمة تبادل بيننا إلى درجة أني فقدت إحساسي بعمري: جذبتني نحو مستقبلها، وثمة أوقات استرد الحاضر البعد المفقود.

أنكرت المرأتان وجود علاقة جنسية بينهما. وقد أصرت بوفوار طوال حياتها على أنها لم تمارس الجنس مع امرأة. وكانت أحياناً تتجنب السؤال بقولها: إن جميع النساء على درجة من الشذوذ الجنسي في أذواقهن نظراً لأنهن، مقارنة بالرجال، أكثر جاذبية وأرق، وبشرتهن أنعم، وهن أكثر فتنة. «بالطبع أقمتُ علاقات هامة مع النساء، بعضها حميمي جداً، وأحياناً قريبة بالمعنى الجسدي، لكنها لم تثر فيَّ عاطفة شهوانية». لكن رسائلها الموجهة إلى سارتر التي نشرت بعد موتها تشير إلى عكس ما ادَّعت.

تحدثت لوبون حول هذا الموضوع بذات الإبهام والغموض. قالت إنه كان حباً، وليس صداقة، إنها وبوفوار شعرتا بالعطف تجاه بعضهما. كانتا «حميمتين. وكانت علاقتهما شهوانية لكنها ليست جنسية». وأشارت إلى أنهما كانتا ذات ميول ذكورية. وكمحاكاة لبوفوار، تتحدث لوبون وكأن ممارسة السحاق لم تكن ببساطة شيئاً حقيقياً. وقد توقفت عند كلمة «شريكتان» فقالت إنهما لم تكونا شريكتين، لأن بوفوار شجعتها منذ البداية على إقامة علاقات مع أشخاص آخرين، وقد فعلت ذلك.

بالنظر إلى الوراء، تعتقد لوبون أنها كانت شابة جداً لتعي أموراً محددة، لكن بوفوار أرادتها أن تكون مستقلة وأن لا تطالبها بشيء لا تستطيع تقديمه. وتضيف لوبون «اعتادت بوفوار القول إنها حذرة جداً معي. إذ شعرت أنها ارتكبت أخطاء في الماضي».

كانت بوفوار، في الوقت الذي قابلت فيه لوبون، مدركة على نحو مؤلم جسدها المسن. وفي عام ١٩٦٨ نشرت مجموعة من ثلاث قصص تحت عنوان «المرأة المحطمة» عالجت فيها فكرة المرأة المسنة التي تكيف نفسها لقبول واقع أنها لم تعد مرغوبة جنسياً. وبعد ذلك بدأت البحث بشأن دراسة شاملة حول الشيخوخة.

تتذكر لوبون بانفعال نقطة الانعطاف. في عام ١٩٦٩ كانتا في رحلة في شمال اسكتلندا، وفي إحدى الأمسيات شعرتا بتقارب كبير. أرادت لوبون المزيد، فأخبرتها بوفوار قائلة بلطف «إن أي رجل يرغب فيك في فراشه، ولكني، فعلياً، أشبه برجل عاجز».

تساءلت سيلفي: ما الذي سيحدث إذا هي تحلت بروح المبادرة؟ ترى هل تحتاج بوفوار إلى طمأنة؟ وتقول لوبون إنها كانت شابة في ذلك الوقت، وتأخذ على محمل الجد كل ماقالته بوفوار.

بعد ذلك، شعرتا بأنهما قد تحررتا معاً، كما صرحت بذلك لوبون، فالذي قيل كان قد قيل، واستطاعتا في لحظات معينة التقارب على نحو حميمي من دون الحاجة إلى بذل أي مجهود.

أحب سارتر أن يصف نفسه بـ «ممرض المنطقة». وقد أخبر صديقه المعالج النفسي بيرتراند بونتاليس قائلاً «إنك محظوظ إذ يأتي إليك المرضى ويدفعون لك أجراً، أما في حالتي، فأقوم بزيارات وأدفع مقابل ذلك».

بمرور السنين اختلف جدول أعمال سارتر قليلاً. كان يستيقظ في الثامنة والنصف. وبعد الإفطار يبدأ العمل من التاسعة والنصف إلى الواحدة بعد الظهر. يتناول غداءه مع ميشيل أو آرليت أو بوفوار. ثم يعود للعمل من الرابعة والنصف إلى الثامنة والنصف بعد الظهر، وبوفوار جالسة إلى جانبة تعمل. في أمسيتَيْ الاثنين والخميس يأكل في شقة آرليت، بعد ذلك يتحدثان أو يشاهدان التلفزيون، ثم ينام في شقتها. هو في الطابق الأعلى، وهي في الأسفل. وفي أمسيتي الثلاثاء والسبت يكون مع بوفوار وينام في شقتها. ويمضي أمسية الأربعاء مع ميشيل، ثم يذهب إلى بيته. وفي أمسيات أيام الجمعة يظل مع واندا حتى الحادية عشرة ليلاً، ثم يذهب إلى بيته.

أما عطل نهايات الأسابيع فهي منظمة على النحو التالي: يوم السبت الغداء مع آرليت. مساء السبت مع بوفوار. فطور الأحد مع آرليت، غداء الأحد مع والدته في فندقها، وفي المساء مع ميشيل. وبعد وفاة والدته عام ١٩٦٩، صار يتناول غداء الأحد مع بوفوار ولوبون في كوبول.

لقد منحه هذا التنظيم إحساساً بالاستقرار. حمته نساؤه من العالم. جعلنه يشعر أنه محبوب ومطلوب. فقد كان بحاجة إلى صحبة. في إحدى الأمسيات وجد نفسه وحيداً، إذ كان يفترض أن يكون مع آرليت في شقتها، لكنها كانت مشغولة، فذهب إلى شقتها ليشاهد التلفزيون. وحين أقبل أندريه بيوج، صديق آرليت، نحو منتصف الليل، وجد سارتر ممدداً على الأرض فاقداً الوعي بتأثير الكحول. وقد أنفق بيوج نصف ساعة وهو يساعده للوقوف على قدميه.

أنفقت بوفوار عمراً وهي تلاحظ كم كان سهلاً على النساء أن يحشرن سارتر في زاوية. «ذاك ضميره المذنب» على حد تعبير بوفوار.

إذ شعر سارتر بأنه مدين بالشكر لنسائه لحبهن له. وكان يتساءل دائماً إلى أي حد كان مسؤولاً عن سعادتهن، وإخفاقهن في تحقيق إنجاز ما. لماذا لم تعد واندا، التي قرأت ستاندال وتولستوي، قادرة على قراءة حتى الروايات البوليسية؟ وقدأخبر لينا قائلاً: «الجنون يجعل الإنسان يشعر بالذنب». كان يعلم أن ثمة أخطاء قد ارتكبها أحدهم.

لقد ادعى أنه يكره مشاهد الغيرة التي كان يسيطر عليها باستمرار، ولكن سارتر فعل أكثر من معظم الرجال لاستفزازهن. عاشت نساؤه على بعد عشر دقائق من مسكنه، وكان نادراً أن تجتمع الواحدة مع الأخرى، ولم تعرف أية واحدة منهن الحقيقة حول حياته. لم تكن آرليت تعرف أنه، بعد ذهابه في عطلة دامت ثلاثة أسابيع، ذهب مع واندا مدة أسبوعين أو ثلاثة. ولم تكن واندا تعرف أن سارتر مايزال يلتقي بميشيل. وحين ينام عند بوفوار، يخبر واندا بأنه كان نائماً في بيته. كانت رسائله لواندا مليئة بالتلفيقات الفظيعة. وحين يرحل مع نساء أخريات كان يحتج دائماً ببوفوار: «ألم أقل لك منذ البداية إنه ينبغي عليّ أن أمضي وقتاً مع سيمون دوبوفوار». يقول ذلك بصوت من نفد صبره، لأية امرأة تتذمر.

في أيلول عام ١٩٦٦ كان سارتر في اليابان، حيث ربطته علاقة مع مترجمته اليابانية توميكو أسابوكي. ومن هناك كتب لميشيل «أود أن أضاجعك. أفكر فيك دائماً». ومع مرور الزمن بدأت ميشيل تكتشف تلفيقاته. «من قبل كنت تكذب على نحو جيد، لكنك تكذب الآن على نحو سيِّء. لا أريد الحقيقة كاملة. ولا أريد أن أقول كيف حال بيفر؟ في الوقت الذي تكون فيه مع واحدة أخرى».

حين أجرى جون غيراسي مقابلة مع واندا عام ١٩٧٣، علق قائلاً إن ميشيل كانت غيورة جداً. كان ثمة صمت طويل، أخيراً قالت

واندا بصوت مشوب بالشك: «أحياناً كنت أسأل سارتر عن ميشيل، فيخبرني بأنه لم يعد يراها أبداً! ذلك صحيح الآن، ولكن أنت تعرف أني عنيت الزمن الماضي. كان يراها عندئذ».

عدد سارتر في رسائله إلى زونينا الأكاذيب التي كذبها على نسائه. وفي الوقت نفسه أكد لزونينا أنه مخلص لها، وأن ليس هناك شيء تغار منه. وقال إن علاقته بواندا وميشيل هي علاقة صداقة فقط، وأنه يكنُّ لآرليت مشاعر أبوية. وفي الواقع، تابع سارتر طوال علاقته مع زونينا التي امتدت خمس سنوات، علاقته الجنسية مع ميشيل، وعلى الأرجح مع واندا.

على الرغم من الفتور الذي كان يشوب علاقتهما أحياناً، إلا أن زونينا لم تنه علاقتها بسارتر حتى ربيع عام ١٩٦٧. لقد تأذت حين قرر سارتر قضاء ثلاثة أسابيع في إسبانيا بدل المجيء إلى الاتحاد السوفييتي كعادته. وقد برر سارتر موقفه بحجة أن بوفوار ترغب في أن تكون معه مدة أطول في ذلك العام. وقال، كان قاسياً بالنسبة لبوفوار الذهاب إلى الاتحاد السوفييتي حيث لا تراه أبداً وحده. «هذا أقل ما يمكن أن أفعله من أجلها، ثم من ذا الذي يقوم بدور المرافق مرتين في العام من دون احتجاج».

لقد أخبر ميشيل القصة ذاتها. سيذهب لقضاء شهر تموز في إسبانيا مع بوفوار. ومرة ثانية كانت صحيفة «فرنسا المساء» هي التي أفشت أمره. فقد وجدت ميشيل، القارئة النهمة لأعمدة القيل والقال، وجدت مصادفة صورة له في برشلونة مع آرليت. وحين عاد، لفتت انتباهه إلى الصورة، فقال سارتر «هذه لم تكن آرليت».

يقول لانزمان: «الأمر العجيب بالنسبة لي، حين أفكر بسارتر، هو

كيف يحاول هذا الإنسان، على الدوام، أن يمحو كل شيء يتعلق به، ويبدأ ثانية من الصفر... كأنه لم يكن شيئاً أو لا أحد».

شكل عام ١٩٦٨ نقطة انعطاف هامة بالنسبة لسارتر. لقد خضع في سن الثالثة والستين، إلى تحول آخر. ومرة ثانية أدى هذا التحول إلى رفض متطرف لذاته المبكرة. إن الهوية الوحيدة التي اتخذها بإخلاص طوال حياته كانت هوية المفكر، المفكر الذي اتخذ مواقف سياسية من خلال مقالات هامة. الآن، بدأ يستخف بنفسه بوصفه «مفكراً كلاسيكياً» منفصلاً عن الجماهير، بالمقارنة مع «المفكر الجديد» الذي كان جزءاً من الجماهير، والمنهمك في نشاط الشارع. وكخطوة أولى نحو ذلك التحول، غير الطريقة التي كان يلبس فيها. نبذ البدلات وربطات العنق، وصار يرتدي القمصان غير الرسمية والسترات، حتى حين يحاضر الجمهور.

وبعد أول صدامات جدية بين الطلاب والشرطة في باريس، نشر سارتر وبوفوار مباشرة بياناً في «لوموند» أعلنا فيه تضامنهما مع الطلاب. وفي الأسابيع التالية رمى سارتر بثقله فيما أصبح يعرف «بثورة الطلاب» لم يقدم نصيحة، بل اتخذ موقفاً عبّر فيه عن إيمانه بأن ماحدث كان لحظة من أجل الشباب ليتكلموا، وأنها فرصة بالنسبة له ليتعلم منهم.

إن ما وجده سارتر مجدداً للنشاط في ثورة أيار عام ١٩٦٨، هو أن الطلاب لم يطلبوا النقود بل الحرية. أرادوا مجتمعاً ذا نمط مختلف، أرادوا تغييراً جذرياً في العلاقات الإنسانية. لقد أطلقت شعاراتهم العنان للمخيلة. كانوا حذرين إزاء بنى السلطة التأسيسية، وأرادوا أن تكون الجامعات أقل قساوة وفساداً. وكان سارتر متفقاً معهم من كل قلبه. وقد قال إن الطريقة الوحيدة لتتعلم، هي أن تسأل من تعَلَّمْ. وهذا يتضمن استجواب الأساتذة. «الإنسان لا شيء إذا لم يكن منافساً».

في آب عام ١٩٦٨ اجتاحت الدبابات السوفييتية تشيكوسلوفاكيا. وللمرة الثانية خلال ١٢ عاماً كان الاتحاد السوفيتي هو المعتدي على نحو صريح. وفي روما رأى سارتر في مقابلة أجريت معه، أن السوفييت «مجرمو حرب». وفي نهاية تشرين الثاني، ذهب سارتر مع بوفوار في رحلة إلى براغ ليظهرا تضامنهما مع التشيكيين.

كتب سارتر لزونينا أنه لاينوي العودة إلى الاتحاد السوفييتي. فقد قطع هو وبوفوار علاقتهما مع الدولة السوفييتية. وقد عنى ذلك أنه لن يرى زونينا إلا إذا قدمت إلى باريس: «أريدك أن تعلمي أنه مهما كان اعتقادك حول علاقتنا فهو مزعج بالنسبة لي».

* * *

الآن أصبحت هيئة تحرير مجلة «الأزمنة الحديثة» تجتمع كل أسبوعين في شقة بوفوار، وقد انضم إليها في عام ١٩٦٨ ستة من الشبان، بضمنهم عدة نساء، من بينهن سيلفي لوبون. كانوا، بوجه عام، يثرثرون مدة ساعة – حول الأفلام والكتب والناس – ثم يبدؤون العمل.

كان بعض الأعضاء السابقين قد ترك المجلة بسبب النزاع مع سارتر. بقي القدامى جاك – لوران بوست وجان بولان، وأندريه غوزو الذي انضم إلى الفريق نحو عام ١٩٤٠، وكلود لانزمان الذي كان قد انضم منذ عام ١٩٥٢. ومازالت بوفوار تقرأ المسائل المطروحة على البحث، وتكتب مع صديقاتها عمود التحيز الجنسي.

في تلك الأيام كان سارتر متحمساً جداً لثورات الشباب في الحركة الماوية (نسبة إلى ماوتسي تونغ). وكانت الدولة تصادر، المرة بعد الأخرى، صحيفة «لاكوز دو بيوبل» الماوية. بحجة أن مقالاتها تمس الأمن القومي. وقد تقرب الزعيم الماوي بيير فيكتور من سارتر. ترى

هل كان سارتر مهيأً ليأخذ على عاتقه رئاسة تحرير الصحيفة مؤقتاً، لتجنب تحريمها؟ كان سارتر متحمساً دائماً إزاء حرية الصحافة. وافق سارتر على أن تلك الصحيفة كانت واحدة من وسائل الإعلام التي يستطيع العمال من خلالها إيصال صوتهم. وفي نيسان عام ١٩٧٠ أصبح سارتر رئيساً لتحريرها.

في حزيران وزع سارتر وبوفوار نسخاً من صحيفة «لاكوز دو بيوبل» وسط ضجة سوق في شارع داغير. ولمزيد من الحرص وقع هو وبوفوار اسمهما على معظم المقالات. لم تضايقهما الشرطة، لكنها اعتقلت عضوين ماويين كانا يوزعان نسخاً من الصحيفة في منطقة أخرى. وقد أعاد سارتر وبوفوار توزيع الصحيفة في الأسبوع الذي تلا. هذه المرة اعتقلا مع ١٦ شخصاً آخر. وحالما وصلوا إلى قسم الشرطة، جرى إطلاق سراح سارتر وبوفوار، باستثناء الـ ١٦ الآخرين.

أوضح سارتر قائلاً إنه يوزع نسخاً من الصحيفة ليس لأنه راغب في الذهاب إلى السجن، بل لأنه يؤمن بحرية الصحافة، ويريد أن يكشف جبن الجهاز القضائي ومعياره المزدوج.

جرت محاكمة الذين اعتقلوا في ١١ أيلول، فعلق سارتر قائلاً «إذا كانوا مذنبين، فأنا مذنب أيضاً». في تشرين الأول وزع هو وبوفوار الصحيفة ثانية. لم يزعجهما أحد، وبعد ذلك لم تصادر الصحيفة ثانية. لقد واجه سارتر وبوفوار إمكان تعرضهما لانتقام قانوني، لكي يصونا حرية صحافة الجناح اليساري الفرنسي.

في تشرين الثاني زار سارتر معمل سيارات رينو في باريس. وقد نشرت الصحافة صورة له وهو يتحدث إلى العمال، واقفاً على برميل وبيده ميكروفون. وقد عده الجميع، وبضمنهم أصدقاؤه في «الأزمنة

الحديثة»، أحمق. قالوا إن أفعال الشارع انقلبت ضده. وقد تفهته وسائل الإعلام. لكنه لم يرتدع.

كان يلتقي كثيراً بـ بيير فيكتور وأصدقائه المناضلين. وقد أصر على القول «إنه ليس ماوياً». وليس لديه الوقت من أجل «الكتاب الأحمر الصغير»، وهو لا يضع ثقته بالثورة الثقافية الصينية - أو بأي ثورة أخرى فيما يخص ذلك. لكنه يشعر أنه قريب من الماويين. يحب فيهم رفضهم للنخبوية والتراتبية والزعامات. يحب فكرة الماوي التي تقول إنه ينبغي على المثقف أن يصغي إلى الجماهير وأن يعمل معهم، أكثر من محاولة قيادتهم. إنه يعتقد أن عنف البروليتاريا كان بكل بساطة «عنفاً مضاداً» - إنه الرد الضروري على عنف الاضطهاد الرأسمالي.

بدا لسارتر أن الشباب أمثال بيير فيكتور يمثلون «المثقف الجديد». إنهم يتحدثون لغة الشارع، ويخاطبون كل شخص بصيغة الفرد لا الجمع، وبضمنهم سارتر. إنهم أقوياء جسدياً، ويلبسون مثل قطاع الطرق - ستراً سوداء جلدية وأحذية ثقيلة. وفي الوقت ذاته رأى سارتر فيهم نوعاً جديداً من الحساسية - نعومة ربطها سابقاً بالأنوثة.

كان بييرفيكتور في التاسعة والعشرين، ذا شعر طويل وحسن الهيئة. وقد أخبر سارتر بوفوار قائلاً: «أحبه، وأنا مولع به. أنا أدري أنه لا يروق لأي شخص، لكنني أعتقد أنه ذكي». فوجئت بوفوار حين رأت سارتر يُمضي، لأول مرة منذ سنوات، وقتاً طويلاً مع ذكر.

واعترف لها سارتر بقوله: « اكتشفت أن الذكر البالغ يثير القرف. ما أحبه فعلياً هو الشاب الصغير، وبقدر ما يكون شاباً صغيراً فهو لا يختلف أبداً عن الشابة. وهذا لا يعني أني لوطي، وفي الواقع إن هؤلاء الشباب والشابات في الوقت الحاضر لا يختلفون كثيراً، في لباسهم وفي طريقة حديثهم وتصرفهم».

كان بيير فيكتور يحب أن يتحدى سارتر. فقد قال له ذات مرة: «ألم تتعلم شيئاً منذ عام ١٩٦٨؟ وقد عد سارتر ذلك تأنيباً. ومرة حاول فيكتور إقناع سارتر بترك عمله الطويل والممل عن فلوبير - كان قد ظهر للتو المجلدان الأولان. لم لا يكف سارتر عن ذلك؟ كان الكتاب مكتوباً بلغة صعبة، وليس سهلاً تناوله، بالنسبة للقارئ العادي. لم لا يكتب سارتر رواية من أجل عامة الناس؟ أو بحثاً ثورياً؟

قال سارتر إنه لا يستطيع عمل ذلك. فلوبير يهمه. كان سارتر مسناً جداً، وليس بمقدوره تغيير طريقته، لا يستطيع أن يضع عمله الفكري في خدمة الجماهير. الأفضل بالنسبة له هو أن يكون قادراً على وضع نفسه في خدمة الأهداف السياسية التي يعدها هامة.

أصبح الماويون يشكلون حياة سارتر الجديدة السرية. فقد كان يذهب مع بيير فيكتور لزيارة العمال في منازلهم للحديث حول أوضاع العمل. وكان يحضر اجتماعات العمال المهاجرين. وأحياناً ينضم إلى فيكتور وأصدقائه من أجل وجبة مسائية في الضواحي.

من خلال بيير فيكتور دخل سارتر عالماً جديداً. شرع في مغامرة أخرى، بداية أخرى. لم تشارك بوفوار سارتر في تعاطفه مع الماويين. فقد وجدتهم دوغماتيين. ولم تتقبل عنفهم ومضايقتهم للشرطة. كانت ميشيل فيان هي التي تبعت سارتر في الدرب الماوي. فقد كان ابنها باتريك متورطاً بمظاهرات الطلبة عام ١٩٦٨. تقول ميشيل فيان. «خرجت في جميع المظاهرات وكنت قريبة من الصف الأمامي وأسير دائماً بجانب سارتر». وفي كانون الثاني عام ١٩٧١ شاركت ميشيل مع مجموعة من اليساريين في إضراب عن الطعام احتجاجاً على سوء أوضاع سجن سانتيه في باريس. احتلوا كنيسة سانت بيرنارد في محطة قطار في مونتبارناس وظلوا بلا طعام طوال ٢١ يوماً. كان سارتر

يزورهم باستمرار ويشجعهم. تقول آرليت إيلكايم إنها غدت أكثر قرباً من سارتر بعد عام ١٩٦٨ . لقد منحها تبنّي سارتر لها قبل ثلاث سنوات منزلة اجتماعية جديدة، لكن ثورة الطلاب هي التي غيرت علاقتهما. إن احترام سارتر لثقافة الشباب منحها صحة جديدة. لم يعد يتأفف من طريقتها في التفكير. بدأا مناقشة الأمور. أحياناً يصيح كل في وجه الآخر. وأحياناً كان يدعوها بالرجعية. لكنه أصبح يصغي إليها أكثر من ذي قبل.

طوال ثلاث سنوات على التوالي كانت آرليت تجلب معها صديقها في عطلتها السنوية التي تقضيها مع سارتر. إنه فلاديمير ديديجيه المناضل اليوغوسلافي. وبما أنه كان متزوجاً، كان سارتر يوفر له الغطاء، مثلما كانت بوفوار تفعل خلال علاقة سارتر بزونينا. كان سارتر يتذمر بقوله، إن وجود الثلاثة معاً يثير الريبة، لكنه كان يتحمل الأمر.

انهمك سارتر وبوفوار، لأول مرة في حياتهما، في معارك سياسية مختلفة. فحين يجتمعان للحديث في المساء، كانا يدوران في عالمين مختلفين. سارتر منغمس في الماوية، وبوفوار في الحركة النسوية. وفي حين كان سارتر يدرك بألم مكانته الهامشية في المناخ الفكري اللاإنساني المعاصر، غدت بوفوار القائدة الرمز لحركة النساء العالمية.

في صيف عام ١٩٧٠ تأسست في فرنسا أولى المجموعات النسائية الداعية إلى تحرير المرأة. كان الإجهاض ما يزال غير قانوني في فرنسا الكاثوليكية. وحين اتصلت شابتّان ببوفوار واقترحتا إصدار بيان تعلن فيه نساء معروفات أنهن أجرين إجهاضات، قالت بوفوار «إنها فكرة رائعة».

بعد عدة أشهر اجتمعت مجموعة من النساء الناشطات المعروفات في شقة بوفوار، واتفقن على جمع أكبر عدد من التوقيعات من أجل إصدار

بيان، عرف فيما بعد، ببيان الـ ٣٤٣. وقد نشر البيان في ٥ نيسان عام ١٩٧١ في صحيفة «نوفيل أوبزرفاتور». كان البيان مقتضباً جاء فيه: كل عام تخضع مليون امرأة حامل في فرنسا إلى عمليات إجهاض، ومع أن الإجراء سهل وبسيط إذا ما كان تحت الإشراف الطبي، إلا أن هذه الإجهاضات معرضة للخطر لأنها تجرى بسرية. لذا تطالب الموقعات الحق باستخدام وسائل منع الحمل الشرعية، وبجعل الإجهاض قانونياً.

كان بضمن النساء الموقعات: كوليت أودري، دومينيك ديسانتي، مارغريت دورا، جيزيل هاليمي، سيمون سينيوريه، كاترين دونوف، جان مورو، أولغا كوزاكيفيتش، آرليت إيلكايم، ميشيل فيان، هيلين دو بوفوار، ليليان زيغل.

أثار البيان فضيحة كبرى، فلأول مرة ذكرت في الراديو والتلفزيون الفرنسيين كلمة إجهاض المحرمة. ونعت المحافظون الـ ٣٤٣ موقعة بالبغايا. كانت النساء راضيات، فقد دفعن العجلات إلى الأمام. في الواقع، كان نصراً. فبعد أربع سنوات، في عام ١٩٧٥، أصبح الإجهاض قانونياً في فرنسا.

في كل صيف كانت لوبون، حين ينتهي فصل التدريس، تقوم مع بوفوار برحلة مدتها خمسة أسابيع. وكان سارتر يذهب في العطلة مع آرليت، ثم مع واندا.

كانت بوفوار تشجع لوبون على أن تحيا حياتها الخاصة، أن تتخذ عشاقاً. لم تجد لوبون ذلك سهلاً. وفي عام ١٩٦٨، كان ثمة قصة غرام بينها وبين بوست الذي كانت تعتقد بأنه وسيم. تقول لوبون «في البداية لم أكن راغبة في ذلك»، فحثتها بوفوار قائلة « لم لا، ينبغي أن تختبري كل شيء». لم تكن بوفوار غيورة، كانت سعيدة من أجلنا.

اعتاد سارتر وبوفوار، خلال سنوات، قضاء عطلة عيد الفصح في سانت - بول - دو - فينس في جنوب فرنسا. في الماضي كان يرافقهما كلود لانزمان وميشيل فيان. والآن يرافقهما إيلكايم ولوبون. أخذ سارتر وإيلكايم القطار، بينما سافرت بوفوار ولوبون بالسيارة. اتخذ سارتر وإيلكايم غرفتين في الفندق، في حين تشاركت بوفوار ولوبون في كوخ في أسفل حديقة الفندق. وقد نظموا تناول طعام الغداء والعشاء على النحو التالي: مرة في اليوم يتناولون معاً طعام الغداء أو العشاء. وفي الأحوال الأخرى يتناول كل زوجين الطعام وحدهما. لم تكن لوبون وإيلكايم سعيدتين حين تكونان معاً على الطاولة.

كانت إيلكايم تكبر لوبون بست سنوات فقط، لكنها تبدو في نظر لوبون مثل امرأة مسنة. «كانت باردة دائماً أو متعبة أو مريضة. لم تكن تهتم بالطعام الجيد. ولم تكن تشرب الخمر، فالخمر يمرضها. كانت سلبية إلى حد كبير. ولم يكن لديها شيء لتقوله. يا إلهي كانت مملة».

بدأت بوفوار العمل في كتاب «قدوم الشيخوخة» في حزيران عام ١٩٦٧. وطوال شهور كانت تستيقظ باكراً وتأخذ سيارة أجرة وتتوجه نحو المكتبة الوطنية، لتجد مكاناً شاغراً في المكتبة التي تفتح أبوابها في التاسعة صباحاً. (رفضت أن يُحجز لها كرسي دائم، فهي لاترغب في امتيازات خاصة). درست الشيخوخة من الناحية البيولوجية والإثنوبولوجية والتاريخية. وكرست القسم الثاني من دراستها للتجربة المعيشة. زارت دور المسنين. قرأت ما كتبه الكتاب في مذكراتهم حول شيخوختهم.

ظهر الكتاب في كانون الثاني عام ١٩٧٠. وخلال أسابيع كان الأول في قائمة المبيعات. أجمع النقاد على أنه كتاب غني وواضح وأشبه

برواية. وأشاروا إلى أن بوفوار واجهت ثانية المحظور الاجتماعي. لقد حطمت ثانية مؤامرة الصمت.

ترجم الكتاب إلى اللغة الإنكليزية في عام ١٩٧٢، وانتقد نقداً لاذعاً في صحيفة «لوس أنجلوس تايم». قال الناقد: «إنه يتضمن تعميماً متهوراً. فبعد أن أخذت بوفوار، عن غير قصد، دور عالمة اجتماع خلف كثير من الشائعات التي أطلقتها في كتاب «أمريكا يوماً بعد يوم». أعجب الآن من الذي يقوم بتلقينها تهكم اللامبالي. أرجو ألا يكون سارتر».

كان هذا الناقد الغيور هو كاتب من شيكاغو يدعى نيلسون ألغرين.

كان قد مضى على سارتر وهو يعمل في مؤلفه عن فلوبير عشر سنوات. وقد ظهر المجلدان منه، تحت عنوان «أبله العائلة»، في أيار عام ١٩٧١. وطوال سبع سنوات لم يظهر كتاب جديد لسارتر، عدا المقالات والمقابلات (نشرت في مجلدات ودعيت «الظروف»). كان اسمه يتردد دائماً في الصحف. ويظهر باستمرار على شاشات التلفزيون وأشرطة الأفلام الإخبارية. وكان ذلك كل شيء.

أناف عدد صفحات المجلدين الأولين على الألفي صفحة تناول فيها سارتر الستة والثلاثين عاماً الأولى من حياة فلوبير. وكانت هذه هي البداية، على حد تعبير سارتر. فقد كان ينقح المجلد الثالث. بعد ذلك سيشرع في كتابة المجلد الرابع الذي سيخصصه لشرح رواية فلوبير «مدام بوفاري».

كتب الناقد الأمريكي جون ويتمان: «إن كتاب سارتر هو من دون شك من أعظم الأعمال التي خطها كاتب حول كاتب آخر. قرأت فيه طوال شهر، في حالات نفسية مختلفة من السخط. والتواضع والغلو

واليأس... وحتى الآن وصل سارتر فقط إلى سفح الموضوع. ولكي يعالجه على نحو كامل سيتوجب عليه استيعاب الجنس البشري».

أخبر سارتر بوفوار قائلاً إنه شعر بالسعادة حين وصلت إليه نسخ الكتاب من دار غاليمار. لقد منحه ذلك الفرح، الفرح الذي شعر به حين نشر كتابه الأول «الغثيان».

-١٣-

طقوس الوداع

أيار ١٩٧١ – نيسان ١٩٨٦

كانت بوفوار تتعرض، طوال حياتها، لضغط يسببه لها قلق ويأس خانقان، وأزمـات مفزعة، يرهقها فيها النشيج والبكاء. وتفسرها كخوف من الموت والفراغ الغيبي. كتبت تقول: «يداهمني طوال ساعات نوعٌ من الإعصار يعرِّيني. وحين تصفو السماء ثانية لا أستطيع أبـداً الّتيقن من أنني قد استيقظت من كابوس، أوعـدت إلى سماء زرقاء خيالية، إلى حلم أرضي دائم».. كانت تفضل ألا تطيل التفكير بالهموم التي كمنت بوضوح تحت سطح كتابتها: خوفها من الوحدة، الاستسلام، فقدان الحب. لكنها اعترفت صراحة أنها كانت مسكونة بما وجدته أسوأ كابوس: موت سارتر.

الكتاب الوحيد الذي ستكتبه بعد موت سارتر، الكتاب الوحيد الذي لن يقرأه سارتر هـو«وداع سارتر»، الذي رسمت فيه صورة مؤثرة عن ذبول سارتر الجسدي. لقد أساء سارتر بتهور إلى جسده، وتسبب ذلك بخسائر فادحة. ففي عام ١٩٥٤ حين كان في مشفى بموسكو إثر تعرضه لأزمة صحية بسبب ضغط الدم العالي، تشاءمت

بوفوار. كان سارتر في التاسعة والأربعين. بعد أربع سنوات نجا من ذبحة صدرية. وفي أوائل ستينياته عانى نوبات دوار. كان واضحاً أن هناك مشاكل تتعلق بالدورة الدموية الخاصة بالنصف اليساري من دماغه. حثه أطباؤه على التقليل من التدخين والكحول. لكنه تجاهل تحذيراتهم.

في الثامن عشر من أيار عام ١٩٧١، وصل سارتر إلى شقة بوفوار وهو في حالة صحية مزرية. كانت ذراعه اليمنى مشلولة جزئياً، وفمه ملتوياً، لا يقوى على لفظ كلماته بوضوح. حاولت بوفوار جاهدة ألا تظهر روعها. قال سارتر إنه استيقظ وهو على هذه الحالة. لم يستشر طبيباً. في تلك الأمسية أصر على أن يحتسي، كالعادة، أربع كؤوس أو خمساً من الويسكي. وعند منتصف الليل لم يستطع تهجئة كلماته، وصعد بشق الأنفس إلى غرفته لينام. لم تستطع بوفوار النوم وهي تتقلب على الديوان.

في اليوم التالي أكد الطبيب مخاوفها، فقد أصيب سارتر بسكتة دماغية خفيفة. وقد منعه الطبيب من المشي. أعادته لوبون إلى شقة بوفوار وبقيت بجانبه مدة. كانت السيجارة تسقط من بين شفتيه فتلتقطها لوبون وتعيدها إليه. يعيدها سارتر إلى شفتيه فتسقط ثانية. كان الحديث معه مستحيلاً. وضعت بوفوار موسيقا القداس الجنائزي لـ فيردي. فقال سارتر «إنها موسيقا ملائمة تماماً».

ظل على هذه الحالة طوال عشرة أيام. لم يستطع العزف على البيانو مع إيلكايم، لم يستطع الكتابة. لم يكن يستمتع بشيء. كانت بوفوار تتألم دائماً حين تفترق عنه، حين يسافر مع إيلكايم في تموز طوال ثلاثة أسابيع، ثم مع واندا طوال أسبوعين. في ذلك الصيف، وجدت انفصالهما أليماً وموجعاً.

كنتُ أتناول طعام الغداء في الكوبول مع سيلفي التي كان يفترض أن تأتي من أجلي في الساعة الرابعة. استعددت للخروج قبل ثلاث دقائق. منحني سارتر ابتسامة لا يمكن وصفها وقال: «إذن هذه طقوس الوداع!» لمستُ كتفه من دون أن أجيب. ظلت الابتسامة والكلمات معي مدة طويلة. أوحت لي كلمة وداع بمعنى أبعد، معنى سيتحقق بعد عدة سنوات.

سافرت بوفوار ولوبون خلال العطلة إلى إيطاليا. وخلال الأيام الأولى بقيت بوفوار تُسائل نفسها عما تفعله في إيطاليا. وفي كل ليلة كانت تبكي حتى تنام. كان سارتر في السادسة والستين، وبوفوار في الثالثة والستين، وكانت تخشى الأسوأ.

كانت البرقيات التي تردها تؤكد أن سارتر بخير. لكن فيما بعد اكتشفت أن سارتر عانى أزمة في منتصف تموز في بيرن. لم تخبرها إيلكايم بذلك. ومنذ ذلك الحين تحسنت صحته ثانية. وقد مشى كثيراً مع واندا في نابولي.

سوف تستمر هذه الحالة طوال السنوات التسع التالية. سيكون ثمة أزمة، وسينتاب بوفوار الرعب. ثم سيسترد صحته، فيتجدد أملها. كان ذلك مرهقاً. في منتصف آب استقرَّا في جناحهما في فندق ناسيونال بروما. كان سارتر يصحح المجلد الثالث من «أبله العائلة». وكانت بوفوار تهذب المجلد الرابع والأخير من مذكراتها. وحين عادا إلى باريس قرأ سارتر مخطوطتها بعناية، وأبدى ملاحظاته، كما جرت العادة.

في شباط وآذار من عام ١٩٧٢ جلس سارتر وبوفوار وفريق مجلة «الأزمنة الحديثة» - أولاً في شقة بوفوار، ثم في استديو سارتر -

وتحدثوا حول ماضي سارتر بينما كانت الكاميرا تجول بينهم، فقد كان ميشيل كونتا وألكسندر أستروك يُخرجان فيلماً وثائقياً عن سارتر. وقد عُرض الفيلم عام ١٩٧٦، إذ عرقلت ظهوره عقبات مادية كثيرة. وقد استقبله الجمهور الفرنسي استقبالاً مؤثراً.

خلال السنتين التاليتين عانى سارتر نوبات دوار. كما أصيب بسلس البول. التهب مابين فخذيه، ولم يستطع المشي مسافة طويلة. وفي خريف عام ١٩٧٢ قلع له طبيب الأسنان جميع أسنانه المتبقية وصنع له أسناناً صناعية. كان سارتر يتعاطى الكثير من الكحول، لكنه تابع العمل على الرغم من كل هذه المحن.

كان قد بدأ العمل في المجلد الرابع من كتابه الضخم عن فلوبير. وكتب حول اضطهاد الباسكيين في إسبانيا التي كان يحكمها فرانكو. وتحدث مطالباً بالحقوق المشروعة للعمال المهاجرين وللسجناء السياسيين. وندد بالقمع السياسي في كوبا. ووقَّع مع بوفوار على البيان الذي طالب الدولة السوفييتية بالسماح لمن يشاء من رعاياها بالسفر خارج الاتحاد السوفييتي سواء كانوا يهوداً أم غير يهود.

ساهم سارتر مع أصدقائه الماويين بتأسيس صحيفة ثورية جديدة هي صحيفة «ليبراسيون». كان مشروعاً طموحاً دفعه إلى إهمال كتابه عن فلوبير طوال ستة أشهر. وقد ساهم في تمويل المشروع، وكتب المقالات، وحضر الاجتماعات. وطوال عام شغل منصب رئيس تحريرها الرسمي، لكنه ترك المنصب لدواعٍ صحية. كان لسارتر الفضل في انتشار الصحيفة وفي احتلالها مكانةً بارزة بين الصحف اليسارية في فرنسا. وكان سارتر مبتهجاً بنجاحه.

أهدت بوفوار المجلد الرابع من مذكراتها، الذي نشر في أيلول عام

١٩٧٢، إلى سيلفي لوبون. ولأول مرة لم يكن لدى بوفوار مشروعٌ جديدٌ في ذهنها. فقد انخرطت في الحركة النسائية. غدت رئيسة الـ «شوازير» وعصبة حقوق النساء، ذلك التجمع الذي عمق وعي النساء بحقوقهن، ووفر لهن الحرية في استخدام وسائل منع الحمل وجعل الإجهاض قانونياً. كذلك وفّرت للنساء دفاعاً مجانياً في المحاكم. وقد كتبت بوفوار الافتتاحيات وأجرت المقابلات وقابلت المدافعات عن حقوق المرأة من جميع أنحاء العالم. كانت كتابتها الرئيسية تنحصر في دفتر يومياتها الذي أرخت فيه تدهور سارتر.

ولحسن الحظ كان لديها لوبون التي دعتها «فرح حياتي». فمنذ خمس سنوات كتبت لـ لوبون من اليابان: «سيلفي، أنا فرحة بالعودة إلى باريس لأني أحب باريس ولأني أريد أن أكتب، ولكن فوق كل ذلك لأراك ثانية. وجودك يمنحني سعادة غامرة، سعادة ستبقى معي على الدوام».

أخيراً حصلت لوبون على عمل تدريسي في باريس. كانت الآن في الثلاثين من عمرها. وقد أقنعها والدها بالتخلي عن حياة الفندق. اشترت شقة في آفينو دومين، التي تبعد عشرين دقيقة عن مسكن بوفوار. كان من النادر ألا تجتمع المرأتان معاً يومياً.

في حين واظب سارتر على رؤية نسائه في الوقت المحدد لكل واحدة، كانت بوفوار تستمتع دائماً برفقة سارتر. كانا يمضيان ليلة كل سبت مع لوبون، عادة في شقة بوفوار. وأحياناً يذهبون إلى دار الأوبرا. وفي أيام الآحاد يتناولون طعام الغداء في الكوبول. وفي كل صيف تمضي لوبون وقتاً معهما في روما. وقد أحب سارتر أن تكون معهما. كان أكثر ابتهاجاً بحضورها.

في بعض اللحظات كان ثمة نفحة خفيفة من الثلاثيات القديمة. ففي روما عام ١٩٦٨ كان هناك نوع من المداعبات الجنسية بين لوبون وسارتر. إذ سمح سارتر لنفسه أن يداعب جسد لوبون، فدعته يفعل ذلك من دون اعتراض: «تظاهرتُ بأني ثملة. كان سارتر بالنسبة لي كاتباً عظيماً، وكان يرهبني». وحين أخبرتْ بوفوار بذلك بدت غير مهتمة.

في واحد من أيام الآحاد دعت توميكو أسابوكي، المترجمة اليابانية، بوفوار وسارتر إلى غداء في منزلها في الشانزليزيه، وذهبت معهما لوبون. أكلوا بطاً محشواً، وشربوا نبيذاً فاخراً. وفي طريق عودتهم بالسيارة أبدت لوبون اهتماماً حميماً بسارتر، مما أدخل البهجة إلى نفسه. كان ثمة مشاهد عاصفة أيضاً، مشاهد لم تشر إليها بوفوار في كتابها « الوداع»، وغالباً ما كانت تحدث في أمسيات أيام السبت في شقة بوفوار، حين كانوا يفرطون في شرب الخمر. فذات مرة تذمر سارتر من نسائه العاجزات، فردت عليه لوبون بحسم: ذلك لأنك تمارس عليهن سلطة أبوية، ولأنك تعاني عقدة التصرف كرب، وهذا ما جعل أولئك النساء عاجزات، فهن إما مريضات أو متعبات، من ماذا؟ هل لأنهن لا يفعلن شيئاً؟ إن الرجل الذي يرفض إنشاء عائلة، يعيش حياة أسوأ من الحياة العائلية! قال سارتر إنه يعرف ذلك، لكنه يفضل أن يكون أحمق من أن يكون طرطوراً. هؤلاء النسوة يعتمدن عليه. إنه ملزم تجاههن. إنه لا يحترم الرجال الذين يتخلون عن نسائهم وقت الشدة.

« لكن تلك طريقة قديمة في التفكير!».

«حسن، أنا من الطراز القديم، والآن أنا مسن جداً على التغيير».

إن الموضوع الذي كان يدفع لوبون إلى الانفجار هو موضوع آرليت

إيلكايم. فقد كانت أنفس شيء بالنسبة لسارتر. كان قد اشترى لها استديو في شارع ديلامبر، الذي يبعد دقيقتين عن الدوم. لكن إيلكايم كانت مصابة بالربو وتحبذ الهرب من تلوث المدينة بقدر ما تستطيع. لذا اشترى لها سارتر أيضاً منزلاً في جنوب فرنسا. تقول لوبون «كنت ألتهب غضباً. آرليت لا تعمل شيئاً. كانت طفيلية تماماً على سارتر. وقد دأبت على القول إنها لا تريد ماله، بينما تظل تأخذه منه، في حين لا يستطيع سارتر أن يشتري في آخر الشهر حذاء لنفسه. إن ذلك يدفعني إلى الجنون».

وفي مناسبات عدة كان يتملك لوبون غضب عاصف، فتخرج صافقة الباب وراءها بعنف. وفي اليوم التالي تعتذر. في تلك الأيام كانت لوبون تعاني شعوراً بالندم الشديد إزاء هذه الانفجارات.

في آذار عام ١٩٧٣ - حين كان سارتر في الثامنة والستين - تعرض لسكتة دماغية أخرى. لم يعد يستطيع تمييز أصدقائه، ولم يعد يعرف أين هو. وصف الطبيب ذلك بأنه اختناق الدماغ بسبب نقص الأوكسجين، ومنعه ثانية من تعاطي الكحول والتدخين. لكن سارتر لم يأبه كما يجب بما قاله الطبيب.

في تموز أمضى سارتر ثلاثة أسابيع مع إيلكايم في منزلها بقرية جونا قرب نيم. كان يجلس طوال ساعات في الشرفة يحدق أمامه. وفي نهاية الشهر أخذته بوفوار ولوبون إلى فينيسيا حيث أمضى أسبوعين مع واندا. وقد صدمت بوفوار حين رأته يمشي بخطا بطيئة وقصيرة.

في منتصف آب ذهبت بوفوار ولوبون للقائه في مطار روما. كان شبه أعمى، فقد آذت شمس فينيسيا عينيه. وبالكاد استطاع رؤية المدينة التي أحبها بشغف. أخذته بوفوار إلى طبيب اختصاصي، فقال إن

سارتر يعاني نزفاً خلف عينه اليسرى (عينه الوحيدة الجيدة)، لكن بصره سيتحسن مع الوقت. تعلق سارتر بذلك الأمل.

في ذلك العام أقاموا في روما. كانت بوفوار تقرأ له كل صباح. وكان ينام بعد الظهر، بينما تتمشى بوفوار مع لوبون. كانت أكثر اللحظات إيلاماً هي اللحظات التي تتخلل تناول الوجبات. فقد كان سارتر على أبواب الإصابة بداء السكري، وقد ازداد وزنه كثيراً. وكانت بوفوار تقلق حين تراه يلتهم كميات كبيرة من الباستا والآيس كريم. ثم هناك طريقة أكله التي تتسم بالفوضى والاضطراب. فسارتر الذي أمضى حياته خجولاً من فرض نفسه على الآخرين إلى درجة أنه كان يكره السؤال عن الاتجاهات في الشارع، لم يكن لديه فكرة عن الإحراج الذي يسببه للجالسين معه أمام طاولة الطعام. لم يعد يستطيع رؤية الطعام في طبقه أو في نهاية شوكته، كما لم يكن لديه إحساس بالطعام الذي يتجمع حول فمه. وخشية من إزعاجه، لم تستطع بوفوار أن تحثه باستمرار على أن يمسح وجهه بمنديله.

أتى بوست وأولغا إلى روما لقضاء عدة أيام، وراعتهما هيئة سارتر المزرية. إذ كان سارتر لا يحتمل العناية المفرطة بشخصه. وكان يكره الإمساك بذراعه كأنه أعمى. أقصى ما كان يقبله هو أن يوجهه أصدقاؤه بلمس كوعه. كان ينبغي عليهم أن يتظاهروا كأن شيئاً لم يتغير. كان الحال يمزق الفؤاد.

تغيرت الأوضاع. لم يعد سارتر يقوم بجولته الطبية. الآن كانت نساؤه تفعل ذلك. أصبح سارتر، وهو في الثامنة والستين، يعتمد كلية على الآخرين. يلتهب ما بين فخذيه حين يمشي مسافة قصيرة. كان يميز الأضواء والألوان، لكنه لم يعد يميز الأشياء، ولم يعد يستطيع القراءة أو الكتابة. تحطمت حياة الكاتب فيه تماماً.

كان سارتر يصارع الاكتئاب. كان ينظر دائماً إلى المستقبل. ما الذي بقي له الآن؟ كانت الكتابة غرض حياته كلها. «أفكر بعينيَّ»، هذا ما كتبه لبوفوار حين عانى اضطراباً في عينيه إبان الحرب العالمية الثانية. «إذا لم أستطع التركيز بهما، لا أستطيع تركيز أفكاري». أحياناً كان يجلس وسط المجموعة من دون أن يقول شيئاً. وقد قامت لينا بزيارة أخرى إلى باريس في نهاية العام. وكان سارتر يطمح إلى رؤيتها ثانية. ولكن أثناء جلوسهم على الغداء معاً، كان الجو موحشاً. حاولت لوبون جاهدة تحريك الجو. لكن سارتر لم يقل شيئاً تقريباً.

في صباح أحد الأيام في فينيسيا أثناء عيد فصح عام ١٩٧٤، كانت بوفوار تقرأ لسارتر في غرفته بالفندق. في الخارج كانت الشمس ساطعة تغوي بالخروج، فقررا النزول إلى تيراس الفندق للجلوس بجانب الماء. وحين تناولت بوفوار الكتاب الذي كانت تقرأ فيه قال سارتر بألم: «من قبل حين كنت أذكى، لم نكن نقرأ كنا نتحدث». شعرت بوفوار بالحزن، وأمضيا بقية الصباح يتحدثان. لكنها اعترفت لنفسها بأن المحادثة مع سارتر لم تعد كما في السابق.

في روما، في ذلك الصيف، سجلا أحاديثهما على شريط. بوفوار تسأل سارتر حول ماضيه. قالا إن ذلك سيزود كتاب «كلمات» بملحق شفهي. في الأصائل والأمسيات كانا يتمشيان قليلاً. ثم تقرأ له. لقد قرأت له كتابين سميكين: أرخبيل غولاج لسولجينتسن، وسيرة حياة هتلر للكاتب يواكيم فيست.

في نهاية ذلك الصيف واجه سارتر واقع أنه لن يبصر ثانية. قال في نفسه إنه مازال يسمع ويتكلم. سيدعو أصدقاء ليقرؤوا له، وسيحاول أن يفكر، وسيسجل على شريط.

طلب سارتر من بيير فيكتور أن يكون سكرتيره. عنى بذلك نوعاً من معاون مفكر، شخص تستطيع أن تفكر معه وضده. تردد فيكتور، لكن ليليان زيغل حثته على القبول، فقبل. الآن سيحتفظ سارتر بأندريه بيوج ليقوم بالعمل الإداري اليومي. وسيأتي بيير فيكتور كل صباح ما عدا السبت، ليمضي معه ثلاث ساعات. يقرأ له، ويناقش معه الأفكار.

هتفت إيلكايم لبوفوار وقالت مذعورة، إنها لا تثق بـ بيير فيكتور فهو طاغية وعدواني، وهي خائفة من أن يصبح «شونمان سارتر»، مشيرة بذلك إلى رالف شونمان، السكرتير العام المتسلط لمحكمة راسيل، الذي جعل من نفسه أضحوكة في ستوكهولم وفي اجتماعات كونبهاغن، بادعائه أنه يتحدث بالنيابة عن راسيل الغائب نظراً لتقدمه في السن.

لم تكن بوفوار تحب بيير فيكتور أيضاً. لكن سارتر بدا سعيداً بفكرة أن يعمل معه. كانت سعيدة من أجل سارتر، وراضية من أجلها إذ تعبت من القراءة لسارتر بصوت عال كل صباح. ثم ما المشكلة في أن يدفع لـ بيير لقاء أن يصبح عيني سارتر مدة ثلاث ساعات في اليوم، وليمنح حياته بعض الفرح والتنشيط؟ ندمت بوفوار فيما بعد على موقفها.

في تشرين الثاني عام ١٩٧٤ وقع سارتر عقداً مع التلفزيون الوطني الفرنسي لكتابة عشرة برامج حول صلته بالتاريخ الفرنسي في القرن العشرين. وطوال تسعة أشهر قرأت بوفوار وبيير لسارتر الكتب ذات الصلة بالموضوع والوثائق. ثم في آب عام ١٩٧٥ فُسخ العقد، بحجة عدم توفر التمويل المالي. وفي مؤتمر صحفي تحدث سارتر وبوفوار وفيكتور حول الرقابة غير المباشرة.

كل ما تبقى لسارتر الآن، هو الكتاب الذي خطط له مع بيير، والذي سيبنى على مناقشاتهما المسجلة على الشريط. كان العنوان

المؤقت للكتاب هو «القوة والحرية». لقد أدركا أنهما لا يفكران بذات الطريقة. كان فيكتور، مثله مثل معاصريه، مهتماً أكثر بـ دولوز([27]) وفوكو[28]، وبالموضة الفكرية الجديدة المعروفة بالبنيوية. كان الهدف من تعاونهما، كما رأيا، هو أن يفكر كل منهما بخلاف الآخر، أن يفكرا على نحو جدلي.

كان فيكتور على قناعة بأن الكتاب سيكون هاماً. وقد تفاعل سارتر مع حماسة صديقه. لكنه كان مدركاً الصعوبات. وقد أخبر فيكتور قائلاً: « لديك أفكار هي ليست أفكاري، وذلك سيجعلني أمضي في اتجاهات لم أعتد سلوكها». وكما رأى سارتر فإن هذا الكتاب سيكون «عملاً مفصولاً» عن بقية أعماله، «لا ينتمي إلى الكل».

بيير فيكتور لم يكن اسمه الحقيقي. وكان يقنّع نفسه أحياناً بلحية مزيفة ونظارتين شمسيتين. ولد بيني ليفي - اسمه المستعار بيير فيكتور - في القاهرة لعائلة يهودية سفاردية تركت القاهرة خلال أزمة قناة السويس عام ١٩٥٧، وكان فيكتور حينئذٍ في الحادية عشرة. وحين بلغ الخامسة عشرة قرأ سارتر فتأثر به. وقد قال فيما بعد «كانت اللغة الفرنسية بالنسبة لي هي سارتر». كان لامعاً. وحين بلغ العشرين كان يدرس في الإيكول نورمال سوبريور. لكنه لم يخطط للحصول على وثائق إقامة خشية طرده من البلد في أي وقت. وبصفته ماوياً على علاقة دائمة مع الشرطة، اختبأ وراء اسم مستعار.

٢٧- جيل دولوز Gilles deleuze، ١٩٢٥ - ١٩٩٥. فيلسوف فرنسي. (المترجم)

٢٨- ميشيل فوكو Micel foucault، ١٩٢٦ - ١٩٨٤. فيلسوف فرنسي. (المترجم)

اقتنعت بوفوار في وقت متأخر أن فيكتور قبِل العمل سكرتيراً لسارتر ليس حباً حقيقياً بسارتر. فسارتر، كعادته، كان يعطي أكثر مما يأخذ. كان فيكتور يكسب راتباً لقاء مجيئه مدة ثلاث ساعات في اليوم، ربما لايكسبه لقاء عمل بدوام كامل. والأكثر من ذلك، هو أن سارتر كتب للرئيس جيسكار ديستان، بالنيابة عن فيكتور، يلتمس منه منح فيكتور الجنسية الفرنسية.

وكما رأى فيكتور، فقد كانت مهمته تتلخص بالحفاظ على الشعلة الخافتة في حياة سارتر متوهجة: كان يلازمني شعور بأني سأتخلى عن هذا الأمر. كنت أصل إلى الشقة، أرن الجرس، أحياناً كان لا يسمعني وأنا أدخل. أجده هناك وحده غافياً على كرسيه، وعبر الباب كنت أسمع الموسيقا التي يبثها الراديو الذي تركته بوفوار مُداراً من أجله حتى لا يشعر بالوحدة والضجر. كان ثمة صراع دائم ضد الموت. أحياناً كان يتولد لدي انطباع بأني كنت هناك لأدرأ عنه النعاس وفقدان الاهتمام أو، ببساطة، الكسل. ما كنت منهمكاً فيه، كان نوعاً من إعادته للوعي.

سرعان ما تخلى سارتر وفيكتور عن مجلد فلوبير الرابع، وأمضيا وقتهما يناقشان التاريخ والفلسفة. كان فيكتور ذا شخصية آسرة، متوهجة، وينزع إلى الاستبداد. كانت إيكايم، وهي تحوم في الخلف، تشعر بالهلع. تتذكر وتقول: «كان يبتكر سؤالاً حرجاً ومعقداً في اللحظة التي يكون فيها سارتر على وشك الاستسلام لإرهاقه. وفي أوقات أخرى كان يبدأ القراءة بصوت عالٍ جداً وبتلذذ وانفعال عجيبين وكأنه في حالة من شعور غير سوي بالقوة: كان ذلك مروعاً».

كان سارتر حين يشعر بأنه قادر على أن يتفاعل مع تلك الحالة، يمتع نفسه. وفي لحظات أخرى كان يرهقه صوت فيكتور الرنان. وقد أخبر ليليان زيغل قائلاً: «إنه يحب أن يزعجني. في بعض الأيام يضايقني

فنتشاجر، أحياناً يسليني ذلك فأصمت، ولكن في أوقات أخرى يضجرني ذلك فأستسلم».

احتفالاً بعيد ميلاد سارتر السبعين، في حزيران عام ١٩٧٥، نشرت «لونوفيل أوبزرفاتور» مقابلة معه. سأله ميشيل كونتا حول السياسة والكتب، وحول علاقته بالموسيقا والأصدقاء والمال. أكد له سارتر أنه جنى الكثير من المال في حياته، ومازال لديه الكثير القادم من حقوق الملكية والعقود الأجنبية والمقابلات ومن معاشه التقاعدي. لكنه كان دائماً ينفق المال بأسرع مما يجنيه. «هناك أشخاص يعتمدون عليَّ مالياً. (لم يقل إنه يدفع رواتب لبيوج وفيكتور ولواندا وميشيل وآرليت، وإنه يدعم صديقته الجديدة هيلين، ويدفع للمرأة التي تنظف البيت، ويساعد المتسول المحلي). «في لحظة ما لا يتبقى شيء، فأتساءل كيف أنظم أموري المالية».

وأضاف سارتر قائلاً: «في حياتي عدة نساء. على الرغم من أن هناك، كما هو معروف، واحدة فقط هي سيمون دو بوفوار، ولكن الحقيقة أن هناك عدة». ومع ذلك ذكر فقط اسم آرليت إيلكايم وميشيل فيان. ثم أشار إلى أن إيلكايم هي ابنته بالتبني، وأن ميشيل هي زوجة بوريس فيان. وقد أوضح أن علاقته الفكرية مع سيمون دو بوفوار عنت له كل شيء:

كنت أصوغ أفكاري لسيمون دو بوفوار قبل أن تصبح متماسكة... لقد أطلعتها على جميع أفكاري أثناء عملية تشكلها.

- هل لأنها كانت على السوية ذاتها في المعرفة الفلسفية التي تتمتع بها؟

ليس ذلك فقط، ولكن لأنها أيضاً كانت الوحيدة على معرفة

بفلسفتي، وبما كنت أريد أن أفعل. لهذا السبب كانت الشخص المثالي للحديث معه، ذلك حظي الجيد والنادر.

- هل مازال هناك مناسبة تدافع فيها عن نفسك إزاء النقد الذي توجهه بوفوار؟

آه، دائماً! في الواقع نحن نشتم بعضنا... ولكني أعرف أنها ستكون وحدها على حق في النهاية. لا يعني ذلك القول أني قبلت جميع انتقاداتها، لكني قبلت معظمها.

- هل أنت قاس معها كما هي قاسية معك؟

تماماً. قاس بقدر الإمكان. لا جدوى من عدم وجود نقد قاس حين يحالفك الحظ فتحب الشخص الذي تنتقده.

كانت المقابلة بمنزلة تلخيص حياة. كان هناك أمور أراد سارتر أن يقولها، وكان يعلم أن هذه المقابلة قد تكون فرصته الأخيرة لقولها. لقد أهدى كتبه إلى نساء أخريات، ظهرت له صور في الصحافة، لكنه وهو في السبعين كان يصرح للجميع بحبه وامتنانه لسيمون دو بوفوار.

كانت نساء سارتر الآن في منتصف عمرهن. في عام ١٩٧٥ كانت واندا في الثامنة والخمسين، وميشيل فيان في الخامسة والخمسين، وآرليت في الأربعين تقريباً. ومن خلف ظهورهن، باشر سارتر علاقة حب أخيرة مع الشابة هيلين لاسيفيوتاكيس، وهي يونانية ذات شعر أسود، كانت قد قرعت باب سارتر عام ١٩٧٢. «هل تذكرني؟ تقابلنا في أثينا في محاضرة من محاضراتك».

دفع لها سارتر لتأتي إلى باريس مدة عام لدراسة الفلسفة. وقد رأى الكثير منها. أخبر بوفوار: «حين أكون معها، أشعر بأني في الخامسة

والثلاثين» وقرب نهاية ذلك العام أصابها الذُهان[٢٩]. أخذتها لوبون إلى مشفى الأمراض العقلية في سانت آن. تقول لوبون: «اعتدنا أنا وبوفوار أن نتفكه مع سارتر حول جميع نسائه المجنونات. أخبرناه أنه هو من دفعهن إلى الجنون».

حينئذ كان سارتر أعمى، لكن ذلك لم يمنعه من زيارة أثينا عدة مرات بمرافقة بوفوار أو بيير فيكتور. وكانت هيلين تقوم برحلات إلى باريس. كانت تأخذ نحو عشرين جنيهاً ثمناً للأدوية. كتبت بوفوار: «علاوة على ذلك، أصبحت الآن صامتة بقدر ما كانت ثرثارة قبل مرضها. لكنها ما زالت جميلة، ويحب سارتر أن يكون معها». دامت علاقتهما خمس سنوات. وفي عام ١٩٧٧ أنهى سارتر علاقته بها. لكنه ظل يراها صديقةً. في آذار عام ١٩٧٧، عانى سارتر آلاماً مبرحة بساقه اليمنى. أخبره طبيبه بضرورة الإقلاع عن التدخين وإلا فسيتوجب بتر أصابع قدمه أولاً ثم سائر قدمه ثم ساقه. قال سارتر إنه سيفكر في الأمر. وبعد يومين قرر الإقلاع عن التدخين. أعطى لوبون سجائره وقداحاته. ولم يعد أبداً للتدخين. وبدا أن حرمانه من التدخين لم يضايقه. وكان يشجع أصدقاءه على التدخين أمامه.

لكنه لم يتوقف عن شرب الخمر. وقد خلق ذلك صراعاً وسط النساء. لقد أخبر بوفوار أنه قيَّد نفسه بكأس واحدة من الويسكي كل ليلة، في حين كانت ميشيل تهرِّب له زجاجات الويسكي التي كان يخبئها وراء خزانة الكتب. تقول ميشيل فيان إنه كان يسلك سلوك ولد عنيد يعصي أوامر أمه، إنه يقول: «أنت تعرفين، أني لا أخبر بوفوار بشيء».

وحين رأت بوفوار أعراض الخُمار[٣٠] بادية عليه، استشاطت غضباً.

٢٩– الذهان: اضطراب عقلي يتسم باختلال الصلة بالواقع أو انقطاعها. المورد

٣٠– الخُمار: مايعقب شرب الخمر من صداع وأذى. المعجم المدرسي.

تقول ميشيل: « كانت بوفوار أمه، وهي المسؤولة الوحيدة عن إعطائه زجاجة الويسكي». كانت ميشيل في ذلك الوقت تمضي أمسيات أيام السبت عند سارتر. وحين زاره الطبيب ووجد ضغط دمه عالياً أخذ ليليان زيغل جانباً - كان دورها مع سارتر - وسألها عما إذا كان قد شرب الخمر. فأخبرته زيغل قائلة إن سارتر يشرب نصف زجاجة من الويسكي في أمسيات السبت مع ميشيل. وحين وصل الخبر إلى بوفوار هتفت إلى ميشيل وطلبت منها الكف عن القدوم إلى شقة سارتر أيام السبت.

كان ثمة حادثة أخرى لم تشر إليها بوفوار في كتابها «الوداع». فقد اعتادت خادمة زيغل على القدوم إلى شقة سارتر لتنظيفها مرة في الأسبوع. وفي أحد الأيام أعلنت الخادمة، التي كانت برتغالية كاثوليكية ورعة، أنها لا ترغب في الاستمرار بالمجيء. ولدى سؤالها عن السبب، قالت إنها سمعت صوت امرأة تمارس الجنس في غرفة نوم سارتر، فارتبكت وغادرت الشقة.

كانت زيغل تعرف نظام حياة سارتر فهتفت لبوفوار وأخبرتها بالأمر.

هتفت بوفوار لميشيل فيان ودار بينهما الحديث التالي:

« ميشيل، نحن أصدقاء، أليس كذلك؟

« نعم »

« أنت تعرفين أن سارتر مرهق جداً. ينبغي ألا يشرب الخمر، وألا يدخن. كما ينبغي ألا يُثار. لا ينبغي أن يمارس الجنس. فهذا سيِّء بالنسبة له. أنت تعرفين ماذا أعني؟ وطبقاً لميشيل فيان فإنهما ظلا يمارسان نوعاً من الجنس (ليس الجماع) حتى قبل موت سارتر بقليل.

غضب سارتر من زيغل وصرخ في وجهها « أنت تجعلينني مريضاً. أنت واشية قذرة. لا أود رؤيتك ثانية».

في إحدى المرات سأل أوليفر تود سارتر كيف نجح في مواجهة نسائه، خاصة أن بعضهن كن غيورات جداً. أجاب سارتر قائلاً: كنت أكذب عليهن. وذلك أسهل وأكثر قبولاً.

هل كذبت عليهن جميعاً؟

ضحك سارتر وقال كلهن.

حتى بوفوار؟

نعم، بوفوار على نحو خاص.

حين نُشر كتاب تود بعد سنة من وفاة سارتر، غضبت بوفوار وتألمت من تود أكثر مما تألمت من سارتر. وفي كتابها «الوداع» الذي نُشر بعد عدة أشهر من صدور كتاب تود، ردت الإساءة بمثلها إذ كتبت « لم يكن سارتر يحب تود أبداً، وجمعته معه علاقة سطحية، وذلك يتناقض مع ما حاول تود أن يلمّح له في كتابه».

أمضت إيلكايم معظم الصباحات في شقة بوفوار، إلى جانب سكرتيره أندريه بيوج وبيير فيكتور. كان سارتر يعمل مع فيكتور، وأحياناً تقاطعهما آرليت لتقديم الشاي أو الدواء. كانت آرليت قد تخلت عن حذرها من بيير فيكتور. كان لديهما أمور مشتركة: قدم الاثنان من شمال إفريقيا. وكان كلاهما يهوديين، وكلاهما يحرص على الاهتمام بسارتر. وكانت هي وفيكتور يدرسان اللغة العبرية معاً.

* * *

في شباط عام ١٩٧٨ ذهب سارتر مع فيكتور وإيلكايم في رحلة إلى القدس مدة أربعة أيام. وكانت بوفوار قلقة حول سفر سارتر، لكنها سمعت بعد ذلك أنهم أخذوا سارتر إلى الطائرة في كرسي متحرك، ومكثوا بالقدس في فندق فخم. وقد جال بهم في المدينة صديقهم إيلي بن غال.

وفي آذار عام ١٩٧٩، نظم فيكتور المؤتمر الإسرائيلي - الفلسطيني في باريس تحت رعاية «الأزمنة الحديثة». وقد رحب سارتر بالفكرة. ومن البداية كان «السارتريون» في شك. كان إدوارد سعيد، المفكر الفلسطيني والناشط، من أبرز الشخصيات المشاركة، وقد أتى من نيويورك بدعوة لحضور المؤتمر. كان سارتر بالنسبة لإدوارد سعيد «واحداً من أعظم المفكرين في القرن العشرين». وقد قبل دعوته بحماسة، وتطلع أن يؤدي المؤتمر إلى اتفاق.

بعد سنوات كتب سعيد عن تلك الأيام القليلة التي قضاها في باريس. لقد صدم لدى رؤية سارتر عاجزاً عن إدراك ما يجري. وكان يعتمد كلياً على حاشية صغيرة تدور حوله: «كان حضور سارتر غير فعال على نحو غريب، وغير مؤثر. لم يقل شيئاً على الإطلاق طوال ساعات. وجلس وقت الغداء تجاهي منكسر الخاطر، وظل صامتاً تماماً، وكان البيض والمايونيز يسيلان من فمه.

هيمن بيير فيكتور على المناقشات. وقد عده سعيد «يهودياً متديناً جداً». وكتب يقول: من البداية، أحسست أنه كان الحاكم بنفسه على نفسه، وذلك من دون شك بفضل علاقته المتميزة مع سارتر (الذي كان يتبادل معه الهمس أحياناً)، وعلى ما يبدو ثقته التامة بنفسه.

بعد اليوم الثاني من «المناقشات الطنانة غير المتكافئة»، قاطع سعيد

المناقشات بقوله إنه قدم من نيويورك ليستمع إلى سارتر. بدا على فيكتور الاهتياج. وكان ثمة همسات. وأخيراً أعلن فيكتور قائلاً إن «سارتر سيتحدث في الغد».

في اليوم التالي وزع على كل مشارك نص من صفحتين، قيل إن سارتر كتبه، حافل «بالملاحظات التافهة»، وخال من انتقاد السياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين. كان سعيد على قناعة بأن من كتب النص هو على الأرجح فيكتور.

عاد إدوارد سعيد إلى الولايات المتحدة متحيراً خائب الرجاء. «تكدرتُ تماماً حين اكتشفت هذا المفكر العظيم وهو يرضخ في سنواته الأخيرة إلى مثل ذلك الناصح الرجعي».

بمناسبة عيد ميلاد سارتر الـ ٧٤، في ٢١ حزيران عام ١٩٧٩، أرسلت الروائية الفرنسية فرانسواز ساغان رسالة حب إلى سارتر، وطلبت منه السماح لها بنشرها. كتبت تقول: إنها معجبة به كاتباً وإنساناً. لقد كتب أفضل الكتب في جيله. دافع عن الضعفاء والمظلومين. جسد روح السخاء. أحب ووهب الحب. الغاوي الذي كان على استعداد دائم ليكون مغوياً. «لقد تجاوزتَ إلى حد بعيد جميع أصدقائك بحيويتك وذكائك ولمعانك»

بالطبع كان سارتر سعيداً بالرسالة. بعد ذلك صار يلتقي ساغان بانتظام. أخذها إلى المطاعم الفخمة، قطعت له اللحم وأخذت بيده. ثم غدت مهربة الويسكي الثانية، بعد ميشيل. والمرأة الثانية التي امتعضت بشدة من بوفوار. دعاها سارتر بـ «الشيطانة ليلي».

هل تعلمين يا طفلتي أن لديَّ، ماعدا بوفوار وسيلفي، تسع نساء في حياتي؟ هذا ماتبجح به سارتر لصديقته ليليان زيغل. أدركت زيغل

حاجته اللامحدودة إلى المرأة، فعرَّفته بنساء أُخر. كان يسألها عما إذا كن جميلات. ثم يأخذهن إلى المطاعم، ويتلمسهن على نحو فاضح. وذات مرة ذهبت زيغل مع من كانت ذاهبة معه، وقد صُدمت حين بدأت المرأة «تلمس» سارتر، وتروي له «تفاصيل فاحشة» من حياتها الجنسية بلغة وجدتها زيغل إباحية داعرة. وقد اعترفت قائلة إن سارتر كان يستمتع.

كانت السنوات الخمس الأخيرة من حياة سارتر شاقة وعسيرة بالنسبة لبوفوار. لم تكن تتحمل أن يكون سارتر أعمى. كانت تستطيع أن تكون هادئة رزاناً إذا ما تعلق الأمر بها، لا بسارتر. كانت اللحظات الأسوأ بالنسبة لها هي حين يسافر في عطلة مع آرليت أو واندا. كانت بوفوار تذهب مع لوبون التي تراقبها وهي تتناول جرعات من الفاليوم وتشرب كميات كبيرة من الويسكي. وفي بعض الأمسيات كانت تتمزق ألماً وتبكي بكاءً مراً. وفي إحدى المناسبات خانتها ساقاها فسقطت أرضاً.

كان كلود لانزمان يعيش على بعد خمس دقائق من مسكن بوفوار. وحين يكون في باريس يزورها مرتين في الأسبوع، لكنه غالباً ما يكون خارج باريس يعمل في فيلم وثائقي طويل.

وكان بوست وأولغا يعيشان في بوليفار إدغار كوينت، لكن أولغا تمضي معظم أوقاتها في ليغل. وفي مقابلتين منفصلتين أخبر سارتر وبوفوار جون غيراسي أن بوست غدا ضجراً في هذه الأيام، وحين يمضيان معه أمسية يشرب حتى الثمالة. قالا إنه محبط، وإنه أدرك أنه لم يعش وفق موهبته. وأضافت بوفوار قائلة إن بوست لا يحتمل انحطاط سارتر، ويرعبه التفكير بموته.

وفي بداية آذار عام ١٩٨٠ سمعت بوفوار أن مقتطفات من مناقشات سارتر مع بيير فيكتور ستظهر في «نوفيل أوبزرفاتور» في ثلاث حلقات متتالية. كانت لحظة هامة بالنسبة لسارتر، إذ بعد سنوات من الصمت سيعود إلى الميدان العام.

طوال سنوات كانت بوفوار تطلب أن تطّلع على مخطوطة محاوراتهما (بلغت ٨٠٠ صفحة)، لكن كان سارتر وإيلكايم يراوغان. الآن سمح لبوفوار أن تطلع على المقتطفات. قرأتها في شقة سارتر، بينما جلس سارتر على الكنبة يحدق أمامه على نحو خال من التعبير. كانت فزعة.

استخدم فيكتور اسمه الحقيقي للمرة الأولى. كان «بيني ليفي» في هذه المناقشات عدوانياً وتهكمياً، مستجوباً أكثر منه محاوراً. بدا كأنه يحاول الإيقاع بسارتر. كان يقاطع سارتر، يصحح ما يقوله، يكشف عن الأمور التي قالها له سارتر على انفراد، يطرح أسئلة تتضمن تلميحاً إلى الجواب المطلوب، ويقلده ساخراً. أحياناً يظهر سارتر كأنه موافق، لأن ليفي، ببساطة، لم يعطه الوقت الكافي ليشرح:

ب.ل: قلت لي ذات مرة إنك «تحدثت عن اليأس، لكن ذلك كان هراء. تحدثت عنه لأن الناس كانوا يتحدثون عنه، لأنه كان موضة. كل واحد كان يقرأ كيركغارد حينئذٍ».

ج - ب.س: هذا صحيح.

إن ليفي، الذي كان ينظر الآن إلى مناضل الماضي كـ «المناضل الأحمق»، بدا مصمماً على أن يحث سارتر على أن يرى التزاماته السياسية في ذات المنظور. وطوال مناقشاتهما استخدم ليفي باستمرار كلمة «إخفاق ». ترى هل يعد سارتر الآن قراره بالكتابة إخفاقاً؟ ماذا

عن رفيق درب[٣١] الشيوعيين؟ هل يرى سارتر نفسه، حين ينظر إلى الماضي، «فاسداً ووغداً وغبياً ومغفلاً، أم شخصاً جيداً في الجوهر؟

ج – ب.س: أقول، إن شخصاً ما ليس سيئاً... لكن حين يستسلم لمطالب الحزب يتحول إلى شخصٍ غبي أو مغفل. لكنه قادر أيضاً على ألا يستسلم، عندئذٍ لا يكون سيئاً. إنه الحزب فقط الذي يجعل الأمر برمته لا يحتمل.

ب. ل. لنتحدث بوضوح. هل كان هذا الشخص فاشلاً، هل هو واحد من مجموعة الفاشلين الذين أضعفوا الفكر اليساري طوال الأربعين عاماً المنصرمة؟

ج – ب.س: نعم، أعتقد ذلك.

ب. ل: ماهو رأيك اليوم بهذا الجانب من نشاطك؟

ج – ب.س: كنت رفيق درب لفترة قصيرة جداً. وقد ذهبت نحو عام ١٩٥٤ إلى الاتحاد السوفييتي، وكررت ذهابي فيما بعد، وبسبب الانتفاضة الهنغارية قطعت صلتي بالحزب. تلك كانت تجربتي كرفيق درب. ما هو أكثر، كان بالنسبة لي ثانوياً، منذ أن كنت أقوم بعمل شيء آخر حينئذٍ.

ب.ل: هل لاحظت أثراً لثنائية الفكر هنا؟ لنتحدث حول حاجة الفكر للتمسك بشيء. كيف قادتك أخيراً، أنت والعديد من الآخرين، هذه الحاجة للتمسك بالصخرة الستالينية؟

ج – ب.س: لم تكن الستالينية. الستالينية ماتت بموت ستالين. إن

٣١– رفيق درب: من يتعاطف مع برنامج حزب أو مبادئه أو يروج لها من دون أن يكون عضواً فيه (المورد).

مصطلح «الستالينية» يستخدم اليوم ليدل، على نحو قاطع، على أي شيء.

ب.ل: كيف يمكن لبعض المفكرين الذين هم بحاجة إلى شيء يتمسكون به – أن يكونوا بحاجة إلى إيجاد مرتكز، أساس، في تلك النفاية؟

ج – ب.س: لأن هناك مسألة إيجاد مستقبل للمجتمع. لم أعتقد أني أستطيع تغيير العالم كله بنفسي... ولكن تبين لي أن ثمة قوى اجتماعية تحاول التقدم إلى الأمام، وآمنت أن مكاني كان بينهم.

في المقابلات الثلاث الأخيرة، جر بيني ليفي سارتر إلى الوحل لتأكيده في «صورة اللاسامي» على أنه لم يكن هناك شيء مثل التاريخ اليهودي. وبطريقة ما هيأ سارتر، صديق اليهود العلمانيين، ليتقبل مقدمة ليفي التي تقول إن «اليهودي الحقيقي» هو اليهودي المتدين الورع. هنا كان ثمة مناقشة طويلة حول المسيحائية ذات العلاقة بالمسيح المخلص.

بوجه عام دافع سارتر عن نفسه أفضل مما كان يبدو لبوفوار. وكما رأت بوفوار فإن ليفي تحايل على رجل هرم متعب. لقد قلل، على نحو كامل، من قيمة تفكير سارتر. وقد قرأت بوفوار النص من خلال الدموع، وحين انتهت، رمته عبر الغرفة. وتوسلت إلى سارتر أن يلغي نشر النص.

فوجئ سارتر. لقد توقع بعض النقد، لكن ليس هذا. كان أعمى، وهو يعتمد على بيني ليفي، ويعرف مزاج ليفي الحاد. كان واقعاً بين قوتين فعالتين، وهو الآن ماض ليخون إحداهما. أخبر بوفوار قائلاً: «أنتِ تعرفين أني مازلت حياً وأفكر. ينبغي أن تدعيني أكمل ما بدأته».

بالنسبة لبوفوار، هناك خيانة مزدوجة - خيانة سارتر وبفعل سارتر. يتذكر دينيس بولان أنها «لم تستطع التوقف عن البكاء. ذرفت الكثير من الدموع. بكينا في أعماقنا. كانت معاناتها رهيبة».

هتف كلود لانزمان وبوست إلى جان دانييل، محرر «نوفيل أوبزرفاتور»، وحاولا إقناعه بأن يوقف نشر مقابلات ليفي. تردد جان دانييل. عندئذ أتته مكالمة من سارتر نفسه. كان صوته حاداً وواضحاً. قال إنه يريد أن تنشر المقابلة بكاملها، وإذا لم يفعل ذلك وينشرها، فسيرسلها سارتر إلى مكان آخر. إنه على علم بأن أصدقاءه هتفوا لدانييل، لكنهم كانوا على خطأ بقيامهم بذلك.وقال أيضاً «إن خط سير فكري غاب عن أذهانهم كلهم، وبضمنهم سيمون دو بوفوار». (في الواقع، كان هناك استثناء واحد وسط السارتريين: إذ لم يكن أندريه غورز ضد النشر، واعتقد أن المقابلات تمثل تحولاً أصيلاً في فكر سارتر).

نُشرت المقابلات على مدى ثلاثة أسابيع. لم يعرف جمهور القراء ما الذي سيفعله إزاءها. ترى هل هذا جان - بول سارتر الذي يتحدث بالفعل حول المسيحائية؟ هل يمتلك قواه العقلية كاملة؟ ومن هو هذا الشاب المتغطرس بيني ليفي؟

ظهر العدد الثاني من هذه الإصدارات المتضمنة تلك المقابلات، وبقيت علاقة بوفوار مع سارتر متوترة. وفي ١٩ آذار أمضت بوفوار الأمسية مع بوست في شقة سارتر. وبعد أن غادر بوست، بقيت هناك، ونامت في غرفة النوم الثانية. وفي صباح اليوم التالي، ذهبت في الساعة التاسعة لتوقظ سارتر. وجدته على حافة السرير يلهث يريد التنفس. كان على هذه الحالة منذ الخامسة صباحاً، لا يستطيع الكلام لطلب المساعدة. هرعت بوفوار إلى الهاتف لاستدعاء الطبيب. لكن الهاتف

كان معطلاً إذ لم يدفع بيوج الفاتورة، بسبب عدم وجود مال لدى سارتر.

ارتدت بوفوار ثيابها واندفعت لتهتف للطبيب من الطابق الأرضي. قدم الطبيب بسرعة، فحص سارتر، ثم هرع نحو الهاتف لطلب الإسعاف. وصلت سيارة الإسعاف وحملت سارتر إلى المشفى.

عادت بوفوار إلى الشقة. اغتسلت ثم ذهبت لتناول الغداء، كما هو مبرمج، مع جين ودينيس بولان. وبعد الغداء طلبت من بولان أن يرافقها إلى مشفى بروسيه. وجدا سارتر في جناح العناية المشددة. كان يتنفس على نحو طبيعي، وأخبرها أنه بخير.

بعد عدة أيام لاح شعاع أمل. نقل سارتر إلى جناح القلبية. قال الأطباء إنه مصاب بالاستسقاء الرئوي. الآن صارت إيلكايم تمضي الصباحات والأمسيات في المشفى، وتمضي بوفوار فترات الأصائل. أما ميشيل وواندا وبيني ليفي فيأتون إلى المشفى أثناء وجود إيلكايم فيها. كانت النساء يقرأن له روايات بوليسية.

كان سارتر مرهقاً لا يستطيع الكلام إلا بصعوبة. وكان جسده متقرحاً. كليتاه لا تعملان. لكن عقله مازال سليماً. وفي أصيل أحد الأيام سأل سارتر بوفوار بقلق قائلاً: «كيف سنتدبر نفقات الجنازة؟»

نُقل سارتر ثانية إلى جناح العناية المشددة. وفي ١٣ نيسان، حين كانت بوفوار تحوم حول سريره، أمسك سارتر معصمها. قال وعيناه مغلقتان: «أحبك كثيراً عزيزتي بوفوار». في اليوم التالي ظلت عيناه مغلقتين، أومأ لبوفوار ومنحها شفتيه، قبلت فمه ووجنتيه. لم تكن هذه كلمات سارتر التي اعتاد قولها. لم تكن هذه هي إيماءاته التي يقوم بها عادة. لقد فهمت.

في يوم الثلاثاء ١٥ نيسان هتفت بوفوار للمشفى في الساعة العاشرة صباحاً كالعادة. بدت الممرضة مترددة. فهرعت للمشفى. كان سارتر في سبات، لكنه يتنفس بقوة.

أمضت اليوم بجانبه. وفي السادسة مساءً، تولت إيلكايم السهر بجانبه. وبعد ثلاث ساعات رن هاتف بوفوار. قالت إيلكايم «قضي الأمر».

عادت بوفوار إلى المشفى مع لوبون. وجدت سارتر على الحال الذي تركته عليه، باستثناء غياب التنفس. هتفت لبوست وكلود لانزمان وجان بولان وأندريه غورز. أتوا حالاً. قال المشرفون إن باستطاعتهم البقاء مع الجسد عدة ساعات - حتى الخامسة صباحاً، شرط أن يظلوا هادئين لكي لا يزعجوا المرضى.

طلبت بوفوار، التي كانت هادئة بفعل الفاليوم، من سيلفي أن تذهب وتشتري زجاجة ويسكي. لم يرد بولان أن تذهب، فذهب مع بوفوار بدلاً منها. ذهبت إيلكايم إلى منزلها. وخلال الساعات التي تلت شربوا واسترجعوا ذكرياتهم وبكوا. لم يترك سارتر تعليمات. عرفوا أنه كان يرغب في حرق جثته، واشترط ألا يكون قبره بجانب أمه وزوج أمه في مقبرة بير لاشيز. وكان واضحاً بالنسبة لأصدقائه أنه ينبغي أن يكون رقاده الأخير في مقبرة مونتبارناس، فقد عاش تحت ظلال جدرانها معظم حياته.

في ساعات الصباح الباكرة، رغبت بوفوار في أن يَدَعوها وحدها مع سارتر، فغادر الجميع. سحبت الشرشف وهمت بالاستلقاء بجانب جثة سارتر. «لا، لاتفعلي ذلك». قالت لها الممرضة «إنها الغرغرينا سيدتي». لكنها سمحت لها أن تستلقي بجانبه فوق الشرشف. كانت

مخدرة فنامت مدة قصيرة. وفي الخامسة صباحاً جاء المشرفون في المشفى وأخذوا الجثة.

تصدر موت سارتر الصفحات الأولى من صحف العالم. كتبت صحيفة «ليبراسيون». لقد ملأ سارتر القرن العشرين كما ملأه من قبل فولتير وهوغو. وكتبت «الفيغارو» أصبح العالم اليوم مكاناً أفقر مما كان بالأمس. وكتبت «لوماتان دوباريس»: كان رمزاً للمقاومة التي لا تكل من أجل كرامة الإنسان، من أجل الحرية والعدالة والسلام. أغرقت بوفوار بالرسائل والبرقيات.

في الأيام القليلة التي تلت، التجأت إلى شقة لوبون. لم تكن تستطيع مواجهة الهاتف الذي لم يتوقف عن الرنين في شقتها. وتركت شقتها لكلود لانزمان ولوبون لوضع ترتيبات الجنازة.

قدم رئيس الجمهورية جيسكار ديستان شخصياً إلى المشفى، وأمضى ساعة بجانب نعش سارتر. كان مدركاً أن سارتر، الرجل الذي رفض دائماً التشريفات الرسمية، لا يريد مراسم دفن قومية، وأخبر أصدقاء سارتر أن الحكومة تود دفع نفقات الجنازة. شكره السارتريون، لكنهم رفضوا عرضه.

كانت سماء باريس يوم السبت ١٩ نيسان ١٩٨٠ رمادية، وبدت كأنها ستمطر. وفي صباح ذلك اليوم ذهبت بوفوار إلى المشفى مع لوبون وبوبيت لرؤية سارتر للمرة الأخيرة. كان النعش في مشرحة المشفى مايزال مفتوحاً. ألبس سارتر بدلة وربطة عنق. كانت تلك الألبسة الوحيدة لديه الموجودة في شقة بوفوار، وهي التي يرتديها حين كان يذهب مع بوفوار ولوبون إلى دار الأوبرا.

كانت بوفوار تردد على مسامع المشيعين قائلة «إنه لم يعان كثيراً».

وطلبت من برنارد بينغو، الذي يعمل في «الأزمنة الحديثة» التقاط بعض الصور. وفي الثانية بعد الظهر أغلق متعهدو الدفن التابوت. قبلت بوفوار سارتر قبلة وداع على شفتيه.

تجمع حشد كبير أمام المشفى، وفي الثالثة والربع فُتحت بوابات المشفى الثقيلة. كانت المركبة الأولى التي عبرت البوابات، المغطاة بالورود الحمراء والزنابق البيضاء، تنقل الأصدقاء الذين لا يستطيعون المشي مسافة ثلاثة كيلومترات. تلتها عربة الموتى التي تحمل التابوت. وقد جلس فيها كلود لانزمان بجانب السائق. وسيمون دوبوفوار وبوبيت ولوبون في الخلف.

احتشد الناس في شوارع مونتبارناس وسان جيرمان. وقد قُدر عدد المحتشدين بـ ٥٠ ألف شخص كان معظمهم من الشبان. العديد منهم كان يحمل الزهور. أحاط الصحفيون عربة الموتى وعدساتهم ملتصقة على نوافذها. قال كلود لانزمان « هذه آخر تظاهرات عام ١٩٦٨ ».

راحت بوفوار تمضغ حبوب الفاليوم. كانت بالكاد تعي ما يدور حولها. قالت في نفسها هذه هي الجنازة التي أرادها سارتر، ولن يعرف عنها شيئاً.

وصل الموكب إلى دنفرت - روشيرو. جلس عدد من الناس فوق تمثال الأسد الشهير. وثمة شاب كان يجلس على رأس التمثال. انعطفت العربة باتجاه بوليفار راسبيل مارة بشارع شولشر، ثم بالشوارع الأخرى الكثيرة. وفي الرابعة والنصف من بعد الظهر عبر الموكب المدخل الرئيسي للمقبرة.

توقفت عربة الموتى بجانب القبر. حمل الرجال التابوت وأنزلوه في الحفرة من دون طقوس. أومأ أحد رجال الجنازة بإشارة، تبعها

نشاط هائج. كان الحشد كثيفاً حال دون وصول الناس إلى القبر ليرموا زهورهم على التابوت، فتناقلتها الأيدي بغية إيصالها إلى التابوت.

التقط الرجال مجارفهم. لم تتمالك بوفوار نفسها. كان هذا هو الفراق الأخير بعد إحدى وخمسين سنة. رمت ورودها على التابوت وسارت مترنحة باتجاه المخرج، يعينها أصدقاؤها، وفي الطريق انهارت فوق بلاطة قبر. ستتذكر بصعوبة السيارة الصغيرة التي حملتها إلى مسكن لانزمان. ستتذكر بصعوبة الشهر الذي تلا.

كان سارتر قد دفن في قبر مؤقت، إذ بعد خمسة أيام أُخرج النعش من القبر وأُخذ إلى مقبرة بيرلاشيز لإحراقه. بعدئذٍ أعيد رماده إلى مقبرة مونتبارناس.

حضر مجموعة من أصدقاء سارتر طقس حرق الجثة. لم تكن بوفوار معهم إذ كانت ضعيفة جداً لم تبستطع مغادرة السرير. وحين عاد لانزمان ولوبون بعد طقس الحرق وجدا بوفوار جالسة على الأرض في حالة من الهذيان. أخذاها إلى مشفى كوشين. وقد ظلت طوال أسبوع في حالة من غياب الوعي. للمرة الثانية في حياتها تصاب بذات الرئة كردة فعل بعد أزمة تمر بها. بدا كأن رئتيها لا تعملان بغياب سارتر. كانت تتنفس بصعوبة. وقد تنبأ الأطباء أنها لن تستعيد صحتها كاملة. وحين عادت إلى منزلها بعد شهر كانت لا تزال لا تستطيع السير.

«حولت الظبية نفسها إلى نسر جارح» هكذا كتب جورج ميشيل باشمئزاز. إذ بعد يوم من إحراق جثة سارتر، فرغت إيلكايم، بمساعدة بيني ليفي، شقة سارتر. أخذا أوراقه وكتبه وبعض ممتلكاته إلى مسكن إيلكايم. وفيما يتعلق بالأثاث المتبقي فقد أخذه بيني ليفي إلى مسكنه في ضواحي باريس.

أخبرت بوفوار دايردر بير قائلة: «كل شخص عرف لم فعلت ذلك. كنت الشخص الآخر الوحيد الذي لديه مفتاح الشقة. وقد كانت خائفة من مطالبتي الشرعية ببعض الأشياء». لم يكتب سارتر وصية. وبالنيابة عن بوفوار طلب لانزمان ولوبون من إيلكايم بعض التذكارات - كرسي عائلة شفايتزر الذي كان سارتر يحبه، لوحة لبيكاسو (من دون ألوان)، ولوحة لـ ريبيرول التي قصد تقديمها إليها وإلى سارتر. أجابتهما إيلكايم «إذا كانت تريد هذه الأشياء فلتطلبها مني». فضلت بوفوار ألا تطلب منها ذلك.

كانت بوفوار قد سبق أن أرادت تبنّي لوبون قانونياً. لكن لوبون قاومت الفكرة. فهي لا تريد، بأية طريقة، أن تقارن بإيلكايم. وكانت تدرك أن الناس سيقولون إنها وبوفوار تقلدان سارتر. لكن بوفوار الآن ضغطت عليها أكثر. كان الوضع صعباً، فوريثة بوفوار القانونية هي أختها بوبيت. وكان القانون الفرنسي متشدداً، وأطباء بوفوار وحدهم المخولون بمناقشة وضع بوفوار مع عائلتها - بكلمات أخرى مع بوبيت. لقد عاشت بوبيت مع زوجها ليونيل دو روليه في غوكسويلر في الألزاس. وكانت بوفوار فزعة من أن يفرض عليها الأطباء العيش معهما، خصوصاً أنها لا تحب زوج أختها. ومن وراء ظهر بوبيت، كانت بوفوار تنتقد أختها انتقاداً لاذعاً - نقص موهبتها وأوهامها حول ذلك. على أية حال كانت بوبيت أصغر من أختها بسنتين، وبوفوار بحاجة إلى وريثة أصغر.

وافقت لوبون، لأن ذلك التبني سيمنح بوفوار الطمأنينة. ومع ذلك لم تستخدم الاسم الجديد إلا بعد موت بوفوار. لقد غدت تعرف بـ سيلفي لوبون دو بوفوار.

تقول ليليان زيغل: «بعد موت سارتر كانت سيلفي كل شيء بالنسبة لبوفوار. لو لم تكن سيلفي موجودة، لما عاشت بوفوار تلك المدة».

حين استعادت بوفوار قوتها، شرعت في كتابة «وداعاً لسارتر». وبدأته بمخاطبة سارتر: «هذا الكتاب الأول بين كتبي - الوحيد من دون شك - الذي لن تقرأه قبل أن يُطبع».

بنت بوفوار هذا الكتاب على مذكراتها في السنوات العشر الأخيرة، واصفة وداعها المطول للرجل الذي أحبته. لم تغال في العاطفة. صورت تدهور سارتر الجسدي، وتوخت قول الحقيقة على الرغم من قساوتها. وقد رأى العديد من القراء، بضمنهم آرليت إيلكايم وميشيل فيان ولينا زونينا، الكتاب بلا ذوق، بينما تأثر آخرون بمشاعر الحب والأسى والحزن الكامنة تحت سطح السرد، وبمجاهدتها في عدم الإشارة إلى إحساسها بالخيانة.

كانت بوفوار منصفة مع بيني ليفي، على الرغم من أنها لم تجد حرجاً في إظهار كراهيتها له. وقد دفعت بإيلكايم إلى الخلفية في سردها. والملاحظة السلبية التي أبدتها، هي حين تحدثت عن التحالف الذي شكلته مع فيكتور.

لقد تغير فيكتور كثيراً منذ أن قابل سارتر أول مرة. ومثله مثل العديد من الماويين السابقين فقد تحول إلى الرب - رب إسرائيل نظراً لأنه يهودي. أصبحت رؤيته عن العالم روحانية أو حتى دينية... كان فيكتور يلقى الدعم من آرليت التي لم تكن تعرف شيئاً عن أعمال سارتر الفلسفية، والتي تعاطفت مع توجهات فيكتور الجديدة - كانا يدرسان معاً اللغة العبرية. وقد ووجه سارتر بهذا التحالف.

وسط الضجة النقدية العامة التي أثيرت بعد نشر الكتاب عام ١٩٨١، نشرت «ليبراسيون» رسالة مفتوحة من آرليت إيلكايم سارتر إلى سيمون دو بوفوار جاء فيها:

كان سارتر ميتاً تماماً بنظرك حينئذ، ويبدو أنك انتهزت الفرصة بقسوة وتصميم ووطئت على وجوه الناس الذين أحبهم بهدف نزع مصداقية المقابلات مع بيني ليفي في الشقة التي مات فيها. كان سارتر، قبل موته، يقظاً تماماً: فعلياً لم يعد يرى شيئاً، وكانت صحته متدهورة، لكنه كان يسمع ويفكر. لقد عاملته كإنسان ميت، إنسان بدا علانية على نحو غير ملائم – المقارنة الأخيرة هذه ليست مني بل منه.

لم ترد بوفوار. وبعد سنتين نشرت رسائل سارتر التي كتبها لبوفوار على مدى سنوات. وقد أخبرت أصدقاءها قائلة: «إن كل من يقرأ رسائله لي سيعرف ماذا عنيت له». ولكي تحمي حفنة من الأشخاص حذفت بعض التعليقات القاسية التي أطلقها سارتر حول آخرين. ولكن حرصها الشديد على أنها قالت الحقيقة، أودعت الرسائل الأصلية في المكتبة الوطنية الفرنسية.

كان روبرت غاليمار مدركاً أن هذه الرسائل ستخلق فضيحة – وهذا ما حصل – خصوصاً تلك المقاطع التي يصف فيها سارتر وصفاً سريرياً كيف أزال بكارة صديقته. وستكون الصدمة أشد حين نُشرت رسائل بوفوار إلى سارتر في عام ١٩٩٠، بعد موتها، من دون أية رقابة من طرف سيلفي لوبون. إن التعليقات المفزعة حول الآخرين (بضمنهم بوبيت أخت بوفوار) تُركت كاملة غير منقوصة. كذلك تفاصيل علاقاتها السحاقية. ومع كل إصدار جديد للرسائل، يهز القراء رؤوسهم دهشين. هل هذه كانت اتفاقية الشفافية السارترية؟ هذه الافتضاحية وهذا الكذب على الآخرين؟ العديد علقوا قائلين إن التواطؤ بين سارتر وبوفوار يشبه مدبِّرَيْ المكائد فيسكونت فالوت والماركيز دو ميرتويل في كتاب «علاقات خطرة».

وفي الوقت نفسه كان هناك شيء جديد وممتع حول هذه الصورة

القريبة. فهنا سارتر وبوفوار يلهوان على الورق بمتعة شهوانية حين يخبران بعضهما حول تفاصيل حياتهما. هنا كان سارتر، رجل ضئيل الجسم وقبيح، يملك بعض الملابس وغليون وقلم حبر، ويبدو أنه لم يكن يهتم بشيء سوى التفكير والكتابة والحب. وهنا كانت بوفوار التي تجرأت على أن تحيا بحرية وانطلاق مثل سارتر، والتي تمتعت بذكاء لامع مثله، وتمتعت أيضاً بشغف لا ينضب للحياة.

توفيت بوفوار في ١٤ نيسان عام ١٩٨٦، أي بعد ست سنوات من وفاة سارتر. وهي مثله توفيت بسبب استسقاء رئوي. مشى بجنازتها خلال شوارع مونتبارناس نحو خمسة آلاف شخص. ودفن رمادها في قبر بجانب قبر سارتر.

هناك دائماً أزهار طازجة فوق قبريهما في مقبرة مونتبارناس. تُرجمت كتبهما إلى ١٢ لغة. ونما اهتمام كبير بهما، فحولهما هناك رفوف من السير والدراسات والمذكرات والمقالات التي لا تحصى. وتُعقد حولهما المؤتمرات، وتخصص محاضرات حول أعمالهما وحياتهما. ويزور السياح المقهى الذي كانا يجلسان فيه ويكتبان وحولهما صخب الحياة.

ثمة لوحة جدارية أمام فندق ميسترال تبين أن سارتر وبوفوار عاشا فيه في العديد من المناسبات خلال الحرب. وتحت اسم سارتر ثمة اقتباس من رسالة كتبها سارتر إلى بوفوار:

«ثمة شيء واحد لم يتغير ولا يمكن أن يتغير هو أنه مهما حدث ومهما أصبحتُ سأصبحُه معك». وتحت اسم بوفوار ثمة مقطع مقتبس من مذكراتها: «كنت أخادع حين اعتدت أن أقول بأننا كنا شخصاً واحداً، فالانسجام بين شخصين لايُمنح أبداً، ينبغي أن يكتسب دائماً على الرغم من العقبات».

إن ميدان سان - جيرمان، الميدان المرصوف بالحجارة في قلب سان - جيرمان - دي - بري مع مقهى «دوماغو» في زاوية، وشقة سارتر القديمة في شارع بونابرت في زاوية أخرى، تحولت تسميتها إلى ساحة سارتر - بوفوار.

المحتوى



مثل أبيلار هيلواز دفنا في قبر مشترك، ارتبط اسماهما معاً إلى الأبد. كانا زوجين من أزواج العالم الأسطوريين. لا يمكننا أن نفكر باحد منهما من دون التفكير بالآخر: سيمون دو بوفوار وجان بول سارتر.

في نهاية الحرب العالمية الثانية تبوأ سارتر وبوفوار، على نحوسريع، مكانة عالية بو صفهما مفكريَنْ حرين وملتزمين. كتبا في جميع الأنواع الادبية: المسرحيات والروايات والدرا سات الفلسفية وقصص الرحلات والسيرة الذاتية والمذكرات و أدب السيرة والصحافة. وقد شكلت رواية سارتر الأولى «الغثيان» حدثاً في عالم الرواية الفرنسية المعا صرة. وغدت مسرحياته العشر حديث المو سم المسرحي في باري . وأحدثت درا ساته الفلسفية: «الوجود والعدم» و «نقد الفكر الديالكتيكي» وغيرها صدمة هذا إلى جانب بحثيه الأدبيين اللذين كرسهما لجان جينيه وغوستاف فلوبير. لكنه ربما سيُذكر على نحو أفضل من خلال سيرته الذاتية «كلمات»، هذا الكتاب الذي أكسبه جائزة نو بل. وسترتبط وبوفوار دائماً بكتابها الهام «الجن الآخر» وبمذكراتها وبروايتها اللامعة «المندرين» التي ا ستحضرت فيها جو أوربا بعد الحرب العالمية الثانية.


ISBN 978-2843090707
9 782843 090707